The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Literatue
Master of History



الجـامعــــــــة الإســـلاميــة غـــزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كـليـــــــــــــــــــة الآداب
ماجستيـــــر الـتــاريـــــــخ

الأحوالُ العامة للنصارى في مصر كما صورها كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط و الآثار للمقريزي

(20هـ –845هـ /642 م–1442 م)

General Conditions of Christians in Egypt as depicted in Al-Maqrizi's Book *Almawaez Walaetibar Fi Thikr Alkhutat Walathar*

(20 A.H. - 845 A.H. /642 A.D. - 1442 A.D.)

إِعدَادُ البَاحِثة
هبة رزق منصور النباهين

إِشرَافُ الدكتور
غسان محمود وشاح

قُدمَ هَذا البحث اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ
فِي التاريخ في قسم التاريخ والآثار كلية الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإِسلامِيةِ بِغَزة

محرم/ 1441هـ – سبتمبر/2019م

إقــرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

الأحوالُ العامة للنصارى في مصر كما صورها كتاب "المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط و الآثار للمقريزي
(20هـ –845هـ /642 م–1442 م)

General Conditions of Christians in Egypt as depicted in Al-Maqrizi's Book *Almawaez Walaetibar Fi Thikr Alkhutat Walathar* (20 A.H. - 845 A.H. /642 A.D. - 1442 A.D.)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	هبة رزق النباهين	اسم الطالبة:
Signature:	هبة رزق النباهين	التوقيع:
Date:	2019/09/14م	التاريخ:





الجامعة الإسلامية بغزة
The Islamic University of Gaza

عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
هاتف داخلي: 1150

الرقم .... Ref ج س غ/35/
التاريخ .... Date 2019/11/05م

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ **هبة رزق منصور النباهين** لنيل درجة الماجستير في كلية **الآداب**/ برنامج **التاريخ** وموضوعها:

الأحوال العامة للنصارى في مصر كما صورها كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي (20هـ-845هـ /642 م-1442 م)

General Conditions of Christians in Egypt as depicted in Sermons and Consderation Book by Al.Maqrizi (20 AH_845 AH /642 AD _1442 AD)

وبعد المناقشة التي تمت اليوم **الثلاثاء 9 صفر 1441**هـ الموافق **2019/10/08**م الساعة **العاشرة صباحاً**، في **قاعة اجتماعات كلية الآداب** اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. غسان محمود وشاح	**مشرفاً ورئيساً**	....
أ. د. رياض مصطفى شاهين	**مناقشاً داخلياً**	....
د. حسام الدين عباس الحازوري	**مناقشاً خارجيا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في **كلية الآداب/برنامج التاريخ.**

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا



أ. د. بسام هاشم السقا

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine Tel: + 970 (8) 264 4400 هاتف Fax: + 970 (8) 264 4800 فاكس ص.ب. 108 الرمال. غزة. فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

الرقم العام للنسخة	3108038	اللغة	ع	ماجستير ☑ دكتوراه ☐

التاريخ: 25/11/2019م

الموضوع/ استلام النسخة الإلكترونية لرسالة علمية

قامت إدارة المكتبات بالجامعة الإسلامية باستلام **النسخة الإلكترونية** من رسالة

للطالب/ة/ هبة رزق محمود الناعمين

رقم جامعي: 220162880 قسم: التاريخ كلية: الآداب

وتم الاطلاع عليها، ومطابقتها بالنسخة الورقية للرسالة نفسها، ضمن المحددات المبينة أدناه:

- تم إجراء جميع التعديلات التي طلبتها لجنة المناقشة.
- تم توقيع المشرف/المشرفين على النسخة الورقية لاعتمادها كنسخة معدلة ونهائية.
- تم وضع ختم "عمادة الدراسات العليا" على النسخة الورقية لاعتماد توقيع المشرف/المشرفين.
- وجود جميع فصول الرسالة مجمَّعة في ملف (WORD) وآخر (PDF).
- وجود فهرس الرسالة، والملخصين باللغتين العربية والإنجليزية بملفات منفصلة (PDF +WORD).
- تطابق النص في كل صفحة ورقية مع النص في كل صفحة تقابلها في الصفحات الإلكترونية.
- تطابق التنسيق في جميع الصفحات (نوع وحجم الخط) بين النسخة الورقية والإلكترونية.

ملاحظة: ستقوم إدارة المكتبات بنشر هذه الرسالة كاملة بصيغة (PDF) على موقع المكتبة الإلكتروني.

والله ولي التوفيق،

توقيع الطالب ....

إدارة المكتبة المركزية ....

ملخص الرسالة

تناولت هذه الدراسة الأحوال العامة للنصارى في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى منتصف القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، كما يصورها كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) للمقريزي، وقد خصصت جزءاً مهماً من الدراسة لدراسة حياة المؤرخ تقي الدين المقريزي، والتعريف بشخصيته وشيوخه وتلاميذه وأهم مؤلفاته ومنهجه في كتابه (الخطط)، ثم أفردت جزءاً مهماً لدراسة أحوال النصارى قبل الفتح الإسلامي والمعاناة والظلم الذي مارسه الرومان والبيزنطيون عليهم، لتوضيح أحوالهم قبل وبعد الفتح الإسلامي؛ وإظهار الفرق الواضح بين ما كانوا عليه قبل الفتح من ظلم واضطهاد وبين ما أصبحوا عليه بعد الفتح الإسلامي، حيث تمكنوا من ممارسة حياتهم بكل حرية ودون تمييز، فقد كان الفتح الإسلامي منقذاً للنصارى في مصر من طغيان البيزنطيين، كما تطرقتُ لحياة النصارى السياسية في مصر حيث تمكنوا من ممارسة حقوقهم السياسية وتقلدوا العديد من الوظائف والمناصب العليا في الدولة الإسلامية بشكل أثّر على أوضاع المسلمين في مصر فازداد بطشهم على المسلمين؛ مما أدى إلى عزلهم واستبعادهم عن الكثير من الوظائف في الدولة الإسلامية في عهد بعض الخلفاء، كما تناولتْ هذه الدراسة أحوال النصارى الدينية من حيث مكانة رجال الدين ومهامهم، ودور العبادة لدى النصارى وبعض شعائرهم الدينية، وتناولت الأحوال الاجتماعية للنصارى وكيف مارس النصارى حياتهم الاجتماعية في مصر وعاداتهم وتقاليدهم، ودور المرأة في المجتمع النصراني، أهم الأعياد والمناسبات التي يحتفلون بها، وتعرضهم لبعض القيود الاجتماعية في فترات قليلة من عصر الدولة الإسلامية، بالإضافة إلى الحياة العلمية والعمرانية ودورهم في خدمة المجتمع الاسلامي والاستفادة من خبرتهم في مجالات مختلفة ومن ضمنها الأنشطة الاقتصادية، فقد تمكنوا من السيطرة على مختلف الأنشطة الاقتصادية في مصر ومارسوا حرفهم ووظائفهم سواء في الزراعة أو التجارة أو الصناعة بكل حرية، مع إبراز أهم الضرائب التي فرضها المسلمون على النصارى في مصر وأثرها على العلاقات بين الطرفين والتي تعرضت للاضطراب والخلافات بسبب حجم الضرائب التي فرضت عليهم؛ مما دفعهم للقيام بالعديد من الاحتجاجات التي تمكن المسلمون من القضاء عليها.

Abstract

This study examines the general conditions of Christians in Egypt since the Islamic conquest until the middle of the ninth century A.H. / fifteenth century A.D., as depicted in the book (*Almawaez Walaetibar Fi Thikr Alkhutat Walathar*) for Maqrizi. A part of the study presents the life and biography of the historian Taqi Al-Din Maqrizi, his character, teachers, students, writings, and his approach in writing the book of the study. Another important part of this study examines the conditions of Christians before the Islamic conquest and the suffering and injustice practiced by the Romans and the Byzantines against them so as to clarify their conditions before and after the Islamic conquest; and to show the clear difference between their conditions of oppression and pressure before the conquest and their condition after the Islamic reign where they practiced their life and religious rituals freely. The Islamic conquest was the savior for the Christians in Egypt from the tyranny of the Byzantines. The study also touched upon the political life of the Christians in Egypt, where they were able to exercise their political rights and held many senior positions in the Islamic State, which affected the situation of Muslims in Egypt, where Christians became increasingly oppressing against Muslims, which led to their isolation and exclusion from many positions in the Islamic State in the era of some caliphs. The study also explains the Christians religious life, the position of clergymen and some of their religious rituals. It also examined the social conditions of the Christians and how Christians practiced their social life in Egypt and their customs and traditions, and the role of women in Christian society, the most important holidays and occasions celebrated, and exposure to some social restrictions in a few periods of the Islamic State. This is in addition to their scientific and urban life, their role in serving the Islamic community and benefiting from their experience in various fields, including economic activities. They were able to control the various economic activities in Egypt and practiced their trades and jobs, whether in agriculture, trade or industry freely. The study also highlights the most important taxes imposed by Muslims on Christians in Egypt and its impact on the relations between the two parties, which have been disrupted and differences due to the size of taxes imposed on them; prompting them to do many protests that Muslims were able to eliminate.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

[المجادلة: 11]

الْإِهدَاْءُ

❖ إلى من وهباني كل العطاء والحنان، ورعياني حق الرّعاية وكانا سندي أشدُدُ بهما أزري في هذه الحياة، إلى من كانت دعواتهما لي بالتوفيق تتبعني خطوة خطوة في حياتي وعملي، إلى مدرستي الأولى في الحياة، أمي وأبي الغاليين على قلبي أطال الله في عمرهما، وأمدهما بوافر الصحة والسلامة، وجزاهما الله خير الجزاء، إليهما أهدي هذا العمل المتواضع لكي أُدخل على قلبهما شيئاً من السعادة.

❖ إلى من كانت لي نعم المديرة والأخت والصديقة، إلى من سهلت طريق دراستي منذ بدايته، وذللت الصعوبات أمامي بدعمها وتعاونها، إلى من تعلمت منها الكثير وما زلت، إلى من تعجزني الكلمات عن التعبير عن مدى حبي واحترامي لها، إلى الإنسانة التي لن أنساها ما حييت، إلى مديرتي الأقرب إلى قلبي: الأستاذة فاطمة عيطة، إليك أهدي بحثي هذا؛ لأعبر عن جزءٍ قليل من شكري وامتناني لوقوفك بجانبي في رحلتي العلمية، فالحرُّ من راعى وداد لحظة.

❖ إلى إخوتي وأختي أهدي بحثي هذا، وفقهم الله لما يحب ويرضى من القول والعمل.

❖ إلى كل من حافظ على مبادئه، واحترم كلمته، أهدي بحثي هذا.

إليكم جميعا أهدي رسالتي

شكرٌ وتقديرٌ

الحمد والشكر والمنة لله ﷻ حتى يبلغ الحمد والشكر منتهاه، حمدًا بالغًا أَمَدَ التمام ومُنتهاه الذي هداني وأعانني على إنجاز هذا العمل المتواضع، فالشكر لله أولاً وأخيراً الذي أكرمني وأنعم علي من فضله بإتمام هذه الرسالة.

بعد حمد الله وشكره أتقدم بجزيل الشكر والامتنان والعرفان **للدكتور الفاضل: غسان محمود وشاح** على جهوده الرائعة، والذي كان نعمَ المشرف ونعم الموجه ونعم الداعم ونعم المحفز، والذي ساعدني بفضل دعمه وتشجيعه على إكمال دراستي ورسالتي وإتمامها إلى نهايتها، شكرا لمن تعلمت منه واستفدت من علمه وخبرته الكثير، سيبقى أثرك الطيب والجميل في قلوبنا ما حيينا، شكرا لدعمك المتواصل وتحفيزك المستمر.

كما أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لأعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور حسام الدين الحزوري، والأستاذ الدكتور رياض شاهين اللذان تكرما بقبول مناقشة هذه الدراسة المتواضعة، وعلى ما قدماه لي من نصح وإرشاد ، جزاهما الله عني كل خير.

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأمي وأبي، اللذين وقفا إلى جانبي ودعماني ووفرا لي كل ما أحتاجه، وقدما لي كل غالٍ ونفيس، وكان لهما الفضل بعد الله لما وصلت إليه الآن، فهما من علماني حب العلم منذ الصغر، فلا أملك إلا الدعاء بحياة ملؤها الراحة والسعادة، وبطول العمر وحسن الخاتمة، وبلوغ الجنان، وأتقدم بالشكر والتقدير لمديرتي الفاضلة على ما قدمته لي من دعم ومن تسهيلات في عملي أثناء دراستي فجزاها الله عني كل خير.

شكرا لإخوتي ولأختي على كل ما بذلوه من أجلي، من مساعدة ودعم.

الباحثة/

هبة رزق النباهين

جدول الرموز والمختصرات

الرمز	الدلالة
م	مجلد
ج	جزء
ص	صفحة
هـ	التاريخ الهجري

فهرس المحتويات

فهرس الجداول

المقدمة

شكّل النصارى جزءاً مهماً من تركيبة الدولة الإسلامية بعد الفتح الإسلامي، فبعد انطلاق حركة الفتوحات الإسلامية من شبه الجزيرة العربية ونجاحها في اخضاع العديد من البلدان والمناطق وضمها لسيطرة الدولة الإسلامية، أصبح النصارى من ضمن رعايا الدولة الإسلامية في مناطق مختلفة من أرجاء الدولة، وكان من ضمن تلك البلدان التي خضعت للحكم الإسلامي مصر، التي شكل النصارى الجزء الأكبر من سكانها إبان الفتح الإسلامي، وعلى الرغم من الاختلافات الدينية والحضارية بين نصارى مصر والمسلمين إلا أن النصارى مارسوا حياتهم الاجتماعية والسياسية والدينية وأنشطتهم الاقتصادية بكل حرية منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي، فقد كان الفتح الإسلامي لمصر بمثابة طوق نجاة لنصارى مصر؛ لأنه أنقذهم من الظلم والاضطهاد الذي عانوا منه لعدة قرون في العصر الروماني والبيزنطي.

ولكن مع مرور الوقت وتوالي الحكومات الإسلامية والولاة على مصر تأرجحت أحوال النصارى واضطربت واختلفت أحوالهم عما كانوا عليه في بداية الفتح الإسلامي؛ وذلك يعود لأسباب مختلفة ترجع لظروف الدولة الإسلامية، وأوضاع النصارى أنفسهم في الدولة؛ مما سبب في حدوث بعض الاضطرابات والاختلافات بين الطرفين، لذلك جاءت هذه الدراسة لتوضح وتستقصي أحوال وحياة النصارى في مصر في ظل الحكم الإسلامي، ولتسلط الضوء على أحوالهم قبل الفتح الإسلامي وبعده، والتعرف على أحوال النصارى السياسية ودورهم في الحياة السياسة في مصر، والتعرف على أحوالهم الاجتماعية والدينية والعمرانية والعلمية وأنشطتهم الاقتصادية المختلفة التي مارسوها منذ الفتح الإسلامي وحتى القرن التاسع الهجري، من خلال الاعتماد على المصادر التاريخية الأقرب لتلك الفترة والأشمل، والتي يعد أهمها كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) للمقريزي، حيث يعد المقريزي من أعظم مؤرخي مصر؛ لأنه قدم العديد من المصنفات الموسوعية النادرة، والتي من ضمنها كتابه (الخطط) حيث قدم كتابه صورة حضارية واضحة عن المجتمع المصري وحضارته وفئاته وأنشطته المختلفة، فكان كتابا فريدا من نوعه من حيث حجم المادة العلمية وطبيعتها النادرة؛ فلذلك تم الاعتماد على هذا المصدر لدراسة أحوال النصارى في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى منتصف القرن التاسع الهجري.

أولاً: أهمية الدراسة:

- تكمن أهمية الدراسة في ندرة الدراسات الأكاديمية التي تناولت هذا الموضوع بالرغم من أهميته.
- تقديم صورة واضحة عن أحوال النصارى في كنف الدولة الإسلامية في مصر كما يصورها كتاب (المواعظ والاعتبار) للمقريزي.
- تقديم مادة علمية عن أحوال أهل النصارى في مصر وإبرازها حتى تكون مرجعا للباحثين والمهتمين.

ثانياً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

- إبراز أهمية كتب التراث في التعرف على أحوال النصارى في مصر.
- تسليط الضوء على أوضاع النصارى في مصر في ظل الحكم الإسلامي.
- التعرف على أحوال النصارى قبل الفتح الإسلامي وبعده، ومعرفة أثر الفتح الإسلامي على نصارى مصر.
- الوقوف على طبيعة العلاقة بين النصارى والمسلمين وتتبع تطورها عبر المراحل التاريخية المختلفة للدولة الإسلامية كما يصورها المؤرخون المسلمون.
- إبراز دور النصارى في الحياة العامة في مصر في مختلف المجالات، وأثره على العلاقات بين المسلمين والنصارى.

ثالثاً: حدود الدراسة:

- الحد المكاني: مصر.
- الحد الزماني: تناولت هذه الدراسة الحقبة الزمنية الممتدة بين القرن الأول الهجري وحتى منتصف القرن التاسع الهجري، وهو تاريخ وفاة المقريزي (21هـ-845هـ/642م-1442م).

رابعاً: منهج الدراسة:

اتبعت الباحثة في دراستها منهج البحث التاريخي الوصفي التحليلي.

خامساً: الدراسات السابقة:

بعد الاطلاع على العديد من الرسائل العلمية، وبعد البحث والدراسة لم تجد الباحثة رسالة علمية تناولت موضوع بحثها بالتحديد، ولكنها وجدت رسالة واحدة فقط تتعلق ببعض جوانب الدراسة، وتلك الدراسة هي: (المواقف والعلاقات بين المسلمين وغير المسلمين خلال فترة صدر الإسلام) للباحث إياد أبو ربيع، وهي رسالة ماجستير من جامعة بيرزيت صدرت عام 2013م.

تلك الرسالة اقتصرت على فترة صدر الإسلام، كما أنها تضمنت العلاقات بين المسلمين وجميع الفئات غير المسلمة، بينما موضوع البحث الخاص بهذه الدراسة اهتم بدراسة أحوال النصارى في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى منتصف القرن التاسع الهجري.

سادساً: تقسيمات الدراسة:

قسمت الدراسة إلى مقدمة وستة فصول وخاتمة، أما المقدمة فاحتوت على: تعريف بالموضوع، وأهمية وأهداف الدراسة ومنهجها وحدودها وتقسيماتها.

أما الفصل الأول فقد اهتم بدراسة سيرة المقريزي من حيث: نسبه ونشأته وشيوخه وتلاميذه، وأهم مؤلفاته، وكتابه، ومنهجه في الكتابة.

أما الفصل الثاني فتناول أحوال النصارى في العصر الروماني والبيزنطي، والفتح الإسلامي لمصر وموقف المسلمين من النصارى في مصر، وموقف النصارى من المسلمين.

واهتم الفصل الثالث بدراسة أحوال النصارى السياسية في مصر في ظل الحكم الإسلامي، وأهم الوظائف السياسية والإدارية التي تقلدوها من رؤساء دواوين، ووزراء، ووسطاء وكتاب، وأهم الانتفاضات والثورات التي قام بها النصارى في مصر، وموقف المسلمين من تلك الثورات.

أما الفصل الرابع فاهتم بدراسة أوضاع النصارى الدينية من حيث أهم طوائف النصارى في مصر، وبطاركة كرسي الإسكندرية ومهامه ووظيفته وطريقة اختياره، وأوضاعهم في مختلف مراحل الدولة الإسلامية منذ الفتح الإسلامي وحتى العصر المملوكي، وأهم الشعائر الدينية للنصارى في مصر، ومراتب رجال الدين الكهنوتية في الكنيسة.

أما الفصل الخامس فقد تناول أوضاع النصارى الاجتماعية والعلمية والعمرانية من حيث طبقات المجتمع النصراني، وأهم العادات والتقاليد عند النصارى، وأعيادهم والمواسم التي

يحتفلون بها، بالإضافة إلى دورهم في الحياة العلمية وأهم العلوم التي برع فيها النصارى ومراكزهم العلمية، ودورهم في الحياة العمرانية داخل مصر وخارجها.

أما الفصل السادس فقد تناول أحوال النصارى الاقتصادية من زراعة وتجارة وصناعة وأهم الصناعات التي برعوا فيها، ودورهم في الحياة الاقتصادية وأهم الضرائب التي فرضت عليهم، والنتائج التي ترتبت على فرض تلك الضرائب.

وأنهت الباحثة دراستها بخاتمة احتوت على أهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها، ثم الملاحق وقائمة المصادر والمراجع.

الفصل الأول:
المقريزي سيرته وكتابه

المبحث الأول:

سيرة المقريزي: شيوخه وتلاميذه

أولاً: سيرة المقريزي:

اسمه ومولده:

هو تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن تميم بن عبد الصمد[1]، بن أبي الحسن بن عبد الصمد بن تميم[2]، التقي أبو العباس بن العلاء بن المحيوي الحسيني العبيدي[3]، البعلبكي المقريزي[4]، أصله من مدينة بعلبك[5].

اشتهر بابن المقريزي نسبة إلى حارة المقارزة في بعلبك[6]، ولد سنة 766هـ/ 1365م في مدينة القاهرة[7]، في حارة برجوان[8]، لم يذكر المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) تاريخًا محددًا لميلاده، لكنه اكتفى بالقول أن مولده كان بعد سنة 760هـ/ 1359م[9]، لكن السخاوي رجح أنه ولد سنة 766هـ/ 1365م [10]، بينما لم يحدد ابن تغري سنة محددة لميلاده واكتفى بالقول أنه ولد بعد سنة 760هـ/ 1359م [11].

نسبه:

---

(1) المنهل الصافي، ابن تغري، ج415/1؛ الضوء اللامع، السخاوي، ج21/2.

(2) الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج190/3.

(3) الضوء اللامع، السخاوي، ج21/2.

(4) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج166/1.

(5) المنهل الصافي، ابن تغري، ج415/1.

(6) الضوء اللامع، السخاوي، ج21/2.

(7) المنهل الصافي، ابن تغري، ج415/1.

(8) حارة برجوان: سميت بهذا الاسم نسبة إلى برجوان الخادم، كان الخليفة الفاطمي العزيز بالله، ثم أصبح في عهد الحاكم من كبار موظفين الدولة فعندما عظم شأنه قتله الحاكم، صبح الأعشى، القلقشندي، ج401/3.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،7.

(10) الضوء اللامع، ج21/2.

(11) المنهل الصافي، ج415/1.

يرجع نسب المقريزي إلى أسرة عريقة ومتعلمة سواء كان النسب من جهة الأب أو الأم، فجده لأبيه محيي الدين أبا محمد عبد القادر بن محمد بن تميم الفقيه، كان من فقهاء وعلماء الحنابلة المشهورين، ومن المحدثين المشهورين، كان كثير العلم وكثير الاطلاع والقراءة، نسخ بخط يده الكثير من العلوم[1]، ولم يكتفِ بتحصيل العلم وجمعه بل كان جده ينقد ويميز ويفصل ويجتهد لتحصيل العلم، فكان كثير السفر والترحال، حيث هاجر إلى عدة دول طلبًا للعلم، فسمع وتعلم عن الكثير من الشيوخ ففي مسقط رأسه في مدينة بعلبك سمع وتعلم من زينب بنت كندي، ثم توجه إلى دمشق وسمع من ابن عساكر، وابن القواس، ثم رحل إلى مصر فتعلم وسمع من البهاء بن القيم، وسبط زيادة، ورحل إلى حلب ثم توجه إلى بلاد الحجاز وتعلم ونقل العلم ونسخه وأصبح شيخ دار الحديث بعد البهاء ابن عساكر، ودرس الحديث في المدرسة البهائية بدمشق، وجمع الكثير من المعارف والمعلومات فيها[2]، وتنقل بين بعلبك وحمص وحلب ومصر وغيرها من البلدان، واهتم بالفن[3]، توفي عام (732هـ/1331م)عن عمر ناهز الخمسة والخمسين عاماً[4]، في دمشق[5].

جده لأمه:

هو محمد بن عبد الرحمن بن علي بن أبي الحسن الزمردي المشهور بشمس الدين بن الصائغ الحنفي النحوي[6]، كان أديبًا مبدعًا[7]، برع في الأدب ودرسه، وسمع الحديث عن الدبوسي والحجار وأبي الفتح اليعمري، ونقل وتعلم، تتلمذ على يد الكثير من العلماء [8].

كان جده لأمه محباً للعلم مجتهداً في تحصيله، كثير الحرص على حضور حلقات العلم، برع في الشعر والنثر، تميز بحسن الخلق، وحب المبادرة[9]، تجول في العديد من البلدان سعيًا لتحصيل العلم، فتنقل في مصر والشام، وله مؤلفات ومصنفات في الأدب[10]، تميزت

---

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج484/1.

(2) أعيان العصر وأعوان النصر، الصفدي، ج120/3.

(3) الدرر الكامنة، ابن حجر السعقلاني، ج190/3.

(4) أعيان العصر، الصفدي، ج120/3.

(5) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج484/1.

(6) بغية الوعاة، السيوطي، ج155/1؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ، ج112/51.

(7) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج112/51.

(8) بغية الوعاة، السيوطي، ج155/1.

(9) المرجع السابق، ج155/1.

(10) التراجم، بن قطلوبغا، ص266.

مؤلفاته بالشمول والسلاسة والايجاز أشهرها: الغمز على الكنز، والرقم على البردة، ونتائج الأفكار، الوَضع الباهر في رفع أفعل الظاهر، اختراع الفهوم لاجتماع العلوم، روض الأفهام في أَقسام الاستفهام[1]، التعليقة في المسائل الدقيقة، ومجمع الفرائد ومنبع الفوائد، والمباني في المعاني والمنهج القويم في قواعد تتعلق بالقرآن الكريم، وشرح ألفية ابن مالك، وشرح مشارق الأنوار، وشرح البردة، وكتاب الثمر الجني في الأدب السني، وغير ذلك[2].

برع في اللغة والفقه والنحو، وألّف كتاب (التذكرة في النحو) في عدة مجلدات، وكان كثير الاختلاط بالرؤساء، تقلد عدة مناصب منها: قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، ودرس في الجامع الطولوني[3]، وكان على مذهب الحنفية[4]، نقل عنه علمَه الكثير من العلماء مثل الجمال بن هيرة، وعبد الرحمن بن عبد العزيز بن جماعة وغيرهم[5]، توفي جده سنة (777هـ/ 1375م) [6]، وترك ورائه ثروة كبيرة[7].

والده:

هو أبو الحسن علاء الدين علي بن عبد القادر المقريزي، ولد في دمشق ثم انتقل إلى القاهرة[8]، وتزوج فيها من ابنة شمس الدين بن الصائغ[9]، فأنجبت له المقريزي، كان والده من النُّساك العُبّاد، اتصف بأنه عفيف النفس، دائم العبادة شديد الحرص على أداء عبادته، لم يترك قيام الليل ليلة واحدة، كثير التدين، ميسور الحال، نال حظوة عند رجال الدولة فألف كاتباً في الديوان عند الأمير آقتمر الحنبلي [10]، نائب سلطان مصر[11].

---

(1) بغية الوعاة، السيوطي، ج155/1.

(2) تاج التراجم، بن قُطلُوبغا، ص266.

(3) الدرر الكامنة، ابن حجر السعقلاني، ج249/5.

(4) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج491/15.

(5) بغية الوعاة، السيوطي، ج156/1.

(6) تاج التراجم، بن قُطلُوبغا ص266.

(7) بغية الوعاة، السيوطي، ج156/1.

(8) درر العقود الفريدة، المقريزي، م517،2.

(9) الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج249/5.

(10) آقتمر الحنبلي: آقتمر الحنبلي الصالحي كان أحد مماليك الصالح إسماعيل، تولى رأس نوبة في زمن المنصور بن المظفر، تولى عدة مناصب وتعرض للنفي، ثم أصبح نائب السلطنة، ثم عزل منها في أواخر دولة الأشرف ثم أعيد بعد الأشرف، ثم نفاه أينبك إلى الشام ثم قرره في نيابة الشام إلى أن توفي، وكان يعرف أولاً بالصاحبي، وكان يرجع إلى دين وخير وعنده وسواس كثير في الطهارة وغيرها، فلقب لذلك الحنبلي، وكان يحب الأمر بالمعروف وإزالة المنكر، إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني (ج161/1).

(11) درر العقود الفريدة، المقريزي، م517،2.

وتقلد عدة وظائف في القضاء، وأصبح مسئولاً عن التوقيع في ديوان الإنشاء[1].

لم تقدم المصادر التاريخية معلومات واضحة ومفصلة عن والد المقريزي وعن نشأته وعلمه، لكنها اكتفت ببعض المعلومات التي تصف والده بأنه كان رجلا فاضلاً وعالماً على المذهب الحنفي، توفي والده عام (778هـ/1376م)[2]، وذكر المقريزي بأن والده توفي في القاهرة سنة (779هـ/1377)، وكان المقريزي يبلغ من العمر حوالي أربعة عشر عاماً[3].

والدته:

هي أسماء بنت محمد بن عبد الرحمن بن علي، المشهور بابن الصائغ الحنفي، ولدت في القاهرة سنة (747هـ/ 1346م) وتوفيت سنة (800هـ/1397م).[4]، تزوجت في عمر الاثني عشر عاماً من رجل يقال له الرملي[5]، ثم تزوجت المرة الثانية من والد المقريزي علاء الدين علي بن عبد القادر في سنة (765هـ/1364م)، فأنجبت تقي الدين ومحمد وحسن، وصف المقريزي والدته بأنها كانت أفضل نساء عصرها علمًا وعقلاً وعفة وديئًا وخلقًا ومعرفة وصبرًا، فقد ابتليت بمرض بعينها اضطر الأطباء إلى قطع جفونها بالحديد فصبرت، كما كانت صوامة تصوم أيام الاثنين والخميس، تكثر من قيام الليل وقراءة القرآن، وتكثر من الصدقات والعطف على الفقراء والمساكين واليتامى، أدت فريضة الحج فتصدقت بمال كثير، توفيت بعد أن أصيبت بالحمى حيث عانت من الحمى طوال واحد وعشرين سنة[6].

يُرجع البعض أصل نسب المقريزي إلى العبيديين أي الفاطميين، مثل ابن حجر العسقلاني حينما تحدث عن المقريزي حيث ذكر أن أحد طلاب العلم من المكيين قرأ على المقريزي بعض كتبه، فدون في أول الكتاب نسب المقريزي فنسبه إلى تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي عبيد الله القائم في المغرب، والمعز هو أول الخلفاء الفاطميين في مصر وهو الذي بنى له جوهر الصقلي القاهرة؛ لتكون عاصمة دولته في مصر[7]، وكان ابن حجر العسقلاني أخبر المقريزي بأن تقي الدين ابن رافع نسب جده بأنه كان أنصارياً؛ فأنكر

---

(1) الضوء اللامع، السخاوي، ج21/2.

(2) نيل الأمل، ابن شاهين، ج132/2.

(3) درر العقود الفريدة (مج517/2).

(4) المصدر السابق، م394،1.

(5) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج33/2.

(6) درر العقود الفريدة، المقريزي، م394،1.

(7) إنباء الغمر، ابن حجر السعقلاني، ج188/4.

المقريزي ذلك، وتعجب مما كتبه ابن رافع، كما ذكر ناصر الدين أخو المقريزي لابن حجر العسقلاني أن المقريزي عندما دخل مع والده جامع الحاكم قال له والده: "يا ولدي هذا جامع جدك"[(1)]، وروى ابن تغري أن ابن أخ المقريزي أملى عليه نسبه الناصري إلى أن انتهى إلى علي بن أبي طالب من طريق الخلفاء الفاطميين[(2)]، كذلك تحدث السخاوي عن نسبه الفاطمي[(3)]، وذكر ابن شاهين أن بعض الناس ترجع نسبه للفاطميين خلفاء مصر[(4)].

لكن المقريزي نفسه لم يذكر أن نسبه يعود للفاطميين في كتبه، بل إن المصادر التاريخية أكدت أن المقريزي نفى ذلك، فعندما قرأ عليه المكي أحد مصنفاته وبدأها بنسب المقريزي الذي يعود إلى تميم بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي الفاطمي فما كان من المقريزي إلا شطب ما كتبه المكي في أول المجلد[(5)]، فلو كان نسبه يعود للفاطميين لما شطب ما كتبه المكي، وكان عندما يذكر اسمه ونسبه ينتهي به عند عبد الصمد بن تميم ولا يزيد على ذلك[(6)]، كما ذكر ابن شاهين أن المقريزي نفي أن يكون نسبه يرجع إلى الفاطميين بني عبيد[(7)].

نشأته:

نشأ المقريزي في أسرة متعلمة ومجتهدة في تحصيل العلم، فتأثر بها، كذلك نشأ في مدينة القاهرة متأثراً بالأجواء العلمية التي كانت سائدة بها، حيث ولد تقي الدين المقريزي في القاهرة سنة (766هـ/1364م)[(8)]، تربى ونشأ فيها وحفظ القرآن في القاهرة[(9)]، تأثر المقريزي بأسرته خاصة بأجداده، فنشأته في وسط عائلة محبة للعلم أثّر في شخصيته وفي فكره، فنشأ محباً للعلم ومجتهداً في تحصيله منذ الصغر فكان شديد الحرص على ملازمة كبار الشيوخ وحضور دروسهم العلمية، فاستفاد منهم الكثير؛ وذلك ساهم في صقل شخصيته العلمية، فقام بعدة رحلات متنقلاً بعدة بلدان من مصر إلى الشام إلى مكة، التقى خلالها بكبار العلماء

---

(1) إنباء الغمر، ابن حجر السعقلاني ، ج188/4.

(2) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج490/15.

(3) الضوء اللامع، السخاوي، ج23/2.

(4) نيل الأمل، ابن شاهين ج151/5.

(5) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج188/4.

(6) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج188/4؛ الضوء اللامع، السخاوي، ج23/2.

(7) نيل الأمل، ابن شاهين ج151/5.

(8) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج491/15.

(9) نيل الأمل، ابن شاهين، ج132/2.

والأساتذة الذين استفاد من علمهم وخبرتهم، وكان المقريزي على المذهب الحنفي مذهب جده لأمه، وتبحر في هذا المذهب وتعمق فيه وقرأ الكتب والمختصرات المتعلقة به(1)، لكن بعد وفاة والده عام سبعمائة وست وثمانين(2)، تحول المقريزي من المذهب الحنفي إلى المذهب الشافعي، وربما يكون ذلك التحول بسبب تأثير بعض الشيوخ من أساتذته(3)، رغم أن والده وجده حنبليين، فغير مذهبه وكان قد تجاوز العشرين عاماً من عمره، فاستقر على المذهب الشافعي(4).

وكان يميل المقريزي إلى مذهب الظاهر ويقصد به ابن حزم، لدرجة أنهم اتهموه بأنه على مذهب ابن حزم على الرغم من عدم معرفته له، فأحب الكثير من العلوم مثل الحديث واعتنى به، وأبدع في الكثير من العلوم والفنون والشعر والنثر(5)، وتنقل في بلدان عدة باحثاً عن العلم وزار العديد من الشيوخ؛ ليستفيد من علمهم، والتقى مع كبار العلماء فاستفاد منهم وأثرى من معرفته وساعدته تلك المعرفة في تصنيف الكثير من مؤلفاته وكتبه(6).

نشأ المقريزي في القاهرة في مصر زمن الدولة المملوكية فقد عاصر الدولة المملوكية التي نشأت في مصر(7)، وكانت المراكز العلمية في بغداد والأندلس والبصرة قد تهاوت وتراجعت، فانتقل الثقل الحضاري والعلمي إلى القاهرة التي نشأت فيها الحضارة منذ آلاف السنين؛ والذي ساهم في أن تكون القاهرة مركزا علميا زاهياً؛ هو اهتمام المماليك بالعلم والمراكز العلمية، وتشجيع العلماء فبنوا العديد من المدارس والمراكز العلمية مثل الزوايا والربط وأوقفوا عليها الأوقاف؛ فازدات المراكز العلمية وازدهرت والتي جعلت من القاهرة محط أنظار طلاب العلم؛ فتوافد إليها الكثير من طلاب العلم والعلماء من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ليستفيدوا من العلوم والمعارف في القاهرة، فقد كانت للقاهرة في ذلك الوقت ذائعة الصيت في مجال العلم، فقد وصفها ابن خلدون قائلاً: "ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها"(8)، وكان علم التاريخ من أبرز العلوم التي ازدهرت في زمن المقريزي، واتضح ذلك من خلال تتبع شيوخ المقريزي الذين

(1) المنهل الصافي، ابن تغري، ج415/1؛ الضوء اللامع، السخاوي، ج21/2-22.

(2) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج491/15.

(3) عجالة الإملاء، الناجي ج58/1.

(4) الضوء اللامع، السخاوي، ج22/2.

(5) المصدر السابق، ج22/2.

(6) المصدر نفسه، ج22/2.

(7) تاريخ الإسلام، الذهبي ج5/51.

(8) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج541/1.

بلغ عددهم ستمائة، وكان جلهم علماء في التراجم والرواية وعلم التاريخ والحديث فتأثر بهم، واستفاد من علمهم[1].

لم تكن الأسرة التي نشأ بها المقريزي والمدينة التي ولد فيها هما فقط من أثّرا على نشأة وشخصية المقريزي، ولكن هناك عوامل أخرى أثرت في المقريزي وصقلت شخصيته العلمية، منها أنه عاصر كبار العلماء والمؤرخين مثل ابن حجر العسقلاني الذي ولد سنة (773هـ/1332م) وتوفي سنة (852هـ/1448م) والذي برع في الأدب والشعر والحديث، وتميز بأنه كان سريع الحفظ لم يصل أحد من العلماء درجته في الحفظ، صنف في التراجم وأبدع في تصانيفه لدرجة فاق بها عن الذهبي.

وله مؤلفات زادت عن المئة كتاب، ولم يصنف أحد من العلماء مثله، وتولى القضاء بمصر، وعمل مدرساً في مدارسها، وكان السيوطي من تلاميذه ونقل عنه الكثير[2]، وكان المقريزي صديقاً لابن حجر العسقلاني وذلك ما أقره ابن حجر في مقدمة كتابه الدرر الكامنة[3].

وكذلك عاصر المقريزي العيني الذي ولد سنة (762هـ/1360م)، ولد قبل المقريزي بأربع سنوات بعينتاب، برع في الفقه والنحو والتاريخ وألّف كتاب مختصر تاريخ ابن عساكر[4]، رحل إلى القاهرة وتعلم من مشايخها، وتولى الحسبة في القاهرة بدلاً من المقريزي[5]، وأصبح قاضي الحنفية فيها، توفي (855هـ/1451م)[6]، وله مصنفات من ضمنها: التاريخ الكبير، وطبقات الحنفية، وطبقات الشعراء[7]، ولا شك أن وجود أولئك العلماء في مصر المعاصرين للمقريزي قد خلق جواً من التنافس العلمي أثّر على شخصية المقريزي وثقافته، فكان وجودهم محفزا له، ودافعاً له لكي يبدع في العلوم المختلفة لا سيما التاريخ.

أسرته:

زوجته: هي سفرى ابنة عمر بن عبد العزيز بن عبد الصمد، ولدت في القاهرة وتزوجها المقريزي عام (782هـ/1380م)، وكان عمرها اثني عشر عاماً، أنجب منها ولدين هما أبو

---

(1) الضوء اللامع، السخاوي، ج23/2.

(2) طبقات الحفاظ، السيوطي، ص552-553.

(3) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة (ج3/1)

(4) بغية الوعاة، السيوطي، ج275/2.

(5) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج54/2.

(6) نظم العقيان، السيوطي، ص174.

(7) درر العقود الفريدة، المقريزي، م3 ، 486.

المحاسن محمد الذي ولد عام (786هـ/1384م)، وأبو هاشم علي(789هـ/1387م)، وكانت امرأة رزينة وعفيفة أمينة متدينة توفيت سنة (790هـ/1388م) بعد مرض أصيبت به[1].

أولاده:

لم تذكر المصادر التاريخية معلومات عن أبناء المقريزي، لكنه تحدث عنهم في أحد مصنفاته، فقد أنجب من زوجته سفرى ولدين هما أبو المحاسن محمد الذي ولد عام (786هـ/1384م)، وأبو هاشم علي (789هـ/1387م)[2]، ويتضح من خلال ما كتبه المقريزي أن له ابنة أخرى اسمها فاطمة توفيت عن عمر ناهز سبعاً وعشرين سنة ونصف في شهر ربيع الأول سنة (826هـ/1422م)؛ بسبب الأمراض التي اجتاحت القاهرة، وهي آخر مَن تبقى من أولاده، حيث اتضح أنهم ماتوا كلهم ولم يتبقَ منهم أحد وكان آخرهم ابنته فاطمة حيث قال: "وماتت ابنتي فاطمة يوم الأربعاء ثالث عشرين ربيع الأول وهي آخر من بقي من أولادي"[3].

صفاته:

اتصف المقريزي بالعديد من الصفات الحسنة منها أنه رقيق القلب، جياش العاطفة[4]، حسن الخلق، والالتزام بالعهد، والوفاء بالوعد، مثابر ومجتهد ، متواضع، قوي العزيمة، وعالي الهمة، شغوفٌ بالعلم، محباً للقراءة والاطلاع، متدين كثير التهجد والقراءة للقرآن، كثير الالتزام بفرائض الشرع واتباع السنة النبوية، يحظى باحترام وتقدير كبار رجال الدولة له، ويزعم السخاوي أن احترام رجال الدولة للمقريزي يرجع إلى خوفهم من قلمه أو بسبب براعته وغزارة علمه، كما أنه سريع الحفظ، جميل الصحبة، بارع في فن المحاضرة، بحيث كانت محاضراته تجذب من يحضرها[5]، خفيف الظل كثير النوادر[6]، لدرجة أنه أصبح يضرب به المثل في علمه، حتى قيل أنه لو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهباً ما بلغ علم المقريزي أو نصف علمه[7]،

(1) درر العقود الفريدة، المقريزي، م2 ،99.

(2) المصدر السابق، م2 ،99.

(3) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج89/7.

(4) المصدر السابق ، ج357/7.

(5) الضوء اللامع، السخاوي، ج24/2.

(6) نيل الأمل، ابن شاهين، ج151/5.

(7) الجواهر والدرر، السخاوي، ج304/1.

انقطع في بيته للعبادة فأحب الخلوة والانعزال وكان لا يخرج إلا للضرورة، أجاد وبرع في التاريخ فكان عالماً بارعاً دقيقاً في انتقاء معلوماته[1].

فأطلق عليه تلميذه ابن تغري لقب عمدة المؤرخين، ورأس المحدثين، ووصفه بالإمام البارع المتفنن، وبأنه كان يحب أهل السنة[2]، ووُصف بأن فيه عصبية متحاملاً على المذهب الحنفي[3].

الوظائف التي تقلدها المقريزي:

تقلد المقريزي العديد من الوظائف المهمة في الدولة ومن تلك الوظائف التي تقلدها، أنه تولى التوقيع السلطاني عند القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله العمري، أي الكتابة في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل عام(790هـ/1388م)[4].

وتولى وظيفة الحسبة في القاهرة والوجه البحري من قبل الملك الظاهر برقوق[5]، وهي وظيفة دينية يتولى صاحبها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويشترط فيه أن يكون نزيه وعادل وفقيه وعلى علم ومعرفة بأمور الشرع والحساب؛ ليتمكن من إقامة العدل ومنع الغش في الميزان والأسعار[6]، كما أن من وظائف المحتسب منع أي تجاوزات تحدث في الطرقات، ومراقبة الأبنية، وهدم ما هو قابل للسقوط منها، ومراقبة المدارس ومنع المعلمين من ضرب الطلاب، ومراقبة وسائل النقل ومنعها من الحمولة الزائدة[7].

ويبدو أن المقريزي قد تمتع بتلك الصفات التي مكنته من تولي وظيفة الحسبة، فتولاها عدة مرات وكانت المرة الأولى عام(801هـ/1399م)، بدلاً من شمس الدين النجانسي، كما تولى الخطابة بجامع عمرو بن العاص[8]، سنة (805هـ/1402م)، وأكد المقريزي أنه تولى الخطابة

---

(1) المنهل الصافي، ابن تغري، ج418/1.

(2) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج491/15.

(3) نيل الأمل، ابن شاهين، ج151/5.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 730.

(5) درر العقود الفريدة، المقريزي، م3، 30؛ الضوء اللامع، السخاوي، ج24/2.

(6) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج280/1–281؛ بدائع السلك، ابن الأزرق، تحقيق: علي النشار، ج263/1.

(7) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج281/1.

(8) التبر المسبوك، السخاوي، تحقيق: نجوى كامل، وآخرون، ج1/ص72.

وإمامة الخمس صلوات في مسجد عمرو بن العاص، حيث قال: "لما توليت خطابة جامع عمرو بن العاص..."[1]، وتولى بعده إمامة الخمس صلوات نور الدين الآمدي[2].

وتولى الخطابة لجامع حسن، وأصبح إماماً لجامع الحاكم[3]، في القاهرة، والذي بناه الخليفة الفاطمي العزيز بالله وخطب فيه وأكمل بنائه الحاكم بأمر الله[4].

وتقلد المقريزي عدة وظائف دينية[5]، منها الإشراف على الأوقاف، حيث أشار المقريزي إلى أن محمد بن عبد الله الرومي رافقه هو ووالده في متابعة بعض نواحي الأوقاف حوالي ثلاثين عاماً[6]، كما أنه عمل مدرساً فدّرس الحديث في المدرسة المؤيدية، كما درس وحاضر في دمشق في المدرسة الأشرفية والإقبالية وغيرها من المدارس[7]، وأثناء إقامته في مكة عمل أستاذاً في المسجد النبوي[8].

وكان المقريزي محمود السيرة في المهام التي توكل إليه مخلصا في عمله، وشخصا ذا كفاءة حيث أن معظم الوظائف التي تقلدها لا يتولاها إلا أشخاص علمهم واسع وسيرتهم حسنة وكفاءتهم عالية[9].

يبدو أن المقريزي كان يتمتع بنفوذ وعلاقات مع كبار رجال الدولة، فقد تواصل مع السلطان الظاهر برقوق، ودخل مع ابنه الناصر مدينة دمشق سنة (810هـ/ 1408م)، وعرض عليه في عهد السلطان الظاهر برقوق أن يتولى قضاء دمشق وألحَّ عليه في ذلك عدة مرات لكنه رفض، ودخل المقريزي دمشق عدة مرات، وأصبح مسئولاً عن نظر وقف القلانسي فيها، والبيمارستان النوري، كما درس فيها، وغير ذلك من الوظائف التي كلف فيها[10].

---

(1) درر العقود الفريدة، المقريزي، م2، 512.

(2) المصدر السابق، م2، 512.

(3) التبر المسبوك، السخاوي، ج1/ص72.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 107.

(5) المنهل الصافي، ابن تغري، ج417/1.

(6) درر العقود الفريدة، المقريزي، م3، 419.

(7) الضوء اللامع، السخاوي، ج22/2.

(8) Al-Maqrizi (d.1442) and Abd Al-Basit (d.1514) and Their Accounts on the Economy of Egyp, Yaakub, (p.32).

(9) الضوء اللامع، السخاوي، ج22/2.

(10) المصدر السابق، ج22/2.

اعتزل المقريزي جميع الوظائف، وتفرغ لكتابة ودراسة التاريخ في بلده في القاهرة بمصر، حتى أصبح أشهر مؤرخي مصر والعالم الإسلامي في ذلك الوقت، فألف وكتب العديد من المؤلفات والكتب، وخاصة في تاريخ مصر فقد بلغت مؤلفاته ما يزيد عن مائتي مجلد؛ مما جعل مؤلفاته تعد مصدرا للكثير من المؤرخين[1].

وفاته:

توفي المقريزي يوم الخميس عصراً، في السادس عشر من رمضان[2]، وقيل توفي يوم السابع عشر من رمضان [3]، سنة (845هـ/1442م)، في مدينة القاهرة، وتوفي على إثر مرض أصابه ولازمه فترة طويلة، وتوفي عن عمر ناهز الثمانين سنة، ودفن يوم الجمعة قبل الصلاة بمقابر الصوفية البيبرسية [4]، خارج باب النصر [5].

ثانياً: شيوخه:

قام المقريزي بعدة رحلات علمية فتنقل في عدة بلدان طلباً للعلم والمعرفة، وزار العديد من الشيوخ؛ ليستفيد من علمهم، والتقى مع كبار العلماء فاستفاد من علمهم[6]، فقد بلغ عدد شيوخ المقريزي ستمائة شيخ تتلمذ على أيديهم كلهم[7]، واكتسب الخبرة منهم ونقلها عنهم، أولئك الشيوخ ساهموا بشكل كبير في تكوين وصقل شخصية المقريزي العلمية، فأثروا علمه ومعرفته واكتسب منهم الخبرة.

إن العدد الكبير لشيوخ المقريزي يصعب حصره أو ذكره في هذا المبحث لذلك سوف تعرض الباحثة في هذا المبحث أبرز شيوخ المقريزي الذين تأثر بهم، ورافقهم عدة سنوات على سبيل الذكر وليس على سبيل الحصر، فمن أبرز شيوخ المقريزي:

---

(1) الضوء اللامع، السخاوي ، ج23/2.

(2) المصدر السابق، ج25/2.

(3) إنباء الغمر، ابن حجر السعقلاني، ج188/4.

(4) الضوء اللامع، السخاوي، ج25/2.

(5) المنهل الصافي، ابن تغري، ج420/1.

(6) الضوء اللامع، السخاوي، ج22/2.

(7) المصدر السابق، ج23/2.

1- شمس الدين بن الصائغ الحنفي النحوي: جده من ناحية والدته[1]، تأثر بجده وبعلمه فاعتنق المذهب الحنفي وهو مذهب جده لأمه[2]، رغم أن والده وجده حنبليين[3]، وسبق للباحثة أن قدمت ترجمة لشخصيته.

2- سراج الدين عمر بن علي محمد الأنصاري الملقب بابن الملقن:

ولد في القاهرة ويعد سراج الدين أحد أشهر شيوخ المذهب الشافعي، وعلماء الحديث، كان عالماً في الفقه والحديث ألّف الكثير من الكتب في الحديث، وشرح صحيح البخاري، وشرح العمدة[4]، ذكر المقريزي بأن ابن الملقن كان شيخه حيث قال: " ...فولد له بها شيخنا سراج الدين عمر"[5]، تعلم المقريزي منه الكثير واستفاد من مؤلفاته وكتبه التي كان معظمها في الفقه والحديث، والتي زادت عن ثلاثمائة كتاب وانتشرت كتبه في المناطق كافة، وأصبحت مطلباً لطلاب العلم، عمل مدرساً للحديث ومفتياً وعمل بالقضاء، ورافقه المقريزي عدة سنين فاستفاد من صحبته وخيرته وعلمه وأخذ عنه الكثير ونقل منه الكثير من المصنفات والروايات التي ساعدته في اثراء معرفته في مجال الحديث[6].

3- سراج الدين عمر بن رسلان البلقيني:

برع في الفقه والنحو، أصبح رئيساً للمذهب الشافعي، ومسؤول الافتاء بدار العدل، وأصبح قاضي قضاة بلاد الشام، وعمل مدرسا في جامع ابن طولون وغيره، له مؤلفات في علم الحديث[7]، لازم ورافق وتعلم على يد كبار العلماء في عصره مثل: التقي السبكي وابن عقيل، اهتم كثيرا بدراسة الفقه والنحو وأصول الدين والفرائض، وعلم الحديث، فتفوق على زملائه ونقل عنه أساتذة عصره، واشتهر شهرة واسعة ودرس في زاوية الشافعي، ودرس في المدرسة العادلية في بلاد الشام[8]، واهتم بالتدريس والافتاء، فذاع صيته لدرجة أن السلطان لم يفتِ بأمر إلا بمشورته، ورحل إليه الناس من مختلف البلدان؛ ليستفيدوا من علمه،

---

(1) بغية الوعاة، السيوطي، ج155/1؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج112/51.

(2) المنهل الصافي، ابن تغري، ج415/1.

(3) الضوء اللامع، السخاوي، ج22/2.

(4) طبقات الحفاظ، السيوطي، ص542.

(5) درر العقود الفريدة، المقريزي، م2، 430.

(6) المصدر السابق، م2، 430- 431.

(7) طبقات الحفاظ، السيوطي، ص542-543.

(8) درر العقود الفريدة، المقريزي، م2، 432.

وتتلمذ على يده العشرات، أصبح قاضي القضاة في مصر، وله الكثير من المصنفات وقد وصفه المقريزي بأنه بحر علم لا تكدره الدلاء، وتحدث عنه المقريزي بأنه أعظم الأشخاص الذين تعلم منهم ونقل عنهم العلم وسمع عنه الحديث فكان سريع الحفظ، أحفظ العلماء للفقه والحديث، وكان يحرص على حضور دروسه باستمرار [1].

4- برهان الدين الآمدي: تتلمذ وأسلم على يد ابن تيمية، ورافق بعده ابن القيم، رافقه المقريزي عدة سنين وتعلم منه واستفاد من علمه فقد كان صديق والده وتلميذ جده[2]، وسمع منه الحديث[3].

5- إبراهيم برهان الدين ابن جماعة: ولد في القاهرة، سمع من كبار الشيوخ، ورحل إلى الشام فرافق المزي والذهبي[4]، تولى الخطابة في بيت المقدس في المسجد الأقصى[5]، والتدريس فيها، كان رئيس العلماء في زمنه، وتولى القضاء بمصر وبلاد الشام[6]، كان عالما في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ، متواضعاً مثابراً وصاحب عزيمة وصارما، كان صديق والد المقريزي، قرأ عليه المقريزي العديد من المرات، واستفاد من خبرته ونقل عنه العديد من الروايات والعلم، ونقل عنه العديد من تراجم الرجال[7].

6- علي بن عمر علاء الدين الخوارزمي: استفاد المقريزي من صحبته، وانتفع من علمه، ونقل عنه العديد من العلوم[8].

7- أبي بكر بن عبد الله بن مقبل زين الدين التاجر الحنفي: كان عالماً في الفقه واللغة، وكان مفتياً عمل في وظائف الدولة، عمل مدرساً في المدرسة الظاهرية، حرص المقريزي على ملازمته في طفولته واستمر في ملازمته سنين، وحرص على حضور دروسه في المدرسة الظاهرية واستفاد من علمه[9].

---

(1) درر العقود الفريدة، المقريزي، م2 ،433-435.

(2) المصدر السابق، م1، 112.

(3) الضوء اللامع، السخاوي، ج2/21-22.

(4) الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج1/42.

(5) درر العقود الفريدة، المقريزي، م85،1.

(6) الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج1/42.

(7) درر العقود الفريدة، المقريزي، م1 ،91.

(8) المصدر السابق، م2، 472.

(9) درر العقود الفريدة، المقريزي، م1 ،132.

8- أبو بكر العماد الحنبلي: اشتهر بحفظ الحديث وتخريجه، كان عالماً به وحريصاً على اتباع سنة رسول الله ﷺ، تتلمذ على أيدي كبار العلماء مثل: المزي والذهبي، وابن تيمية وغيرهم الكثير، ألّف كتاب الأوامر والنواهي الذي يشتمل على الأحاديث الصحيحة ثم اختصره ، وكتبه له المقريزي وقرأه عليه[1].

9- محمد بن محمود الدين النيسابوري: يعد علماً من علماء الحنفية قاضي القضاة في مصر، تقلد منصب مشيخة الشيوخ بخانقاة سعيد السعداء، وأصبح مفتى دار العدل، ودرس وتفقه في الأصول والنحو والتفسير، كان أبرز شيوخ المقريزي[2]، رافقه المقريزي عدة سنوات، وقرأ عليه فيها تفسير القرآن للزمخشري، والمفصل في النحو والهداية في الفقه[3].

10- محمد بن معالي شمس الدين الحلبي: هاجر إلى القاهرة وسكن فيها عدة سنوات[4]، رافقه المقريزي عدة سنوات أثناء تواجده بالقاهرة وتعلم واستفاد منه الكثير، وتأدب به فكان من أفضل شيوخ المقريزي[5].

11- محمد بن إبراهيم صدر الدين المناوي المصري: نشأ في القاهرة، وعمل مدرساً في المدرسة الشيخونية والمنصورية، وكان مفتياً تولى إفتاء دار العدل، أصبح قاضياً لمدينة القاهرة لمدة إحدى عشرة سنة، واهتمّ بالحديث[6]، كان على المذهب الشافعي، وتأثر المقريزي بعلمه فكان يكثر من الاجتماع به، ويسمع له كتبه، والتي من ضمنها المصابيح[7].

12- ابن خلدون: ولد في تونس[8]، وهو فيلسوف ومؤرخ وعالم الاجتماع[9]، درس في جامع الأزهر، عينه السلطان الظاهر برقوق مدرساً في المدرسة القمحية، ثم عينه قاضي قضاة

---

(1) درر العقود الفريدة، المقريزي ، م1 ،149.

(2) طبقات المفسرين، الداوودي، ج254/2.

(3) درر العقود الفريدة، المقريزي، م3، 59.

(4) شذرات الذهب، ابن عماد، ج129/9.

(5) درر العقود الفريدة، المقريزي، م3، 173.

(6) طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة، ج47/4.

(7) درر العقود الفريدة، المقريزي، م3 ،30.

(8) المنهل الصافي، ابن تغري، ج7/ 208.

(9) الأعلام، الزركلي، ج330/3.

المالكية في مصر[1]، وهي من أروع مدارس المالكية في مصر، ألفّ كتاباً في التاريخ وهو (العبر وديوان المبتدأ والخبر) الذي يعد موسوعة في التاريخ والعلوم والمعارف[2]، هذا ويعد ابن خلدون أحد أبرز شيوخ المقريزي، فنقل عنه المقريزي العديد من المعلومات التاريخية وتردد عليه كثيراً، وحدثه الكثير عن التاريخ والحوادث كما ورد على لسان المقريزي[3].

13- محمد بن يعقوب مجد الدين الفيروز أبادي الشيرازي: برع في علم اللغة العربية ويعد عالما من علمائها، تقلد منصب قضاء الأقضية في اليمن من قبل الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل، اهتم بنشر العلم وتعليمه، فزاره الطلبة من مختلف البلدان[4]، التقى المقريزي بالفيروز آبادي في مكة سنة (790هـ/1388م)، وقرأ عليه بعض مؤلفاته وأعطاه الفيروز آبادي كتابه القاموس، ومنحه الإجازة في روايته ورواية كل ما يجوز روايته عنه، واستفاد المقريزي من علمه كثيرا[5].

14- إبراهيم البرهان الشامي: درس كثيرا الفقه والقراءات وتتلمذ على أيدي كبار العلماء، استفاد منه المقريزي سمع منه المقريزي كثيرا حوالي أربعة عشر عاماً[6].

إضافة إلى العديد من الشيوخ الذين استفاد منهم المقريزي، وذكرهم في كتبه وترجم لهم وأخذ عنهم الكثير من العلم وسمع عليهم، ومن أبرزهم إسماعيل بن عمر بن كثير، سمع عليه المقريزي الحديث المسلسل بالأوليات، ومنحه الإجازة لمسموعاته ورواياته[7]، والعماد بن كثير[8]، وإبراهيم النحوي برع في علم النحو، وحرص المقريزي على حضور دروسه دائماً وحفظ منه الأناشيد[9]، وأحمد بن عمر الجوهري قرأ عليه سنن ابن ماجة وصاحبه ورافقه في مكة لمدة سنة كاملة. وقد امتدح المقريزي أخلاقه[10]، أحمد سويداوي سمع عليه المقريزي الكثير

---

(1) المنهل الصافي، ابن تغري، ج7/ 208.
(2) درر العقود الفريدة، المقريزي، م2، 403.
(3) المرجع السابق، م2، 404-410.
(4) شذرات الذهب، ابن عماد، ج127/7.
(5) درر العقود الفريدة، المقريزي، م3، 177.
(6) لمصدر السابق، م1، 84.
(7) المصدر نفسه، م1، 401.
(8) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج2/ 499.
(9) درر العقود الفريدة، المقريزي، م1، 65.
(10) درر العقود الفريدة، المقريزي، م1، 190-191.

وامتدحه[1]، وإسماعيل الباريني قرأ المقريزي عليه الفرائض[2]، وسليمان بن خالد البساطي مصري كان قاضي قضاة المالكية قرأ عليه المقريزي[3]، ومحمد بن عبد البر السبكي عالماً في الفقه وأصول الدين والأدب والمعاني والطب وغير ذلك من العلوم.

أجاز للمقريزي ما يجوز له روايته وسمع للمقريزي[4]، وعبد الرحيم بن عبد الوهاب بن رزين سمع عليه صحيح البخاري[5]، وعبد الله بن لي الباجي روى عنه مسلسلات العيدين، ومعجم الطبراني الكبير، وغيره الكثير[6]، وعبد الوهاب الأخنائي كان قاضي قضاة المالكية سمع عليه المقريزي موطأ مالك[7]، عبد الرحمن بن الشيخة سمع عليه المقريزي[8]، وعبيد الله بن أحمد قاضي القرم نقل عنه المقريزي العلم وأذن له بالراوية عنه[9]، وعلي بن إبراهيم القضامي كان قاضي الحنفية في حماة أنشد المقريزي في الجامع الأزهر ودرّسه[10]، وقاسم بن محمد النويري سمع قراءاته وكان معجباً بصوته وبقراءاته[11]، محمد بن أحمد بن شيخ البيري سمع المقريزي قراءاته عدة مرات[12]، محمد بن علي بن الخشاب سمع عليه صحيح البخارى[13]، ومحمد بن أحمد الأنصاري تعلم منه المقريزي الكثير وسمع عليه[14]، محمد بن علي شمس الدين ابن البيطار صاحبه المقريزي عدة سنوات[15]، نصرالله بن أحمد البغدادي تعلم منه واستفاد من علمه[16].

---

(1) درر العقود الفريدة، المقريزي ، م1، 367.

(2) المصدر السابق، م2، 402.

(3) المصدر نفسه، م2، 107.

(4) المصدر نفسه، م3، 249-250.

(5) المصدر نفسه، م2، 238.

(6) المصدر نفسه، م2، 338.

(7) المصدر نفسه، م2، 369.

(8) المصدر نفسه، م2 ،379.

(9) درر العقود الفريدة، المقريزي ، م2 ،413.

(10) المصدر السابق، م2 ،458.

(11) المصدر نفسه، م3 ،21.

(12) المصدر نفسه، م3 ،88.

(13) المصدر نفسه ، م3، 191.

(14) المصدر نفسه ، م3، 179.

(15) درر العقود الفريدة، المقريزي، م3، 432.

(16) المصدر السابق م3، 503.

لم يقتصر شيوخ المقريزي على البلد الذي ولد فيه، بل رحل المقريزي إلى عدة بلدان وتعرف على العديد من الشيوخ فيها الذين استفاد وتعلم منهم فقد أدى المقريزي فريضة الحج فسمع من عدة علماء وشيوخ من ضمنهم من النشاوري والأميوطي والشمس بن سكر[1]، وحسن بن لاجين سمع المقريزي عليه صحيح البخاري وصحيح مسلم في مكة[2]، ومحمد بن محمد القلقشندي كان جاره في مكة ورفيقه في حضور الدروس[3]، وأبي الفضل النويري القاضي وسعد الدين الاسفرايني، وأبي العباس بن عبد المعطي وجماعة، وسمع في بلاد الشام من أبو بكر بن المحب، وأبو العباس بن العز، وناصر الدين محمد بن محمد بن داود[4].

منح المقريزي درجة الإجازة:

الإجازة: هي أن يأذن أهل العلم أو العالِم لشخص بأن يروي عنه مروياته أو شيئاً من حديثه[5]، والإذن إما أن يكون شفوياً أو أن يأخذ الإذن لفظاً أو يكون بخط اليد[6].

والإجازة بالفتوى والتدريس تحدث عندما يتأهل طالب العلم للإفتاء والتدريس، فيسمح له شيخه بأن يفتي ويدرس ويكتب له الإجازة بخط يده[7]، وقد مُنح المقريزي درجة الإجازة من عدد كبير من شيوخه، وكان من أبرزهم جمال الدين الأسنوي، والأذرعي، وبهاء الدين أبو البقاء السبكي، وعلي بن يوسف الزرندي وغيرهم الكثير[8].

ثالثاً: تلاميذ المقريزي:

تتلمذ على يد المقريزي مجموعة من المؤرخين والعلماء الكبار أبرزهم:

1- يوسف ابن تَغْري بِرْدِي الجمال أبو المحاسن بن الأتابكي:

---

(1) الضوء اللامع، السخاوي، ج2/21-22.

(2) درر العقود الفريدة، المقريزي، م2، 6.

(3) المصدر السابق، م3 ،107.

(4) الضوء اللامع، السخاوي، ج2/21-22.

(5) العلل الصغير، الترمذي، ص753.

(6) الإلماع إلى معرفة أصول الرواية، القاضي عياض، ص88.

(7) صبح الأعشى، القلقشندي، ج14/364.

(8) السخاوي، الضوء اللامع، السخاوي، ج2/21-22.

يعد أبو المحاسن جمال الدين من أشهر المؤرخين في مصر في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، فبعد وفاة المقريزي والعيني أصبح سيد المؤرخين بلا منافس[1]، فقد كان المقريزي أستاذه سمع له الحديث، ونقل الكثير من الأحداث التاريخية عن شيخه المقريزي[2]، حيث ذكر ابن تغري بأنه قرأ على المقريزي العديد من مؤلفاته، أجاز لابن تغري كل ما يجوز له عنه روايته، وسمع على المقريزي كتاب فضل الخيل للدمياطي، كما نقل عنه الكثير واستفاد منه ومن علمه الواسع وذلك ما تحدث به ابن تغري نفسه[3]، واهتم ابن تغري مثل شيخه بالتاريخ وتدوينه وعلم التراجم[4]، برع في التاريخ، وصنف الكثير من المؤلفات مثل: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المنهل الصافي، ومورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة، وحاول ابن تغري أن يختصر كتاب (الخطط) للمقريزي وعرض فكرته على السخاوي[5].

2- محمد بن عبد الرحمن بن محمد السّخاوي، شمس الدين:

كان أحد تلاميذ المقريزي وكان عندما يتحدث عنه يقول شيخنا[6]، نقل الكثير عن المقريزي بشكل أثرى به مصنفاته، وللمقريزي في كتابه ترجمة مطولة، وله ملحق على كتاب المقريزي في أربعة مجلدات، برع في علم الرجال والجرح والتعديل حيث قيل أنه لم يأت مَن هو أفضل منه في تراجم الرجال[7]، وألف كتاباً يسمى (التبر المسبوك في ذيل السلوك) الذي يعد ملحقاً لكتاب المقريزي (السلوك لمعرفة دول الملوك)[8]، حيث طلب منه الدوادار يشبك من مهدي عظيم الدولة أن يذيل له على تاريخ المقريزي السلوك فقال "أجبته بعد الاستخارة والاستشارة وجمعت التبر المسبوك واغتبط بذلك"[9]، ويبدأ التأريخ فيه منذ السنة التي توفي فيها المقريزي (845هـ/1441م) حتى عام (857هـ/1453م)، رغم أن السخاوي كان نقده لاذع

---

(1) المؤرخون في مصر، زيادة، ص26.

(2) الضوء اللامع، السخاوي، ج306/10.

(3) المنهل الصافي، ابن تغري، ج418/1.

(4) البدر الطالع، الشوكاني، ج352/2.

(5) الضوء اللامع، السخاوي، ج308/10.

(6) المصدر السابق، 2/ 22.

(7) البدر الطالع، الشوكاني، ج185/2-186.

(8) البتر المسبوك، السخاوي، ج38/1.

(9) الاعلان بالتوبيخ، السخاوي، ص60-61،

للمقريزي فقد اتهم شيخه المقريزي بقلة المعرفة وبالضعف في مجال الحديث والفقه والتراجم وبالتحريف والتزييف والاعتماد على رجال غير ثقاة في كتاباته[1]، يعد ما كتبه السخاوي نقداً هادما وجارحا لشيخه المقريزي، سوف تتناول الباحثة ما قاله السخاوي بحق شيخه المقريزي في المبحث الثاني من هذا الفصل.

3- أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم ابن قطلوبغا السودوني:

ولد في القاهرة سنة (802هـ/1399م)، وتوفي بحارة الديلم (879هـ/1474م)، كان أحد تلاميذ المقريزي، قرأ عليه الحديث، برع في الأدب والشعر وعرف بغزارة العلم والذكاء، وعمل في التدريس والافتاء وله الكثير من المصنفات[2]، وقد ألف ابن قطلوبغا كتاب (التراجم) كذيل لكتاب المقريزي لإكماله وزيادته وتعديل ما به من قصور[3].

يتضح مما سبق بأنه تتلمذ على يد المقريزي كبار مؤرخي مصر الذين كانت لهم بصمات علمية واضحة ليس في مصر فقط بل في العالم الإسلامي بأكمله لتصبح كتبهم ومؤلفاتهم مصدراً أساسياً لكثير من العلماء والباحثين.

(1) الضوء اللامع، السخاوي، ج24/2.

(2) المصدر السابق، ج185/6.

(3) تاج التراجم، ابن قطلوبغا، ص85.

المبحث الثاني:

أهم مؤلفاته، والتعريف بكتابه المواعظ والاعتبار

أولاً: أهم مؤلفات المقريزي:

يعد المقريزي من أهم وأشهر المؤرخين المسلمين، كما أنه من المؤرخين النادرين الذين اهتموا بالحضارة الإسلامية، لذلك فهو يحتل المرتبة الثانية بعد أستاذه ابن خلدون من حيث الاهتمام بالجانب الحضاري للحضارة الإسلامية، فقد أجبر العديد من العلماء والمؤرخين على مراجعة نظرتهم للحضارة الإسلامية بفضل مصنفاته، ويعود له الفضل في إنقاذ جزء كبير من المصادر التاريخية القديمة التي تتحدث عن تاريخ مصر والتي ضاع معظمها وفُقد، ولم يتبقَ منه سوى ما ذكره المقريزي في كتبه[1].

برع المقريزي في العديد من العلوم، فتنوعت مؤلفاته وتعددت في عدة مجالات؛ بفضل تنوع معرفته وغزارة علمه وسعة اطلاعه، فكانت مصنفاته حسب ما أحصاها السخاوي تزيد عن مائتي مجلد[2]، ولم تكن مؤلفات المقريزي مقتصرة على جانب واحد من العلوم، بل تنوعت فاشتملت على الأدب والاقتصاد والفقه والأنساب والعقائد والعلوم والتاريخ، لكنه برع وأبدع في علم الحديث وعلم التاريخ، وغلب على مؤلفاته الكتابة في مجال التاريخ[3]، ليكون عمدة مؤرخي عصره، فاشتهر بالتاريخ طوال حياته حتى بعد مماته فقد قال عنه تلميذه السخاوي: "وأقام ببلده عاكفا على الاشتغال بالتاريخ حتى اشتهر به ذكره وبعد فيه صيته"[4]، فهو يعد عالم موسوعي في مجال التاريخ حتى أصبح يضرب به المثل لغزارة علمه في التاريخ[5]، وأصبحت كتبه مصدراً لكثير من المؤرخين في عصره ولمن جاء بعده من المؤرخين، وكان المقريزي قد ركز جل اهتمامه في كتابة مؤلفاته ومنحها جل وقته، متفرغاً لتصنيفها؛ لذلك انقطع المقريزي في داره للعبادة وللتأليف رافضاً كل العروض والمناصب التي عرضت عليه من قبل رجال الدولة، معتزلاً الحياة العملية متفرغا للكتابة[6].

---

(1) Bauden, al-Maqrizi (p.2).

(2) الضوء اللامع، السخاوي، ج23/2.

(3) نيل الأمل، ابن شاهين، ج151/5.

(4) الضوء اللامع، السخاوي، 2/ 22.

(5) ابن تغري، المنهل الصافي، ج417/1.

(6) المنهل الصافي، ابن تغري، ج417/1.

ذكرت المصادر التاريخية أسماء الكثير من مؤلفات المقريزي فابن تغري ذكر في معرض حديثه عن المقريزي اسم أربعة وعشرين كتاباً صنفها المقريزي[1]، بينما ذكر السخاوي سبعة وعشرين كتاباً صنفها المقريزي زاد عن ابن تغري ثلاثة كتب[2].

وأثناء البحث لم تجد الباحثة في المصادر التاريخية إلا جزءا يسير من مصنفات المقريزي بعضها موجود وتم تحقيقه من قبل بعض الباحثين، والبعض الآخر لم يتبقَ منه غير اسمه في المصادر التاريخية، وبعضه لم يذكر نهائيا في المصادر؛ مما يدل على أن معظم مصنفات المقريزي فقدت ولم يتبقَ منها إلا القليل.

ومن خلال الاطلاع على مؤلفات المقريزي نجد أنه _المقريزي_ رغم اشتهاره بالتاريخ إلا أن مصنفاته امتازت بالتنوع فقال عنه ابن تغري: "وصنف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم"[3]، فمنها ما هو موجز على شكل رسائل قصيرة كتبها أثناء زيارته لأحد البلدان وسنذكر بعضها، ومنها ما هو موسوعي وضخم، كما اتسمت مصنفاته بالدقة والموضوعية، وقامت الباحثة بعد الاطلاع على أشهر مصنفات المقريزي التي كتبها بتصنيف مؤلفاته إلى أربعة أقسام، وهي كالتالي:

القسم الأول: مصنفات اهتمت بالتراجم:

هي كتب خصصت للتراجم، ومن أشهر كتب التراجم التي صنفها المقريزي:

1- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة:

أحصى فيه المقريزي من مات بعد ولادته إلى يوم وفاته، وهو عبارة عن ثلاثة مجلدات[4]، وقد ذكر المقريزي في مقدمة كتابه أنه بدأ بكتابة هذا الكتاب وهو في عمر الخمسين سنة، وتناول فيه كل من عرفهم وكان حياً منذ سنة (760هـ/1358م)، حيث دوّن فيه كل مَن عاصرهم في مختلف البدان، أي أنه استمر في كتابته مدة ثلاثين سنة، فترجم فيه كل من عاصرهم من علماء وأمراء وملوك ومشاهير وغيرهم الكثير[5].

---

(1) المنهل الصافي، ابن تغري، ج1/417.

(2) الضوء اللامع، ج2/ 25.

(3) المنهل الصافي، ابن تغري، ج1/416.

(4) المنهل الصافي، ابن تغري، ج1/418-419؛ الضوء اللامع، السخاوي، ج2/22.

(5) درر العقود الفريدة، المقريزي، ج1/61-62.

2- المقفى الكبير:

أشار المقريزي إلى كتابه (المقفى الكبير) بأنه خصصه للتراجم[1]، فقد ترجم فيه لسكان مصر وعلمائها وكل من دخل إليها من علماء، وهو بمثابة موسوعة وكان المقريزي قد خطط أن يصل كتابه إلى أكثر من ثمانين مجلداً[2]، لكن لم يستطع تحقيق أمنيته واقتصر كتابه على ستة عشر مجلد[3].

القسم الثاني: مصنفات اقتصرت على فترات وموضوعات تاريخية محددة:

من أمثلة تلك المصنفات التي صنفها المقريزي والتي خصصت لفترة زمنية محددة أو موضوع تاريخي محدد:

1- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء:

اهتم فيه المقريزي بكتابة تاريخ الخلافة الفاطمية منذ قدومها إلى مصر وحتى سقوطها، فدوّن تاريخ الخلفاء الفاطميين وسيرتهم وفترة حكمهم بالتفصيل وأكد في مقدمة كتابه بأن كتابه (اتعاظ الحنفاء) جاء لتكملة كتاب (عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط) وهو كتاب مفقود[4].

2- إمتاع الأسماع فيما للنبي من الحفدة والمتاع:

هو كتاب صنف في ست مجلدات، وقد ألفه المقريزي أثناء مكوثه في مكة فكانت أمنيته أن يصنف هذا الكتاب وهو في مكة فحدث ما تمناه، وذلك الكتاب يتناول الفترة الزمنية الممتدة بين ميلاد الرسول ﷺ وحتى وفاته، فتناول حياة الرسول وسيرته بالتفصيل وبشكل دقيق[5].

3- التنازع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم:

هذا الكتاب يتناول فترة تاريخية محددة هي تلك الفترة التي حدث فيها الصراع بين بني أمية وبني هاشم على الخلافة[6].

---

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج252/6.

(2) المنهل الصافي، ابن تغري، ج419/1؛ الضوء اللامع، السخاوي، ج22/2.

(3) الضوء اللامع، السخاوي، ج22/2.

(4) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج4/1.

(5) المنهل الصافي، ابن تغري، ج417/1.

(6) المصدر السابق، ج417/1.

4- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك[1]:

قد خصصه المقريزي لذكر من حج من الخلفاء والملوك، بدءاً من الرسول وحتى سلاطين المماليك[2].

5- كتاب في معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم:

يتناول الكتاب واجب المسلمين تجاه آل البيت، يدور موضوعها حول ما يجب لآل البيت النبوي على المسلمين من حبهم واحترامهم وتقديرهم، لمكانتهم العظيمة فقال في مقدمة مؤلفه: "فإنّي لما رأيت أكثر الناس في حق آل البيت مقصرين،... أحببت أن أقيد في ذلك نبذة تدل على عظم مقدارهم..."[3].

6- الخبر عن البشر:

جعل المقريزي هذا الكتاب مقتصراً على ذكر القبائل العربية وأصلها من أجل الوصول إلى نسب الرسول، وألّف المقريزي هذا الكتاب في أربعة مجلدات وجعل له مقدمة[4].

7- السلوك لمعرفة دول الملوك:

ألّف المقريزي هذا الكتاب في عدة مجلدات، وذكر في مقدمة كتابه (السلوك) أنَّه جاء كتكملة لكتاب (عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط)، وكتاب (اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء)، وقد خصص كتابه السلوك لكتابة وتدوين تاريخ مصر خلال فترة حكم الدولة الأيوبية، وحكم دولة المماليك، بالتفصيل أي أنه بدأ في تأليف هذا الكتاب لاستكمال الأحداث التاريخية التي انتهت عندها الكتب السابقة التي ألّفها، مما يدل على أنه اتبع منهج منظم لتدوين تاريخ مصر، وقد اتبع في كتابه السلوك طريقة الحوليات في ذكر الأحداث التاريخية حيث بدأ التأريخ من سنة (568هـ/1172م) وحتى سنة (844هـ/1440م)، وقد اهتم بأدق التفاصيل وبأخبار الدولتين المملوكية والأيوبية وذكر ما حدث خلال فترة حكمهم من أحداث وصراعات وخلافات وانتصارات وغيرها من الأمور بشكل دقيق، ولم يهتم كثيرا في كتابه في ذكر التراجم والوفيات فقد أفرد لها كتباً خاصة

---

(1) المنهل الصافي، ابن تغري، ج417/1.

(2) الذهب المسبوك، المقريزي، ص32.

(3) معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم، المقريزي، ص17.

(4) المنهل الصافي، ابن تغري، ج418/2؛ شذرات الذهب، ابن عماد، ج371/9.

بها[1]، ويعد كتاب المقريزي موسوعة تاريخية غنية لتاريخ مصر في فترة حكم الأيوبيين والمماليك، ومصدرا مهماً لكثير من الباحثين الدارسين لغزارة المعلومات ودقتها وذكر تفاصيلها.

8- شارع النجاة:

ذكر السخاوي هذا الكتاب من ضمن مصنفات المقريزي وأوضح بأن هذا الكتاب يحتوي على كل ما اختلف فيه الناس من أصل دياناتهم وفروعها مع بيان الأدلة وإبراز الأصح والأحق منها[2].

9- ضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري[3].

10- المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، وسوف تتطرق الباحثة لهذا الكتاب بالتفصيل.

القسم الثالث: مصنفات اقتصرت على منطقة جغرافية محددة:

وتلك المصنفات تدور أحداثها وموضوعاتها على بقعة جغرافية محددة ومن أشهر مصنفات المقريزي في هذا الجانب:

1- عقد جواهر الأسفاط من أخبار مدينة الفسطاط، وذلك الكتاب اهتم بكتابة تاريخ مدينة الفسطاط وأحوالها منذ الفتح الإسلامي وحتى قدوم جيوش المعز لدين الله من بلاد المغرب وتأسيس مدينة القاهرة على يد قائده جوهر الصقلي، وقيام الخلافة الفاطمية في مصر[4].

2- الإلمام في تأخر من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام[5].

3- الطرفة الغريبة في أخبار دار حضرموت العجيبة، كتب المقريزي مادتها في مكة، أثناء مكوثه فيها سنة (839هـ/1435م)، وحصل على مادتها من بعض القادمين من أهل حضرموت وتناول فيها حضرموت وسكانها وقبائلها وبعض الخرافات التي حدثت فيها[6].

---

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج104/1.

(2) الضوء اللامع، السخاوي، ج23/2.

(3) المصدر السابق، ج22/2.

(4) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، تحقيق: جمال الشيال، ج4/1.

(5) الضوء اللامع، المقريزي، ج22/2.

(6) الطرفة الغريبة، المقريزي، ص23، نسخة مصورة.

4- البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، وقد خصص المقريزي هذا الكتاب لذكر القبائل العربية التي سكنت مصر [1].

5- الإشارة والإعلام ببناء الكعبة البيت الحرام[2].

القسم الرابع: مصنفات اهتمت بالعلوم المختلفة:

وهي تلك المصنفات التي اهتمت وركزت على جانب معين من العلوم سواء في الاقتصاد أو الاجتماع أو الطب أو العلوم أو علم الحيوان أو غيرها من العلوم المختلفة ومن أبرز تلك المصنفات:

1- نَحْل عِبَر النَّحل: ويتناول هذا الكتاب الصغير كما ذكر المقريزي في مقدمته للكتاب موضوع النحل وعجائبه وفوائده وأصنافه ورأي الشرع فيه وما يتخلف منه من عسل وشمع، مستلهما منه العبرة والعظة لبني الإنسان[3].

2- تجريد التوحيد المفيد: وهو مصنف ديني صغير يدور موضوعه حول علم التوحيد، ووصفه المقريزي بأنه كتاب جم الفوائد بديع الفرايد يستفيد منه من يسعى لدار الآخرة[4].

3- كتاب المقاصد السنية في معرفة الأجسام المعدنية، اهتم فيه بالنواحي العلمية[5].

4- الإشارة والإيماء إلى حل لغز الماء، ووصفه السخاوي بأنه كتاب ظريف[6].

5- مصنفات خاصة بعلم الاقتصاد والاجتماع: صنف المقريزي العديد من الكتب المتعلقة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية ومن ضمن هذه الكتب:

أ- شذور العقود في ذكر النقود، وهو عبارة عن نبذة مختصرة يتحدث فيها عن النقود قبل الإسلام والنقود الإسلامية وأنواعها، والنقود في مصر وتطورها التاريخي عبر مراحل الدولة الإسلامية في مصر، وألّف هذا الكتاب امتثالاً لأمر السلطان[7].

---

(1) البيان والاعراب، المقريزي، تحقيق: فردناد واسطون فيلد، ص6.

(2) المنهل الصافي، ابن تغري، ج417/1؛ الضوء اللامع، السخاوي، ج23/2.

(3) نحل عبر النحل، المقريزي، ص21.

(4) تجريد التوحيد، المقريزي، ص13-14.

(5) الضوء اللامع، الضوء اللامع، ج22/2.

(6) المصدر السابق، ج23/2.

(7) النقود الإسلامية، المقريزي، انظر ص1-15.

ب- الأوزان والأكيال الشرعية، وقد خصص كتابه لعرض الأوزان والأكيال الشرعية، ومعرفة أسمائها واستخداماتها[1].

ت- إزالة التعب والعنى في معرفة الحال في الغنى، ولم تجد الباحثة الكتاب بل كل ما ذكرته المصادر التاريخية اسم الكتاب الذي ذكره ابن تغري والسخاوي[2].

ث- إغاثة الأمة بكشف الغمة، ويقدم المقريزي الكتاب بطريقة فريدة عن مؤرخي عصره حيث يعالج في هذا الكتاب مشكلات اقتصادية واجتماعية لم يتطرق لها المؤرخون من قبله، فيُعد كتابه سابقة في مجال الاقتصاد والاجتماع، حيث يسرد فيه المجاعات وارتفاع الأسعار الذي حدث في مصر على مر التاريخ، وأسباب تلك المحن والمجاعات بالتفصيل، ويقترح طرق لحلها، كما أنه ذكر طبقات المجتمع المصري في عهده بالتفصيل[3].

ثانياً: التعريف بكتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار:

يعد المقريزي من أعظم المؤرخين الذين كتبوا عن الخطط، بل أنه يعد من أعظم رواد مدرسة التأليف عن الخطط، قدم المقريزي على عادة كبار مؤرخي عصره ومن سبقهم في مقدمته صورة واضحة ومتكاملة عن كتابه (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) قبل البدء بالكتاب، وأطلق على ذلك التعريف اسم (الرؤوس الثمانية)، وهي تشتمل على الغرض من تأليف الكتاب، وأسباب تسمية عنوان الكتاب، والمنفعة المرجوة من الكتاب، والمرتبة، وصحة الكتاب، ونوع الكتاب، ومحتوى الكتاب أي: موضوعه وعدد أجزائه، ومصادر الكتاب[4].

يعد كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) من الكتب الموسوعية التي تقدم للباحث صورة واضحة عن تاريخ مصر بشكل مفصل يوضح أدق تفاصيلها، فهو كتاب فريد من نوعه، وسوف نسرد في هذه الجزئية تعريفا مفصلاً للكتاب.

أسباب تسمية الكتاب بالمواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار:

ذكر المقريزي في مقدمة كتابه سبب اختياره عنوان الكتاب وتسميته باسم المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار؛ حيث ذكر حبه لمصر التي تعد مسقط رأسه؛ لذلك كانت

---

(1) الأوزان والأكيال الشرعية، المقريزي، ص41.

(2) المنهل الصافي، ابن تغري، ج418/1-419؛ الضوء اللامع، السخاوي، ج22/2.

(3) إغاثة الأمة، المقريزي، ص 207.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 7.

لديه رغبة شديدة في معرفة تاريخها، فأراد أن يدون كل تاريخ مصر منذ بدء الخليقة وحتى العصر الذي يعيشه بكل ما يحتويه من أخبار وآثار في كل مدينة من مدنها وبشكل مفصل وبطريقة تختلف عن الطرق التقليدية المتبعة التي كان يتبعها بعض المؤرخين الذين سبقوه في كتابة التاريخ[1]، وهي طريقة الحوليات.

وبما أن تاريخ مصر يعد تاريخاً متنوعاً وزاخراً بالمعلومات والأحداث عبر التاريخ؛ إلا أن أحداث تاريخ مصر متفرقة ومتناثرة في المصادر التاريخية، فمن الصعب عليه أن يصنف الكتاب بطريقة الحوليات أي: مرتباً حسب السنوات، لصعوبة تأريخ كل حادثة حدثت في مصر وخاصة في الأزمنة الغابرة والبعيدة في القدم التي يصعب معرفة تاريخها الزمني، كما أنه يصعب عليه تصنيف هذا الكتاب على أساس أسماء الشخصيات؛ لأن ذلك سيخرج الكتاب بطريقة مليئة بالعلل والنواقص، لذلك فإنه جمع المعلومات المتفرقة والمختلفة ووزعها على الخطط والآثار والأماكن المختلفة في مصر، فأصبح كل فصل من فصول الكتاب تصنف فيه المعلومات المناسبة له ولعنوانه، وبذلك الاعتبار قد جمع ما تناثر وضاع من أخبار مصر، وحرص المقريزي على أن يذكر في كل فصل من فصول كتابه المعلومات بشكل متكامل حتى وإن تكررت في الفصول الأخرى مراعياً عقلية القارئ بحيث يستغني عند قرأته لفصل معين عن بقية الفصول ولا يرجع إليها، فيشكل كل فصل من الفصول في الكتاب وحدة علمية متكاملة، يستفيد منها القارئ بأخذ العبر من الأحداث الماضية؛ لتلك الأسباب أطلق عليه المقريزي (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار)[2].

أهداف المقريزي من تأليف الكتاب:

أوضح المقريزي في مقدمته غرضه وهدفه من تأليف الكتاب، ويبدو أن المقريزي كان حريصاً على أن يقدم مادة تاريخية تفيد المؤرخ والقارئ والباحث وتغنيه عن عملية البحث والتنقيب وجمع المعلومات المتناثرة وغير المترابطة في بطون الكتب وغيرها من المصادر، فكان غرضه من تأليف كتاب (المواعظ والاعتبار) رغبته في جمع أخبار وأحوال مصر وسكانها المتفرقة والمتناثرة في المصادر المختلفة، وتقديمها بشكل منظم في كتاب واحد يغني القارئ والباحث والمؤرخ عن بقية الكتب ويريحه من عناء البحث، ويمكّنه من دراسة ورواية تاريخ

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1.

(2) المصدر السابق، م1، 6.

مصر منذ بدء الخليقة بكل ما يحتويه من أخبار وأحداث بشكل مفصل ومترابط بحيث يستطيع الباحث من خلاله الاستفادة منه، وأخذ العظة والعبرة والفائدة من ذلك التاريخ[1].

ويبدو أن هدف المقريزي أيضا لم يقتصر على جمع المعلومات وتقديمها فقط، بل حفظ تاريخ مصر وخاصة في الأزمنة الموغلة في القدم وتراثها الفكري من الضياع، بالإضافة إلى حرصه على بقاء تاريخ مصر حاضراً في أذهان أبنائها للاستفادة منه حيث قال: "والتي إذا حصلت في ذهن إنسان اقتدر على أن يخبر في كل وقت بما كان في أرض مصر..."[2].

بالإضافة إلى توفير الوقت والجهد على القارئ بحيث يمكنه الكتاب من الاطلاع على تاريخ مصر الطويل وأحداثها المختلفة وحضارتها الممتدة عبر آلاف السنين في وقت قصير، فيكون تاريخها بمثابة مدرسة له يستقي منها الدروس لأخذ العبرة والموعظة من الأمم السابقة والحوادث الغابرة؛ وأن الإنسان مهما بلغ من سلطة ومال وجاه فهو زائل، فتستقيم أخلاقه وتميل نفسه لحب الخير والسعي إليه وفعله في حياته، وبُغضُ الشر ومَقتَه والابتعاد عنه، ويتعلم من أحداث التاريخ حقيقة الدنيا وبأنها زائلة لا محالة فتتهذب نفسه وتميل إلى الزهد والابتعاد عن حب الدنيا[3].

كما أن حب المقريزي لوطنه ورغبته في تخليد تاريخه وآثاره هو من أسباب ودوافع تأليف كتابه[4].

ويتضح مما سبق أن للمقريزي هدفين أساسين من تأليف كتابه: الأول علمي، يتمثل باطلاع الناس على كتابه للاستفادة منه وأخذ المعلومات، والآخر هدف أخلاقي، بحيث يأخذ الإنسان الدروس والعبر من الأمم السابقة فيستقيم خُلُقه وتتهذب نفسُه؛ فيحب الخير ويكره الشر، ويدرك حقيقة الدنيا بأنها فانية لا محالة، وذلك يدفعه للتمسك بمبادئ دينه وتطبيقها في حياته.

محتوى كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار):

قدم المقريزي في مقدمة كتابه صورة واضحة ومتكاملة عن محتوى كتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ويقصد بمحتوى الكتاب: موضوعه الذي يتحدث عنه، وعدد

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 6.

(2) المصدر السابق، م1، 6.

(3) المصدر نفسه، م1، 6.

(4) المصدر نفسه، م1، 6.

أجزائه[1]، فعرض في مقدمته مكونات كتابه الذي يتكون من مقدمة للمؤلف، وسبعة أجزاء، أما السبع أجزاء فهي مرتبة كالتالي:

- الجزء الأول: يتحدث فيه المقريزي عن أخبار مصر وأخبار النيل والجبال والخراج.
- أما الجزء الثاني: فيتحدث فيه عن مدن مصر وسكانها وجنسياتهم وأصلهم.
- أما الجزء الثالث: فيتحدث عن أخبار مدينة الفسطاط ومن حكمها.
- أما الجزء الرابع: فيتحدث فيه عن أخبار مدينة القاهرة وسكانها وأثارهم.
- أما الجزء الخامس: فيتحدث فيه عن ذكر ما أدرك عليه القاهرة وظواهرها من الأحوال.
- أما الجزء السادس: فيتحدث فيه عن قلعة الجبل وملوكها.
- أما الجزء السابع: فيتحدث فيه عن أسباب خراب مصر، واشتمل كل جزء من تلك الأجزاء عدة أقسام[2].

ومن خلال الدراسة والاطلاع على كتاب المقريزي، يتضح أن المقريزي لم يلتزم بالخطة العلمية الخاصة بمحتوى كتابه التي وضعها في مقدمة كتابه، فلم يشتمل كتابه على جميع الموضوعات التي ذكرها، بل تداخلت فيما بينها، وذكر كراتشكوفسكي أن نهاية الكتاب تختلف عن الخطة التي رسمها المؤلف، فالجزء السادس الذي خصصه المقريزي للحديث عن قلعة الجبل يتداخل مع الجزء الخامس الذي خُصص للحديث عن الأحداث المعاصرة للمقريزي في القاهرة، ويسهب في الحديث عن معالم القاهرة، وكأن الجزء السادس تكملة للجزء الخامس، ثم ينهي كتابه بالحديث عن اليهود والنصارى وأديرتهم وكنائسهم، فترتيب الجزأين الخامس والسادس يختلف عما وضّحه المقريزي في المقدمة، أما الجزء السابع الذي خصصه للحديث عن خراب إقليم مصر لا وجود له بشكل منفصل[3]، بل ذكره في مواطن متفرقة من كتابه مثل: إفراده جزئية بسيطة من كتابه في ذكر خراب إقليم مصر، وتحدث بشكل موجز عن خراب مدينة الفسطاط[4]، ويرى كراتشكوفسكي أن ذلك دليلاً على أن المقريزي لم يراجع كتابه ولم يدققه[5].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 7-8.

(2) المصدر السابق، م1، 7-8.

(3) تاريخ الأدب الجغرافي، كراتشكوفسكي، ج481/1.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 135.

(5) تاريخ الأدب الجغرافي، كراتشكوفسكي، ج481/1.

كتب (الخطط) قبل للمقريزي:

عرف فن كتابة الخطط بأنه: نوع من الجغرافيا التاريخية الإقليمية الطبوغرافيا[1]، في العديد من بلدان العالم الإسلامي[2].

تحدث المقريزي في مقدمة كتابه عن مؤرخي مدرسة الخطط في التاريخ الإسلامي، فذكرَ بعض المؤرخين الذين سبقوه في مجال التأليف في الخطط المصرية ونقل عنهم، وإن دلّ ذلك فإنه يدل على أمانة المقريزي واتباعه المنهج العلمي في ذكر الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع كتابه، ومدى استفادته منها، ومن ضمن المؤرخين الذين ذكرهم المقريزي في مجال كتابة الخطط كان: محمد بن يوسف الكندي، الذي يعد أول من رتب خطط مصر[3]، إلا أن عبد الله عدنان يرى بأن ابن عبد الحكم هو أول من أرخ لخطط مصر، فإن رواياته عن خطط الفسطاط شكلت حجر الأساس الذي قام عليه تاريخ الخطط [4].

ثم يكمل المقريزي حديثه عن مؤرخي الخطط فذكر القضاعي في المرتبة الثانية بعد الكندي صاحب كتاب (المختار في معرفة الخطط والآثار)، إلا أن أغلب ما تحتويه كتب أولئك المؤرخين تعرض للضياع والاندثار ولم يتبقَ من أثرها سوى القليل، ثم جاء بعد القضاعي تلميذه محمد بن بركات النحوي، ثم محمد بن أسعد الجواني مؤلف كتاب (النقط لعجم ما أشكل من الخطط)، وأشار فيه إلى الكثير من المعالم التي اندثرت، ثم ذكر محمد بن عبد الوهاب بن المتوج مؤلف كتاب (اتعاظ المتأمل وإيقاظ المتغفل في الخطط)، وضح فيه أحوال مصر وخططها حتى عام (720هـ/1320م)، إلا أن معظم ما ذكر في كتابه اندثر واختفت معالمه؛ بسبب الأوبئة والغلاء الذي اجتاح مصر، ثم ذكر المقريزي القاضي عبد الله بن عبد الظاهر مؤلف كتاب (الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة)، ويبدو أن مؤلَف ابن عبد الظاهر كان في غاية الأهمية وشكل علامة فارقة في تدوين الخطط بالنسبة للمؤرخين، حيث ذكر المقريزي عنه "ففتح فيه بابا كانت الحاجة داعية له"[5]، ربما لأنه ركز على خطط القاهرة بشكل كبير أكثر مما سبقوه.

---

(1) الطبوغرافيا: هي بيان الملامح العامة لسطح الأرض طبيعية كانت أو مصنوعة، المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون، ج551/2.

(2) المقريزي ومنهجه، الحباشنة، ص285.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 7.

(4) مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، عنان، ص43.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 9-10.

صورة كتاب (الخطط) للمقريزي:

كتاب (الخطط) للمقريزي يعد أهم مرحلة في كتابة تاريخ الخطط، فالمقريزي يعد زعيما لمدرسة الخطط في مصر، وقد اكتسب تلك الزعامة من خلال ما قدمه في كتابه من معلومات غزيرة لم توجد في أي كتاب آخر نتجت عن جهده الجبار في جمع المادة العلمية للكتاب من خلال البحث والتقصي في المصادر المختلفة، فالكتاب لا يعد موسوعة تاريخية فقط، بل إن كتاب (الخطط) للمقريزي يعد مصدراً لعلماء الجغرافية لما يحتويه من معلومات جغرافية أفادت الكثير من الجغرافيين وأمدتهم بمعلومات عن جغرافية مصر، لذلك يعد كتابه فريدا من نوعه في محتواه المعرفي المتنوع[1].

في أواخر القرن الثامن الهجري وبدايات القرن التاسع الهجري حلّ في القاهرة الخرابُ والمِحنُ والشدائدُ فتهاوت حضارتها واختفت معالمها الحضارية[2]، ثم بدأت تستعيد القاهرة عافيتها في النصف الأول من القرن التاسع الهجري، وهو الوقت الذي نشأ فيه المقريزي، فهو عاصر زمنين مختلفين، وشاهد القاهرة في وقت الخراب والازدهار [3].

ولعل تلك الأحداث التي مرت فيها القاهرة كان لها الأثر الكبير على المقريزي الذي ركز جل اهتمامه بالكتابة عن تاريخ مصر[4]، ويعود اهتمام المقريزي بكتابة تاريخ مصر هو حبُه وعشقه الشديدُ لمصر وانتمائه لها ولحضارتها؛ فمصر هي مسقط رأسه وقد أفصح المقريزي عن حبه لمصر في مقدمة كتابه قائلاً: "وكانت مصر هي مسقط رأسي، وملعب أترابي ومجمع ناسي، ومغنى عشيرتي، وحامتي وموطن خاصتي وعامتي ... فلا تهوى الأنفس غير ذكره"[5]، فكتاب (المواعظ والاعتبار) كان نتاج حب المقريزي لمصر ونتاج عاطفته الجياشة تجاه وطنه، وقد احتاج هذا الكتاب جهداً كبيراً من المقريزي وأعواما كثيرة حتى تمكن من إنجازه، ما يدل على عظم الجهد المبذول في إخراج هذا الكتاب، فقد ذكر في مقدمة كتابه قائلاً: "فقيدت بخطي في الأعوام الكثيرة وجمعت في ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب"[6].

---

(1) مناهج التأليف عند العلماء العرب، الشكعة، ص 603.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 10.

(3) المصدر السابق، م1، 4.

(4) مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، عنان، ص44.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 4.

(6) المقريزي، المواعظ والاعتبار، م1، 4.

أما عن محتويات كتاب (الخطط) للمقريزي، فإنه سبق وأن ذكرتها الباحثة حسب الرؤية التي وضعها المقريزي لكتابه، لكن المحتوى المعرفي من الصعب على الباحثة أن تجمل محتويات الكتاب في هذا البحث؛ وذلك لغزارة مادته الغنية بالمعلومات المتنوعة، لكن المقريزي قدم صورة رائعة عن كتابه في مقدمته، عرض فيها مصر بأدق تفاصيلها بحيث لم نجد تلك التفاصيل في أي كتاب آخر قد سبقه أو جاء بعده وذلك ما وعد به المقريزي حيث قال: "... وجمعت من ذلك فوائد قل ما يجمعها كتاب أو يحويها لعزتها وغرابتها"[1].

ساعدت الأجواء السائدة في مصر في عصر المقريزي على كتابة التاريخ، فهو عاصر أكثر من عشرة سلاطين لمصر[2]، فقد حوى كتابه (المواعظ والاعتبار) تاريخياً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً وجغرافياً قلما نجده في أي كتاب أخر، فبدأ المقريزي كتابه بتقديم صورة عامة لتاريخ مصر وفضائلها وسكانها عبر التاريخ وأيضا لملوكها، ثم الحديث عن مدن مصر بالتفصيل من حيث سكانها وأسواقها والحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها بشكل منظم موضحاً أهم ما يميز كل مدينة من العمارة والتراث الحضاري الذي خلفته تلك المدينة، وقد تطرق المقريزي لأدق التفاصيل في كتابه فلا يكاد يأتي على ذكر مدينة إلا ذكر سبب تسميتها وأشهر معالمها ومهنة سكانها وملوكها وأشهر حوادثها ومواطن قوتها وضعفها، فقد ترك للباحثين مادة تاريخية دسمة[3]، وذلك ما قدمه المقريزي في مقدمة كتابه حيث كانت لديه خطة منذ البداية عن تقديم كل ما يتعلق بتاريخ مصر من حيث الملوك الذين حكموها، وسكانها، وأشهر مدنها مثل: الفسطاط والقاهرة وما تحتويه من خطط وقرى وقصور ومباني، وليس ذلك فحسب بل ذكر مَن أسسَ تلك المدن من الملوك وأمراء وسلاطين[4].

وعلى الرغم من أن المقريزي لم يلتزم بالمادة التي ألزم بها نفسه في مقدمة كتابه ولم يتطرق إلى جميع المواضيع التي طرحها، إلا أن محتوى كتاب (الخطط) يعد غزير وثري بالمادة العلمية التي قلما نجدها في أي كتاب آخر، فقد تطرق بالتفصيل إلى جغرافية مصر وذكر ما فيها من بحار وأنهار، وحدودها، وفصل مجرى نهر النيل ومنبعه ومصبه وأوقات فيضانه، والخلجان والجبال، حيث فسر جغرافية مصر بشكل لم يعهده مؤرخ قبله، ثم تطرق في كتابه إلى الحياة العمرانية منذ آلاف السنين ومظاهر الحياة العمرانية وعجائب مصر في فن العمارة،

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار ، م1، 4.

(2) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج391/11

(3) المواعظ والاعتبار ، المقريزي، مج392/1-473

(4) المصدر السابق، م1، 4.

والملوك الذين اهتموا بها حتى العصر الذي تواجد به، ثم تطرق إلى خطط مصر فذكر المدن المصرية بكل تفاصيلها ولا يمكن للباحثة أن تتطرق بالتفصيل إلى ما احتواه كتاب المقريزي ولكنها ستكتفي على سبيل المثال بذكر ما اهتم به المقريزي، فعندما ذكر القاهرة فإنه أبدع في عرضها فمن السهل للقارئ أن يتخيل صورتها أو يرسم لوحة فنية عنها أو خريطة جغرافية عند قراءة كتاب الخطط، حيث تحدث عن جغرافية القاهرة وموقعها وحدودها وأسوارها وبدء نشأتها ومراحل تطورها بما تحتويه من جوامع ومساجد ومدارس وزوايا وربط ودور وقصور ومساكن ومتنزهات وبساتين وحدائق وحمامات وقياسير وأسواق وسويقات وحارات وخانات وفنادق ودكاكين وبرك وسكان ورياض ومقابر[1]، وخطط وطرق ودروب وأزقة وقناطر وخلجان والمصانع والجسور والسجون والجزر ورحب، ولم يكتفِ بذكر المظاهر الحضارية في المدينة من حياة اقتصادية واجتماعية وعمرانية ودينية، بل في كل موضع من مواضع القاهرة يفسر ويحلل، فعند الحديث عن حارات القاهرة يتطرق إلى أسباب تسميتها وموقعها وأهم معالمها، فمثلا: عندما تحدث عن حارة برجوان وضح إلى مَن تنسب، ومن هو برجوان؟ وما هي الوظائف التي تقلدها؟ وكيف بدأ حياته؟ وكيف انتهت؟ مما يعطي القارئ صورة عن الحياة السياسية والاجتماعية في تلك الفترة[2].

ولم يكتفِ بذكر الأشخاص فما من معلم من معالم المدينة من حي أو حارة أو شارع إلا وتطرق إلى تاريخه ومؤسسه وما حل فيه مع الزمن، وما من مدينة إلا ويتطرق إلى ما حدث فيها من أحداث سياسية أو تاريخية أو اجتماعية ، فأبدع في الوصف والكتابة فجعل القارئ يتنقل معه في كتابه بصورة ممتعة، وبعيدة عن الملل فعند التحدث عن أبواب القاهرة تحدث عن باب الفتوح، والقائد الذي بناه أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي، وتاريخيه ومهامه فهو انتقل من المدينة إلى الباب إلى القائد إلى الحرب إلى المجاعات إلى الأوبئة إلى السلطان إلى المراكب إلى الجنود إلى التجارة إلى الشارع إلى مظاهر الفساد إلى مظاهر التمرد إلى الجيوش إلى الوزارة[3].

ثم تحدث بالتفصيل عن الحياة السياسية من الدواوين والقضاء والجيش والخلافة والوزارة ومقر الخليفة ومقر الوزير، ورتبة الوزراء، ولباسهم وأجرهم ومهامهم وبيوتهم ومواكب الخليفة وأوقات خروجه وقصوره وخزائن قصوره وخطبه واحتفالاته وأملاكه ولباسه ونوع الأقمشة التي

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 211.

(2) المصدر السابق، م3، 7-9.

(3) المصدر نفسه، م2، 274-287.

يرتديها وكيف يختار وزرائه وكيف يعاقبهم، ومواسم أعياد الخلفاء، ثم ينتقل للحديث عن عامة الشعب من مسلمين ويهود ونصارى ودور العبادة عندهم وعاداتهم وتقاليدهم، وأخلاقهم وعلاقتهم بالطبقة الحاكمة فتطرق للمساجد والجوامع.

وتطرق لليهود والنصارى وأصلهم وأصل دياناتهم وذكر كنائس اليهود بالتفصيل، كذلك كنائس وأديرة النصارى بالتفصيل، وأعيادهم وركز في كتابه على مصر في العصر الفاطمي، فقدم عرضاً تفصيلياً عنهم، وتحدث عن الحياة الاقتصادية فتحدث عن الزراعة والصناعة والتجارة والأسواق ومصادر الدخل في مصر، وتحدث عن الحياة العسكرية فتحدث عن الجيوش والعساكر والقادة والحروب التي تعاقبت على مصر.

أثرى المقريزي كتابه بغزارة المعلومات ودقتها، وعرض مصر بكل صورها التاريخية، فصور الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية والعسكرية والجغرافية بصورة دقيقة تثري الباحثين بحيث يعد كتابه مرجعا لكثير من الباحثين والدارسين في مجال التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع.

حقيقة انتساب كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) للمقريزي:

أثناء الاطلاع على ترجمة المقريزي في كتاب (الضوء اللامع) للسخاوي، اتهم السخاوي المقريزي في أكثر من موضع بالسرقة الأدبية، حيث نسب كتاب (الخطط) للأوحدي[1]، واتهم المقريزي بأنه اطلع على مسودة كتاب الأوحدي وأضاف إليها تعديلات بسيطة ونسبه إليه![2].

وقال السخاوي في كتاب آخر متهماً المقريزي بسرقة كتاب (الخطط): "قال لنا شيخنا أنه ظفر به مسودة لجاره الشهاب أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي بل كان بيض بعضه، فأخذها وزاد عليه زيادات ونسبها لنفسه"[3]، ويقصد السخاوي بشيخه ابن حجر العسقلاني، وكرر ذلك مراراً وأثناء ترجمته للأوحدي ذكر بأن الأوحدي اهتم بالتاريخ، وصنف مسودة كبيرة

(1) الأوحدي: هو احمد بن عبد الله بن طوغان الأوحدي، مؤرخ وأديب وعالم في القراءات والأدب، له كتاب بخطط مصر، نيل الأمل، ابن شاهين، (ج168/3).

(2) البتر المسبوك، السخاوي، ج73/1.

(3) الإعلان بالتوبيخ، السخاوي، ص279.

يتحدث فيها عن مصر والقاهرة وأخذت منه جهدا ووقتاً وبيض بعضها إلا أن المقريزي سلبها ونسبها لنفسه[1].

لكن السخاوي يناقض نفسه في كتابه حيث اتهم المقريزي بالسطو على كتاب الأوحدي وفي نفس الوقت يثني على أخلاق المقريزي ويصفه بحسن الخلق، وبالتقي ويشهد له بحسن عبادته واجتهاده في العبادة واتباع سنة النبي ﷺ وبراعته وعبقريته في كتابة التاريخ، بحيث كان ملجأ لكثير من الباحثين والدارسين في عصره[2]، وذلك تناقض واضح! فكيف يجمع المقريزي بين صفتين متناقضتين ذكرها السخاوي في نفس الوقت السرقة وحسن الخلق؟

كما أن ابن حجر العسقلاني لم يذكر في كتبه ما قاله السخاوي بأن المقريزي سيطر على مسودة الخطط، بل امتدح المقريزي في أكثر من موضع ولم يأتِ على ذكر سيرته بأي سوء، بل وصف المقريزي بالإمام الأوحد وأنه استفاد من كتبه في التاريخ كثيراً، وذكر في أكثر من موضع في كتابه ما نقله عن المقريزي[3]، ويصفه بصاحبه وصديقه[4]، كما أنه وصف المقريزي بأنه: "إماماً بارعاً مفنناً متقناً ضابطاً ديناً خيراً، محباً لأهل السنة ... حسن الصحبة"[5]، وتلك شهادة ابن حجر العسقلاني بحق المقريزي تتناقض تماماً مع ما رواه السخاوي.

كما أن ابن تغري أحد تلاميذ المقريزي لم يذكر شيئاً عن كتاب الأوحدي، بل أكد في ترجمة المقريزي على أن كتاب (المواعظ والاعتبار) من تصانيف المقريزي ووصفه بأنه كتاب في غاية الحسن، ولم يذكر أن المقريزي سلبه من الأوحدي، فلو كان المقريزي قد سطا عليه لذكر ابن تغري ذلك في كتابه، فابن تغري لم يكن تلميذاً للمقريزي فحسب بل كان يكثر من مجالسته والاستفادة من علمه، ويصحح بعض ما يكتبه المقريزي، لكنه لم يتطرق إلى ذلك الموضوع بل وصف المقريزي بالكثير من الصفات الحسنة التي تناقض رؤية السخاوي في سيطرة المقريزي على كتاب الأوحدي[6].

---

(1) الضوء اللامع، السخاوي، ج359/1.

(2) المصدر السابق، ج24/2.

(3) رفع الإصر، ابن حجر العسقلاني، ص3.

(4) المصدر السابق، ص65.

(5) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، 188/4.

(6) المنهل الصافي، ج419/1.

ربما اتخذ السخاوي ترجمة المقريزي للأوحدي في كتابه دليلاً مؤكداً على أن المقريزي نسب مسودة الخطط للأوحدي حيث قال المقريزي عن الأوحدي: " ... واستفدت منه كثيراً في التاريخ، وأعانني الله بمسودات من خطه في خطط القاهرة ضمنتها كتابي الكبير المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار "[1].

ويرى المستشرق الروسي كراتشكوفسكي أن الاعتراف السابق للمقريزي عن ما نقله من مسودة الأوحدي يخفف من وطأة اتهام السخاوي للمقريزي، فالمقريزي تحدث بصريح العبارة ما نقله عن الأوحدي وما هو مدين به للأوحدي من معلومات في مسودته أثرَتْ كتابه الخطط، ويتساءل كراتشكوفسكي أين تقع السرقة وعدم الأمانة في هذا الموضع بعد اعتراف المقريزي؟[2] وخاصة أن المقريزي في مقدمته أقر بأن أحد مصادر كتابه كانت النقل من العلماء الآخرين[3]، وذلك لا يقدح بالمقريزي وبل على العكس يقر بأمانته وصدقه، فالفرق شاسع بين السرقة والانتفاع، وما فعله المقريزي هو الانتفاع من مسودة الأوحدي.

وترى الباحثة من خلال حديث المقريزي عن مسودة الأوحدي أن مسودة الأوحدي ربما كانت قليلة ومتناثرة وغير مترابطة في مادتها العلمية، حيث يذكرها المقريزي بصيغة الجمع فيقول "وأعانني الله بمسودات من خطه ..."[4]، تحدث بمسودات وليس بمسودة مما يشير إلا أن تلك المسودات قليلة مقارنة بكتابه الضخم الذي وصفه قائلاً: "وضمنتها كتابي الكبير المسمى بكتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار"[5]، وذلك يدل على صغر حجم مسودات الأوحدي بالنسبة لكتاب المقريزي، أي أنه لم ينقل سوى القليل فقط.

كما أن الأوحدي ولد سنة (761هـ/1359م)[6]، وتوفي سنة(811هـ/1408م)[7]، أما المقريزي فإنه توفي سنة (845هـ/1441م)[8]، أي أن المقريزي عاش بعد الأوحدي أربعة وثلاثين عاماً، ولم يجمع المقريزي مادة كتابه (المواعظ والاعتبار) في وقت قصير ولكنه

---

(1) درر العقود الفريدة، المقريزي، م1، 186.

(2) تاريخ الأدب الجغرافي العربي، ج484/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 8.

(4) درر العقود الفريدة، م1، 186.

(5) المصدر السابق، م1، 186.

(6) المصدر نفسه، م1، 185.

(7) الضوء اللامع، السخاوي، ج359/1.

(8) المصدر السابق، ج25/2.

استغرق أعواماً كثيرة حيث تحدث المقريزي في مقدمته أنه مكث أعواما كثيرة في كتابة كتاب الخطط وجمع مادته من مصادر كثيرة، وكثيرا ما كان يذكر المقريزي في كتابه أحداثاً حدثت بعد وفاة الأوحدي بسنوات[1].

وأوضح المقريزي من خلال كتابه (المواعظ والاعتبار) بعض التلميحات التي تشير إلى تاريخ بدء تأليف كتابه حيث في معرض حديثه عن موقع مدينة الفسطاط أشار إلى عمود قياس النيل أنه موجود حتى يومنا هذا أي سنة (820هـ/ 1417م)[2]، ومن خلال كتابه أيضاً اتضحت المدة الزمنية التي استغرقها المقريزي في كتابة كتابه، وآخر تاريخ دوّنه المقريزي في كتابه، ففي معرض حديثه عن جامع قيدان أشار إلى أنه تمت توسعة المسجد على يد الشيخ الأزراري الذي توفي سنة(843هـ/1440م)[3].

ومن خلال الكتاب نفسه تتضح المدة الزمنية التي استغرقها المقريزي في كتابة كتابه.

فلا يعقل أن يكون المقريزي نقل تلك المعلومات عن الأوحدي الذي توفي قبل تسعة أعوام من بدء تأليف كتاب (المواعظ والاعتبار)، وخاصة أن المقريزي غالباً ما كان يذكر أحداثا معاصرة حدثت بعد وفاة الأوحدي، مثل: توسعة المسجد على يد الشيخ الأزراري[4]، الذي توفي سنة ثمانمائة وثلاث وأربعين[5]، فكيف يكون المقريزي متهماً بسرقة كتاب الأوحدي والكثير من أحداث كتاب المواعظ دون تاريخها بعد وفاة الأوحدي؟ وتلك الوقائع والدلائل تنسف تهمة السخاوي، ويتضح أن ما ذكره السخاوي عن المقريزي يعد تحاملاً على المقريزي، وانتقاصاً من قدره، ربما كان ذلك من باب الغيرة أو المنافسة العلمية غير النزيهة، لأن السخاوي لم يترك فرصة إلا وهاجم فيها المقريزي فقد سبق واتهمه بقلة المعرفة والخبرة وضعف المهارة في كتابة التاريخ الإسلامي[6].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 4

(2) المصدر السابق، م1، 5.

(3) المصدر نفسه، م4 ،254.

(4) الإزراري: عالم وأديب نشأ في حماه في سوريا، وتنقل في الشام ومصر تولى كتابة الإنشاء في مصر، ثم عاد إلى بلاده وله عدة مؤلفات، البدر الطالع، الشوكاني، ج165/1.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 254.

(6) الضوء اللامع، السخاوي، ج23/2.

تحقيق كتاب الخطط ونسخه المنشورة:

قام العديد من الباحثين بتحقيق وتصحيح كتاب (المواعظ والاعتبار) للمقريزي، وصدرت عدة طبعات منه وعدة نسخ محققة، ستكتفي الباحثة بذكر النسخ التي توفرت لها، والنسخة التي اعتمدتها في موضوع بحثها، منه: نسخة مطبعة بولاق، وهي أول نسخة صدرت كاملة لكتاب (المواعظ والاعتبار) للمقريزي، صدرت عن مطبعة بولاق في القاهرة سنة 1270 هـ/1854م، على يد مصحح دار الطباعة المصرية محمد بن عبد الرحمن قطة العدوي[1]، على نفقة الخواجة رفائيل عبيد زمن الوالي عباس باشا[2]، وقد أشار مصحح الكتاب بأن الكتاب قد نُسي، وأصبحت نسخه في مصر نادرة، لا يطلع ولا يستفيد منها أحد، بالإضافة إلى أنها تحتوي على الكثير من التحريف والأخطاء؛ لذلك قام بتصحيحه، واعترف المصحح بأن بعض الكلمات لم يستطع الوقوف عليها وفهمها فرقمها بأرقام هندية؛ لتكون إشارة التوقف وأشار إليها في الحاشية، أما بعض الكلمات التي صعبت عليه فأبقاها على حالها دون تغيير، كما أنه أوضح بأن بعض النسخ لم يطلع عليها قائلاً: "...ثم إنه لبعض الأسباب، فاتتني تصحيح نحو اثنتين وعشرين ملزمة من أوّل الجزء الأوّل، ومثلها من أوّل الثاني من هذا الكتاب"[3]، ويدل ذلك على أن النسخة التي صدرت عن مطبعة بولاق يشوبها الكثير من النقص وعدم الوضوح؛ لذلك لم تعتمد عليها الباحثة في كتابة موضوع بحثها.

1- صدرت العديد من نسخ الكتاب وطبع عدة مرات معتمدين على نسخة مطبعة بولاق، فقد عثرت الباحثة على نسخ منه طبعت عام 2002م بطبعة جديدة بالأوفست، وهي نسخة طبق الأصل من النسخة التي صدرت عن مطبعة بولاق.

---

(1) محمد بن عبد الرحمن قطو العدوي: تعلم في الأزهر وحصل على شهادة علمية وأصبح مدرسا بالأزهر برع في علوم اللغة العربية وفي الأدب كان مجاريًا به أدب العصر في السجع والصنعة، وله شعر في المرتبة الوسطى، كان مالكيَّ المذهب، يقبل على درسه كثير من الأزهريين؛ لتمكنه من علمه وغزاره مادته، كما اختير مصححًا للكتب بمطبعة بولاق، فصحح طائفةً من الكتب القيمة في مختلف العلوم، بذل فيها أعظم الجهود لتنقيتها من الخطأ كانت كتبه المصححة موضع ثقة العلماء؛ لاشتهاره بالتحري في التصحيح والتدقيق في الناحية اللغوية، وتوفره على استقامة المعاني توفي عام1280هـ - 1861م، الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة، الفقي، ج123/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، ج 452/4-453.

(3) المصدر السابق، ج452/4-453.

2- صدر سنة 1998م نسخة عن كتاب المقريزي (المواعظ والاعتبار) في ذكر الخطط والآثار عن مطابع دار الأمين، نشرته مكتبة مدبولي وحُقق من قبل: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، وتم مراجعته من قبل أحمد زيادة[1]، لكن تلك النسخة لم تحتو على مقدمة تتعلق بالمحققين يوضحون ما أضافوه للكتاب من تصحيحات وتعديلات، ولكن من خلال اطلاع الباحثة على النسخة فقد وجدتها مذيلة بالحواشي التي تشتمل على بعض التوضيحات والتفسيرات التي تساعد الباحثين وتوجههم نحو المصادر الأصلية التي اعتمد عليها الكتاب، ولكن تلك التوضيحات كانت قليلة وبسيطة.

3- قام عالم الآثار والمؤرخ الفرنسي جاستون فييت[2]، بترك إنتاج علمي كبير تنوع ما بين الآثار الاسلامية والتاريخ الإسلامي، فقام بتحقيق وترجمة كتاب (المواعظ والاعتبار) في ذكر الخطط والآثار، فحقق وترجم الجزء الأول والثاني في الفترة الممتدة من 1911م 1913م، ثم حقق وترجم الجزء الثالث والرابع في الفترة الممتدة من 1922م إلى 1924م ، ثم حقق وترجم الجزء الخامس عام 1927م، وحقق الكتاب بشكل نقدي وعلق عليه تعليقات في غاية الفائدة والدقة، فكان أعظم أعمال فييت في التحقيق والترجمة[3]، وتحقيق كتاب (الخطط) وطباعته ساعد فييت في أن يتولى كرسي مدرس للعربية والتركية في كلية الآداب بجامعة ليون[4].

4- صدرت نسخة محققة جديدة من كتاب المواعظ والاعتبار عن مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي في لندن سنة(1416هـ/ 1995م)، حققها الدكتور أيمن فؤاد السيد، والذي بذل فيها جهداً كبيراً منقطع النظير لإخراج الكتاب بأفضل وأدق نسخة، ويبدو أنه مكث فيها سنوات طويلة حيث كانت طبعة المجلد الأول قد صدرت عام (1416هـ/1995م)، والمجلد السادس والأخير صدر عام(1425هـ/ 2004م)، مما يدل على الجهد الكبير والجهود الجبارة التي بذلها المحقق، وتعد نسخة الدكتور أيمن فؤاد السيد من أفضل النسخ التي قدمت وأدقها وأصحها في تحقيق ونشر كتاب المواعظ والاعتبار، وقد اعتمدت الباحثة على تلك النسخة التي حققها أحمد فؤاد السيد في كتابة بحثها، وذلك لعدة أسباب أهمها: أن الدكتور أيمن السيد عثر على مسودة كتاب (الخطط) للمقريزي، والتي كانت متواجدة

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، المقدمة،1.

(2) موسوعة المستشرقين، بدوي، ص433.

(3) المصدر السابق، ص436.

(4) المصدر نفسه، ص433.

بإستنبول ووجد عليها الكثير من التعديلات والإضافات والتصويب الكامل لكل الأخطاء والأوهام التي تسربت إلى مطبعة بولاق، وتلك التصحيحات كانت بخط المقريزي نفسه، وكانت تلك النسخة تمثل التصور الأول للمقريزي عن كتابه، وتختلف اختلافا كبيراً في الترتيب والمصادر وحجم المعلومات عما قدمته نسخة بولاق[1].

بالإضافة إلى قيام المحقق بعدة رحلات إلى استانبول وباريس ولندن وليدن؛ للحصول على نسخ كتاب المقريزي، واستبعاد النسخ التي تحتوي على التحريف والسقط والتصحيف الموجودة في طبعة بولاق، وذلك يدل على دقة المحقق وجهده الكبير في تحقيق الكتاب وتقديمه بصورته الأصلية، بالإضافة إلى منهج المحقق الدقيق في التحقق من المخطوطات، والتأكد من سلامتها من الأخطاء والتحريف ودقة معلوماتها، وإعادة النظر في الكثير من الأحكام التي بنيت اعتماداً على الطبعة المغلوطة التي صدرت عن بولاق.

بالإضافة إلى أن المحقق قام بإرجاع النصوص التي استشهد فيها المقريزي إلى أصلها سواء كان المقريزي قد صرح به في كتابه أو استطاع المحقق استخراجه من ثنايا الكتاب، كما قام المحقق بتحديد أماكن المناطق التي ذكرها المقريزي في كتابه بدقة، وما حل بدلاً منها إن كانت أثارها قد أزيلت [2].

كما قام المحقق بشرح بعض المصطلحات، وإثبات النقوش والكتابات التاريخية المنقوشة على المعالم الأثرية، سواء كانت موجودة في النص أو اعتماداً على ما شاهده المقريزي، كما قام بإلحاق الكتاب بالخرائط المساحية الحديثة، والمخططات والصور الفتوغرافية التي توضح بعض المعالم، كما أن المحقق قدم كتاب (المواعظ والاعتبار) كأول نشرة علمية صحيحة وكاملة للكتاب معتمداً على أصح النسخ وأتمها المنقولة عن المؤلف، والتي كتبها بخطه ومقابلتها بالمصادر التي اعتمد عليها المؤلف[3]، تلك الأسباب دفعت الباحثة لاعتماد النسخة المحققة على يد الدكتور أيمن السيد في موضوع بحثها.

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 15.

(2) المصدر السابق، م5، 14.

(3) المصدر نفسه، م5، 14-15.

المبحث الثالث:

منهج المقريزي في تأليف الكتاب

اتبع المقريزي منهجاً واضحاً في تأليف كتابه، فقد بدأ كتابه بمقدمة رائعة يشرح فيها بالتفصيل أفكاره وآرائه وخطته ومنهجه الذي رسمه لتأليف كتابه وكل ما يتعلق بكتابه بحيث يقدم للقارئ صورة واضحة المعالم عن الكتاب.

أولاً: منهج المقريزي في التعامل مع مصادر كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار):

اعتمد المقريزي في بناء وجمع مادة كتابه على ثلاثة أنواع من المصادر وهي: النقل من المصادر المكتوبة ، والمشاهدة والمعاينة والرواية الشفوية ممن سبقوه، وهذا ما وضحه في مقدمة كتابه حيث قال: " فإني سلكت فيه ثلاثة أنحاء، وهي النقل من الكتب المصنفة في العلوم، والرواية عمن أدركت من شيخه العلم وجلة الناس، والمشاهدة لما عاينته ورأيته"[1].

1. النقل من المصادر المكتوبة:

تعد المصادر المكتوبة هي من أكثر المصادر التي اعتمد عليها المقريزي في جمع مادة كتابه، وكان منهجه في النقل من المصادر أن يسند قوله إلى المصدر الذي نقل عنه فيذكر اسم المؤلف واسم المصدر نفسه الذي نقل عنه مثل قوله: " قال عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه في كتاب المسالك والممالك"[2]، وكقوله: " قال عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانيّ في كتاب أخبار النوبة"[3].

امتازت مصادر المقريزي في كتابه بالتنوع، فهو لم يعتمد على نوع واحد من المصادر، فاعتمد في تجميع مادة كتابه على النقل من المصادر المختلفة في المجالات كافة، من فن وأدب، ورحلات، وجغرافيا، وتاريخ، وطب، وفلسفة، والحديث، والفقه، والعقائد، والسِّير، والفلاحة وغيرها الكثير، إضافة إلى كتب التاريخ بأنواعها كافة، وعلى سبيل الذكر وليس الحصر سوف تعرض الباحثة بشكل موجز بعض المصادر المتنوعة التي نقل عنها المقريزي، فمن المصادر اللغوية التي نقل عنها المقريزي كتاب (المحكم والمحيط الأعظم في لغة العرب) لابن سيده،

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 8. (مج8/1)

(2) المصدر السابق ، م1،499.

(3) المصدر نفسه، م1،517.

استعان به عند تفسيره بعض المصطلحات، مثل: عرضه لمفهوم الربط[1]، وكتاب (الصحاح في اللغة) لابن الجوهري، وكتاب (ليس في كلام العرب) لابن خالويه في معرض حديثه عن مفهوم مصر[2]، أما المصادر الأدبية التي نقل عنها المقريزي فهي كثيرة، من ضمنها: كتاب (الأغاني) للأصفهاني[3]، وكتاب (السوانح الأدبية في مدائح القنبية) للحسن بن محمد بن أبي البقاء العكبري[4]، ومن ضمن كتب الحديث التي نقل عنها: كتاب (صحيح البخاري) و(صحيح مسلم)[5]، وغيرها من كتب الحديث، كذلك نقل عن كتب التفسير، مثل: كتاب تفسير القرآن للرازي[6]، وكتب فقهية، مثل: كتاب (الأموال) لابن سلام، وكتاب الماوردي (الأحكام السلطانية)[7]، وكتب الصوفية والتصوف، مثل: كتاب (عوارف المعارف) للسهروردي[8]، وكتب الفلسفة مثل: كتاب (الآثار العلوية) لأرسطوطاليس[9]، وكتب الطب مثل: كتاب (القانون في الطب) لابن سينا[10]، وكتب الأنساب مثل: كتاب الهمذاني للأنساب[11]، وكتب متخصصة في الزراعة والفلاحة، مثل: كتاب (الفلاحة النبطية) لابن وحشية [12]، ونقل عن كتب السير، مثل: كتاب عبد الملك بن حبيب السلمي وكتابه (سيرة الإمام العادل في مال الله)[13]، ونقل عن كتب الجغرافيا والرحلات، مثل: كتاب (المسالك والممالك) لابن خرداذبة[14]، ورحلة ابن جبير [15].

أما كتب التاريخ التي نقل عنها المقريزي فيصعب حصرها في هذا المبحث؛ لكثرتها وتنوعها، فالمقريزي لم يترك كتاباً من كتب التاريخ إلا واطلع عليه وأثرى كتابه به.

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 793.

(2) المصدر السابق، م1، 56.

(3) المصدر نفسه ، م3، 458.

(4) المصدر نفسه ، م3، 418.

(5) المصدر نفسه، م1، 246.

(6) المصدر نفسه، م1، 417.

(7) المصدر نفسه، م1، 262.

(8) المصدر نفسه، م4، 793.

(9) الصدر نفسه، م1، 192.

(10) المصدر نفسه، م1، 164.

(11) المصدر نفسه، م1، 416.

(12) المصدر نفسه، م1، 412.

(13) المصدر نفسه، م3، 405.

(14) المصدر نفسه، م، 144.

(15) المصدر نفسه، م1، 428.

تنوعت طرق المقريزي في ذكر المصادر فمن طرقه في النقل من المصادر:

أ- قيام المقريزي بذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب مثل قوله: "وأنشد أبو عمر الكندي في كتاب أمراء مصر ..."[1]، وقوله: " قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم في كتاب فتوح مصر "[2].

ب- ذكر المقريزي اسم مؤلف الكتاب دون ذكر عنوان الكتاب: مثل قوله " وقال ياقوت... "[3]. " وقال ابن عبد الظاهر : وهذا الذي رأينا عليه ملوكنا "[4].

ت- ذكر المقريزي عنوان الكتاب، مع إهمال اسم المؤلف مثل قوله: " ذكر في كتاب عجائب الحكايات وغرائب الماجزيات"[5].

ث- الإشارة إلى مجهول، فلا يذكر المقريزي اسم المؤلف ولا عنوان الكتاب مثل قوله: " ويذكر أهل العناية بالأمور المتقادمة أن الناس في الدهر الأوّل لم يكونوا يدفنون موتاهم"[6].

من خلال الاطلاع على المصادر التي نقل عنها المقريزي يتضح أنه كان واسع الاطلاع، غزير المعرفة، كثير القراءة، دقيقاً في نقل معلوماته.

تنوعت طرق النقل عن المصادر عند المقريزي، فهي تنقسم إلى نوعين:

أ- النقل الحرفي عن المصادر، أي: نقل النص كما هو من مصدره الأصلي.

ب- النقل منها بصياغته اللغوية، أي: أنه يعيد صياغتها لغوياً بأسلوبه لكن المادة العلمية التي يحتويها النص منقولة عن المصادر[7].

2. المشاهدة والمعاينة

كانت المشاهدة من ضمن المصادر التي اعتمد عليها المقريزي في تأليف كتابه وهذا كان واضحاً أثناء الاطلاع على كتابه، فكان كثيراً ما يدون ما شاهده فيقول في معرض حديثه

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 883.

(2) المصدر السابق، م4، 846.

(3) المصدر نفسه، م4، 848.

(4) المصدر نفسه، م3، 748.

(5) المصدر نفسه ، م1، 81.

(6) المصدر نفسه، م4، 846.

(7) المقريزي مؤرخاً، عز الدين، ص174.

عن مصب نهر النيل: "فإني شاهدت مصب النيل في البحر"[1]، وقوله عن حديثه عن الضرائب التي تفرض على المراعي: " وأدركنا المراعي ببلاد الصعيد مما يضاف إلى الإقطاعات"، كما أن المقريزي أضاف إلى مصادره ما شاهده على آثار مصر من كتابات مدونة، كتلك الكتابة المكتوبة على باب زويلة أحد أبواب القاهرة، حيث قال: "ومن تأمّل الأسطر التي قد كتبت على أعلاه من خارجه، فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش، والخليفة المستنصر، وتاريخ بنائه"[2].

3. الرواية الشفوية

هو ما سمعه المقريزي من شيوخه وعلماء عصره من روايات تاريخية تخص الموضوعات المتعلقة بكتابه مثل قوله: " لقد قال لنا شيخنا أستاذ الزمان قاضي القضاة أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون..." [3]، وقوله: " وحدثني قال: ولدت كلبة في مستوقد حمام..." [4]، وقوله "قال لي القاضي يعقوب بن النعمان..." [5]، وقوله "أخبرني من شاهد..." [6]، ومن خلال الرواية الشفوية التي كان ينقلها المقريزي يتضح أن المقريزي كان مثابراً للحصول على العلم يهتم بأهل العلم ويستفيد من خبرتهم وعلمهم ويحرص على الوصول إليهم والاستفادة منهم.

ثانياً: منهج المقريزي في التعامل مع الرواية التاريخية:

1- الشمولية في سرد الرواية التاريخية:

امتاز منهج المقريزي في التعامل مع الروايات التاريخية بالشمولية، فهو لم يكتف في الكثير من المواضع والأحداث بذكر رواية تاريخية واحدة للحدث، بل ذكر أكثر من رواية للأحداث التاريخية فقد جمع رواياته من مصادر مختلفة ومتباينة وعرضها في كتابه، ليضعها أمام القارئ دون انتقاص يسئ إلى موضوعية الحدث التاريخي، فحرص على تقديم محتوى الرواية التاريخية بشكل متكامل، وقد برز منهج الشمولية في عدة مواضع منها: عند تطرقه

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 149.

(2) المصدر السابق، م2، 270.

(3) المصدر نفسه، م4، 921.

(4) المصدر نفسه ، م4، 867.

(5) المصدر نفسه ، م1، 436.

(6) المصدر نفسه ، م1، 436.

لقضية الفتح الإسلامي لمصر وروايات توجه عمرو بن العاص بجيشه لفتح مصر [1]، وكذلك قد اتسم بالشمولية حينما سرد جميع الروايات المتباينة التي اختلف فيها الكثير من العلماء والمؤرخين حول فتح مصر إذا كان ذلك الفتح صلحاً أو عنوة[2].

2- تحليل الرواية التاريخية وتصويب أخطائها:

اهتم المقريزي بمحتوى الرواية التاريخية، فلم يأخذها على علاتها وما تحتويه من تناقض وخطأ بل ذكر الرواية كما هي ثم حللها وقام بمناقشتها ثم صحح الأخطاء التي توجد في الرواية وظهر ذلك أثناء حديثه عن الحارة اليانسية، حيث قال: "قال ابن عبد الظاهر: اليانسية خارج باب زويلة أظنها منسوبة ليأنس وزير الحافظ لدين الله الملقب بأمير الجيوش سيف الإسلام ويعرف بيانس الفاصد، وكان أرمنيّ الجنس، وسمّي الفاصد لأنه فصد الأمير حسن بن الحافظ وتركه محلولا فصاده حتّى مات..." [3]

لم يكتف المقريزي بسرد رواية ابن عبد الظاهر على ما هي عليه، بل قام بتحليل ما رواه ابن عبد الظاهر وتصحيح جميع الأخطاء الواردة بروايته كالتالي: حيث قال: "وهذا الخبر فيه أوهام

منها أنه جعل اليانسية منسوبة ليانس الوزير، وقد كانت اليانسية قبل يانس هذا بمدّة طويلة، ومنها أنه ادّعى أن حسن بن الحافظ مات من فصادة، وليس كذلك، وإنما مات مسموما،

ومنها أنه زعم أن يأنس تولّى فصده وليس كذلك، بل الذي تولى قتله بالسم أبو سعيد ابن فرقة..." [4].

المنهج التحليلي للرواية الذي اتبعه المقريزي يدل على عبقريته كمؤرخ وأنه مؤرخ متميز، فالمنهج التحليلي قلما اتبعه المؤرخون في عصره، بالإضافة إلى منهجه في تصويب الرواية يدل على موسوعيته واطلاعه الواسع على التاريخ، وقدرته على نقد الرواية وتقديم رؤية صحيحة لها.

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 11-12.

(2) المصدر السابق، م2، 24-28.

(3) المصدر نفسه م2، 47.

(4) المصدر نفسه، م2، 47.

3- إظهار شخصية المؤرخ في التعامل مع الروايات التاريخية التي نقلها عن المصادر المختلفة:

أثناء سرد المقريزي للروايات والأحداث التاريخية المختلفة حرص المقريزي على أن تكون له بصمة في كتاباته التاريخية تُبرز شخصيته، وتظهر رأيه وعواطفه في الكثير من الأحداث التاريخية، حتى لو لم يقم بتحليلها ومناقشتها، فقد ذكر بعض العلامات التي توضح وجهة نظره في الأحداث والروايات التاريخية، فعند ذكر العديد من المواقف التاريخية كان المقريزي يبدي رأيه فيها بعدة طرق، منها: عدم التسليم بصحتها أو إظهار الدهشة و من أمثلة ذلك: عند حديثه عن بطريرك النصارى (زخارياس) وقيام الخليفة الحاكم بأمر الله باعتقاله وإلقائه إلى السباع وادعائهم بأن السباع لم تؤذه، فقال: "فلم تضره فيما زعم النصارى"، وذلك يدل على أن المقريزي لم يسلم بصدق تلك الرواية لكنه نقلها عنهم[1].

وفي قول النصارى أن المسيح ابن الله أنكر المقريزي ما يقولونه قائلاً: " تعالى الله عن قولهم"[2]، وعند تحدثه عن طريقة القبط في تنظيم أشهر السنة وصفها بالخرافات[3]، وذلك يدل على أن المقريزي يسرد الروايات التاريخية، لكنه يسردها من وجهة نظر بعض الطوائف والفرق وأصحاب الديانات ويوضح عدم قناعته بما يقولون أو يعتنقون مع عدم توجيه أي نقد لهم أو الإساءة لقناعاتهم ودياناتهم، وذلك يدل على حسن خلق المقريزي وموضوعيته في كتابة التاريخ، كما حرص المقريزي على إبراز عاطفته تجاه وطنه مصر، فمثلاً: عند حديثه عن سوق القصرين وعظمة ذلك السوق في العصر الفاطمي وانهياره وخرابه بعد زوال دولتهم، علق بقوله: "وفيه إلى الآن بقية تحزنني رؤيتها إذا صارت إلى هذه القلة"[4].

4- التحقق من صحة الرواية التاريخية:

لم يكن المقريزي مجرد ناقل للروايات التاريخية فقط، بل حرص على التثبت من صحة الرواية التاريخية، ونقل الصورة الصحيحة عن الحدث التاريخي أو المعلم الأثري وما يدور حوله من روايات، ويمثل ذلك قوله عما زعمه عامة أهل مصر عن تسمية المسجد المعروف بـ(زرع

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م4، 1007.

(2) المصدر السابق، م4، 1022.

(3) المصدر نفسه، م1، 713.

(4) المصدر نفسه، م3، 321.

النوى)، وبأن ذلك المسجد بُني على قبر رجل يسمى بزرع النوى من صحابة رسول الله، ووصف ما قاله العامة عن تسمية ذلك المسجد بأنه افتراء وكذب، وقدم المقريزي تفصيلاً عن الكتب التي بحث فيها عن أصحاب رسول الله الذين دفنوا في مصر؛ ليوضح كذب رواية العامة، ولم يكتف بذلك فقط بل بحث عن إن كان هناك قبر بني عليه المسجد، وبحث عن التسمية الحقيقية للمسجد وسببها وروى القصة الكاملة لها؛ ليقدم صورة صحيحة وواضحة عن صحة تسمية المسجد[1].

ومن الأمثلة الأخرى التي تبرز دور المقريزي في التحقق من صحة الروايات التاريخية حديثه عن مسجد (الفجل) حيث قال: " تسميه العامّة مسجد الفجل، وتزعم أن النيل الأعظم كان يمرّ بهذا المكان، وأن الفجل كان يغسل موضع هذا المسجد فعرف بذلك، وهذا القول كذب لا أصل له، وقد تقدّم في هذا الكتاب ما كان عليه موضع القاهرة قبل بنائها، وما علمت أن النيل كان يمرّ هناك أبدا، وبلغني أنه عرف بمسجد الفجل من أجل أن الذي كان يقوم به كان يعرف بالفجل"[2].

5- إبراز العبر والعظات والدروس المستفادة من الروايات والأحداث التاريخية:

لم يكتف المقريزي بتحليل وتصويب الكثير من الروايات التاريخية وأحداث التاريخ، بل حرص في كتابة التاريخ على تقديم العبر والعظات والتي من أجلها اهتم المقريزي بكتابة التاريخ، ووضح ذلك في مقدمته للكتاب وهي السبب الرئيسي بتسمية كتابه المواعظ والاعتبار، ومن أمثلة حرص المقريزي على تقديم العبر والعظات، وظهر ذلك في عدة مواطن، مثل قوله عند وفاة ودفن الملك الناصر محمد بن قلاوون بعد ملك دام ثلاث وأربعون سنة: "فسبحان من لا يحول ولا يزول، هذا ملك أعظم المعمور من الأرض، مات غريبا وغسل طريحاً ودفن وحيداً، إن في ذلك لعبرة لأولي الألباب"[3]، وقوله عند الحديث عن سوق الدجاجين: "فاعتبر بما قصصته عليك حال الترف الذي كان فيه أهل مصر، ولا تتخذ حكاية ذلك هزؤا تسخر به، فتكون ممن لا تنفعه المواعظ "[4].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، انظر م4، 711-713.

(2) المصدر السابق، م4، 721.

(3) المصدر نفسه، م4، 210.

(4) المصدر نفسه، م3، 321.

ثالثاً: الأسس التي قام عليها منهج المقريزي في الكتابة التاريخية:

1- التنظيم والدقة في كتابة مادته التاريخية:

لم يكن المقريزي مؤرخاً عشوائيا في كتاباته التاريخية، بل كان مؤرخاً منظماً ودقيقاً ينظم أفكاره ومعلوماته ويصنفها في الكتب حسب خطة وضعها مسبقاً، ويتضح ذلك من خلال المقدمة التي وضعها لكتابه، بالإضافة إلى عدم تداخل المعلومات في كتاب (المواعظ والاعتبار)، فالشخصيات التي احتاجت لترجمة أحالها لكتابه (المقفي الكبير)، والأحداث التي تحتاج لتوضيح وشرح مفصل ليس من صلب كتاب المواعظ والاعتبار أحالها لكتبه التي فصلت تلك الأحداث، كما فعل عند حديثه عن سلاطين المماليك حيث قال: "وستقف إن شاء الله تعالى على ذكر من ملك من الأكراد والأتراك والجراكسة، وتعرف أخبارهم، إذ قد وضعت لبسط ذلك كتاباً سميته كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، وجردت تراجمهم في كتاب التاريخ الكبير المقفى، فتطلبهما تجد فيهما ما لا تحتاج بعده إلى سواهما في معناهما"[(1)].

وكذلك عند حديثه عن الوزراء ورتبتهم ورواتبهم، أوضح للقارئ بأنه أفرد كتاباً خاصاً لسير الوزراء وقال في ذلك: "قد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميته تلقيح العقول، والآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء، فأنظره"[(2)].

2- الأمانة العلمية:

حرص المقريزي على الأمانة العلمية، واتضح ذلك من خلال إشارته للمصادر التي نقل منها والشيوخ الذين نقل عنهم، حتى عندما يغفل عن ذكر المصدر فإنه يشير إلى النص التاريخي المنقول وإن كان من مجهول، فيحفظ للنص التاريخي كما هو دون أن ينسبه لنفسه، كذلك إذا ورد في الحدث التاريخي أكثر من رواية فإنه يذكرها جميعها دون حذف أو اختصار ودون انتقاء الرواية التاريخية التي تتماشى مع توجهاته كذكره جميع روايات فتح مصر على يد القائد عمرو بن العاص[(3)].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م3، 750.

(2) المصدر السابق، م2، 452.

(3) المصدر نفسه، م2، 11-12.

3- **الموضوعية والحيادية:**

تميز المؤرخ المقريزي بالموضوعية فقد ظهرت الموضوعية في كتابه بشكل واضح، فعرض في كتابه الأحداث التاريخية كما هي دون التحيز لشخص أو طائفة أو جماعة أو ديانة، والدليل على ذلك، ففي معرض حديثه عن نصارى مصر ذكر بالتفصيل ما نزل بهم من شدائد ومصائب على يد ولاة مصر، دون تبرير فعلتهم حيث قال: "لما ولي مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان اشتدّ على النصارى، واقتدى به قرّة بن شريك أيضا في ولايته على مصر، وأنزل بالنصارى شدائد لم يبتلوا قبلها بمثلها "[1].

4- **الابتعاد عن التجريح والنقد اللاذع:**

اشتهر المقريزي بحسن الخلق، وباحترام وتقدير الكثير من رجال الدولة والعلماء له[2]، وظهر ذلك من خلال مؤلفات المقريزي فمن خلال الاطلاع على كتابه لم يشر أو يلمح إلى أي شخص بالإساءة أو القذف أو الذم، بل كان مهذباً في كتابه، ويتغاضى عن أي إساءة قد يتعرض لها، إذ قال في مقدمة كتابه: "وإني لأرجو أن يحظى إن شاء الله تعالى عند الملوك، ولا ينبو عنه طباع العاميّ والصعلوك ..."[3].

5- **تحليل الظواهر ومعرفة أسبابها ونتائجها:**

بعض الأحداث التاريخية التي ذكرها المقريزي في كتابه كان حريصاً على معرفة أسبابها واستخلاص النتائج التي ترتبت عليها، ففي أثناء حديثه عما فعله الحاكم بأمر الله بالنصارى، ذكر أسباب تردي أحوالهم وبطش الحاكم بهم حيث قال: " وذلك أن كثيرا منهم كان قد تمكن في أعمال الدولة حتى صاروا كالوزراء وتعاظموا لاتساع أحوالهم وكثرة أموالهم، فاشتدّ بأسهم وتزايد ضررهم ومكايدتهم للمسلمين، فأغضب الحاكم"[4].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 999.

(2) الضوء اللامع، السخاوي، ج24/2.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4،1.

(4) المصدر السابق، م4، 1007.

6- الشمول:

عندما وضع المقريزي خطته لتأليف الكتاب كان الشمول أحد الأسس التي وضعها المقريزي في عين الاعتبار، فكتاب المقريزي لم يقتصر على سرد الأحداث التاريخية، بل اشتمل كتابه على عرض جميع جوانب الحياة في مصر من حياة اقتصادية واجتماعية وسياسية ودينية، واشتمل كتابه على ذكر طبقات السكان ودياناتهم والفرق الدينية في الأديان السماوية وذلك ما أكده المقريزي في مقدمة كتابه[1].

7- التفرد في ذكر بعض الأحداث:

ذكر المقريزي أن في كتابه بعض الموضوعات التاريخية التي لم يجدها الباحث في أي كتاب آخر؛ بسبب جهد المقريزي في جمعها من مختلف المصادر الإسلامية والنصرانية، مثل: حديث المقريزي عن أعياد الأقباط حيث قال: "وسأذكر من خبر هذه الأعياد ما لا تجده مجموعاً في غير هذا الكتاب، على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ أهل الإسلام"[2]

وذلك بتفرده بروايات خط ما بين القصرين حيث قال: "وسأتلو عليك من أنباء ذلك ما لا تجده مجموعا في كتاب"[3].

8- الحيادية في ذكر الحكام وعدم مداهنتهم:

لم يكن المقريزي مؤرخاً مداهنا ومنافقاً للحكام يمجدهم في كتاباته من أجل منصب أو وظيفة، بل كان حيادياً نزيهاً في كتاباته التاريخية، فترك كل المناصب التي عرضت رغم إلحاح السلاطين عليه، إلا أنه أصرّ على رفضها، وفرّغ نفسه لكتابة التاريخ[4]، وكما قام المقريزي بانتقاد أحوال مجتمعه والحكومات الموجودة فيها، فانتقد مظاهر الفساد الأخلاقي والسياسي في المجتمع، ما يدل على جرأته وموضوعيته في كتابة التاريخ، فنقده ليس النقد الهدام، بل النقد البناء فهو يعطي القارئ الصورة الصحيحة التي يجب أن يكون فيها الحدث بعد نقده.

ومثال على ذلك: نقد المقريزي لأحوال السجون في مجتمع حيق قال: "وأمّا الحبس الذي هو الآن، فإنه لا يجوز عند أحد من المسلمين، وذلك أنه يجمع الجمع الكثير في موضع يضيق

(1) الواعظ والاعتبار، المقريزي ، م1، 8.

(2) المصدر السابق، م1، 517.

(3) المصدر نفسه، م3، 81.

(4) المنهل الصافي، ابن تغري، ج1/417.

عنهم..."[1]، وقبل أن ينتقد أحوال سجون، وضح المقريزي كيف كانت السجون زمن الرسول والغرض من السجن، وأنها كانت للتأديب، فكان نقده من أجل الإصلاح[2].

تلك هي الأسس التي استند عليها المقريزي في تأليف كتابه، فخرج كتابه بشكل موسوعي وفريد لذلك اعتبر المؤرخون أن المقريزي هو مؤسس وزعيم مدرسة الخطط في التاريخ الإسلامي.

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 597.

(2) المصدر السابق، م3، 597.

الفصل الثاني:

الفتح الإسلامي لمصر والموقف منه

المبحث الأول:

الأحوال العامة للنصارى في مصر قبل الفتح الإسلامي.

أولاً: التعريف بالنصارى

النصارى هم أتباع عيسى بن مريم[1]، أطلق عليهم اسم النصارى؛ لأن أصلهم يعود إلى قرية الناصرة في فلسطين[2]، وقيل أن سبب تسميتهم بالنصارى أن عيسى بن مريم عندما هاجرت به أمه مريم من بيت لحم إلى مصر، ثم عادت مرة ثانية إلى فلسطين سكنت في الناصرة؛ لذلك أطلق عليه عيسى الناصري[3]، وقيل أنهم سموا نصارى؛ نسبة إلى قرية الناصرة التي نزل فيها عيسى[4]، وقيل أطلق عليهم اسم نصارى؛ لأنهم أيدوا عيسى وناصروه في بداية دعوته[5]، وسموا نصارى نسبة إلى قرية الناصرة التي سكنها عيسى وانتسب إليها، فنسب النصارى إليه[6].

تناول المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار جانباً هاماً عن أحوال النصارى في مصر قبل الإسلام، ذلك الجانب وإن كان فيه قصور إلا أنه قدم انطباع وصورة واضحة عن أحوالهم قبل الفتح الإسلامي، وعند تتبع ما دونه المقريزي عن النصارى قبل الفتح الإسلامي يتضح أنه أبدى تعاطفاً كبيراً مع النصارى في مصر، ويبدو أن ذلك التعاطف يرجع إلى أسباب دينية على اعتبار النصارى أهل كتاب وهم الأقرب إلى المسلمين من باب قوله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾[7]، وربما يعود ذلك التعاطف إلى أن المقريزي قد استقى مصادره من مؤرخين نصارى، حيث لاحظت الباحثة التأثر الشديد والنقل الواضح للمقريزي عن سعيد ابن البطريق أحد مؤرخي النصارى، ومن جملة ما نقله المقريزي عن سعيد بن البطريق طريقة اختيار

---

(1) الملل والنحل، الشهرستاني، ج219/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 968.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 968؛ ، لسان العرب، ابن منظور، ج211/5.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/ 91.

(4) المعارف، الدينوري، ج619/1.

(5) الزاهر في معاني كلمات الناس، الأنباري، ج213/2.

(6) شمس العلوم، الحميري، ج10/ 6619.

(7) سورة المائدة، آية: 82.

بطريرك الإسكندرية تلك الطريقة التي أقرها مرقص عندما اختار حنانيا بطريرك وعين معه اثنتي عشر قساً وأمرهم إذا مات البطريرك أن يختاروا واحداً منهم [1]، وتلك الطريقة نقلها المقريزي عن سعيد بن البطريق [2]، كما نقل عن سعيد بن البطريق [3]، والاضطهاد الروماني للنصارى منذ بدء النصرانية وحتى العصر البيزنطي حيث لا تخلو صفحة من كتابه في الجزء الرابع بدءاً من ظهور النصرانية وحتى عصر قسطنطين [4]، إلا ونقل الكثير من أحداثها عن سعيد بن البطريق [5].

فنقل المقريزي دون تدقيق أو تحليل لما أورده ابن البطريق، ودون مقارنته مع مصادر أخرى وانتقاء أدقها، وربما يعود ذلك إلى قلة المصادر التي تتحدث عن النصارى في مصر في تلك الفترة، كما أنه اعتمد في وصف أحوال النصارى على السرد التاريخي السريع الخالي من الملاحظات والآراء الشخصية للمقريزي ويبدو أن سبب ذلك العرض؛ أن النصارى لم يشكلوا الموضوع الرئيسي في كتابه، وستتناول الباحثة عرضا سريعا لأحوال النصارى في مصر منذ الاحتلال الروماني وحتى الفتح الإسلامي؛ فالتعرف على أوضاعهم قبل الإسلام يساعد في تقديم صورة واضحة عن النصارى في مصر في العهد الإسلامي.

ثانياً: الأحوال العامة للنصارى في مصر خلال العصر الروماني

خضعت مصر للإمبراطورية الرومانية وأصبحت إحدى الولايات التابعة لها، بعد سيطرة الإمبراطور الروماني أوكتافيوس (أوغسطس) عليها[6]، عقب معركة أكتيوم البحرية عام 31ق.م، التي وقعت بين قوات كليوباترا ملكة مصر وأنطونيوس من جهة وقوات أوكتافيس الإمبراطور الروماني من جهة أخرى[7]، وانتهت بهزيمة قوات كليوبترا وأنطونيوس وسقوط وانتهاء حكم اليونانيين وأسرة البطالمة، وانتصار أوغسطس[8]، وهو الإمبراطور الذي ولد في

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4،975.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج96/1.

(3) انظر المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 972-980.

(4) المصدر السابق، م4، 972-980.

(5) انظر، التاريخ المجموع، ج95/1-130.

(6) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج107/1.

(7) مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البريدية، عبد اللطيف، ص3.

(8) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ج291/1.

عهده المسيح عيسى بن مريم، حيث ولد عيسى بن مريم بعد ثلاثين سنة من سقوط مملكة كليوبترا[1]، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مصر ولاية رومانية حتى الفتح الإسلامي لمصر عام(20هـ /641م)، أي استمر الحكم الروماني لمصر حوالي سبعة قرون.

أصبحت مصر مقاطعة رومانية، وفرضت عليها روما عزلة إدارية؛ وسبب ذلك أن مصر كانت مصدر انتاج الحبوب وهي المسئولة عن إمداد روما بالحبوب، فمصر لوحدها كانت مسئولة عن توفير ثلث إمدادات الحبوب السنوية لمدينة روما؛ لذلك روما كانت حريصة على أن تكون مصر تحت سيطرتها، ففرضت عليها ما يشبه العزلة الادارية لضمان انتاج وتسليم الحبوب لروما؛ لذلك حرصت روما على حماية مصر من أي غزو قد تتعرض له من قبل منافسي روما، وذلك ليس حباً في مصر ولكن للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية في مصر، فعملت على انشاء حامية عسكرية بها[2].

دخلت النصرانية إلى مصر بعد حوالي عشرين عاماً من رفع المسيح عيسى عليه السلام، في عهد الإمبراطور الروماني قلوديوس عن طريق مرقس الإنجيلي[3]، الذي توجه إلى الإسكندرية ليبشر بالديانة النصرانية، ويعد أول بطريرك على مدينة الإسكندرية[4]، وقد نصب مرقس شخص اسمه أنيانوس ويقال اسمه حنانيا بطريرك[5]، على الإسكندرية؛ لكي يتفرغ لنشر المسيحية، وعين معه ثلاثة قساوسة وسبعة من الشماسة؛ من أجل نشر النصرانية وتثبيت من آمن من النصارى عليها[6]، وقيل أنه عين معه اثنا عشر من القساوسة، فإذا توفي بطريرك الإسكندرية عينوا بدلاً منه واحداً منهم[7]، وكان بطريرك الإسكندرية يلقب بالبابا، ومعناها: أب الآباء، واستمر ذلك اللقب منذ أول بطريرك لها وهو حنانيا حتى ديمتروس البطريرك الحادي عشر لها، ثم أصبح لقب البابا خاصاً ببطريرك روما دون غيرها[8].

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق،ج89/1.

(2) petry. C.F., History of Egypt, vol1,(p2).

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1، ص95.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج7/1.

(5) البطرك: هو مقدم النصارى، لسان العرب، ابن منظور، ج10/ 401؛ وهو صاحب أعلى المراتب الدينية عند النصارى، مفاتيح العلوم، الخوارزمي، ص148؛ وهو لقب يطلق على رئيس رؤساء الأساقفة، تكملة المعاجم العربية، دوزي، ج238/1.

(6) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج5/1–6.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 974.

(8) المصدر السابق، م4 ،974.

عانى النصارى في مصر في ظل حكم معظم أباطرة الرومان الصابئين من الظلم والإبادة؛ بسبب معتقداتهم الدينية، فحاربوا ديانتهم، وتعرض النصارى للاضطهاد الديني، واستخدم أباطرة الرومان أساليب بشعة لإبادة النصارى والقضاء عليهم، فكانت أوضاعهم غاية في السوء، ومن ضمن قياصرة الرومان الذين اضطهدوا النصارى في مصر نيرون وهو أول من عذبهم، وتفنن في تعذيبهم وقتلهم، وتنوع في طرق إيذائهم فقد قتل بطرس رأس الحواريين، وقتل مرقس الرسول الذي نشر المسيحية بمصر[1]، وأحرق جسده بالنار[2]، أما في عهد الامبراطور أندیانوس قيصر فتعرض النصارى للاضطهاد مرة أخرى حيث قتل عددا كبيرا منهم، واتخذ من تبقى منهم عبيدا له، وبسبب بشاعة أساليبه في تعذيبهم وكثرة اضطهاده لهم أشفق عليهم وزراء الرومان والقادة الكبار وتوسطوا لهم عند الامبراطور؛ لكي يكف عن تعذيبهم؛ فأطلق سراح العبيد منهم، وتوقف عن الإساءة لهم[3].

عاد اضطهاد النصارى من جديد زمن الإمبراطور أرندريانوس فقد ازدادت أوضاع النصارى سوءا، فتوجه إلى مصر وأباد من فيها من النصارى، ودمر كنائسهم، ومنعهم من التردد عليها، فلم يتجرأ نصراني في عهده على زيارة القدس أو الاقتراب منها، كما أجبرهم على عبادة الأصنام[4]، ويبدو أن سبب اضطهاد أباطرة الرومان للنصارى يعود إلى أن أولئك الأباطرة وجدوا في الديانة الجديدة خطراً يهدد وجودهم؛ لذلك سعوا للتخلص من النصارى باستخدام كل الطرق الوحشية.

واستمرت معاناة النصارى في عهد الإمبراطور أورالیانوس الذي اضطهد النصارى وقضى على عدد كبير منهم[5]، كما عانى النصارى في زمنه من الفقر والأمراض والمجاعات[6]، وبعد أورالیانوس توجه الإمبراطور سوریانوس إلى مصر وأباد جميع ما فيها من النصارى، وهدم جميع كنائسها وأقام هيكلاً فيها لعبادة الاصنام[7]، سماه هيكل الآلهة[8]، كما

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطرق، ج96/1 –97؛ تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج7/1.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1، 96 –97.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج100/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م976،4؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج366/5؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج242/2.

(4) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/ص101؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 976.

(5) الواعظ والاعتبار، المقريزي، م977،4؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج367/5.

(6) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج104/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج367/5.

(7) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج107/1؛ التنبيه والإشراف، المسعودي، ج115/1؛ الواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 977؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج367/5.

(8) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1، 107؛ التنبيه والإشراف، المسعودي، ج115/1؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج242/2.

قام الإمبراطور مكسيموس بالتشديد على النصارى وأباد عددا كبيرا منهم[1]، أما الإمبراطور فيلس كان من القياصرة القلائل الذين أحسنوا إلى النصارى، وفي عهده بدأ الرهبان ببناء الأديرة في مصر [2]، وقيل أنه أول من اعتنق النصرانية من ملوك الروم[3].

لكن بعد وفاته عاد الاضطهاد للنصارى من جديد ففي عهد الإمبراطور داقيوس أمعن في قتل النصارى[4]، فقد أجبر النصارى على أن يسجدوا للأصنام! ومن رفض السجود للأصنام كان مصيره الموت بطرق بشعة، وفي عهده حدثت قصة أصحاب الكهف[5]، كما اشتد الأمر على النصارى في عهد الإمبراطور طيباريوس الذي أباد عددا كبيرا منهم[6]، أما في عهد الامبراطور دقلطيانوس لم يصمد المصريون أمام ظلمه واضطهاده؛ فثار النصارى في مصر عليه؛ فأباد عددا كبيرا منهم، وأمر بغلق الكنائس وأجبرهم على عبادة الأصنام ومن رفض عبادتها قتل[7]، فارتد عدد كبير عن النصرانية؛ خوفاً من بطشه الذي طال بطرس بطريرك الاسكندرية فقتله هو وزوجته وابنتيه؛ بسبب رفضه السجود للأصنام، فكان أقسى قياصرة الرومان على النصارى حيث قتل الآلاف منهم [8]؛ وبسبب كثرة اضطهاده اتخذ الأقباط تقويما خاصا بهم أطلقوا عليه تقويم الشهداء[9].

ثم جاء بعد دقلطيانوس الإمبراطور مكسيمانوس وقتل عددا كبيرا من النصارى[10]، ونكل بهم فاعتدي على نساء النصارى واغتصبهن، وأباح لقادته وأصحابه باغتصابهن ثم قتلهن[11]، لدرجة أن جثثهم كانت تنقل على عجل وترمى في البحر والصحاري، فاشتكى النصارى في روما ومختلف أنحاء الإمبراطورية إلى قسطنطين حاكم بيزنطة ظلم وجور

---

(1) الواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 977.

(2) مروج الذهب، المسعودي ج3479/1.

(3) صبح الأعشى، القلقشندي، ج368/5؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج246/2.

(4) مروج الذهب، المسعودي، ج3479/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج368/5.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/ 112؛ الواعظ والاعتبار، المقريزي، م978،4؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج370/5؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج246/2.

(6) الواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 978.

(7) المصدر السابق، م4، 978؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج246/2.

(8) التاريخ المجموع، ج116/1؛ الواعظ والاعتبار، المقريزي، م978،4؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج248/2.

(9) سيدة، مصر في فجر الإسلام، كاشف، ص3.

(10) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 979؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج249/2.

(11) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/ص118.

مكسيمانوس ودعوه لإنقاذهم من ظلمه[1]، فتجهز لحرب مكسيمانوس وتوجه إلى روما وانتصر عليه وعلى ملك روما، ونقل عاصمته من روما إلى القسطنطينية فكانت بداية الامبراطورية الرومانية البيزنطية المسيحية[2].

عانت الإمبراطورية الرومانية في أواخر عهدها من الضعف والانهيار والانحطاط، الذي انعكس على الولايات التي خضعت لحكمها ومن ضمنها مصر، فقد أجرت روما بعض التعديلات واستحدثت بعض القوانين من أجل إجراء الاصلاحات، كان الهدف من تلك الاصلاحات هو استغلال خيرات مصر لصالح الإمبراطورية لا لصالح سكان مصر [3].

ومن الملاحظ أن العقيدة النصرانية منذ دخولها مصر وحتى عهد قسطنطين كانت عقيدة قوية راسخة في قلوب وعقول النصارى لدرجة أن نصارى مصر بعد كل إبادة ومجزرة ترتكب بحقهم من قبل القياصرة يصرون على التمسك بعقيدتهم أكثر من ذي قبل، ويقاومون بكل عناد واصرار الظلم والاضطهاد الذي تعرضوا له، وإلا كانت قد اندثرت تلك الديانة ولم يتبق لها أثرا في مصر، كما أن تلك المجازر التي ارتكبها أباطرة الرومان تدل على سوء العلاقة بين المصريين والرومان الذين اضطهدوا الحقوق الدينية والسياسية للنصارى، وعاملوهم باستعلاء واحتقار.

ثالثاً: الأحوال العامة للنصارى في مصر في العصر البيزنطي

يقصد بالعصر البيزنطي الفترة الممتدة من عهد الإمبراطور قسطنطين حتى الفتح الإسلامي لمصر زمن ملك الروم هرقل[4]، في تلك الفترة لم يكن حال النصارى في مصر قد تغير كثيراً بعد اعتناق أباطرة الرومان الديانة المسيحية، فعلى الرغم من اعتناق الامبراطور قسطنطين الديانة النصرانية، وتحول النصرانية لديانة معترف فيها، وإكرامه للنصارى وسماحه بالحريات الدينية وببناء الكنائس في جميع أنحاء دولته[5]، إلا أنه سرعان ما عانى نصارى مصر من اضطهاد جديد؛ تولد بسبب الاختلافات الطائفية بين النصارى، والتي ظهرت في عهد قسطنطين حيث برزت النزاعات والاضطرابات في الكنيسة، وتدخل أباطرة الرومان في تلك الخلافات الدينية الكنسية وكان لتدخلهم أثر سلبي حيث زاد من الانقسامات الدينية، مثلما تدخل

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج121/1؛ الواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 979.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 979؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج370/5.

(3) Johnson, Roman Egypt (p.184).

(4) الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، عطا، ص9.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 979.

قسطنطين في الخلافات التي وقعت بين الأساقفة، والتي اختلف فيها النصارى حول ماهية المسيح وطبيعته هل هو خالق أم مخلوق؟![1]، وعقد من أجل ذلك مجمع نيقيه325م [2]، حيث تم تكفير أريوس وأقواله حول المسيح والتي أنكر فيها ألوهية المسيح وأقر بأنه مخلوق، بينما أقر المجمع بأن المسيح مولود من الأب وغير مخلوق، فأصدر المجمع قرارا بحرمانه[3].

لم يهنأ المصريون بالاستقلال الديني في عهد الأباطرة البيزنطيين النصارى فكانوا يتدخلون في الشئون الدينية، ويضطهدون من يخالفهم في المذهب، وخير دليل على ذلك ما حدث في عهد الإمبراطور تاوذاسيوس الذي اضطهد الآريوسيين، وصادر كنائسهم وحرمهم من الخدمة في جيش الإمبراطورية ومن الخدمة في وظائف الدولة، ومن ممارسة حقوقهم السياسية، وطرد من كان يعمل في وظائف الدولة؛ بسبب مذهبه الآريوسي الذي كان قد انتشر في معظم مصر [4].

وبعد قرار الحرمان؛ سرعان ما نشبت وازدادت وطالت الخلافات الكنسية التي تدخل فيها أباطرة بيزنطة، وعقدوا المجامع الدينية من أجل حلها والتقليل من حدة الخلافات، لكن الخلافات ازدادت وانتشرت، وتأثرت بطريركية الاسكندرية بها، وشهد كرسي البطريركية خلافات حادة، بين أنصار أريوس وبين معارضي أفكاره، أثرت على كرسي البطريركية بالإسكندرية، فشهد اضطرابات كثيرة وخلافات[5]، فعقد مجمع خلقدونية بدعوة من إمبراطور مرقيان؛ بسبب بطريرك الاسكندرية ديسقورس الذي قال أن للمسيح طبيعة واحدة وجوهرا واحدا، بينما رأت كنيسة القسطنطينية وبقية مجمع خلقدونية أن للمسيح طبيعتين[6]، وقد أيد معظم الأساقفة والبطاركة في المجمع قول الإمبراطور مرقيانوس (مرقيان)؛ لذلك دعا الإمبراطور مرقيانوس

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م4،980-981.

(2) بلورة الفكر المسيحية، بو حجر، ص167.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 981.

(4) المصدر السابق، م4، 986.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/ 139-140.

(6) المصدر السابق، ج1 ص182.

إلى عقد مجمع خلقدونية فحضر المجمع ستمائة وثلاثون أسقفا[1]، أشاروا على ديسقورس بتأييد كلام الإمبراطور؛ فرفض فقاموا بتأييد من مرقيان بنفيه وحرمانه إلى أرض مصر[2].

ويعد ذلك المجمع نقطة فارقة في تاريخ الديانة النصرانية؛ لأنه أدى إلى انقسام النصارى إلى قسمين هما: ملكية واليعاقبة[3]، وقد أطلق عليهم ملكية؛ لأنهم اتبعوا رأي ومذهب الملك مرقيان وزوجته[4]، الذي أيد فكرة أن المسيح طبيعتين، ويعاقبة على مذهب ديسقورس بطريرك الاسكندرية[5]، وقيل أنه أطلق عليهم يعاقبة؛ لأن ديسقورس قبل أن يصبح بطريرك كان يسمى يعقوب، وأنه كان يكتب وهو منفي إلى أصحابه: "المنفي يعقوب"، وقيل أن تلميذه كان يسمى يعقوب وكان هو الواسطة في المنفى بينه وبين أصحابه فانتسبوا إليه، وقيل أن يعقوب كان تلميذا لساويرس بطريرك أنطاكية فكان يرسل يعقوب تلميذه إلى النصارى يثبتهم على رأي وأمانة ديسقورس فنسبوا إليه[6].

وقيل أن يعقوب كان كثير العبادة والزهد يلبس البراذع فسمي يعقوب البراذعي وكان يتجول في البلدان ويدعو الناس إلى مذهب ديسقورس فنسب إليه من اتبع رأيه وأطلق عليهم اليعقوبية[7]، وسوف تتحدث الباحثة بالتفصيل عن فِرق النصارى في الفصل الخامس.

أرسل الامبراطور مرقيان بعد مجمع خلقدونية إلى الولاة في جميع أنحاء دولته أن مجمع خلقدونية هو الحق والصواب، وأمر بقتل من يعارض تعليماته وأفكاره[8]، فكان سكان مصر قد اتبعوا مذهب اليعقوبية عكس سائر النصارى ذوي المذهب الملكاني[9]، فتعرضوا للاضطهاد، ثم اشتدت النزعات المذهبية بين الطوائف المسيحية في مصر فشهد كرسي البطريركية نزاعا بين الملكانية واليعاقبة، ولكن اليعاقبة تعرضوا للاضطهاد من قبل الأباطرة البيزنطيين فقد قدم قائد

(1) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ص61؛ تاريخ مختصر الدول، ابن عبري، ج85/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 988.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج64/1؛ تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ص61؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م989،4.

(3) صبح الأعشى، القلقشندي، ج5/ 372.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج64/1.

(5) مروج الذهب، المسعودي، ج359/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 989.

(6) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج180/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م، 989.

(7) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/ص195؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 989.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م4، 989؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج179/2.

(9) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج129/1-130؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 989.

روماني إلى مصر ونفى طيماثاوس بطريرك الإسكندرية؛ لأنه من اليعاقبة ووضع بدلاً منه ساويرس؛ لأنه كان من الملكانية[1]، واستمر تدخل أباطرة الدولة البيزنطية في تعين بطريرك الإسكندرية، وغالباً ما يتم تعين بطريرك على مذهب الإمبراطور البيزنطي الملكاني ويتم عزل اليعاقبة، كما حدث في عهد الإمبراطور يوسطيانوس الذي أرسل القائد أبوليناريوس إلى مصر فارتكب مجزرة بحق النصارى اليعاقبة بمصر، وقتل منهم حوالي مئتي ألف إنسان لدرجة أن الدماء وصلت إلى ركبهم من شدة القتل[2]، وفر من بقي منهم مثل الرهبان إلى الصحاري، وخاصة إلى دير بوهيب، وبنوا الأديرة فيها؛ خوفا من اضطهاد الرومان ولم يتبق لليعاقبة كنائس في مصر؛ لأن الملكية سيطروا عليها[3]، بل لاحقوا اليعاقبة ودمروا دياراتهم، وأصبح مقر اليعقوبية في دير أبو قار[4]، فحرم النصارى من حق ممارسة ديانتهم، ولم يتمتعوا بالحد الأدنى من الحرية الدينية، وأدى ذلك التدخل السافر في الشئون الدينية للنصارى إلى زيادة التوتر بين السكان المصريين والدولة البيزنطية.

تعرضت مصر أثناء الاحتلال البيزنطي للغزو الفارسي 617م[5]، مدة إحدى عشرة سنة (618م – 629م)[6]، والذي لاحق النصارى ودمر كنائسهم، وسبى عددا كبيرا منهم بمساعدة اليهود، فمرت بعض السنوات دون تعيين بطريرك لكرسي الإسكندرية؛ خوفاً من الفرس، فاختفى عدد كبير من النصارى[7]، وفشل البيزنطيون في الدفاع عن الأقباط وصد الاحتلال الفارسي عنهم، فتركوا النصارى في مصر يواجهون لوحدهم ويلات الاحتلال الفارسي[8].

وأثناء الاحتلال الفارسي تمكن اليعاقبة من السيطرة على كرسي البطريركية في الإسكندرية[9]، ولكن سرعان ما قدم الإمبراطور البيزنطي هرقل، وهزم الفرس وطردهم من جميع

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 990.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج200/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 992.

(4) المصدر السابق، م4، 993.

(5) فتح العرب لمصر، بتلر، ص112.

(6) المسيحية في العقود الإسلامية الأولى، تروبو، ص449.

(7) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج219/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 996.

(8), Coptic Christians in Ottoman Egypt (p8). Armanios

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 996.

مملكته ومن ضمنها مصر[1]، وكان النصارى في مصر وقفوا إلى جانب هرقل وجيوشه أثناء معركتهم مع الفرس متناسين ما كان بينهم من خلافات منتظرين لحظة هزيمة الفرس، وقد فرحوا لانتصار هرقل على الفرس، وفي تلك الفترة كان على كرسي البطريركية الإسكندرية بنيامين، لكن سرعان ما اختفت فرحة النصارى بمصر[2]؛ بسبب قيام هرقل بعزل بنيامين ووضع قيرس بطركا ووالياً معاً للإسكندرية، مما دفع بنيامين للهرب من الإسكندرية إلى الصعيد خوفاً من بطشهم[3]، وألقى هرقل القبض على بمينا أخ بنيامين فقتله حرقاً بالنار بعد أن فشل في إلقاء القبض على أخيه لقتله[4]، وبدأ هرقل ونائبه قيرس في مصر باضطهاد اليعاقبة والمضايقة عليهم؛ ليؤمنوا بما جاء به مجمع خلقدونية ومن لم يؤمن يتعرض للتعذيب والتنكيل[5].

في الحقيقة لم تكن هناك ولاية رومانية أكثر شقاء من مصر، التي اضطهد أهلها بسبب معتقداتهم الدينية وأجبروا على اعتناق مذاهب أباطرة بيزنطة، فأصبحت مدينة الإسكندرية مركزا للظلم الروماني لسكان مصر، فقد كثرت وفود الروم وعساكرها التي تنكل بالمصريين الأقباط، وكثرت الفتن والحروب الطائفية، كما أنه أصبح الشغل الشاغل للوالي الروماني في مصر جمع الأموال بأي طريقة من السكان لإرساله لخزينة الدولة البيزنطية[6].

لقد كانت أوضاع نصارى مصر قبيل الفتح الإسلامي في غاية السوء، فقد اشترك قيرس وهرقل امبراطور الروم في اضطهاد المصريين وحصرهم بين خيارين: إما أن يقبلوا مذهب الإمبراطور، وهو ما اتفق عليه في مجمع خلقدونية، أو التعذيب والموت، فقد عانوا من التنكيل مما جعلهم ينظروا إلى الفتح الإسلامي كمخلص لهم من ذلك الاضطهاد، فكانت عنصرية بيزنطة ضد نصارى مصر مقدمة الفتح الإسلامي لمصر[7].

---

(1) الأخبار الطوال، الدينوري، ص106؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج3/ 275؛ تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ - 85- 86؛ زبدة الحلب، ابن العديم، ص13؛ صبح الاعشى، القلقشندي، ج300/5.

(2) الفتح العربي لمصر، بتلر، ص208.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ - 85- 86؛ صبح الاعشى، القلقشندي، ج300/5.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 996.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 86.

(6) فتح العرب لمصر، بتلر، ص47.

(7) المصدر السابق، ص216.

مما سبق يتضح بأن الاباطرة البيزنطيين قبيل الفتح الإسلامي كانوا يتدخلون في الشؤون الداخلية للنصارى في مصر، ويمنعون سكان مصر من ممارسة حقوقهم السياسة، فوالي مصر جاء به هرقل ولم يكن من سكان مصر أو على مذهبهم، وذلك يدل على الاضطهاد السياسي والديني من قبل الدولة البيزنطية للنصارى، والتعامل مع مصر كإحدى المستعمرات التابعة لها، وليست كولاية تعد جزءا منها، فهي لم تشرك نصارى مصر بالحياة السياسية؛ مما جعل المصريين يزداد حنقهم وغضبهم على الدولة البيزنطية والنظر إليها بأنها دولة مستعمرة، ولم تشركهم بالحياة العسكرية أيضاً لأنها كانت حكراً على النصارى الملكية الذين كان جلهم من بيزنطة، والذين أطلق عليهم المقريزي أهل دولة[1]، ورفضت تعينهم في أي مراكز عسكرية وذلك كان دأب بيزنطة في معظم ولاياتها[2].

كما أن الدولة البيزنطية كانت تضع بعض المراكز العسكرية في المدن الكبرى في مصر، وبعض العساكر التي تتواجد في الداخل في خدمتها وتلك لم تكن إلا لحراسة مصالح الدولة البيزنطية وليس لحماية مصالح المصريين؛ لذلك مصر لم تكن متحمسة للانتماء للدولة البيزنطية[3].

ولم يكن لنصارى مصر الأقباط الحق في المشاركة في الحياة السياسية أو العسكرية، لأن الملكية كانوا قد احتكروها، بل كانت أعمالهم مقتصرة على بعض المهن والتجارة والزراعة والفلاحة[4]، ولم تكن مهنة الفلاحة سهلة في تلك الفترة فقد عانى الفلاح المصري من قسوة الجباة، الذين عانوا أيضاً من المساءلة والعقاب في حال عدم الوفاء بالتزاماتهم المالية لبيزنطة؛ مما أدى إلى حدوث مشاكل واضطرابات محلية سرعان ما انعكست على القرى التي أصبح فيها السلب والنهب ظاهرة اجتماعية معتادة[5].

كما تنوعت الضرائب المفروضة على الفلاح المصري في العهد البيزنطي ما بين ضرائب عينية ونقدية وذهبية وفضية، ولم تكن الدولة البيزنطية تحدد قيمة معينة لتلك الضرائب فكان التقدير يترك للإمبراطور الذي يقر ما تحتاجه الدولة ثم يقوم الوالي بتوزيع المقدار على الأقاليم، ويتخذ حكام الأقاليم إجراءاتهم لجمعه، فكانوا يستخدمون الإجراءات القمعية لتحصيلها

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(2) حضارة الإمبراطورية البيزنطية، محمود سعيد عمران، ص257.

(3) ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، إبراهيم بيضون، ص68.

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار، م4، 997.

(5) الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، زبيدة عطا، ص12.

بدافع الجشع والطمع، كما كان يتعين على سكان مصر عند دفع نفقات عينية للدولة دفع نفقات الملاحظين الرومان، وكذلك دفع نفقات الملاحين والمسئولين عن الميزان[1].

من خلال ما سبق يتضح أن نصارى مصر قد عانوا الويلات من الدولة البيزنطية فهي بالنسبة لهم لم تكن إلا استعمار مستبد سخر كل طاقات مصر وخيراتها لصالحه، وأمعن في ظلمهم بشتى الطرق، لذلك كان الفتح الإسلامي لمصر بمثابة نجدة لسكان مصر من الاضطهاد البيزنطي.

(1) الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية، زبيدة عطا، ص66–71.

المبحث الثاني:
الفتح الإسلامي لمصر

أولاً: تاريخ الفتح الإسلامي لمصر

تباينت آراء المؤرخين المسلمين حول تاريخ الفتح الإسلامي لمصر، فذكر بعض من نقل عنهم المقريزي أنها فتحت في سنة ستة عشر[1]، وقد رجح ابن الأثير هذا التاريخ؛ لاعتقاده أن عمرو بن العاص أرسل الطعام من مصر إلى المدينة في عام الرمادة[2]، وهو العام الذي وقعت فيه المجاعة سنة ثمانية عشر للهجرة[3]، ومنهم من قال أن مصر فتحت سنة عشرين[4]، وقيل أنه تم فتحها عام واحد وعشرين[5]، ومنهم من لم يحدد تاريخ واحد لفتحها بل ذكر عدد تواريخ مثل ابن خلدون فقد أورد في كتابه أنها فتحت سنة عشرين أو واحد وعشرين أو اثنين وعشرين أو خمسة وعشرين[6].

وأورد المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار اختلافات المؤرخين حول تاريخ فتح مصر ولكنه رجح أنها فتحت سنة عشرين؛ معللاً ذلك بأن هذا التاريخ هو الأدق والأقرب إلى الحقيقة[7]، وتميل الباحثة إلى رأي المقريزي بأنه تم فتح مصر سنة عشرين؛ لأن هذا التاريخ قد أورده المؤرخون الذين نشأوا بمصر في عهد قريب من الفتح الإسلامي منها أمثال: ابن عبد الحكم الذي نقل عنه غالبية المؤرخين[8].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 10.

(2) الكامل في التاريخ، ج383/2.

(3) الأمم والملوك، الطبري، ج507/2.

(4) تاريخ خليفة، ابن الخياط، ص142؛ فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص93؛ تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج/512؛ كتاب الولاة وكتاب القضاة، الكندي، ص10؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج383/2؛ البداية والنهاية، ابن الكثير، ج111/7.

(5) فتوح البلدان، البلاذري، ص218؛ مرآة الجنان، اليافعي، ج66/1.

(6) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج554/2.

(7) المواعظ والاعتبار، م2، 10.

(8) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص93.

ثانياً: توجه المسلمين لفتح مصر وروايات الفتح الإسلامي لها

اختلف الروايات التاريخية حول توجه المسلمين لفتح مصر فتعددت وتباينت، وقد أورد المقريزي في كتابه تلك الروايات، فمن ضمن تلك الروايات التي أوردها المقريزي: أن عمرو بن العاص استأذن من خليفة المسلمين عمر بن الخطاب أثناء تواجده في الجابية[1]، بأن يسمح له بفتح مصر[2]، ووضح له ضرورة وأهمية فتحها لما فيه من مميزات كثيرة منها: أن مصر بلد حصينة ومنيعة، وسوف تصبح بعد فتحها حصناً للمسلمين تعينهم على صد أعدائهم براً وبحراً، لما تتمتع به من منعة وقوة، كما أنها تعد مركزا اقتصاديا هاما سيمد المسلمين بالمال والغذاء لما فيها من أموال وخيرات كثيرة[3]، وألح عمرو بن العاص على الخليفة بأن يأذن له بفتحها، فوافق الخليفة على طلبه وجهز له أربعة آلاف رجل، واشترط عليه أنه سوف يرسل كتاباً له بعد أن يستخير الله في أمر فتح مصر فإذا وصله الكتاب يحثه على العودة عن مصر قبل دخولها فلينصرف عنها، أما إذا وصله بعد أن يدخلها فليمضي في فتحها، وبعد أن استخار عمر بن الخطاب خشي على المسلمين من فتح مصر فأرسل كتابا يأمرهم بالانصراف عنها، ولكن عمرو بن العاص رفض قراءة كتابه إلا بعد أن وصل إلى منطقة بين رفح والعريش[4]، وحين سأل عمرو عن تلك المنطقة فقيل أنها من أرض مصر، فقرأ الكتاب على المسلمين ومضى إلى فتح مصر[5].

وفي رواية أخرى قيل إن عمرو بن العاص توجه من فلسطين إلى مصر لفتحها هو وأصحابه دون أخذ إذن الخليفة! فأرسل إليه الخليفة عمر بن الخطاب كتاباً أثناء تواجده بالعريش فوجد الخليفة يؤنبه ويعاتبه؛ بسبب توجهه لمصر بعدد قليل والمخاطرة بهم في وقت كانت فيه مصر مليئة بجنود الروم، وطلب منه العودة إن لم يصل مصر[6].

وقيل إنه توجه لفتح مصر دون إذن من الخليفة! وأثناء مسيره كتب إلى الخليفة عمر يستأذنه بفتح مصر، فاشتكاه جنوده إلى الخليفة؛ لأنه قد غرر بهم، فكتب إليه الخليفة

---

(1) الجابية: قرية من قرى دمشق بها تل يسمى تل الجابية، آثار البلاد، القزويني، ص175.

(2) فتوح مصر؛ ابن عبد الحكم، ص64؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج554/2؛ المواعظ الاعتبار، المقريزي، م2، 12.

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص64؛ المواعظ الاعتبار، المقريزي، م2، 12.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص65.

(5) المواعظ الاعتبار، المقريزي، م2، 13.

(6) فتوح البلدان، البلاذري، ص210.

بالانصراف هو وجنوده عن فتح مصر إن لم يدخلها، ولكن كتاب الخليفة وصل إليه وهو في العريش[1].

وقيل أن الخليفة عمر بن الخطاب هو من كتب لعمرو بن العاص بفتح مصر بعد أن أتم فتح بلاد الشام[2]، ولكن عثمان بن عفان عاتب الخليفة عمر على ذلك؛ لأن في فتح عمرو بن العاص مع جنوده القلائل لمصر مخاطرة كبيرة قد يتعرض فيها المسلمين للهلاك، فندم عمر بن الخطاب وكتب إلى عمرو بن العاص يحثه على العودة إن لم يدخل مصر، وإن دخلها فليمضي في فتحها[3].

ومن خلال الروايات التاريخية السابقة المتضاربة حول من بدأ بفكرة فتح مصر، ترى الباحثة بأن فكرة توجه عمرو بن العاص لفتح مصر دون إذن الخليفة فكرة مرفوضة وغير منطقية؛ لأن عمرو لو فعل ذلك فمن المتوقع أن يعزله الخليفة عن قيادة الجيوش؛ بسبب مغامرته الخطيرة بجيش المسلمين، فقد كان عمر بن الخطاب حريصا على مصلحة المسلمين وسلامتهم فلن يسمح لعمرو بالمخاطرة بهم في بلد كبير بحجم مصر، ثم كيف يمكن لقائد عبقري وفذ مثل عمرو بن العاص أن يتصرف دون إذن قائده ويغرر بالمسلمين ويغامر بهم! فهذا الموقف يتناقض مع دهاء وذكاء عمرو بن العاص، ويتناقض مع مواقفه السابقة لفتح مصر واللاحقة له، فقد عرف عن عمرو أنه يستشير الخليفة قبل أن يتصرف بأي أمر، وأنه كان دائم الاستعانة به، والدليل على ذلك أنه عندما طلب منه بعض الصحابة الذين شاركوا بفتح مصر أن يقسم أرض مصر عليهم، فرفض وقال: "لا أقسمها حتى أكتب لأمير المؤمنين"[4]، كما أنه قال للمقوقس أثناء مفاوضته على الجزية: "إن ورائي أميراً لا أستطيع أن أصنع أمرا دونه"[5]، فكيف لعمرو بن العاص الذي يطلب رأي وإذن خليفة المسلمين بقسمة أرض مصر، وبالرجوع إليه في كل صغيرة وكبيرة أثناء مفاوضته مع المقوقس، أن لا يأخذ إذنه ويستشيره في فتح بلد كبير بحجم مصر!

---

(1) فتح مصر، ابن عبد الحكم، ص66؛ المواعظ الاعتبار، المقريزي، م2، 12.

(2) تاريخ خليفة، ابن خياط، ص28؛ فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص66؛ الأمم والملوك، الطبري، ج512/2؛ البداية والنهاية؛ ابن كثير، ج111/7؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 12.

(3) فتح مصر، ابن عبد الحكم، ص66؛ المواعظ الاعتبار، المقريزي، م2، 12.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص96.

(5) الأمم والملوك، الطبري، ج513/2.

أما الرواية التي أمر فيها عمرُ بن الخطاب عمرو بن العاص بفتح مصر ثم ندمه على ذلك رواية ضعيفة، وهي أبعد عن الحقيقة فكيف يأمر الخليفة قائده بفتح بلد ثم يندم على ذلك! فتلك الرواية تظهر عمر بن الخطاب وكأنه خليفة ضعيف الشخصية ومتردد لا يمتلك القدرة على أخذ القرار، ويتأثر بآراء من حوله، وذلك يتناقض مع شخصية عمر بن الخطاب الحازمة التي إذا عزمت على أمر أنجزته، ثم ألم يكن أجدر بالخليفة أن يتشاور هو قادته الذين يتواجدون بالميدان وكبار الصحابة عند الاستعداد لفتح بلد كبير بحجم مصر؟ وأن يعدوا الخطة والعدة لذلك! ثم كيف يتردد الخليفة بفتح مصر بحجة الخوف على جيش المسلمين وهو في عهده تم فتح بلاد الشام وفارس؟[1]، وازدهرت الفتوحات في عهده! ويعلم جيدا بأن قائد الروم والكثير من جنده فروا إلى مصر[2]، وسيشكلون خطرا على المسلمين في مصر؛ لذلك فإن هذه الرواية لا تتوافق مع المنطق وطبيعة الفتوحات زمن عمر بن الخطاب ولا تتوافق مع طبيعة شخصية عمر بن الخطاب، والذي عرف عنه أنه لا ينطق إلا بالحق[3].

ورأى بعض الباحثين المعاصرين في التاريخ الإسلامي بأن فكرة فتح مصر أثيرت لأول مرة أثناء تواجد عمر بن الخطاب في الجابية عام 17هـ، وكانت من قبل القائد عمرو بن العاص[4]، ولكن بعض الباحثين كان لهم رأي مخالف ورأوا بأن فكرة فتح مصر تمت باتفاق تم بين الخليفة عمر بن الخطاب وقائده عمرو بن العاص، ورفضوا فكرة أن عمر هو من عرض على الخليفة فتح مصر[5].

ويتضح مما سبق بأن الرواية الأولى التي يعرض فيها عمرو بن العاص على الخليفة عمر فتح مصر كما وردت عن ابن الحكم هي أقرب إلى الصواب وأدق، ولا تتعارض مع طبيعة القائد العبقري عمرو بن العاص ولا شخصية الخليفة عمر بن الخطاب، فعندما "قدم عمر رضي الله عنه الجابية خلا به عمرو بن العاص فاستأذنه في المسير إلى مصر ..."[6]، ففي تلك الرواية لم يفرض عمرو بن العاص على الخليفة رأيه في فتح مصر بل استأذن منه أولاً، وخلا به كي يتناقش مع الخليفة موضوع فتح مصر؛ لأنه رأى بأن ذلك الوقت مناسب لفتحها،

---

(1) فتوح البلدان، البلاذري، ص256؛ البدء والتاريخ، المقدسي، ج183/5.

(2) الأمم والملوك، الطبري، ج451/2.

(3) فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، ج358/1.

(4) سالم، السيد، تاريخ الدولة العربية (ص216).

(5) السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، عبد اللطيف، ص223.

(6) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص60.

فعمر بن العاص قد لامس هزيمة الروم وتراجعهم بنفسه أثناء حروبه معهم، وشاهد أثناء فتح القدس هرب قائد الروم ومن معه إلى مصر [1].

كما أدرك عمرو بن العاص بأن قائد الروم بعد فراره لن يقبل بالهزيمة التي مزقت الإمبراطورية البيزنطية، بل سيقوم بإعادة تنظيم صفوف من تبقى من جيشه وحشدهم من جديد في مصر، بالإضافة إلى أن الروم المتواجدين بمصر سيشكلون خطراً من جديد على الدولة الإسلامية الناشئة، بالإضافة إلى هجماتهم المتكررة على المسلمين وخصوصاً المناطق الساحلية من بلاد الشام فيقتلون من المسلمين ويسبون عددا منهم ويفرون بحرا[2].

كما أن مصر كان من السهل أن تصلها الإمدادات من الإمبراطورية البيزنطية بحراً وخصوصا إلى مدينتهم العظيمة ومركزهم في مصر الإسكندرية، كما أنه لا يغيب عن عبقرية عمرو بن العاص بأن الجيوش المهزومة تحتاج لوقت طويل كي تنهض وتقاوم الجيوش المنتصرة؛ لذلك فإن سرعة مهاجمتها وتتبعها تجعل القضاء عليها أمر سهل[3]، بالإضافة إلى أن مصر مجاورة لبلاد الشام ووجود الروم فيها يشكل خطرا دائما على تواجد المسلمين بالشام؛ لذلك رأى عمرو بن العاص ضرورة وأهمية فتح مصر في ذلك التوقيت المناسب لتأمين الشام، هذا بالإضافة إلى أن عمرو بن العاص دخل مصر في الجاهلية للتجارة وكان على علم بمدنها وطرقها وبكثرة خيراتها وأموالها[4].

تلك الأسباب كانت كفيلة بأن يقرر القائد عمرو والخليفة عمر بن الخطاب ضرورة توجه الجيوش الإسلامية إلى مصر.

ثالثاً: فتح حصن بابليون

توجهت جيوش المسلمين إلى مصر بقيادة عمرو بن العاص الذي تمكن من فتح العريش، ثم توجه إلى الفرما ودارت حرب بينه وبين الروم عندها قرابة شهر ثم فتحها، وثم نزل بالقواصر[5]، ثم دار قتال شديد بين المسلمين والروم عند أم دنين[6]، وطلب عمرو بن العاص

---

(1) الأمم والملوك، الطبري، ج451/2.

(2) فتوح الشام، الواقدي، ج2/ 68.

(3) الفتح الإسلامي لمصر، منير الدوماني، ص75.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص60–61.

(5) القواصر: مكان بين الفرما والفسطاط نزل فيه عمر وبن العاص أثناء توجهه لفتح مصر، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج411/4.

(6) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص 68؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 13.

الإمدادات من الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك يدل على شدة القتال والمقاومة عند أم دنين، لذلك احتاج عمرو بن العاص إلى إمدادات، فأمده بأربعة آلاف وقيل باثني عشر ألفا عليهم كبار القادة المسلمين وهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد والمقداد بن الأسود[1]، ثم حاصر المسلمون حصن بابليون وكان على رأس الروم في الحصن المقوقس[2].

ودار قتال بين المسلمين والروم حول الحصن واستمر حصار المسلمين للحصن وقتالهم حوله سبعة أشهر، وبعدها قرر الزبير بن العوام أن يضحى بنفسه من أجل المسلمين، وأن يدبر خطة يخدع بها من في الحصن لاقتحامه، وأمر المسلمين إذا سمعوه يكبر يلحقوا به[3]، فكان أول من صعد إلى الحصن[4]، فكبّرَ وكبّرَ المسلمون معه فكانت خطة من الزبير حتى يربك من في الحصن فيظنوا أن العرب قد فتحوا الحصن، وبالفعل نجحت حيلة الزبير في خداع من في الحصن ففرو منه، فتوجه الزبير إلى باب الحصن ففتحه ودخله المسلمون[5]، فخشي المقوقس على نفسه ومن معه من رعيته فطلب الصلح من عمرو بن العاص فوافق عمر، وقيل عندما حاصر المسلمون حصن بابليون كان يوجد به جماعة من كبار القبط وزعيمهم المقوقس فقاتلوا المسلمين شهرا ثم هرب المقوقس ومن معه من كبار القبط إلى الجزيرة التي تسمى جزيرة الروضة وقطعوا الجسر على المسلمين[6]، ثم أرسل المقوقس لعمرو بن العاص يخوفهم بالروم وبعددهم وعدتهم، فأبطأ عمرو بن العاص رسل المقوقس ليروا وضع المسلمين، وكتب إليه عمرو بن العاص أنه يخيره واحدة من ثلاث: إما الجزية أو الحرب أو الإسلام[7]، فطلب المقوقس من عمرو بن العاص أن يرسل له وفداً ليتفاوض معهم فأرسل له عمرو بن العاص عشرة رجالا كان على رأسهم عبادة بن الصامت، الذي دار حوار بينه وبين المقوقس وحاول المقوقس في حواره إخافة المسلمين وتهديدهم بجيش الروم، فعرض عليهم العودة إلى ديارهم مقابل مبلغ من المال: ديناران لكل رجل، ومائة للقائد عمرو بن العاص وألف لخليفة المسلمين عمر بن الخطاب، لكن دون جدوى فقد أصر المسلمون على موقفهم في أن يختار واحدة من

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 13.

(2) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص72.

(3) المصدر السابق، ص72.

(4) تاريخ خليفة، ابن خياط، ص143.

(5) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص73.

(6) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص74؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج10/1.

(7) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص74؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج10/1.

ثلاث: الجزية أو الحرب أو الإسلام[1]، وحينها أدرك المقوقس بأن النصر للمسلمين، ولا فائدة من قتالهم فعرض على قومه بقبول الجزية لكنهم في البداية رفضوا وأصروا على القتال، فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم فأرسل المقوقس إلى المسلمين يريد دفع الجزية[2].

وحدث الصلح بين المسلمين بقيادة عمرو بن العاص وبين الأقباط والمقوقس على أن يدفع كل رجل بالغ من القبط دينارين جزية ويعفى من ذلك الأطفال والشيوخ والنساء، وأن لا يعتدي أحد من المسلمين على أموالهم أو أنفسهم أو نسائهم وأن يكرم القبط المسلمين إذا نزلوا عليهم ثلاث أيام فكانت وتلك الشروط كانت ملزمة للقبط [3]، لكن الروم في نواحي مصر والإسكندرية كان لهم الخيار في ذلك، إما أن يقبلوا الصلح ويدفعوا الجزية حتى يكتب إلى ملك الروم، ويستشيره في أمر الصلح، أو أن يرفضوا ويعودوا إلى أرض الروم، وذلك يدل على رفض الروم للصلح مع المسلمين ومعارضتهم له، أما الأقباط فقد وافقوا المقوقس على الصلح لذلك عقد الصلح عنه وعن الأقباط، وكتب المقوقس إلى ملك الروم يخبره عما صالح عليه المسلمين، فغضب ملك الروم وحقّر عمله ورأيه واتهمه بالعجز والضعف والجبن، وطالبه بقتال المسلمين فرفض المقوقس وأصر على أن يتم الصلح مع المسلمين وتبرأ من الروم وأخبر المسلمين بأن سلطانه وحكمه على نفسه والأقباط ولا سلطان له على الروم[4].

رابعاً: فتح الإسكندرية:

دانت معظم مصر للمسلمين بقيادة عمرو بن العاص بعد فتح حصن بابليون ومصالحة سكانها على دفع الجزية، ولم يتبق للمسلمين في مصر إلا فتح الإسكندرية بعد أن تمكن عمرو بن العاص من فتح القرى التي تقع بين الحصن وبين الإسكندرية، مثل بلهيب[5]، مربوط وكوم شريك وسلطيس وسبوا بعضا من أهلها، كما أن الأقباط أعلنوا عن استعدادهم للوقوف إلى جانب المسلمين ومساعدتهم في فتح الإسكندرية[6]، فأصبحت الفرصة مهيأة لفتح الإسكندرية

(1) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص78؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج15/1.

(2) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص79-80؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج16/1.

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص81؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج17/1.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص82-83؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 21-22.

(5) الأمم والملوك، الطبري، ج512/2.

(6) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص84؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 442.

ولم يتبق للقائد عمرو إلا أن يستأذن من الخليفة في فتحها، فكتب إلى الخليفة عمر يستأذنه في فتح مدينة الإسكندرية فأذن له[1].

توجه عمرو بن العاص بجيوش المسلمين إلى الإسكندرية يساندهم قادة الأقباط ويزودونهم بالعدة والطعام، فحاصروها ثلاثة أشهر[2]، فطلب منه المقوقس أن يصالحه على دفع الجزية كما صالح الأقباط من قبل؛ بشرط أن يكون لروم حرية البقاء أو الرحيل عنها، فلما وصل خبر ما صنعه المقوقس من صلح مع المسلمين؛ غضب ملك الروم منه واستنكر ما فعله[3]، وأصر على قتال المسلمين وأرسل الجيوش والأساطيل الحربية المزودة بالآلات الحربية المتطورة، والتجهيزات والعتاد اللازم للحرب، لتساند الإسكندرية في قتال المسلمين[4]، وكانت مدينة الإسكندرية ذات حصون منيعة وقوية، ولم يكتف بذلك بل تجهز ملك الروم هرقل للذهاب إلى الإسكندرية ليباشر قتال المسلمين بنفسه؛ لكنه توفي في سنة 19هـ/640م قبل أن يصلها، وبوفاته تشتت كلمة الروم وعاد كثير منهم إلى بلاد الروم دون وصولهم إلى الإسكندرية[5]، فتشجع العرب في تلك الظروف المناسبة على اقتحام الإسكندرية وفتحها، ووقع قتال شديد بينهم، ودارت حرب شرسة حوصر واحتجز من خلالها عمرو بن العاص وثلاثة آخرين في إحدى حصون الروم، فاشترط الروم عليه _دون أن يعلموا أن قائد المسلمين متواجد من ضمنهم_ أن يخضعوا للمبارزة، فإنْ غلب الرومُ المبارزَ منهم أصبحوا أسرى لهم، وإن تمكن عمرو ومن معه من المحاصرين من غلبة المبارز من الروم أطلقوا سراحهم، فتمكن المسلمين من قتل الرومي في المبارزة، فأوفى الروم بعهدهم، وأطلقوا سراحهم[6].

إن الحرب في الإسكندرية كانت عنيفة وشرسة وواجه المسلمون خلاها مقاومة شديدة من قبل الروم، لدرجة أن الخليفة عمر بن الخطاب استبطأ جيش المسلمين، فأرسل الخليفة عمر بن الخطاب رسالة إلى عمرو بن العاص يحثه على الإسراع في فتح الإسكندرية، وحث الناس وتشجيعهم على الجهاد، ففعل عمرو بن العاص ما أمره به الخليفة فتمكن المسلمون من فتح

---

(1) فتوح البلدان، البلاذري، ص217.

(2) كتاب الولاة، الكندي، ص11.

(3) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج319/2.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص84؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 442.

(5) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص88؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 444.

(6) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص101- 102؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 446.

الإسكندرية عام 20هـ/ 640م [1]، وبعد فتحها طالب المسلمون عمرو بن العاص بتقسيم أرضها عليهم فرفض ذلك حتى يأخذ رأي الخليفة، فأمره عمر بن الخطاب أن لا يتقاسموها وأن تكون خراجا للمسلمين، وكانت ثلاث قرى قد وقفت مع الروم ضد المسلمين وهي بلهيب وخيس سلطيس فسبوا أهلها وبعد فتح الإسكندرية أمر الخليفة برد السبايا، وأصبحوا أهل ذمة[2].

وقيل أن قائد الإسكندرية طلب من المسلمين مصالحتهم على دفع الجزية؛ بشرط رد السبايا فبعث عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب فوافق الخليفة على أن يدفعوا الجزية[3]، شرط أن يترك الخيار للسبايا للاختيار ما بين الإسلام أو البقاء على دين النصرانية[4]، فأما من تفرق من سبايا الروم في أرض المسلمين فهم لا يستطيعون رده، فبالتالي لا يستطيعون أن يصالحوا الروم على أمر لا يستطيعون الوفاء به[5].

ترى الباحثة بأن روايات فتح المسلمين للإسكندرية في كتاب الطبري، لا تتناقض مع روايات ابن عبد الحكم في فتح الإسكندرية عند ابن الحكم، بل كل منها مكمل للآخر، لكن ابن عبد الحكم كان أكثر تفصيلا في سرد فتح مصر والإسكندرية وقد اعتمد المقريزي على كتاب ابن عبد الحكم في نقل روايات فتح مصر والإسكندرية، وتبنى رؤيته في الفتح.

---

(1) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص103؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، م1، 447.

(2) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص106 –107؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، م1، 450–451.

(3) الأمم والملوك، الطبري، ج513/2.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص107؛ الأمم والملوك، الطبري، ج513/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 450.

(5) الأمم والملوك، الطبري، ج513/2.

المبحث الثالث:
موقف المسلمين من النصارى في مصر

وضعت الشريعة الإسلامية مجموعة من القوانين والأنظمة التي شرعها القرآن والسنة النبوية لتنظيم العلاقة بين المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى من البلاد المفتوحة، فموقف المسلمين من النصارى في مصر لم يكن وليد لحظة الفتح الإسلامي، بل كان له خليفة تاريخية منذ فجر الإسلام أي منذ عهد الرسول ﷺ، فالنصارى قد ذكروا في آيات القرآن وأحاديث الرسول التي تمتدحهم وتشير إلى أنهم أقرب الناس إلى المسلمين فقد قال الله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ (1).

فنصارى مصر وخاصة النصارى الأقباط الذين يعدون السكان الأصليين لمصر قد ذكروا في أحاديث الرسول ﷺ التي تمتدحهم وتحث المسلمين على الإحسان إليهم، كما تنبأ الرسول ﷺ بفتح مصر وأرشد المسلمين إلى معاملتهم معاملة حسنة حيث قال ﷺ: "إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا"(2)، كما أوصى الرسول ﷺ بهم عند وفاته مبيناً أنهم سيصبحون عونا للمسلمين فقال ﷺ: "الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة، وأعوانا في سبيل الله"(3)، كما قال الرسول ﷺ "إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض..."(4)، كما قال في أقباط مصر: "قبط مصر، فإنهم أخوال وأصهار، وهم أعوانكم على عدوّكم، وأعوانكم على دينكم" قالوا: كيف يكونون أعواننا على ديننا يا رسول الله؟ قال: يكفونكم أعمال الدنيا وتتفرّغون للعبادة"(5)، وقال أيضاً: "لو بقي إبراهيم ما تركت قبطيّا إلّا وضعت عنه الجزية"(6).

---

(1) المائدة: 82.

(2) المعجم الكبير، الطبراني، ج61/19.

(3) المصدر السابق، ج265/23.

(4) المؤتلف والمختلف، الدارقطني، ج1004/2؛ امتاع الإسماع، المقريزي، ج185/14.

(5) فتوح مصر المغرب، ابن عبد الحكم، ص22؛ الحاوي، الماوردي، ج309/18؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 65؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج13/1.

(6) فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، ص 74؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 81؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج102/1.

أولاً: العهدة النبوية لرهبان دير سانت كاترين

أشار المقريزي في كتابه (القول الإبريزي) ما يسمى بالعهد الشريف، العهد الذي منحه النبي محمد ﷺ لرهبان دير سانت كاترين في سيناء[1]، ذلك الدير الذي يسكنه رهبان الروم الأرثوذكس[2]، ولم يذكر ذلك العهد في كتابه المواعظ والاعتبار، لكن الباحثة اضطرت لذكره عند الحديث عن موقف المسلمين من النصارى لما له من أهمية كبيرة في فهم العلاقة بين المسلمين والنصارى، والأسس التي بنيت عليها منذ فجر الإسلام.

يعد ذلك العهد بمثابة وثيقة يحتفظ بها رهبان الدير[3]، حيث يدعي الرهبان بأن ذلك العهد كتبه لهم النبي محمد ﷺ، وكانت نسخته الأصلية موجودة في الدير إلى أن جاء السلطان سليم الأول إلى مصر عام923هـ/ 1517م فأخذ الأصل ومنحهم نسخة عنه مع ترجمتها بالتركية[4].

ومنحهم النبي ﷺ بموجب ذلك العهد الأمان على أنفسهم وكنائسهم وأموالهم، ولا يجبرهم على الدخول في الإسلام، ويتعهد بحمايتهم، ولا تأخذ منهم جزية، ولا يشاركون في حروب[5]، وعلى الرغم من أن تلك الوثيقة تتفق مع روح الإسلام وتعاليمه ومبادئه، إلا أن الباحثة لم تجد تلك الوثيقة في أي مصدر من مصادر التاريخ الإسلامي أو النصراني إلا في كتاب المقريزي، فقد خلت المصادر التاريخية من وجود أي أثر لتلك الوثيقة.

وقد اختلف الباحثون المعاصرون حول صحة تلك الوثيقة، فقد رأت الباحثة الدكتورة سيدة كاشف أنها لا تستبعد صحة تلك الوثيقة لأنها تتفق مع مبادئ الدين الإسلامي ولا تتناقض مع ما جاء به القرآن، وأن هذا العهد حسب مخطوطات الدير يعود تاريخيه للسنة 9هـ/630م، متوقعة بأن يكون الرسول قد دعاهم إلى الإسلام قبل ذلك بسنتين[6]، وبينما رأى الباحث حسن محمد قاسم بأن تلك العهدة مجرد خرافة وهي مزورة ولا أساس لها من الصحة، وأن الرهبان هم من ابتدعوها؛ لحماية أنفسهم من الظلم والاضطهاد مدعما قوله بالحجج التالية:

---

(1) القول الإبريزي، المقريزي، ص6-7.

(2) الموسوعة العربية الميسرة، إبراهيم مذكور، وآخرون، ص1570.

(3) القول الإبريزي، المقريزي، ص6-7.

(4) تاريخ سيناء القديم والحديث، شقير، ص220.

(5) القول الإبريزي، المقريزي، ص6-7.

(6) مصر الإسلامية وأهل الذمة، كاشف، ص22-23.

كتبت العهدة بلغة تختلف عن لغة عصر الرسولﷺ، كما أنها مؤرخة في السنة الثانية للهجرة 2هـ/623م، ولم يؤرخ للهجرة إلا في السنة الثانية عشر للهجرة 12هـ/ 633م بعد موت الرسول بسبع سنوات، كما أن بعض شهود تلك العهدة لم يكونوا قد أسلموا في السنة الثانية للهجرة، كأبي هريرة وأبي الدرداء بالإضافة إلى أن مؤرخي الإسلام الذين جمعوا كل ما يتعلق بالنبي لم يذكروها في كتبهم، كما ذكرت العهدة أسماء غير معروفة في أسفلها مع أسماء الصحابة المشهورة[1].

لكن الباحث نعوم بك شقير قد دحض تلك الأدلة ورد عليها بقوله أن الرهبان لم يدعوا بأن تلك العهدة هي نسخة أصلية أو صورة عنها بل هي منحت لهم بعد أخذ العهد منهم، كما أن السنة الثانية للهجرة ليست التاريخ الأصلي للعهدة، بل التاريخ يعود للسنة الثامنة للهجرة وأن من نسخوا تلك العهدة هم من حرفوها لاختلاف لغتهم أو جهلهم بالعربية، كما أن غياب الوثيقة في المصادر الإسلامية لا يعني عدم صحتها؛ لأنه من الصعب على المؤرخين أن يجمعوا كل ما يتعلق بالنبي محمد ﷺ، فالأسباب السابقة لا تنفي صحتها ومن المتوقع أن النبي قد منحهم عهداً أخذه منهم أحد السلاطين وعوضهم بدلا منه عهداً بروح العهد النبوي الذي منح لهم[2].

وبعد الجدل الذي أثارته تلك الوثيقة تم الوصل بأن تلك الوثيقة قد تكون أقرب إلى كونها حقيقية وغير مزورة وأن الاختلاف حولها يتركز حول صيغة الوثيقة والعام الذي صدرت فيه، لا على جوهر الوثيقة نفسها، وأتوقع أنها تمت في السنة التاسعة للهجرة والدليل على ذلك أن ياقوت الحموي قد ذكر في كتابه أن طور سيناء في مصر فتح صلحا زمن النبي ﷺ في السنة التاسعة للهجرة[3]، ويقصد بطور سيناء دير سانت كاترين الذي كان يطلق عليه قديما دير طور سيناء[4]، كما أورد الحميري أن هناك دير يقع في منطقة طور سيناء[5]، ويقصد بهذا الدير: دير سانت كاترين، والذي يقع قرب أيلة[6].

وأيلة والمناطق التي حولها وصلت إليها بعثات النبي ﷺ التي أرسلها للملوك والأمراء وشتى الأماكن للدعوة إلى الإسلام حيث وصل الرسل سكان أيلة، وإلى اليهود بمنطقة مقنا قرب

---

(1) موسوعة أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام، عطية، ج541/6.

(2) تاريخ سيناء القديم والحديث، شقير، ص499.

(3) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج48/4.

(4) تاريخ سيناء القديم والحديث، شقير، ص205؛ سيناء ملتقى الأديان والحضارات، ريحان، ص39– 42.

(5) الروض المعطار، الحميري، ص398.

(6) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج48/4؛ خريدة العجائب، الوردي، ص287.

آيلة[1]، وذكرت بعض المصادر التاريخية أن أمير منطقة أيلة هو من جاء إلى النبي ﷺ وهو بتبوك فصالحه النبي، وكذلك جاء إليه أهل جرباء وأذرح وأن النبي ﷺ كتب لهم كتاب صلح وهو عندهم[2]، وسواء أرسل النبي ﷺ الرسل إلى أمراء وملوك تلك المناطق أو جاء أمراءها إلى النبي، فمعظم تلك المناطق قريبة من دير سانت كاترين، ويبدو أن رهبان ذلك الدير قد جاءوا إلى النبي كما جاء أصحاب المناطق المجاورة لهم مثل أيلة وجرباء ومقنا لأن الدير قريب جداً من أيلة كما ذكر الحميري فهو على بعد يوم وليلة من الدير[3]، فلا يعقل أن مبعوثين النبي قد تجاهلوا تلك المنطقة المقدسة من الدعوة إلى الإسلام، وليس من المنطق أن يتجاهل رهبان الدير الصلح الذي عقده الرسول ﷺ مع المناطق المجاورة لهم، فمن المتوقع أنهم توجهوا للنبي ﷺ وأخذوا منه عهدا بالصلح وهذا ما ذكره ياقوت الحموي في كتابه[4].

كما أن ابن سعد أثناء حديثه عن بعثات النبي ﷺ للملوك ذكر أن النبي بعث للأسقف ضغاطر[5]، وهو رجل دين لم تحدد مصادر التاريخ ما هي المنطقة التي يتواجد فيها أو ما هو مركزه الديني الذي يتولاه بالتحديد، لكن ذلك يدل على أن الرسول ﷺ اهتم برجال الدين النصارى وبدعوتهم للإسلام وأرسل لهم الكتب، فمن المتوقع أن يكون النبي قد أرسل لرهبان دير سانت كاترين عهداً يتشابه مضمونه مع العهد الذي يتواجد عندهم، ويتشابه مع العهود التي صالح أهل أذرح وجرباء ومقنا[6]، وخاصة أن تلك المنطقة يقدسها اليهود والنصارى ووردت في الكتاب المقدس عنهم، حيث ورد في سفر الخروج: "وَحَلَّ مَجْدُ الرَّبِّ عَلَى جَبَلِ سِينَاءَ، وَغَطَّاهُ السَّحَابُ سِتَّةَ أَيَّامٍ وَفِي الْيَوْمِ السَّابعِ دُعِيَ مُوسَى مِنْ وَسَطِ السَّحَابِ"[7].

فالمسلمون أولى بها وبهداية من فيها وخاصة أنه ورد ذكرها في القرآن في أكثر من موضع، ومن الآيات التي ذكر فيها موضع **الطول قوله تعالى: (وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ**

---

(1) فتوح البلدان، البلاذري، ص67؛ الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج264/1.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، ج525/2؛ الأمم والملوك، الطبري، ج185/2.

(3) الروض المعطار، الحميري، ص398.

(4) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج48/4.

(5) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج264/1.

(6) السيرة النبوية، ابن هشام، ج525/2؛ الأمم والملوك، الطبري، ج185/2.

(7) الكتاب المقدس، سفر الخروج ، الإصحاح 24 :16 .

سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِلْآكِلِينَ﴾[1]، وقوله تعالى: **﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾** [2].

ورجح نعوم شقير أن ذلك العهد النبوي صحيح لعدة أسباب منها: أن الدير _طور سيناء_ هو في طريق العرب نحو مصر فمن مصلحة المسلمين تأمين الطريق على مصر، كما أن النبي ﷺ حبب النسك فكان يميل إلى الرهبان وذلك ما أيده القرآن فقد قال الله تعالى: **﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾** [3]، كما أنه لا يعقل لقوم مستضعفين في وسط الصحراء أن يقولوا على الرسول ما لا يقوله ويبتدعوا ذلك، ولو فعلوا ذلك لتصدى لهم خلفاء المسلمين وحاسبوهم على اختلاقهم الأكاذيب بحق الرسول ﷺ، لكن الخلفاء المسلمين على العكس أحسنوا إليهم وحافظوا على العهد النبوي الذي مُنح لهم[4].

ثانياً: موقف المسلمين من النصارى إبان الفتح الإسلامي لمصر

فتح المسلمون مصر بقيادة عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب عام (20 هـ/640م)[5]، وعندما دخل المسلمون مصر كان السواد الأعظم من سكانها يعتنقون الديانة النصرانية، وأولئك النصارى كانوا منقسمين إلى قسمين: الملكية، وجلهم من الروم وهم الهيئة الحاكمة في مصر، ومذهبهم على مذهب امبراطور الروم، واليعاقبة وهم الأقباط[6] وهم عامة سكان مصر الأصليين[7]، وعندما تمكن عمرو بن العاص من فتح مصر وهزيمة الروم فيها، التزم بمبادئ وتعاليم الشريعة الإسلامية في معاملة سكان البلاد المفتوحة معاملة حسنة، والتزم بما كان يوصيهم الرسول ﷺ به قبل التوجه لفتح أي بلد، فقدم الرسول لهم مجموعة من

---

(1) المؤمنين: 20.

(2) مريم: 51- 52.

(3) المائدة:82.

(4) تاريخ سيناء القديم والحديث، شقير، ص500 -503.

(5) تاريخ خليفة، ابن خياط، ص142؛ فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص93 ؛ تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج512/2؛ كتاب الولاة، الكندي،ص10؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج383/2؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج111/7.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(7) تهذيب اللغة، الهروي، ج23/9؛ الصحاح، الفارابي، ج1150/3.

الوصايا فكان يقول ﷺ: "... اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً..."[(1)]، وقال الرسول ﷺ: "انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله، ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا ولا صغيرا ولا امرأة، ولا تغلوا، وضموا غنائمكم، وأصلحوا وأحسنوا إن الله يحب المحسنين"[(2)].

فضلا عن الأحاديث التي كانت توصيهم بالأقباط التي ذكرناها سابقاً، فكانت تلك الأحاديث وغيرها الكثير بمثابة البوصلة والقاعدة التي يسير عليها الخلفاء والقادة عند توجههم لفتح أي بلد، وخير دليل على ذلك ما فعله الخليفة عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس حيث منح سكانها العهدة العمرية والتي تمثلت بمنحهم الأمان على انفسهم وأبنائهم ونسائهم وكنائسهم ودينهم وأموالهم[(3)].

فعند توجه عمرو بن العاص إلى مصر سار على نهج النبي ﷺ وخيّر سكانها بين ثلاثة خيارات: إما الدخول في الإسلام، أو الجزية، أو الحرب[(4)]، فمن دخل الإسلام يعامل معاملة المسلمين، له مالهم من الحقوق والواجبات، أما من كان يرغب في البقاء على دينه فتُفرض عليه جزيةٌ صغيرة مقدار دينارين في العام، ويترك له كامل الحرية لممارسة عقيدته الدينية، وقد اختار سكان مصر الأقباط دفع الجزية منذ البداية، والتي لم تكن كثيرة مقارنة بالعهد البيزنطي، فقد فرض على كل رجل بلغ الحلم دينارين ويعفى منها الأطفال والنساء والشيوخ، والمرضي والمعاقين[(5)].

وقد اختلف المؤرخون المسلمون حول فتح مصر إذا كانت فتحت عنوة أو صلحاً، وبغض النظر عن الطريقة التي فتحت بها مصر فإن عمرو بن العاص عندما فتحها تعامل مع النصارى المتواجدين فيها من منطلق الشريعة الإسلامية فمنحهم عهدا بالأمان مشابها للعهدة العمرية، ولم يرد ذلك العهد في كتاب المقريزي وربما يعود ذلك إلى اقتناع المقريزي بأن مصر فتحت عنوة فلا عهد لهم، أو ربما لأن المقريزي اعتمد على ابن الحكم في سرد روايات فتح مصر.

---

(1) صحيح مسلم، مسلم، تأمير الإمام الأمراء ووصيته إياهم بآداب الغزو، 3/ 1357: رقم الحديث 1731.

(2) سنن أبي دواد، أبي داود، باب في دعاء المشركين، 3/ 38: رقم الحديث 2614.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج17/2؛ الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج449/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 998.

(4) فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، ص87؛ نهاية الأرب، النويري، ج2291/19؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 18.

(5) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص81؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 21.

وابن عبد الحكم لم يذكر في كتابه ذلك العهد فلم يتطرق له المقريزي، لكن ذلك العهد ورد في مصادر أخرى للتاريخ الإسلامي، مثل: الطبري وينص على: "هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ..."[1]، فمنحهم الأمن على أنفسهم وأموالهم وأرضهم وكنائسهم، كما أوصى عمرو بن العاص جنوده بحسن معاملة الأقباط في إحدى الخطب التي ألقاها فقال لهم: "... واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا".[2]

كما أن عمرو بن العاص بعد فتح حصن بابليون أطلق سراح النصارى الأقباط الأرثوذكس الذين سجنوا وعذبوا ونكل بهم وقطعت أيديهم على أيدي الروم، فكانوا أرحم بهم من الروم النصارى الذين كانوا مثلهم[3]، وقد ذكرت المصادر التاريخية العديد من المواقف والشهادات التي تدل على حسن تعامل المسلمين مع النصارى، والتزام عمرو بن العاص بالعهد الذي منحهم إياه، وبمبادئ الإسلام.

1- عمرو بن العاص وأرمانوسة بنت المقوقس:

عندما فتح عمرو بن العاص بلبيس وجد فيها أرمانوسة ابنة المقوقس، وقد خُطبت لقسطنطين ابن هرقل، فجهزها والدها بأموالها وخدمها وأرسلها إلى بلبيس، وحين وجدها عمرو بن العاص في الحصن أثناء دخول المسلمين، تعامل معها بأخلاق المسلمين وشهامتهم، فهو لم ينس هدية أبيها المقوقس للرسول ﷺ واحترامه وتقديره لنبي الإسلام، فأخبر الصحابة بضرورة معاملتها معاملة حسنة مذكراً إياهم بقوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ**﴾[4]، وقول الرسول ﷺ: "ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر"[5]؛ لذلك قرر أن يرد جميل المقوقس نيابة عن النبي ﷺويكافئه على هديته للرسول، وخصوصا أن الرسول قد أوصاهم بنصارى مصر فاستحسن الصحابة راجحة عقله وحسن معاملته ووافقوه على رأيه[6]، فأرسل ابنة المقوقس

(1) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

(2) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص167؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 47؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج73/1؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج154/1.

(3) تاريخ مصر، يوحنا النقيوسي، ص204.

(4) الرحمن: 60.

(5) الحاوي الكبير، الماوردي، ج80/14؛ جامع بيان، القرطبي، ج523/1.

(6) فتوح البلدان، البلاذري، ج2 /44.

بأموالها وكل ما معها من خدم معززة مكرمة مع الصحابي قيس بن سعد إلى والدها، فأسعده تصرف المسلمين[1]، وذلك يدل على حسن تصرف عمرو بن العاص وأخلاقه التي اكتسبها من مبادئ الاسلام، فهو لم يتخذها جارية أو سباها كما كان معتاد في ذلك الوقت وفي عهد الرومان، ولم يتخذها رهينة ليفاوض عليها، بل أرسلها معززة مكرمة إلى أبيها مع صحابي جليل.

2- موقف عمرو بن العاص من رهبان وادي النطرون:

شهادة أخرى توضح موقف المسلمين من النصارى، وحسن معاملتهم ورقي أخلاقهم برزت هذه المرة أثناء عودة عمرو بن العاص من الإسكندرية، حيث خرج له سبعون ألف راهب من دير وادي النطرون، يحمل كل واحد منهم عكازه! والتقوا به في المطرانة يطلبون منه الأمان على أنفسهم وعلى أديرتهم، فمنحهم الأمان على أنفسهم ودور عبادتهم، وبقي ذلك العهد في حوزتهم، ولم يكتف بعهد الأمان هذا بل منحهم وقفا وأعطاهم وكالة الأراضي التي توجد في الوجه البحري فبقيت لهم، وكانوا يعتاشوا منها، ويجنوا من تلك الأراضي الكثير من المحاصيل التي وصل عددها في إحدى السنوات إلى خمسة آلاف أردب[2].

ويبدو أن عدد الرهبان السبعين ألفاً الذين ذكرهم المقريزي عدد مبالغ فيه، فقد شكك بعض الباحثين فيها أمثال سيدة كاشف[3]، وعمر طوسون[4]، فهو يتناقض مع الروايات والأحداث التاريخية، فقد ذكر المقريزي بأن بوادي النطرون مائة دير للنصارى[5]، فلا يعقل أن يعيش في الدير الواحد سبعمائة راهب !! فمساحته لا تتسع لذلك، كما ذكر ساويرس ابن المقفع المؤرخ النصراني أنه قبيل الفتح الإسلامي بسنوات قليلة هرب بطريرك الإسكندرية بنيامين إلى وادي النطرون وكان عدد الرهبان في الوادي قليل جدا؛ بسبب الخراب الذي حدث لها زمن دميانوس البطرك، وكانت البربر لا يسمحوا لهم بأن يزداد عدد الرهبان في وادي النطرون[6]،

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 499.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 507.

(3) مصر الإسلامية وأهل الذمة، كاشف، ص34.

(4) وادي النطرون، طوسون، ص40.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 506.

(6) تاريخ البطاركة، ج85/1.

كما ذكرت المصادر التاريخية أن عدد الرهبان في منطقة وادي النطرون لا يتجاوز الثلاثة آلاف وخمس مائة راهبٍ في أواسط القرن السادس الميلادي[1].

وترى الباحثة بأن رواية المقريزي ربما تكون صحيحة؛ لأن الفترة التي سبقت الفتح الإسلامي كثر فيها فرار النصارى؛ بسبب الاضطهاد الطائفي الذي ألحقه الروم للنصارى الأرثوذكس على يد قيرس (المقوقس) حاكم وبطريرك الاسكندرية، وبسبب ظلم هرقل[2]، فكان الفرار إلى الأديرة والاختفاء طريق النجاة من ذلك الظلم[3]، وخصوصا أن مصر في تلك الفترة أي قبيل الفتح الإسلامي كانت النصرانية الديانة الأساسية فيها، والسواد الأعظم من سكانها يدين النصرانية الأرثوذكسية[4]، فليس غريباً أن يخرج من تلك الأديرة سبعون ألف راهب.

وقد استشهد بعض مؤرخي النصارى المعاصرين بتلك الرواية في كتبهم أمثال الراهب باسيليوس المقاري، الذي نشأ في تلك الأديرة، فذُكرت رواية المقريزي بتفاصيلها في كتابه، حيث ادّعى أن عمرو بن العاص خشي أن يكون أولئك الرهبان بمثابة جيوش خرجت لمقاومته، ولكن عندما اقتربوا منه وطلبوا منه الحرية الدينية، وعودة بطريركهم من منفاه فلبى طلبهم، وأظهر لهم الاحترام فاحترمه الأقباط وأحبوه، وخصوصا عندما أظهر السماحة واللين في تعاملهم وسمح لهم ببناء الكنائس حتى في عاصمته الفسطاط[5].

3- عمرو بن العاص وعودة البطريرك بنيامين:

علم عمرو بن العاص عندما فتح مصر بقصة بنيامين بطريرك الاسكندرية، وما عاناه من الظلم والاضطهاد على أيدي الروم وملكهم هرقل، فكتب إليه يأمره بالعودة إلى الاسكندرية بعد غياب دام ثلاثة عشر عاماً ومنحه الأمان، كما أن عمراً استقبله وأحسن استقباله وأكرمه ومنحه الأمان وطمأنه، وأمره أن يتولى شؤون النصارى، ويدير ويتدبر أحوالهم، ويتولى سياستهم، ففرح بنيامين بموقف عمرو بن العاص فرحا عظيماً، وفرح المصريون بعودته

---

(1) وادي النطرون، طوسون، ص40.

(2) تاريخ مصر، حنا النقيوسي،ص220.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج86/1.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(5) تاريخ الكنيسة القبطية، المقاري، ج67/2.

وبلقائه[1]، ووصف ساويرس فرحتهم بالتخلص من حكم هرقل وباستقبال بنيامين بقوله: "فرحين مثل العجول الصغار إذا حل رباطهم وأطلقوا على لبان أمهاتهم"[2].

بدأ النصارى الأرثوذكس الفارين من بطش هرقل بالعودة إلى مصر، وإلى ممارسة ديانتهم بحرية وسمح لهم عمرو بن العاص بإعادة إعمار الأديرة فقام بنيامين بإعادة إعمار أديرة وادي النطرون ومنى[3]، ولم يأخذ عمرو بن العاص أموالا عن الأديرة أو الكنائس ولم يهدمها ولم يتعرض لها بأي أذى، ولم يسلبها أو ينهبها بل حافظ عليها وأطلق الحريات الدينية، فكان النصارى في مصر في بداية العهد الإسلامي يمارسون طقوسهم الدينية بحرية لم يعهدوها من قبل، حتى في زمن الحكم الروماني النصراني[4]، وخير دليل على ذلك ما أورده ساويرس عن القس اغاتون الذي كان يتنكر زمن هرقل بزي العلمانيين، ويرتدي زي النجارين ويحمل آلات النجارة في النهار؛ حتى لا يعرفه أحد من حكومة هرقل فيعترض له بسوء، وفي الليل يجتمع سراً مع الأرثوذكس؛ ليثبتهم على مذهبهم وبقي على ذلك الحال عشر سنين حتى ظهور المسلمين[5]، وخير دليل على أن المسلمين أطلقوا الحريات الدينية للنصارى في مصر ما أورده ساويرس على لسان البطريرك بنيامين حينما قال بعد عوته إلى الإسكندرية: "لما كنت في مدينتي الإسكندرية وجدت زمانا بسلامة وخلاصاً من الاضطهاد ومن محاربة المخالفين"[6].

فالمسلمون سمحوا لهم ما كان محرماً عليهم زمن ملوك النصارى البيزنطيين، من بناء الأديرة، بل ازدهر بناء الأديرة والكنائس في العهد الإسلامي بشكل كبير، وخير دليل على ذلك ما أورده بنيامين حيث قال: "وكانت أعمال الأرثوذكسيين الصالحة تنمو"[7].

وكانت سماحة المسلمين هي شعارهم في التعامل مع النصارى، وهذه شهادة أخرى على تسامح المسلمين مع النصارى في بداية الفتح الإسلامي، فقد ذكر ابن السباع أحد علماء النصارى لمصر أن أحد البحارة دخل إلى كنيسة القديس مرقس إبان الفتح الإسلامي التي تقع على ساحل البحر المتوسط وهي معروفة بالمغارة، فدخل ذلك البحارة إلى المغارة ليلا فوقعت

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج88/1.

(2) المصدر السابق، ج90/1.

(3) المصدر نفسه، ج90/1.

(4) تاريخ مصر، يوحنا النقيوسي، ص220.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج91/1.

(6) المصدر السابق، ج92/1.

(7) المصدر نفسه، ج90/1.

عيناه على تابوت القديس مرقس فمد يده داخل التابوت فمسك الرأس معتقدا أنه يوجد فيه ذهب، فسرق ذلك الرأس وأخفاه في إحدى المراكب معتقدا أنه كنز من ذهب، وعندما أراد عمرو بن العاص أن يُسَيِّر المراكب سارت كلها إلا ذلك المركب الذي يوجد فيه التابوت، فأمر عمرو بن العاص بتفتيشه وعندما فتشوها وجدوا الرأس الذي أخفاه البحارة، فجاء عمرو بمن أخفى تلك الرأس واعترف بذنبه فأنَّبه عمرو بن العاص على فعلته، ونادى في طلب بطريرك الاسكندرية بنيامين وعندما جاءه سلمه رأس مرقس، ودفع له عشرة ألاف دينار من أجل بناء كنيسة يسميها على اسم مرقس فشكره بنيامين على هذا الجميل، وبنى الكنيسة في الاسكندرية وهي تعرف بالمعلقة[1]، وقد أورد تلك القصة البابا شنودة الثالث بابا الاسكندرية في كتابه (مرقس الرسول)، والباحثة لا توردها هنا من باب تصديق كل ما يقولونه ولكن الاستشهاد بشهادات النصارى بحق المسلمين فتلك هي كتاباتهم وشهاداتهم بحق المسلمين[2].

4- موقف المسلمين من الطوائف النصرانية في مصر:

رغم عودة بنيامين لبطريركية الإسكندرية، فإن عمرو بن العاص لم يحاول الاستفادة من الانقسام الذي كان بين النصارى الملكانية واليعاقبة، أو الروم والأقباط، ولم يتبع سياسة فرق تسد من أجل تحقيق أهدافه؛ فأهداف المسلمين المعلنة لم تكن احتلال أو غزو من أجل الغزو بل كانت لهدف أساسي وهو نشر الإسلام، ولو كان المسلمين هدفهم الاحتلال والتوسع لاتبعوا سياسة المحتلين في الاستفادة من الانقسام بين الطوائف المسيحية في مصر، وميز طائفة عن أخرى.

فعمرو بن العاص لم يمِلْ إلى طائفة دون الأخرى، بل تعامل معهم بالعدل، والدليل على ذلك أنه أبقى الكثير من الموظفين الروم في مناصبهم ولم يغيرهم، وما أورده حنا النقيوسي عن ميناس الذي ولّاه هرقل الوجه البحري، ولم يكن من الأقباط، وبعد فتح المسلمين لمصر أبقوه في وظيفته وعينوا رجلا اسمه سينودا في الريف، ووضعوا آخرَ اسمه فيليكسانوس على منطقة الفيوم[3].

---

(1) الجوهرة النفيسة، ابن السباع، ص85 – 86.

(2) مرقس الرسول، شنودة الثالث، ص71.

(3) تاريخ مصر، حنا النقيوسي، ص212–213.

وهناك شاهد آخر ذكره مار ميخائيل بطريرك أنطاكية حيث قال: "... أن العرب عندما دخلوا المدينة، أبقوا لكل طائفة ما بحوزتها من كنائس"[1]، وذكر ابن المقفع أنه عندما أعاد عمرو بن العاص بنيامين بطريركاً على الاسكندرية دعا الأساقفة الذين غيروا مذهبهم من الأرثوذكسية إلى الملكانية أن يعودوا إلى مذهبهم بالوعظ واللين وبالحسنى، فمنهم من عاد ومنهم من رفض وبقي على مذهبه إلى أن مات، أي أنهم كانوا يتمتعون بحرية دينية ولم يضطهد أحد من فرق النصارى في مصر في ظل الفتح الإسلامي[2].

ذكر يوحنا النقيوسي الذي يعد متحاملاً في كتاباته على المسلمين في كتابه عن عمرو بن العاص أنه حافظ على كنائسهم، ودور عبادتهم، ومنع أيَ شخص من الاعتداء عليها أو سلبها أو سرقتها حيث قال: " ... ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئا ما سلبا أو نهبا، وحافظ عليها طوال الأيام"[3]، كما أن عمرو بن العاص أقر الأقباط على الجباية الروم فكانت الجباية تؤخذ بالعدل، فإذا كان القرية عامرة بمحاصيلها زادت الجباية، وإذا كان عدد سكان القرية قليل ونتاجها قليل قلت الجباية [4].

وكان عمرو بن العاص يستقبل والي الروم على مصر المقوقس بعد الفتح الإسلامي بكل احترام، فبينما يكون عمرو وهو حاكم مصر وواليها جالس مع أصحابه على الأرض، يأتيه المقوقس بخدمه الذين يحملونه على سرير من ذهب فوق رؤوسهم بأيديهم، فلا يعترض عمرو أو يحتج، بل احترم المقوقس لأنه كان حاكماً لمصر، وأن تلك عادته عندما كان والياً لمصر، ولأنه احترم عهد الصلح الذي وقعه مع المقوقس[5].

---

(1) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج302/2.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج89/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 204.

(4) المصدر السابق، م1، 205.

(5) صبح الأعشى، القلقشندي، ج141/2.

ثالثاً: حقيقة الروايات التاريخية التي تصور اضطهاد المسلمين للنصارى إبان الفتح الإسلامي:

1- عمرو بن العاص وبطرس القبطي:

أورد المقريزي في كتابه نقلاً عن ابن عبد الحكم أن عمرو بن العاص قال للقبط عندما فتح مصر: "من كتمني كنزاً فظهرت عليه قتلته"[1]، فتلقى عمرو وشاية عن رجل من أقباط الصعيد بأن عنده كنزاً وأخفاه عن المسلمين، فطلبه عمرو بن العاص وسأله عن الكنز، فأنكر ولم يقر أن عنده كنزا، فسجنه عمرو بن العاص، وسأل سجانيه عن القبطي إذا ما كان سأل عن أحد في محبسه، فأخبروه أنه يسأل عن راهب في الطور، فأرسل عمرو للراهب في الطور رسالة وختمها بختم بطرس وطالبه بإحضار ما عنده، فأحضر الراهب قلة معه مكتوب فيها مكان الكنز فاستخرج الكنز، الذي بلغ خمسين أردبا من الذهب المصري، ثم قام عمرو بقطع رأس بطرس، فاستخرج القبط كنوزهم خوفاً من قيام عمرو بقتلهم[2].

وقد وردت تلك القصة في كتاب فتوح مصر لابن عبد الحكم[3]، ونقلها عنه المقريزي[4]، والسيوطي[5]، كما ذكرت في كتاب (النوادر والزيارات) لابن أبي زيد القيرواني[6]، والاكتفاء بما تضمنه (مغازي الرسول) لأبي ربيع الكلاعي[7]، على رغم من ورود تلك الرواية في كتب كبار المؤرخين، إلا أنه من السذاجة تصديقها بسهولة فهي تتناقض بشكل كبير مع الأحداث والروايات التاريخية التي ذكرها العديد من المؤرخين المسلمين والنصارى وذلك لعدة أسباب:

أ- أن الاقباط قبيل الفتح الإسلامي كانوا يعانون الفقر الشديد والعوز، ولم يكن معهم أموالا لدفع الضرائب، بل إنهم رحبوا بالفتح الإسلامي؛ ليخلصهم من الفقر المدقع الذي كانوا

(1) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص101؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 204.

(2) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص101؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م204،1.

(3) ص101.

(4) المواعظ والاعتبار، م1، 204.

(5) حسن المحاضرة، ،ج123/1.

(6) المصدر السابق، ج121/3.

(7) المصدر نفسه، ج33/4.

يعيشون به في ظل حكم البيزنطيين[1]، فمن أين جاءت تلك الكنوز التي سلموها لعمرو بن العاص!

ب- أن تلك الرواية تتناقض مع روايات تاريخية أخرى ذكرها المؤرخون المسلمون والنصارى، والتي تتضمن عهداً بالأمان من قبل عمرو بن العاص لسكان مصر، قال فيه: "هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ..." [2]، فهل يعقل أن عمرو يناقض نفسه، ويقول ما لا يفعل؟ فتلك الرواية تدحض رواية ابن عبدالحكم والمقريزي ومناقضة لها تماماً.

ت- الرواية السابقة تظهر شخصية عمرو بن العاص بأنه شخص جشع محب للمال، وهذا يتناقض مع شخصية عمرو بن العاص الذي لم يكن له رغبة في المال أبداً، فقد روي في الأحاديث النبوية أن عمرو بن العاص، قال: "بعث إليّ رسول الله ﷺ فقال: "خذ عليك ثيابك وسلاحك، ثم ائتني، فأتيته وهو يتوضأ، فصعد في النظر ثم طأطأه، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك، وأزعب لك من المال رغبة صالحة: فقلت: يا رسول الله، ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت زغبة في الإسلام، وأن أكون مع رسول الله ﷺ. فقال: "يا عمرو، نعما بالمال الصالح للرجل الصالح"[3].

ث- الرواية السابقة لم ترد سوى بالمصادر الإسلامية ولم أجدها في المصادر النصرانية ولو كانت صحيحة أو فيها من الصحة شيء لتسابقت مصادر النصارى على ذكرها، وخصوصا تلك المصادر القريبة من العهد الإسلامي والتي كانت متحاملة على المسلمين، كما أن عمرو بن العاص لم يصادر أموال الأقباط، بل أنه بعد الفتح الإسلامي، بل منح بنيامين عشرة آلاف دينار، لبناء كنيسة للقديس مرقس[4]، فبني الكنيسة المعلقة بالإسكندرية، فلو كان عمرو بن العاص يبحث عن الأموال لما منحهم أموالا لبناء كنائسهم، فهو وجيشه أولى به منهم، كما أن ألفرد بتلر وصف تلك الرواية بأنها غير جديرة

---

(1) تاريخ مصر، حنا النقيوسي، ص219.

(2) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

(3) مسند أحمد، أحمد بن حنبل، وآخرون، ج299/29.

(4) فتح العرب لمصر، بتلر، ص476.

بالتصديق، وأنها قصة مختلقة؛ لأن القبط هم أكثر الناس تأثرا بعزل عمرو عن ولاية مصر، وأنهم أكثر الناس أسفا عليه[1].

ج- لا يعقل أن يعاقب عمرو بن العاص من أخفى كنزا بالقتل، وعلى افتراض أن القبطي قد سرق الكنز أو أخفاه، فإن عقوبة السارق في الإسلام قطع يده وليس قتله، وذلك ما ورد في القرآن دستور المسلمين في ذلك الوقت، قال تعالى: ﴿**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[2]، بل إن هناك شروطا لقطع اليد، فمن أين جاء عمرو بهذا الحكم على الأقباط؟ وكيف يقتل بطرس؛ لأنه أخفى كنزا؟ فهذا ينافي تعاليم وأحكام الشريعة الإسلامية، بل هناك رواية أخرى مناقضة لتلك الرواية تقول بأن عمراً أباح أموال قبطي من الأقباط؛ لأنه كان جاسوساً للروم يطلعهم على أخبار وأسرار المسلمين[3].

ح- تلك الرواية تتناقض مع رواية أخرى لابن عبد الحكم فعلى افتراض أن عمرو بن العاص سلب القبطي الكنز وسلمه الأقباط كنوزهم، فهل سيسمح له الأقباط بذلك؟ بالطبع لن يسكتوا على فعلته، ولشكوه للخليفة عمر بن الخطاب ﵁ الذي لم يقبل الظلم على أحد.

فذكرت المصادر التاريخية قصة القبطي الذي سبق ابن عمرو بن العاص فسبقه فضربه ابن عمرو بالسوط وقال له: "أنا ابن الأكرمين، فذهب القبطي للشكوى إلى الخليفة عمر بن الخطاب، فأحضر الخليفة عمرو بن العاص وابنه وأمر القبطي بضرب ابن عمرو بن العاص، وقال لأبيه": " متى استبعدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً"[4]، فعمر بن الخطاب ﵁ لم يقبل لابن القائد بضرب قبطي، فكيف سيقبل على القائد عمرو بسلب أموال الناس وكنوزهم؟ وخصوصاً أن عمر بن الخطاب معروف عنه العدل، وبشهادة كبار النصارى أمثال: مار ميخائيل بطريرك أنطاكية الذي قال عن عمر: "كان عادلا غير شجع لم يأخذ شيئا لنفسه مما غنم من أموال وكنوز الفرس والروم بعد السيطرة عليهم"[5].

خ- إن صحت تلك الرواية وذلك مستبعد لما ذكرته سابقاً، فربما يدل ذلك على أن بعض الأقباط استغلوا حالة الفوضى التي انتشرت إبان دخول المسلمين إلى مصر وخاصة

---

(1) المائدة: 38.

(2) المائدة:38.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص197؛ الشكاوي والعتاب، الثعالبي، ص109.

(5) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج320/2.

الإسكندرية التي شهدت اضطرابات، وحصار طويل، ونهبوا بعض الكنوز والأموال التي كانت تابعة للدولة أو للكنائس، مثلما سرق أحد البحارة رأس القديس مرقس من كنيسة بالإسكندرية ظنا منه بأنها مالاً[1]، أو ذهبا، وخبأها في أحد المراكب[2]، فأراد عمرو استرداد بعض الكنوز المنهوبة للحفاظ على الأمن والاستقرار، والقضاء على حالة الفوضى والسلب والنهب التي حدثت في الكنائس وممتلكات الدولة، حيث ذكر يوحنا النقيوسي أن عمرو بن العاص: "لم يأخذ شيئا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئا ما، سلبا أو نهباً، وحافظ عليها طوال الايام"[3]، فطبيعة دوره في مصر يحتم عليه الحفاظ عليها وعلى الكنائس وذلك بإعادة ما تم نهبه أو سلبه، كي يعود الاستقرار إلى مصر.

2- عمر بن الخطاب ومعاملته للنصارى:

ذكر المقريزي رواية عن عمر بن الخطاب ﷺ كتب فيها كتاباً لعمرو بن العاص قال فيها: "أن تختم في رقاب أهل الذمّة بالرصاص، ويظهروا مناطقهم، ويجزوا نواصيهم ويركبوا على الأكف عرضا، ولا يضربوا الجزية إلا على من جرت عليه الموسى، ولا يضربوا على النساء، ولا على الولدان، ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم"[4].

أي: أن تختم رقاب أهل الذمة بخواتيم من رصاص، والمقصود بإظهار مناطقهم، أي: لبس الزنار في وسطهم فوق ثيابهم، أما "الركوب على الأكف عرضا" فيعني: أن يركب الذمي ورجلاه معاً في جهة وظهره على جانب أخر على الدابة، وأما "جز نواصيهم" فهو: حذف جزء من الشعر إهانة لهم[5]، فهل يعقل أن يكتب عمر بن الخطاب لعمرو بن العاص تلك الرسالة التي تعد مليئة بالإهانات لأهل الذمة؟ لا شك أن مثل تلك الرواية غير صحيحة وذلك لعدة أسباب:

أ- عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس منح النصارى عهداً وميثاقاً يعد فريداً من نوعه في ذلك الزمان، بل هو بمثابة وثيقة حقوق إنسان متكاملة، حيث منح سكانها العهدة العمرية والتي تمثلت بمنحهم الأمان على أنفسهم وأبنائهم ونسائهم وكنائسهم ودينهم

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج88/1.
(2) الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة، ابن السباع، ص85 -86.
(3) تاريخ مصر، حنا النقيوسي، ص220.
(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.
(5) الحاوي الكبير، الماوردي، ج14/327-328.

وأموالهم[1]، فكيف منح النصارى في بيت المقدس كل تلك الحقوق، وحرم النصارى منها في باقي المناطق؟ فهذه ازدواجية في المعايير لا يمكن لخليفة مثل عمر اشتهر بعدله أن يتبعها، فالخليفة عمر شهد له مؤرخو النصارى قبل المسلمين بعدله، وخير شاهد على ذلك ما قاله مار ميخائيل بطريرك أنطاكية بحق عمر حيث قال: "أنه كان عادلا غير شجع"[2]، لأنه لا يسير وفق أهوائه الشخصية بل وفق منهاج واضح وضعته الشريعة الإسلامية.

ب- عمر بن الخطاب كان شديد الحرص في تطبيق الشريعة الإسلامية، فهل تغافل وتجاهل حديث الرسول الذي يوصيهم به بالأقباط، حيث قال ﷺ: "إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا"[3]، فهل يجرؤ عمرُ على مخالفة أقوال الرسول ﷺ.

ت- تلك الشروط التي ذكرها ابن عبد الحكم وتناقلها المشرعون من بعده لم توجد في كتب المؤرخين المسلمين الأوائل، مثل: الواقدي والطبري، وغيرهم، ولم توجد في كتب النصارى، مثل: ساويرس بن المقفع وسعيد بن البطريق، بل إن سعيد ابن البطريق ذكر عهد الأمان الذي منحه عمر بن الخطاب للنصارى في بيت المقدس.

ث- لو أن عمر فعلا وضع تلك الشروط فأين تطبيقها؟ لماذا لم تذكر كتب التاريخ عن تلك الشروط المجحفة بحق النصارى؟ وهي التي كانت تكتب كل صغيرة وكبيرة عن أفعال المسلمين، لم نقرأ في الكتب التاريخية عن لباس النصارى وألوانه وجز نواصيهم، وغيرها من تلك الشروط الموضوعة في عهد عمر بن الخطاب، والقائد عمرو بن العاص _رضي الله عنهما_.

ج- تلك الرواية تتناقض مع عهد الأمان الذي منحه عمرو بن العاص لسكان مصر فهل سمح الخليفة لقائده بمخالفة أوامره؟ ولو خالفها حقا لأسرع عمر بن الخطاب ﷺ في عزله عن منصبه؟ لكن تلك الرواية مختلقة، لا أساس لها من الصحة ولم ترسل لعمرو، كما أنها تتناقض مع عدل عمر، فعمر بن الخطاب لم يقبل لقبطي أن يضرب أو يهان، حتى وإن كان من ضربه ابن كبار الصحابة وأخذ له حقه من عمرو بن العاص، فكيف سيشرع قوانين تمعن في امتهان وظلم أهل الذمة؟

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج17/2؛ تاريخ الامم والملوك، الطبري، ج449/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 998.

(2) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج320/2.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، ج61/19.

ح- أمير المؤمنين عمر ﷺ أحسن إلى أهل الذمة، وذكرت روايات تناقض تلك الرواية _المكذوبة على عمر_ فقد مر عمر بعجوز من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، فقال: "ما أنصفناك، أن كنا أخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك،" فأمر بأن يصرف له من بيت المال ما يكفي ليعتاش منها[1].

ج- لو قام المسلمون بختم رقاب النصارى وقت تأدية الجزية، فتلك السياسة ليست مستحدثة بل اتبعها الرومان والبيزنطيون، وهي ليست صورة من صور الظلم أو الإهانة، لكنها طريقة متبعة لمعرفة من دفع الضريبة ومن لم يدفعها، خاصة أن في ذلك الزمان لم تكن هناك طباعة، ولا توجد إيصالات أو شكات منظمة يمكن تقديمها لمن يؤدي الجزية، وخير دليل على ذلك أن تلك الطريقة ما زالت مستخدمة في العصر الحديث حيث تقوم بعض الدول بختم أيدي الناخبين بنوع من الأصباغ الذي لا يزول إلى بعد أيام للتميز بين من انتخب وبين من لم ينتخب[2].

ومما سبق يتضح أن المسلمين أحسنوا إلى النصارى أثناء الفتح الإسلامي، فالشهادات والروايات التاريخية التي تدل على ذلك كثيرة في كتب المؤرخين النصارى والمسلمين، فهذا الرعيل الأول من الصحابة والخلفاء الذين كانوا أقرب إلى تطبيق الشريعة، والالتزام بأوامر الله ورسوله، فقد أنصفوا النصارى ومنحوهم الحرية الدينية وحرية ممارسة العقيدة، ولم يظلموهم ولم يفتروا عليهم حتى أن الأقباط أنفسهم قد فرحوا بتلك المعاملة التي كانت تختلف اختلافا كليا عن العهد البيزنطي، فقد استقرت أوضاعهم وشعروا بالأمان والعدل.

---

(1) الأموال، القاسم بن سلام، ص56.

(2) الإسلام وأهل الذمة، الخربوطلي، ص72.

المبحث الرابع:

موقف النصارى من الفتح الإسلامي

لعبت العديد من العوامل والظروف التي سادت مصر قبيل الفتح الإسلامي دوراً هاماً في التأثير على موقف النصارى من الفاتحين الإسلاميين الجدد الوافدين إلى مصر، لعل أبرزها الانقسام الطائفي بين النصارى، فكان النصارى إبان الفتح الإسلامي لمصر يشكلون السواد الأعظم من سكانها، لكنهم كانوا منقسمين إلى طائفتين من ثلاث طوائف مسيحية رئيسية كانت منتشرة في الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت[1]، فالطائفتان الرئيسيتان اللتان كانتا متواجدتان في مصر حسب ما أورده المقريزي في كتابه هما:

1- الملكانية: هي طائفة مسيحية أطلق عليهم الملكانية؛ لأنهم ينتسبون إلى ملكان[2]، أحد أباطرة الرومان، وقيل أنهم ينتسبون إلى ركان وهو امبراطور الروم[3]، سموا بالملكية بسبب أتباعهم رأي الملك مرقيانوس وزوجته[4]، وكانت هي الطبقة الحاكمة في مصر التي تمسك بزمام أمور الدولة، ومعظمها إن لم يكن كلها من الروم[5].

2- اليعاقبة: أما عامة الشعب المصري فكانوا نصارى أقباط يعتنقون المذهب اليعقوبي، وكانت تلك الطائفة محرومة من ممارسة حقوقها السياسية والدينية بسبب تسلط الروم عليهم، فالإمبراطور هرقل وحاكمه المقوقس على مصر اضطهد أي نصراني لا يؤمن بالمجمع الخلديقوني، وصادر الأديرة والكنائس التابعة لهم، ونهبها وحولها للطائفة الملكية[6]، وخير شاهد على ذلك ما أورده ساويرس عن الامبراطور هرقل والمقوقس الذين ألحقوا بأهلها الأرثوذكسيين العذاب والضيق والمصائب؛ مما دفع الكثير من الأرثوذكس تحت وطأة التعذيب إلى الهرب إلى الصحاري والتعبد بالأديرة الموجودة فيها، والبعض الآخر ضعف واستسلم وقام بتغيير مذهبه، مثل: أسقف الفيوم، والبعض الآخر دفع الرشاوي وقدم الهدايا كي يكفوا عنهم[7]، فبقي اليعاقبة مضطهدون مشردون، ولم يكن لهم الحق في ممارسة

---

(1) الملل والنحل، الشهرستاني، ج219/1.

(2) مفاتيح العلوم، الخوارزمي، ص52.

(3) صبح الأعشى، القلقشندي، ج279/13.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 989.

(5) المصدر السابق، م4، 997.

(6) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج302/2.

(7) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج86/1.

الحياة السياسية، بل اقتصرت وظائفهم على بعض المهن، والفلاحة والصناعة والتجارة[1]، وترجع أسباب ذلك الاضطهاد إلى رغبة امبراطور الروم هرقل وحاكمه على مصر المقوقس دفع نصارى مصر لاتباع المذهب الذي أقره مجمع الخلدوني[2].

لذلك عند دراسة موقف النصارى من الفتح الإسلامي لمصر، لابد من التفريق بين النصارى الروم الملكية التي تعد الهيئة الحاكمة في مصر، وبين النصارى اليعاقبة وهم الأقباط ويشكلون الغالبية من نصارى مصر، وتلك الطائفتان كانتا شديدتي العداء لدرجة أنه يمنع في عقيدة كل منهما الزواج من الطائفة الأخرى[3]، لذلك سأوضح موقف كل طائفة على حدة.

أولاً: موقف الروم الملكانية من الفتح الإسلامي:

حكم الروم البيزنطيون مصر إبان الفتح الإسلامي وكان المقوقس هو حاكم مصر وبطريرك الإسكندرية في نفس الوقت وهو المُعيّن من قبل هرقل، واختلف المؤرخون حول شخصية المقوقس، فأورد سعيد بن البطريق في تاريخه بأن المقوقس كان على المذهب اليعقوبي ويكره الروم، لكنه كان يخفي مذهبه خوفاً من قيام الروم بقتله ووصفه بالمحتال وبأنه خدع الروم وحثهم على الفرار من المسلمين، ثم وقع معهم اتفاقية صلح[4]، ربما كان المقوقس يكره الروم كما ذكرت المصادر الإسلامية[5]، لكن لا يعني ذلك أنه على المذهب اليعقوبي كما أورد ابن البطريق و يبدو أن ابن البطريق أراد أن يُحمّل اليعاقبة مسئولية تسليم مصر إلى المسلمين ويُبرأ الملكية؛ لأنه كان على المذهب الملكاني[6]، وقد أورد مار ميخائيل أن قورس هو من أتباع المذهب الخليقدوني[7]، وهو بطريرك خلقيدوني له سلطان ديني ودنيوي[8]، كما أشار حنا النقيوسي بأن كيرس هو البطريرك الخلقيدوني الذي عقد الصلح مع المسلمين[9].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج86/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(4) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج23/1.

(5) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج513/2؛ المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج291/4؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج386/2.

(6) التنبيه والإشراف، المسعودي، ص58.

(7) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج301/2.

(8) المصدر السابق، ج328/2.

(9) تاريخ مصر، حنا النقيوسي، ص210.

وقد اختلف المؤرخون المعاصرون حول شخصية المقوقس وازدواجيتها في كتب التاريخ فقد أشار جاك تاجر إلى أن شخصية المقوقس لازالت غامضة ومجهولة، هل من سلم القاهرة نفسه الذي سلم الإسكندرية؟ هل هو قبطي أم يوناني؟ في النهاية لم يتوصل جاك إلى حقيقة شخصية المقوقس، ولكنه توقع أن شخصية المقوقس الذي سلم حصن بابليون غير قيرس بطريرك الإسكندرية[1]، بينما رأى بتلر أن المقوقس هو نفسه قيرس[2]، وتميل الباحثة لرأي بتلر حيث أن المصادر التاريخية أكدت أن المقوقس هو قيرس بطريرك الإسكندرية وحاكم مصر، وذلك ما أكده ابن الحكم حيث قال: "فوجه هرقل ملك الروم المقوقس أميرا على مصر وجعل إليه حربها وجباية خراجها فنزل الإسكندرية"[3]، وأشار ساويرس في كتابه أن المقوقس هو قيرس المعين من قبل هرقل حيث قال: "وأنفذ والياً إلى أرض مصر يدعى قيرس ليكون بطركا ووالياً"[4].

ومن خلال ما سبق يتبين بأن المقوقس هو كيرس حاكم مصر، والذي ورد في المصادر التاريخية ولأهمها كتاب (المواعظ والاعتبار) للمقريزي، وقد أسهمت في توضيح شخصية المقوقس للتفريق بين موقف الروم والأقباط من المسلمين، وبالعودة لموقف الروم من الفتح الإسلامي، الذين تعد جيوشهم هي المسئولة عن التصدي لأي غزو خارجي على مصر؛ لأنهم يعدون مصر إحدى مستعمراتهم، لذلك هم الذين قاوموا المسلمين أثناء حصارهم لحصن بابليون، وتمكن المسلمون من هزيمتهم، فالروم هم من تصدى للفاتحين المسلمين منذ بداية دخولهم إلى مصر عند الفرما وخاضوا معارك شرسة واستمر القتال بينهم شهراً، ثم تصدوا للمسلمين عند بلبيس، واستمر القتال شهراً، وأم دنين[5].

كما قاتل الروم المسلمين عند حصن بابليون قتالاً شديداً استمر سبعة أشهر[6]، وحاولوا التصدي للفتح الإسلامي بأي طريقة، وبأي حيلة حتى أن المقوقس في البداية عرض على

---

(1) أقباط ومسلمون، ص44.

(2) فتح العرب لمصر، ص209).

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص44.

(4) تاريخ البطاركة، ج85/1.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 13.

(6) المصدر السابق، م2، 15.

المسلمين الأموال مقابل الرحيل عن مصر لكن المسلمين رفضوا [1]، وخيروا المقوقس ثلاثة خيارات: الجزية أو الحرب أو الإسلام.

وقد فضل المقوقس الجزية وقال: "قد كنت أخرج الجزية إلى من هو أبغض إليّ منكم فارس والروم"[2]، فذلك كان رد المقوقس حاكم الروم على مصر، ويبدو من حديث المقوقس أنه كان يكره الروم على الرغم من أنه وَلِيَ مصر من قبل هرقل، ولكنه كان يخفي ذلك الكره لهم خوفا من امبراطور الروم[3]، وكان المقوقس حريصا على عقد صلح مع المسلمين لكن الروم رفضوا وأصروا على قتال المسلمين[4]، فوقّع المقوقس عهدا بالأمان مع عمرو بن العاص يلزمه ويلزم النصارى الأقباط الذين وافقوا على الصلح، أما الروم فهو لا سلطان له عليهم وترك لهم الخيار في الاختيار ما بين الحرب والجزية [5]، وتبرأ المقوقس منهم وأرسل إلى هرقل عن الصلح الذي وقعه مع المسلمين فأرسل له هرقل كتاباً يوبخه فيه ويحثه على قتال المسلمين، فجنود الروم تقدر بحوالي مئة ألف، أما المسلمين فهم لا يتعدون الخمسة عشر ألفا، ودعاه لقتال الروم[6]، لكن المقوقس أصر على توقيع اتفاق الصلح مع المسلمين رافضا ما قاله هرقل والروم في مصر بل خيّر الروم بين دفع الجزية أو الخروج إلى أرض الروم فوقع الاتفاق[7] ، أما من تبقى من الروم فهرب إلى الاسكندرية[8].

ومما سبق يتضح أن الروم في البداية رفضوا الحكم الإسلامي لمصر وقاوموه بكل الوسائل ولكن عندما أيقنوا الهزيمة حدث انقسام في رأيهم فحاكم الروم في مصر المقوقس أدرك أنه لا جدوى من قتال المسلمين لذلك كان واقعيا في طرحه وقبوله الجزية، فقد رأي أن النصارى إذا ما خاضوا الحرب سوف يهزمون ويتم أسرهم واستعبادهم أو قتلهم، لكن اذا ما قبلوا الجزية

---

(1) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص78؛ النجوم الزاهرة، النجوم الزاهرة، ج15/1. المقريزي، المواعظ والاعتبار (مج15/2).

(2) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ابن الجوزي، ج291/4.

(3) التاريخ المجموع، تحقيق: سعيد بن البطريق، ج23/1.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2،20.

(5) المصدر السابق، م2،22.

(6) المصدر نفسه، م2، 22. (مج22/2).

(7) المصدر نفسه، م2، 21.

(8) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج87/1.

وهي مبلغ زهيد فسيحتفظون بالأمن والحماية وسيتمكنون من ممارسة حقوقهم كافة بكل حرية، لذلك قبل عرض الجزية، ونصح بقية الروم فيه الذين اضطروا في النهاية لقبوله[1].

أما هرقل امبراطور الروم فأصرّ على قتال المسلمين حتى الرمق الأخير حتى أنه تجهز بنفسه للقتال لكن الموت منعه من التوجه إلى مصر، ولم يكن هرقل منطقيا في عرضه فقد كان بعيداً عن أرض المعركة، جاهلا بقوة المسلمين وحماسهم غير مدرك للمد الإسلامي الذي انتشر بسرعة في سنوات قليلة؛ لذلك فإن الروم الذين أصرّوا على القتال في الإسكندرية هُزموا وفر من تبقى منهم بالمراكب عبر البحر[2].

ثانياً: موقف النصارى الأقباط من الفتح الإسلامي

أوح المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار موقف النصارى الأقباط من الفح الإسلامي فقد اتخذ الأقباط موقفاً مختلفا تمامًا لموقف الروم من الفاتحين المسلمين، حيث ذكرت المصادر التاريخية العديد من الروايات والدلائل التي تبين ترحيب الأقباط بالفاتحين المسلمين منذ دخولهم مصر، ولم يقتصر الأمر على الترحيب بل قدموا المساعدة للمسلمين في حربهم ضد الروم، وخير شاهد على ذلك دعوة بنيامين بطريرك الإسكندرية الذي طرده هرقل والمقوقس وطلبه من الأقباط في مصر عدم مساعدة الروم أو تأييدهم، بل دعاهم إلى الترحيب بالجيوش الإسلامية الفاتحة وقائدهم عمرو بن العاص، ومعاونتهم وأن لا أمل لبقاء الروم في مصر، فقدوم جيش المسلمين هو نهايةٌ لحكم الروم وسقوط إمبراطورتيهم، فلن تقوم لهم دولة بعد المسلمين[3]، حتى أن بنيامين بطريرك الإسكندرية رحب بعمرو بن العاص عنما التقى به ودعاه لتدبير أحوال النصارى، فقام بنيامين بالدعاء لعمرو وتحدث معه بكلام جميل نال إعجاب عمرو بن العاص ومن معه وأحسن عمرو استقباله وتوديعه واحترم قداسته ومكانته[4].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 20.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج24/1- 26.

(3) فتوح مصر ، ص67؛ الاكتفاء، الكلاعي، ج326/2؛ نزهة المالك والمملوك ، الصفدي، ص74؛ نهاية الأرب، النويري، ج288/19؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج7/1.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج88/1.

فقدم الأقباط المساعدة للمسلمين منذ اللحظات الأولى لدخولهم مصر حيث ساعدهم النصارى عند وصولهم جبل الحلال من قبائل راشدة[1]، وقبائل من لخم، بالإضافة إلى مساعدة النصارى الأقباط المتواجدين في الفرما[2]، للمسلمين[3].

وذكرت المؤرخة الانجليزية (بتشر) أن الأقباط لم يدخلوا في حرب مع المسلمين أثناء فتحهم مصر، ولم يحاربوهم، أو يفكروا في رفع السلاح في وجهوهم؛ لأنهم علموا أن المسلمين يختلفون عن الرومانيين بأنهم أكثر عدلاً وإنصافاً، وأنهم يؤمنون بدين يشبه دين الأقباط فهم يؤمنون بالله إلهاً واحداً، ويختتنون كالنصارى، لذلك استقبل الأقباط المسلمين في فرح شديد بل وأحسنوا استقبالهم[4].

فقد علم الأقباط بأن وجود المسلمين في مصر هو مصدر قوة لهم، فشعروا بحرية لم يشعروا بها من قبل وأصبحوا أحراراً في ممارسة معتقداتهم الدينية دون أي مضايقات ودون أي اضطهاد يمارس ضدهم كما كان الحال سائداً في العصر البيزنطي، فتمتع الأقباط في عصر الولاة بحريةٍ عقائدية حُرموا منها لسنوات[5].

وقد عبّر حنا النقيوسي المتحامل على المسلمين عن فرحة الأقباط بقدوم المسلمين، وعقد الصلح معهم على الجزية، حيث قال: "والبطريرك الخلقيدوني لم يكن وحده الذي يحب الصلح مع المسلمين، بل كل الناس والبطارقة..."[6]، ويدل حديث هذا المؤرخ على مدى سعادة الأقباط في مصر بدخول المسلمين، ويدلل على أن المصريين كانوا يعيشون أسوء أيامهم في عهد الدولة البيزنطية، لأنه لو كانت بيزنطة منصفة مع الأقباط لما رحبوا بالفتح الإسلامي، بل وقفوا مع بيزنطة ضد المسلمين، لكن نجد العكس وهو أن الأقباط أكدوا على أن هزيمة الروم على أيدي المسلمين؛ سببها ظلم هرقل، وأن الله خذل الروم وهزمهم أمام المسلمين بسبب ظلمهم

---

(1) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج281/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 13.

(2) الفرما: هي مدينة قديمة بين العريش والفسطاط شرق تنيس على ساحل البحر، معظم سكانه من العرب والأقباط، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج256/4؛ المسالك والممالك، المهلبي، ص36؛ مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق،ج1031/3.

(3) نزهة المالك والمملوك، الصفدي، ص74؛ الاكتفاء، الكلاعي، ج326/2؛ نهاية الأرب، النويري، ج288/19؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 13.

(4) تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، بتشر، م2، 135.

(5) , Coptic Christians in Ottoman Egypt (p11). Armanios

(6) تاريخ مصر، ص 210.

واضطهادهم للأقباط حيث قال حنا النقيوسي: "أن انتصار المسلمين كان بسبب ظلم هرقل وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين على يد البابا كيرس، وهلك الروم لهذا السبب"[1].

بل نظر الأقباط إلى المسلمين وكأنهم مخلصين منقذين جاء بهم الله ليخلصهم من ظلم وقهر واستبداد الروم ليس في مصر بل في معظم الولايات الخاضعة للروم، وهذا ما أكدته المصادر النصرانية، وشهادة مار ميخائيل بطريرك أنطاكية في القرن الثاني عشر الميلادي والقرن السادس الهجري، أي بعد الفتح الإسلامي بحوالي ستة قرون، حيث قال: "إن الله إله النقمة الذي وحده له السلطان على كل شيء هو الذي يغير الملك كما يشاء، ويعطيه لمن يشاء، ويقيم عليه الضعفاء، إذا رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتد ساعدهم في الحكم، ويقاضوننا بلا رحمة، جاء من الجنوب بأبناء إسماعيل لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم[2]"، كما أكد أن النصر الذي حققه المسلمون على الروم في كل مكان يعود إلى أن الله يؤيدهم لذلك انتصروا[3]، بينما خذل الله جنود الروم؛ بسبب ظلمهم واستعبادهم للأقباط وبسبب انحرافاتهم الدينية.

أكد ابن المقفع ذلك القول فقال: "وكان الرب يخذل جيش الروم قدامه؛ لأجل أمانتهم الفاسدة"[4]، وبعد توقيع الصلح أو العهد الذي منحه عمرو بن العاص للنصارى الأقباط بعد فتح حصن بابليون، قام زعماء القبط بمساعدة عمرو بن العاص فأصلحوا له الجسور، وقاموا باستضافتهم، وعمروا لهم الأسواق، وأماكن الضيافة، وأصلحوا لهم الطريق ما بين الفسطاط والإسكندرية، بل أصبحوا مساعدين للمسلمين في قتال الروم[5].

وذكر يعقوب روفيله أن الأقباط لعبوا دوراً هاماً في بناء مدينة الفسطاط، فعندما بدأ عمرو بن العاص في بنائها كان معظم الصناع والحرفيين الذين بنوها من الأقباط، وخاصة أن رجال الدولة كان غالبيتهم من الأقباط في ذلك الوقت، فبنوا البيوت والكنائس والأديرة والقصور والمتنزهات والبساتين، وكان الأقباط يعملون بدعم وتشجيع من العرب، حتى أن الهمة العالية للأقباط ساهمت في جعل مدينة الفسطاط مدينة عصرية تنافس مدن الفراعنة في الجمال والأبهة ؛ وذلك بفضل الأقباط الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل بنائها، وهذا إن دل فإنه يدل على

---

(1) تاريخ مصر، حنا النقيوسي، ص220.

(2) تاريخ مار ميخائيل، ج302/2.

(3) المصدر السابق، ج319/2.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 86.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج24/2.

العلاقات الجيدة التي كانت بين الأقباط والمسلمين في بداية الفتح الإسلامي، لدرجة أنهم سمحوا لهم ببناء الكنائس والأديرة في عاصمتهم الفسطاط معقل الجيوش الإسلامية والولاة الجدد، في الوقت الذي لم يكن فيه للمسلمين في عاصمتهم سوى جامع واحد هو جامع عمرو بن العاص(1).

لقد رأى الأقباط في حكم المسلمين إنفراجةً وحريةً لم يعهدوها منذ حوالي سبعة قرون، وتمكنوا من ممارسة شعائرهم الدينية بكل حرية ودون قيود ودون اضطهاد، فقد كانت أديرتهم وكنائسهم في العهد البيزنطي وخصوصا عهد هرقل قد تعرضت للاضطهاد، فمنها ما أصبح خرب؛ ومنها من انتزع من الأقباط ومنح للخلقيدونيين(2)، لكن بعد سيطرة المسلمين اختلفت الأمور، فما كان محرما أصبح مباحا، فعاد بنيامين بطريرك للإسكندرية، وتمكن من زيارة معظم كنائس الأقباط وكان الأقباط فرحين بانتصار الإسلام وبعودة بنيامين، فرحين بما حل بهرقل من هزائم(3).

لم يقتصر موقف الأقباط على الترحيب بالمسلمين ومساعدتهم، بل اعتنق الكثير من الأقباط الديانة الإسلامية، وبعد اعتناقهم الإسلام وقفوا في صف المسلمين؛ ليحاربوا معهم ويشاركوهم في فتح مصر، وذلك ما ذكره يوحنا النقيوسي عنهم، حيث قال: "كثير من المصريين الذين كانوا مسيحيين كذبة، أنكروا العقيدة المقدسة الأرثوذكسية والمعمودية الحية، وساروا في عقيدة الإسلام"(4).

أشار بعض المؤرخين أن بعض الأقباط تحولوا إلى الإسلام، لكن من حديث يوحنا يتضح لنا أن الكثير من الأقباط وأخص الأقباط لأنهم هم الذين كانوا يعتنقون المذهب الأرثوذكسي، قد تحولوا إلى الإسلام، فلم تكن أعدادهم قليلة بل كانت كثيرة ومنهم رهبان وأساقفة مثل: الراهب يوحنا من دير سيناء، الذي نزع الزي الكنسي ووقف في صفوف المسلمين يقاتل الروم(5)، ولم يكن اعتناقهم الإسلام بعد الفتح بقرون أو عقود بل اعتنقوا الإسلام في فترة الفتح الإسلامي، أي: بمجرد دخول الفاتحين المسلمين مصر وأثناء الفتح، وذلك ما وثقه المؤرخ يوحنا

---

(1) تاريخ الأمة القبطية ، ص51-52.

(2) تاريخ البطارقة، ابن المقفع، ج1/89.

(3) تاريخ مصر، يوحنا النقيوسي، ص220.

(4) المصدر السابق، ص222.

(5) المصدر نفسه، ص222.

حينما قال: "عندما وصل هؤلاء المسلمون مع المصريين الذين جحدوا العقيدة المسيحية..." [1]، وذلك يدل على أن الأقباط أحبوا الإسلام فاعتنقوه.

يشير بتلر في كتابه أن العرب لم يفرقوا بين القبطي والرومي وقال: "وليس فيما وصلنا من أخبار ذلك لفظ واحد يدل على أن القبط كان لهم شأن آخر في معاملة العرب"[2]، يبدو أن بتلر لم يكن اطلع على المصادر التاريخية بشكل جيد والتي كانت مليئة بالوصايا التي توصي بالأقباط، والداعية لحسن معاملتهم، سواء في عهد الرسول ﷺ _وقد ذكرتُ تلك الأحاديث_، أو في فترة الفتح الإسلامي وخاصة على لسان عمرو بن العاص الذي أوصى جنوده بحسن معاملة الأقباط في إحدى الخطب التي ألقاها فقال لهم: "... واستوصوا بمن جاورتموه من القبط خيرا"[3].

والترحيب بالمسلمين لم يكن موقف جميع النصارى الأقباط في مصر؛ بل هناك أقباط انتفضوا على المسلمين أثناء توجه عمرو بن العاص من بابليون إلى الإسكندرية، حيث قام اثنان من كبار الاقباط، وهما: مينا وقزمان بتشكيل مجموعات شعبية أهلية غير مدربة، أي: ما يشبه جيشاً شعبياً؛ لمواجهة المسلمين والرومان في نفس الوقت وقد استطاعوا اعاقة المسلمين قليلاً[4].

ولكن موقف الأقباط من المسلمين لم يكن دائماً يسير على نفس الخطى فبعد استقرار المسلمين في مصر حدثت تغيرات كثيرة أثرت على ذلك الموقف، وسوف نتحدث عنه بالتفصيل عند الحديث عن أحوال العامة للنصارى في مصر في كل فصل من فصول هذه الدراسة.

---

(1) تاريخ مصر، يوحنا النقيوسي، ص197.

(2) فتح العرب لمصر، بتلر، ص312.

(3) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، ص167؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 47، النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج73/1؛ حسن المحاضرة السيوطي، ج154/1.

(4) تاريخ الأمة القبطية، بتشر، م2، 137.

الفصل الثالث:

الأحوال السياسية للنصارى في مصر

المبحث الأول:

دور النصارى في الحياة السياسية في مصر الإسلامية

ذكرت المصادر التاريخية ومن أبرزها كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي أن النصارى في مصر لعبوا دوراً هاماً في الحياة السياسية في الدولة الإسلامية منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي وعبر مراحل تطور الدولة الإسلامية، فتمكن النصارى وخاصة الأقباط من ممارسة دورهم السياسي في الدولة الإسلامية بكل حرية بعد أن حرموا منه لقرون عدة، كما أنهم تمتعوا بعلاقات وثيقة مع رموز الدولة الإسلامية من خلفاء وأمراء، بل إن بعضهم وصل إلى أعلى الدرجات الوظيفية السياسية في الدولة الإسلامية من وزراء ووسطاء ورؤساء ودواوين وكتاب، ومستشارين، وكانت لهم الكلمة العليا في بعض مراحل الدولة الإسلامية، وذلك يعود إلى الحرية التي منحها المسلمين للنصارى وتمكينهم من ممارسة حقوقهم السياسية في الدولة، فكان لهم دور بارز في عدة مجالات منها:

أولاً: النظام السياسي والإداري:

بدأ الحكم الإسلامي في مصر زمن الخلفاء الراشدين، فكان عمرو بن العاص أول والٍ مسلم لمصر في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[1]، بدأ عمرو بن العاص ولايته ببناء مدينة الفسطاط ليتخذها عاصمة له[2]، ولم يستقر في مدن مصر على الرغم من وجود مدن هامة في مصر مثل مدينة الإسكندرية، وربما يدل ذلك على حرص الخليفة عمر بن الخطاب والقائد عمرو بن العاص على المسلمين فمدينة الإسكندرية مدينة ساحلية تقع على البحر ومن السهل جداً أن تتعرض لغزوات الروم البيزنطيين من البحر بحيث يتمكنوا من إعادتها بكل سهولة، وخاصة أن الجيوش الإسلامية في بداية الفتوحات كانت تفتقر إلى أي خبرة قتالية في البحر، فدخول المسلمين مجال القتال في البحر في بداية فتوحاتهم يعد مجرد مغامرة تشكل خطراً كبيراً عليهم؛ لذلك منع الخليفة عمر بن الخطاب المسلمين من القتال في البحر، فالعرب حديثي العهد في البحر وجلُّ حياتهم كانت في البادية لا يمتلكون أي خبرة في فنون القتال البحرية، عكس الروم الذين كانوا متمرسين فيه وعلى خبرة وجهوزية عالية للقتال فيه[3].

(1) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج61/1؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج102/1.

(2) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص104؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 30-31.

(3) المصدر السابق، م3، 605-606.

وبتنظيم ولاية مصر، فلم يحدث تغيرات كبيرة على النظام السياسي والإداري في مصر، واقتصرت سيطرة المسلمين في مصر على الوظائف العليا في الدولة مثل: الولاية والجيش والقضاء، فتولى عمرو بن العاص ولاية مصر، وتولى القضاء عثمان بن قيس بن أبي العاص السهمي[1]، وأبقى على النظام الإداري في مصر كما كان عليه في العصر البيزنطي، فبقي المسئولون الأقباط كما هم في مهامهم الإدارية في جميع أنحاء مصر، مقابل عدد قليل جداً من المسئولين العرب في المراكز الحضرية الرئيسية كبديل عن الرومان الفارين من البلاد وبقي الأقباط يشكلون النسبة الأكبر من الجهاز الإداري لولاية مصر حتى النصف الثاني من العصر الأموي، أي حتى بداية حركة تعريب الدواوين[2].

فأبعد عمرو بن العاص القادة المسلمين وجنوده عن الاستقرار في حصن بابليون أو ممفيس حتى لا ينغمسوا في المدنية، ويعتادوا على العيش المرفه، وحتى لا يشغلهم الترف واللهو عن مهامهم في مواصلة الفتوح وأمور دينهم، كما أنه لم يعين أحداً من القادة أو الصحابة أو من جنوده في أي منصب سياسي أو إداري في مصر؛ حتى لا ينفر منهم المصريون على حد تعبير المؤرخة البريطانية بتشر[3]، وإن كانت الباحثة تختلف مع بتشر وترى أن منع عمرو بن العاص المسلمين من ممارسة المهام الإدارية في مصر هي قلة خبرتهم فيها، وجهلهم ببلاد مصر وسكانها؛ لذلك رأى بأن أهل مصر أولى بإدارتها لخبرتهم ودرايتهم بأمور البلاد، مما يشير إلى تفهم المسلمين لحاجات ومتطلبات البلاد التي فتحوها وحكمتهم في إدارتها، فجعل معظم الوظائف الإدارية والسياسية من حكام وولاة وكتاب وجباة مسندة إلى الأقباط والبيزنطيين، فعين الولاة والحكام من النصارى المصريين والبيزنطيين[4]، كما عين الأقباط ليتولوا مهمة جمع الضرائب والخراج من الروم والمصريين[5].

فأبقى عمرو بن العاص على الموظفين والولاة البيزنطيين حيث استمر ميناس الذي عينه هرقل والياً على الوجه البحري قبل الفتح الإسلامي في منصبه بعد الفتح الإسلامي، وكان يتصف بقسوة القلب ويمقت المصريين الأقباط[6]، ففرض عليهم ضرائب باهظة كانت أكثر من

(1) بدائع الزهور، ابن إياس، ج104/1.

(2) Gascoigne, The impact of The Arab conquest on late Roman settl ement in Egypt.(p3).

(3) تاريخ الأمة القبطية، بتشر، م2، 15.

(4) المصدر السابق، م2، 15.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.

(6) تاريخ مصر، حنا النقيوسي، ص 212.

تلك التي حددها عمرو بن العاص حيث حدد عمرو بن العاص قيمة الضرائب على المدينة باثنين وعشرين ألف دينار، بينما قام ميناس بفرض ضريبة على المدينة تقدر باثنين وثلاثين ألفا وسبعة وخمسين دينار؛ فأرهق السكان بالضرائب الباهظة؛ لذلك قام عمرو بن العاص بعزله وتعيين شخص نصراني يسمى يوحنا بدلاً منه، وذلك يدل على أن المسلمين لم يتركوا السلطة مطلقة بيد النصارى بل كانوا متيقظين لطرق معاملتهم للسكان فإذا وقع الظلم على النصراني من نصراني مثله أقاله وأنصفه[1]، كما أبقوا موظفاً بيزنطياً آخراً اسمه سينودا في وظيفته وهي حاكما على مناطق الريف، كما تم تعين فيليكسانوس وهو بيزنطي حاكما على منطقة الفيوم[2].

عندما فتح المسلمون مصر هرب الكثير من الروم البيزنطيين من مصر عن طريق البحر بالأساطيل الضخمة حاملين معهم الكثير من الأموال، ومنهم من فر براً[3]، تاركين خلفهم في مصر الكثير من المراكز الإدارية فارغة من موظفيها، وبما أن عمرو بن العاص أبعد جيوشه عن أي مركز سياسي أو إداري في بداية الفتح الإسلامي[4]، كان لا بد من شغر تلك الوظائف والمناصب لتسيير أمور ولاية مصر فقام عمرو بن العاص بإسنادها إلى النصارى الأقباط ليتولوا هم تلك المهام والمناصب[5].

ومن الملاحظ أنه أثناء الفتح الإسلامي وقبل إتمام عملية الفتح اعتنق الكثير من الأقباط الدين الإسلامي واستمر أولئك الأقباط في مناصبهم وفي وظائفهم الإدارية العليا في إدارة البلاد بعد اكتمال عملية الفتح الإسلامية، ولم يكن دخول الإسلام شرطاً على أولئك الموظفين كي يستمروا في مناصبهم، فقد كانت سياسة عمرو بن العاص تقوم على أساس الحكم الذاتي للسكان المحليين في مصر وترك الأمور الإدارية لسكان البلاد المفتوحة سواء دخلوا في الإسلام أم لم يدخلوا فيه[6].

تقلد النصارى في العصر الأموي مناصب إدارية وسياسية هامة فتولى تاوضوروس وكان على المذهب الملكاني حكم مدينة الإسكندرية، وتوجه إلى دمشق لمقابلة خليفة المسلمين

---

(1) تاريخ مصر، حنا النقيوسي ، ص221.

(2) المصدر السابق، ص212–213.

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص93؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 448؛ بدائع الزهور، ابن إياس ج100/1.

(4) تاريخ الأمة القبطية، بتشر، م2، 15.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.

(6) Christian Egypt: Church and people (p.189). Hardy: E.R.,

يزيد بن معاوية، وحصل على تكليف رسمي من قبل الخليفة لجباية أموال الجزية والخراج في الاسكندرية ومريوط والمناطق التي حولهما، واستبد بالنصارى وقسى عليهم في جباية الأموال وكان يكره ويمقت الأرثوذكسيين المخالفين لمذهبه، وقد استخدم أساليب وحشية في جمع الأموال من النصارى وبقي على ذلك الحال إلى أن مات[1].

واتخذ مروان بن الحكم من النصارى كاتبيْن أمينيْن من الأرثوذكس[2]، حيث كان غالبية الكتاب في الدولة الإسلامية من النصارى؛ لخبرتهم وعلمهم في هذا المجال[3]، وولّى أولئك الكُتاب على جميع مناطق ومقاطعات مصر، والكاتبين هما: اثناسيوس واسحق، وأصبحا مسئولان عن ديوانه[4]،استمر أثناسيوس في عمله واتخذه عبد العزيز بن مروان والي مصر زمن الخليفة عبد الملك بن مروان كاتباً له وهو من النصارى اليعاقبة[5]، وأطلق عليه المقريزي اسم أثيناس[6]، وقيل أن اسمه يناس بن خمايا، وكانت له مكانة عظيمة وكلمة مسموعة عند والي مصر حيث أمر عبد العزيز بن مروان ببناء قصر ليناس على باب الجامع في الفسطاط[7]، وبقى رئيساً على الديوان حتى عهد الوليد بن عبد الملك الذي عين أخيه عبد الله بن عبد الملك والياً على صلاة مصر وخراجها[8]، فأمر عبد الله بتعريب الدواوين من القبطية إلى العربية؛ فعربت وعزل أثناس عن ديوان الخراج وعين بدلاً منه ابن يربوع الفزاري[9].

استمر النصارى في العصر الأموي بتولي مناصب عليا في الدولة الإسلامية فكان في عهد عبدالعزيز بن مروان قائداً لمدينة الإسكندرية من النصارى يسمى تاودرس وكان مسئول ديوان الإسكندرية [10]، وكان تاوفانس حاكماً على مريوط؛ لكن أُلقيَ القبض عليه وتم سجنه ثم قتل لفساده وكذبه[11]، وفي عهد عبدالعزيز تم تعيين العديد من القادة النصارى في الصعيد

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/101-103.

(2) المصدر السابق، ج1/104.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 230.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/106.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/41.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 264.

(7) كتاب الوزراء والكتاب، الجهشياري، ص34.

(8) كتاب الولاة وكتاب القضاة، الكندي، ص46.

(9) كتاب الولاة وكتاب القضاة، الكندي، ص46؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 264.

(10) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/106- 123.

(11) المصدر السابق، ج1/106.

ومختلف مناطق مصر[1]، ومن ضمنهم بطرس الذي أصبح حاكماً على مناطق الصعيد، ودخل الإسلام هو وأخوه تاودرا وابن تاوفانس[2]، ويبدو أن هؤلاء القادة وأبناءهم وجدوا في الدين الإسلامي التسامح والعدالة والحرية التي لم يجدوها في دينهم مما دفعهم إلى دخول الإسلام، وليس كما يذكر ابن المقفع بأنهم دخلوا الإسلام بسبب ظلم وقمع واضطهاد الأصبغ ابن والي مصر عبدالعزيز بن مروان[3]، فلو صدقنا ما قاله ابن المقفع على أن النصارى يتركون دينهم بسبب الظلم والاضطهاد لما بقي نصراني في مصر؛ بسبب الاضطهاد الروماني والبيزنطي لنصارى مصر قبل الفتح الإسلامي.

عندما أصبح عبدالعزيز بن مروان والياً على مصر انتشر وباء الطاعون بها؛ فتوجه إلى مدينة حلوان فأعجبته واشتراها من الأقباط واتخذها مقراً له ولحاشيته [4]، وأمر العديد من القادة النصارى أن يبتنوا لهم مسكان في حلوان، حيث بنى بطريرك الإسكندرية إسحق كنيسة للنصارى في حلوان[5]، وكان جل كتاب الدواوين زمن عبدالعزيز بن مروان من النصارى[6]، وكان له فراشين من النصارى الملكية يعملون في بيته فطلبوا منه بناء كنيسة فسمح لهم[7]، مما يدل على الحرية السياسية والدينية والمكانة المرموقة التي كان يتمتع بها النصارى زمن عبدالعزيز بن مروان، ولكن أسماء أولئك القادة النصارى قلما وجدت في مصادر التاريخ الإسلامي المشهورة ربما يعود سبب ذلك لتركيز المؤرخين المسلمين على أهم الأحداث في ذلك العصر وعلى الفتوحات الإسلامية أكثر من غيرها، لذلك لم تذكر.

ويبدو أن ولاة مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى عهد عمر بن عبد العزيز استمروا وبشكل كبير في الاعتماد على النصارى وتوظيفهم في الوظائف الإدارية المهمة مثل الخراج والكتابة حيث تولى شخص يسمى يونس ديوان الخراج في ولاية قرة بن شريك، وأصبح تادرس حاكما للإسكندرية في ولاية عبدالملك بن رفاعة[8]، حتى بعد ازدياد عدد المسلمين في مصر،

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج109/1.
(2) المصدر السابق، ج121/1.
(3) المصدر نفسه، ج121/1.
(4) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج173/1.
(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج109/1.
(6) المصدر السابق، ج120/1.
(7) التاريخ المجموع، سعيد بن البريق، ج41/2.
(8) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج127/1.

وذلك ما عبرت عنه رسالة الخليفة الأموي عمر بن عبدالعزيز للولاة المسلمين عندما أعرب عن استيائه من تولى النصارى العديد من الوظائف الهامة في الدولة الإسلامية، فأمر جميع الولاة باستبعاد النصارى من تلك الوظائف واستبدالهم بموظفين مسلمين؛ ويعود ذلك إلى خوف عمر بن عبدالعزيز من تسلط النصارى على المسلمين ومكرهم بالمسلمين وتدبير المكائد والدسائس التي تلحق الأذى بهم[1]، وتلك الرسالة دليل واضح على أن النصارى كانوا يتمتعون بمكانة مرموقة في الدولة الإسلامية، ويمارسون بكل حرية حقوقهم السياسية، بشكل مكّنهم من التحكم بالمسلمين وخضوع المسلمين لهم، مما دفع المسلمين إلى منافقتهم والتودد لهم لقضاء مصالحهم، لذلك أمر عمر بن عبدالعزيز عامله على مصر حيان بتجنب تولي النصارى المناصب الإدارية في الدولة الإسلامية[2].

أما في العصر العباسي فقد أحسن والي مصر أبو عون عبدالملك بن يزيد الذي تم تعينيه من قبل العباسيين إلى النصارى، وسمح وخفض لهم الخراج وعاش النصارى في ظل ولايته بأمن وأمان[3]، وفي زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور زادت مكانة وشأن النصارى وأصبحت لهم سلطة وكلمة عليا على المسلمين حتى أنهم ظلموا المسلمين فقد كلفهم المنصور بإلقاء القبض على من تبقى من بني أمية فاتخذوا تلك المهمة ذريعة للاعتداء على ممتلكات المسلمين وعلى حرماتهم، مما زاد من حدة التوتر بينهم وبين المسلمين فاشتكى المسلمون لأبي جعفر المنصور فأمر أبو جعفر المنصور جميع ولاته بعزل النصارى ومنع استخدامهم في الوظائف الإدارية؛ لكن بعض مستشاريه مثل شبيب ابن شيبة أشار عليه بأن لا يستغني عنهم نهائياً بل يقلل من تواجدهم ومن عددهم[4]، وذلك يدل على أن النصارى كان لهم نفوذ كبير في الدولة الإسلامية ومكانة سياسية مرموقة لدرجة أن الخليفة ومستشاريه لا يستطيعون التخلي عن خدماتهم.

وفي زمن المهدي منع العمال في الولايات من استعمال النصارى وهدد ولاته بقطع أيديهم إذا استخدموا النصارى أو اتخذوهم كتاب لهم وذلك يعود لظلم النصارى للمسلمين[5]، وفي زمن المهدي تبوء النصارى مكانة عظيمة في الدولة الإسلامية وكان لهم نفوذ سياسي كبير

---

(1) أنساب الأشراف، أنساب الأشراف، ج164/8؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج372/2.

(2) غذاء الألباب، السفاريني، ج16/2.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج186/1.

(4) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ج2459/1.

(5) المصدر نفسه، ج247/1.

وذلك يتضح من خلال نصيحة قدمها أحد المقربين للمهدي ينصحه بإبعاد النصارى عن الحياة السياسية؛ لأنهم أساءوا استخدام السلطة واستغلوا مناصبهم في الاعتداء على المسلمين والافتراء عليهم؛ لذلك قرر المهدي استبعاد النصارى وإزالتهم من الواجهة السياسية وأمر عماله بعدم استخدامهم وتوعد من يستخدمهم[1]، وكذلك هارون الرشيد أبعد النصارى عن الحياة السياسية[2].

أما الخليفة المأمون فقد لاحظ كثرة وشايات النصارى في مصر ضد المسلمين، وأدرك أنهم يختلسون الأموال دون علمه؛ لذلك قرر استبعادهم من المناصب الادارية والسياسية[3].

أما في زمن الخليفة المتوكل فقد تبوأ النصارى مكانة عظيمة وتولوا الكثير من الأعمال والمهام بحيث طغوا على المسلمين وأصبحت المهام الادارية الكبرى في أيدي النصارى، وأبعدوا المسلمين عنها عن طريق الوشاية عنهم عند الخليفة وكثر ظلمهم واستبدادهم بالمسلمين[4]؛ لذلك أمر المتوكل عماله بأن يستبعدوا النصارى وألا يستخدموهم في أي عمل من أعمالهم خصوصاً في الدواوين وأعمال السلطان[5]، كما أن الخليفة المقتدر بالله سار على نهج المتوكل وحذر من استخدام النصارى او استعمالهم ككتاب أو عمال[6].

لعب النصارى دوراً هاماً في الحياة الدبلوماسية زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي حدث في زمنه نقص مياه النيل عن منسوبها، فاستخدم النصارى كوسيط دبلوماسي بينه وبين ملك الحبشة، وأرسل بطريرك الإسكندرية ميخائيل الملقب بالحبيس إلى الحبشة وأرسل معه هدية لملكها فاستقبل البطريرك واستفسر منه عن سبب مجيئه إلى الحبشة فأخبره البطريرك بنقص مياه النيل والآثار المترتبة على هذا النقص من مجاعات وقحط وفقر وتدهور للأحوال الاقتصادية؛ فأمر ملك الحبشة بفتح سد تخرج منه المياه إلى أرض مصر فزادت مياه نهر النيل ثلاثة أذرع وبقيت مياهه في زيادة حتى رويت البلاد وروي الزرع، ويتضح مما سبق بأن النصارى كان لهم دور سياسي ودبلوماسي بين المسلمين وسكان البلاد المجاورة من النصارى

---

(1) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ج247/1.

(2) المصدر السابق، ج247/1-248.

(3) المصدر نفسه، ج247/1-249.

(4) المصدر نفسه، ج250/1 -255.

(5) تاريخ الطبري، الطبري، ج172/9؛ تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج298/4؛ المنتظم في تاريخ الملوك، ابن الجوزي، ج222/11.

(6) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ج256/1.

وحققوا نجاحات في تلك المكانة الدبلوماسية فكان المستنصر قد أكرم البطريرك وعامله معاملة حسنة[1].

ومن خلال ما سبق يتبين أن النصارى تبوؤوا مكانة عظيمة في الدولة الإسلامية في العصر الأموي والعباسي والفاطمي وكانوا شديدي القرب من الخلفاء المسلمين، وأن استبعادهم واضطهادهم في بعض الفترات سببه يرجع إلى بعض التجاوزات التي يقوم بها البعض ممن تولى وظائف مهمة في الدولة مما يؤثر على سياسة المسلمين تجاههم، كما تقلد العديد منهم مناصب هامة في العصر الأيوبي والمملوكي مثل الوزارة والوساطة والتي سنذكرها في هذا المبحث.

تعددت الوظائف السياسية والإدارية التي تولاها النصارى في مصر الإسلامية ولعل أبرزها كانت الوزارة والوساطة والدواوين.

ثانياً: الوزارة والوساطة:

تمكن النصارى من الوصول إلى أعلى الوظائف السياسية في الدولة الإسلامية وهو منصب الوزارة والوساطة فتولى العديد من النصارى هذا المنصب ومن أبرزهم:

1- عيسى بن نسطوروس

عيسى بن نسطورس نصراني من أقباط مصر، اتصف بأنه شخص صاحب همة وجلد[2]، تم تعينه من قبل الخليفة الفاطمي العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز كاتب إنشاء، وذلك بعد وفاة يعقوب بن كلس حيث عين بعد يعقوب أبي عبدالله الموصلي كاتب إنشاءٍ ثم عزله وعين بدلاً منه عيسى بن نسطوروس[3]، واختلف المؤرخون حول المنصب الذي تولاه عيسى بن نسطورس، فلم يشر ابن الصرفي في كتابه إلى أن عيسى تولى الوزارة في عهد الخليفة الفاطمي العزيز بالله، بل أشار إلى أنه تولى تدبير الأموال في مصر[4]، كما أن أبو الفداء لم يشر إلى توليته الوزارة بل اكتفى بأنه تولى الكتابة للعزيز[5]، بينما أشار ابن إياس إلى

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 100.

(2) مرآة الزمان، ابن الجوزي، ج47/17.

(3) مرآة الزمان، ابن الجوزي، ج47/17؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج440/7.

(4) الاشارة إلى من نال الوزارة ،ص25.

(5) المختصر في أخبار البشر ، أبو الفداء، ج131/2.

أن العزيز ولاه الوزارة بعد وفاة يعقوب بن كلس[1]، وكذلك أشار العديد من المؤرخين أمثال: ابن القلانسي[2]، وابن الاثير[3]، وابن خلدون[4]، وابن كثير[5]، والسيوطي[6]، إلى أن عيسى تقلد منصب الوزارة، وذكروه بعيسى بن نسطورس الوزير، لكن النويري قال: أن العزيز لم يستوزر أحدا بعد يعقوب بن كلس بل كلف عيسى بن نسطورس بإدارة الشؤون المالية في الدولة.

وكذلك المقريزي لم يشر في كتابه (اتعاظ الحنفا) إلى تولي عيسى الوزارة بل اكتف بالقول بأنه تولى جميع الدواوين[7]، وبغض النظر عن اختلافهم في منصب عيسى يبدو أن عيسى تولى منصب رفيع في عهد العزيز كان يضاهي رتبة الوزير وهو الوساطة[8].

تمثلت سياسة عيسى بالانضباط والحزم حيث استطاع فرض سيطرته على الدولة وضبط أمورها والتحكم في إدارتها، ويبدو أنه تمتع بثقة العزيز بالله فأصبح رجل الدولة الأول في عهده [9]، وبات مسئولاً عن جميع الدواوين، وتولى جميع شؤونها فأصبح هو الآمر الناهي في الدولة يكاتب مسؤولي الدولة ويرسل له نيابة عن العزيز ويوقع نيابة عنه ويستشيره الناس والقادة والعمال في أمورهم كافة فأصبح مسئولاً عن كل صغيرة وكبيرة في الدولة[10]، وكان يخاطب بسيدنا الأجَل[11].

لم تذكر بعض المصادر النصرانية سيرة عيسى بن نسطورس ككتاب (التاريخ المجموع) لابن البطريق، بينما ذكر ابن عبري بأنه رجل بارع في الإدارة[12]، كما ورد في المصادر التاريخية الإسلامية أن عيسى تحيز لبني جلدته وأهل ملته من النصارى؛ فأساء استعمال

---

(1) بدائع الزهور، ابن إياس، ج1 196.

(2) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج1، 58.

(3) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7/ 440.

(4) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج68/4.

(5) البداية والنهاية، ابن كثير، ج366/11.

(6) حسن المحاضرة، السيوطي، ج601/1.

(7) اتعاظ الحنفا، المقريزي، ج283/1.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007.

(9) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج222/7؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج1/ 56؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7/ 440.

(10) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج1 / 283.

(11) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص228.

(12) تاريخ الزمان، ابن عبري، ص70.

السلطة واستغلها لصالح النصارى، وأزاح من طريقه العمال والكتاب والمتصرفين المسلمين وعين بدلاً منهم النصارى في الدواوين والأعمال، فاستولى النصارى في عهده على المناصب العليا والمهمة في مصر، فتمكنوا من السيطرة على زمام الأمور في الدولة[1]، وذلك ما اعترف به المؤرخين النصارى حيث ذكر ابن عبري بأن عيسى استبعد الكتاب البارعين من العرب وعين بدلاً منهم كتاب نصارى[2].

وكانت سياسته وإدارته المالية تثير استياء أهل مصر بسبب قيامه بزيادة حجم الضرائب التي كانت تفرض على أهل مصر، واستحداثه ضرائب جديدة لم تكن تفرض عليهم من قبل[3]، وذلك أدى إلى ملء خزانة الدولة بالأموال حيث ساهمت سياسته الضريبية في جلب أموال طائلة للدولة[4].

تلك السياسة أثارت استياء المسلمين خاصة وأهل مصر عامة، فاحتجوا عليها، ومن مظاهر احتجاجهم: أن امرأة من أهل مصر كتبت إلى العزيز حاكم مصر رسالة في مكتوب وألقتها في طريقه أثناء مروره تقول له: "بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس، واليهود بميشا، وأذل المسلمين بك؛ لما كشفت عن ظلامتي"[5]، وقيل أن أهل مصر كتبوا تلك الرسالة للعزيز ووضعوها في يد دمية على صورة امرأة صنعوها من قراطيس وألقوا بها في طريق العزيز[6]، فلما قرأ العزيز الرسالة استدعى قاضيه أبو عبد الله محمد بن النعمان وكان من

---

(1) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج222/7؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج1/ 56؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج440/7؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج131/2؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج302/1؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج366/11؛ اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج297/1؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج601/1.

(2) تاريخ الزمان، ابن عبري، ص70.

(3) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص228.

(4) تاريخ الزمان، ابن عبري، ص70.

(5) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج222/7؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج57/1؛ المنتظم في تاريخ الملوك، ابن الجوزي، ج386/14؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج130/27؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج302/1؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج366/11؛ نهاية الأرب، النويري، ج104/28؛ اتعاظ الحنفا، المقريزي، ج297/1؛ حسن المحاضرة، السيوطي، 601/1.

(6) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7475؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج131/2؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج302/1؛ اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج297/1.

المقربين إليه فاستشاره بأمر عيسى فأشار عليه بعزله فقال العزيز: "لقد صدقت المرأة في القصّة ونبّهت من الغفلة"[1].

فأمر العزيز بالقبض عليه وصادر من أمواله ثلاث مائة ألف دينار[2]، وقبض على جميع الكتاب النصارى وأمر بعودة الدواوين والأعمال إلى الكتاب المسلمين والاعتماد عليهم في إدارة البلاد[3]، كان للعزيز ابنة تسمى (ست الملك) يحبها حباً شديداً عزيزة عليه وقريبة منه لا يرد لها العزيز طلب[4]، عندما قبض على عيسى تدخلت ست الملك ابنة العزيز وطلبت من والدها أن تشفع لعيسى بن نسطورس وأن يعفو عنه، وبالفعل عفى عنه والداها العزيز وأعاده لمنصبه، واشترط عليه أن يوظف المسلمين في وظائف الدولة، ويعينهم في المناصب العليا وألا يستأثر النصارى بها[5].

وبعد وفاة العزيز تولى ابنه الحاكم بأمرالله أبو علي المنصور، سادس ملوك الدولة العبيدية، ثالث ملوك مصر والشام من الدولة الفاطمية تولى الحكم في شهر رمضان سنة (386هـ/996م)[6]، فعين الحاكم عيسى بن نسطورس على الديوان الخاص[7]، وذكر المقريزي أن شيوخ كتامة وكانوا في ذلك الوقت رجال الدولة وكبارها اشترطوا عند تولى الحاكم بأمر الله الملك ألا ينظر في شئون الدولة إلى الحسن بن عمار، وكان ابن عمار واحداً منهم كما طالبوا بعزل عيسى بن نسطورس وتكون الوساطة لابن عمار فعين ابن عمار في منصب الوساطة وعزل عيسى[8]، فتولى الحسن بن عمار شؤون الجيش وإدارة الدولة[9]، فقام الحسن بإلقاء القبض على الوزير عيسى بن نسطورس وذلك في التاسع من شوال سنة ثلاثمائة وست

(1) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج223/7.

(2) المنتظم في تاريخ الملوك، ابن الجوزي، ج386/14؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج131/2؛ نهاية الأرب، النويري، ج104/28؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج366/11؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج601/1.

(3) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج223/7؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج56/1.

(4) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج223/7؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج56/1.

(5) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج223/7؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج56/1؛ نهاية الأرب، النويري، ج104/28.

(6) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج77/1؛ نهاية الأرب، النويري، ج105/28.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 136؛ اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج6/2.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 105.

(9) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج293/1.

وثمانين، ويذكر النويري أن سبب القاء القبض عليه هو اتهام الحسن بن عمار للوزير عيسى بالتآمر عليه والتحالف سرا مع منجوتكين أمير دمشق، فقام بتعذيبه وصادر من أمواله سبعمائة ألف دينار ثم حمله على حمار إلى المقس[1]، وقام بضرب عنقه وذلك في شهر محرم سنة (387هـ/997م) [2]، وكانت مدة وساطته سنة وعشرة أشهر[3].

وذكر النويري قصة تتحدث عن ظلم عيسى للمسلمين، حيث راسله أحد القادة المسلمين يستعتب فيها الوزير عيسى على أفعاله وتصرفاته الظالمة تجاه المسلمين ويقبح فيها بطشه للمسلمين، فرد عليه عيسى بأن مصر كانت للنصارى قبل قدوم المسلمين والدين النصراني سبق الإسلام إليها، وأن المسلمين حينما فتحوا مصر وسيطروا عليها ظلموا النصارى، وفرضوا عليهم الجزية وأذلوهم، فإن امتنع النصارى عن دفع الجزية قاتلهم المسلمين وإن قبلوها أهانوهم، ولم يحسنوا إلى النصارى على الاطلاق، فكيف يريد من النصارى أن يحسنوا إليهم إذا جاءتهم فرصة للتحكم بالمسلمين![4].

ولم تجد الباحثة تلك القصة بأي مصدر تاريخي سوى عند النويري الذي لم يذكر اسم القائد المسلم الذي راسل عيسى، لذلك فإن الباحثة ترى بأن تلك القصة ربما تكون من القصص الموضوعة على النصارى، حيث لم ترد بأي مصدر تاريخي إسلامي أو نصراني.

2- فهد بن إبراهيم النصراني

أبا العلاء فهد بن إبراهيم النصراني عمل كاتباً لأبي الفتوح برجوان الذي تولى الوساطة في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله[5]، ويعد فهد بن إبراهيم من نصارى مصر من الأقباط الذين سكنوا ريف مصر[6]، جاء به برجوان إلى قصر الحاكم وعلمه شؤون الإدارة، وكيفية التعامل مع الخدم وعمال القصر وتفقد أحوالهم والاهتمام بهم وتوفير ما يحتاجونه، ثم ترقى فهد في خدمة برجوان حتى كلفه برجوان بالتوقيع عنه والنظر في تظلمات الناس وشكواهم

---

(1) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج293/1.

(2) أخبار مصر، ابن الميسر، ص180؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج77/1؛ نهاية الأرب، النويري، ج105/28.

(3) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج293/1.

(4) نهاية الأرب، النويري، ج105/28.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 7.

(6) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج82/1.

والحكم فيها[1]، ومتابعة شؤونهم وأطلق عليه لقب (الرئيس)، في جمادي الأولى من سنة ثلاثمائة وثمانية وثمانين هجري[2]، وأصبح مشهوراً بهذا اللقب، بل ويخاطب به في المراسلات والمكاتبات الرسمية، فكان برجوان يجلس في دهليز القصر بينما الرئيس فهد يجلس في الدهليز الأول، أي مدخل القصر فهو من ينظر أولاً في شؤون الناس ويشاور برجوان في الأمور الضرورية التي سوف يطلع عليها الحاكم، ثم يتفقان على رأي واحد ويطالعان الحاكم عليه[3]، ولفهد دور كبير في إدارة الدولة فكان هو من يدبر أمور الدولة لمهاراته في الإدارة وحسن التخطيط والتنفيذ[4].

بعد مقتل برجوان من قبل الحاكم في شهر ربيع الآخر من سنة (390هـ/1000م)[5]، استدعى الحاكم الرئيس فهد وقال له: "أنت كاتبي"[6]، ومنحه الأمان وطمأنه على نفسه، واجتمع بعد مقتل برجوان بالحسين بن جوهر وعينه بدلاً من برجوان، وجعل أبا العلاء فهد بن إبراهيم نظيرا له[7]، وطلب الحاكم منه إحضار جميع كتّاب الدواوين والأعمال فحضروا الاجتماع وأبلغهم الحاكم بأن فهد بن إبراهيم أصبح وزيرا له في الدولة، وأمرهم بطاعته والامتثال لأوامره وقدمه عليهم فقبل فهد الأرض شاكراً للحاكم ترقيته[8].

ولم يكن لأحد منزلة أعلى عند الحاكم من فهد سوى الحسين بن جوهر الذي رد إليه الحاكم التوقيعات وتدبير أمور الدولة والنظر في مظالم الناس فقد حمله على فرس، بينما ركب فهد بن إبراهيم على بغلة، فقد كان الحسين مقدماً على فهد الذي كان له دور النائب والمساعد للحسين وكانا ينظران في أمور الناس ويعرضان أمور الدولة على الحاكم، وقد أمر الحسين الناس بمخاطبته بالقائد ومخاطبة فهد بالرئيس، ويبدو أن فهد كان حريصاً على أن ينال ثقة الحاكم ورضاه فقد أهداه ثلاثين بغلة وعشرين فرسا وعشرين ألف دينار وغيرها من الهدايا[9].

---

(1) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص240؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3،7.

(2) الإشارة إلى من نال الوزارة، ابن الصيرفي، ص27.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 8.

(4) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج273/7؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج89/1.

(5) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص249.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 9.

(7) مجمع الآداب، ابن الفوطي، ج324/3.

(8) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج92/1.

(9) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج29/2.

وأعرب الحاكم عن امتنانه لفهد ورضاه عنه وعن تصرفاته وأمره بالإحسان إلى خدمه وعماله وإعطائهم حقوقهم والحفاظ على حرمتهم، والرفق بهم وحسن معاملتهم، ويكرمهم في العطاء لمن يراه أهلاً له، وأن يكتب للعمال والولاة، السبب الذي دفع الحاكم لقتل برجوان ففعل فهد بن إبراهيم النصراني ما أمره به[1]، ويبدو أن الحاكم كان ذكياً وواعياً لما يفعله وأنه أراد أن يهدأ من روع الرعية فأمر فهد بالكتابة إلى الولاة وسائر العمال بما فعله برجوان وبأنه خان الحاكم، على الرغم من أن الحاكم كان هو من يجب عليه أن يكتب ذلك للولاة ولكنه دفع بفهد لأن يكتب ذلك بنفسه؛ لأن فهداً كان مقرباً من برجوان بل كان أكثر المقربين والمؤيدين له وذلك كان معروفا للجميع فعندما يكتب فهد تلك الرسالة فذلك يخفف من التوتر والاضطراب الذي كان سائدا بسبب مقتل برجوان[2]، ويقلل من الثورة أو الانقضاض على الحاكم؛ لأن الرواية بلسان فهد ستكون أكثر قناعة وأكثر صدقاً من الرواية بلسان الحاكم؛ بحكم أنه أكثر المقربين من برجوان، لذلك جعل فهداً وزيرا له وتعمد إعلاء شأنه أمام الولاة والكتاب ورؤساء الدواوين، ليخفف من حدة غضب الناس[3]، وسبب قتل برجوان أنه قصّر في عمله وخالف أمر الحاكم، وكَثُر استبداده كما يدعي المقريزي في كتابه [4]، وكذلك غدر برجوان بالحاكم[5].

لذلك كان الهدف المعلن للحاكم أن قتل برجوان كان بسبب خيانته، ولم يكن هدفه من قتل برجوان القضاء على نفوذه، بدليل أنه وضع كاتب برجوان وزيراً له، وذلك يؤيد ما ذهب إليه ابن عبري حيث وضع فهداً في ذلك المنصب ليهدأ من روع الناس ويخفف من حدة الانقضاض عليه أو الثورة عليه[6].

ويبدو أن فهد كان يتمتع بثراء كبير أثناء توليته لمنصبه والدليل على ذلك أن في عام ثلاثمائة وتسعين سقط له اصطبل مات له فيها ستين بغلة[7].

---

(1) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج92/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، ج8/3.

(3) تاريخ الزمان، ابن عبري، ص74.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 8.

(5) تاريخ الزمان، ابن عبري، ص74.

(6) المصدر السابق، ص74).

(7) المقريزي، اتعاظ الحنفاء، ج25/2.

لم يمكث كثيراً فهد بن إبراهيم في منصبه فقد قام الحاكم بقتله والتخلص منه في شهر جمادي الآخرة سنة 392هـ/ 1002م، بعد أن مكث في الوساطة خمس سنوات وتسعة أشهر واثني عشر يوما[1]، وقيل قتل يوم الأربعاء من جمادي الأولى عام 392هـ/ 1002م[2].

تضاربت الروايات التاريخية حول مقتله فقد ذكر ابن القلانسي سبب مقتله؛ هو الوشاية عليه عند الحاكم بأمر الله من قبل ابن عبداس المصري مسئول ديوان الخراج، ومحمود بن محمد النحوي مسئول ديوان الحجاز[3]، وتلك الرواية يؤيدها ابن مسكويه[4].

حيث اتهماه بأنه اختلس الكثير من الأموال وزينا للحاكم قتل فهد بن إبراهيم وحرضاه عليه واتهماه بأنه يختلس ستين ألف دينار كل عام، وطلبا منه أن يتوليا المنصب بدلاً منه ويوفرا على الحاكم هذا المبلغ كل عام، فعرض عليهم الحاكم إقالته من منصبه وتوليتهم بدلاً منه؛ فرفضا ذلك وأصرا على قتل فهد[5]، بحجة أن معظم الولاة والعمال والكتاب كانوا من اختيار فهد فإذا بقي حياً فربما يعود لمنصبه بضغط من أولئك الولاة والعمال الموالين له، لذلك أصروا على قتله ولكن الحاكم قال لهم: "ماله إليّ ذنب فاقتله به!" ولكنهما ألحا عليه بقتله فأراد أن يأخذ منهم عهدا بأن يضمنا له المال الذي تعهدا به فتعهدوا بأن يؤدوا المال الذي وعدوه به وأن يدبروا أمر الدولة ويديروا أمورها كما يريد هو، واتفقا مع الحاكم أن يقيم ابن عبداس في مصر وابن نحوي في الشام، فأمر الحاكم مسعود السيفي بأن يذهب إلى فهد ابن إبراهيم الوزير ويطلبه للحاكم لاستدراجه وقطع رأسه ويرسلها للحاكم، وأن يلقي القبض على أخيه أبو غالب رئيس ديوان النفقات، فتوجه مسعود لفهد ووجده في الحمام فانتظره واستدرجه وأقنعه بأنه يراد به الخير، فوصل مسعود به إلى باب الرهومة وهو إحدى أبواب القصر؛ فشعر فهد بأنه أوشك على نهايته فبكى، وطلب رؤية الحاكم ليعفو عنه وبكى عليه الناس لما رأوا حاله فتوسل لمسعود ووعده بألف دينار مقابل أن يراجع الحاكم فضرب رأسه وأرسلها للحاكم[6]، ورجع مسعود ليقبض

---

(1) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج44/2.

(2) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص252.

(3) تاريخ دمشق، ج96/1.

(4) تجارب الأمم، ج276/7.

(5) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج96/1.

(6) المصدر السابق، ج96/1.

على أخيه أبي غالب فوجده قد هرب، ولكن الحاكم استطاع أن يقبض عليه بعد شهر فقتله وأحضر أبناء فهد فكتب لهم الأمن والحماية لهم ولأموالهم وعدم التعرض لها[1].

وقد رأى المقريزي أن سبب قتله هو انحيازه للنصارى وتعينهم في المناصب العليا للدولة واستئثارهم بها وكثرة شكاوي المسلمين منهم وتأييد فهد للنصارى وتعصبه لهم، وأنه هو من يمنحهم الأموال ويعينهم في الدواوين وأن وجوده في منصب يشكل عبأً على المسلمين ونصراً للنصارى، وقد أبرز تلك الشكوى الكاتب أبو طاهر محمود النحوي هو وعلي بن عمر بن عبداس[2]، ولكن رواية قتله عند المقريزي تختلف عن رواية ابن القلانسي حيث أظهر بأن أبي طاهر محمود النحوي هو من زين للحاكم قتله على يد ابن عبداس وتم اغتياله بناء على تلك المؤامرة بين النحوي والحاكم بيدِ ابن عبداس[3].

وذكر المؤرخ النصراني ابن البطريق مقتله في كتابه لكنه لم يذكر سبب مقتله ولم يتطرق له[4]، بينا أرجع ابن المقفع سبب قتل فهد هو أن الحاكم عرض عليه الدخول في الإسلام فرفض فهد؛ فضرب عنقه وأحرق جثته لمدة 3 أيام وأنه حرق كل جسده باستثناء يده اليمني التي كان يتصدق فيها ووصفه بأنه رجل دين وذو رحمة[5]، ورواية ابن المقفع تتناقض مع ما يرويه المؤرخ النصراني ابن عبري الذي أكد أنه في زمن الحاكم كان يتولى النصارى الوزارة دون الحاجة لترك دينهم ولا أحد يجبرهم على ترك دينهم[6].

ويميل الباحث سلام محمود إلى رواية المقريزي وابن القلانسي، ويستبعد رواية النصارى وابن المقفع[7]، وترى الباحثة بأن رواية ابن المقفع غير مقنعة وغير منطقية وتفتقر للمصداقية؛ لأن الحاكم لو أراد أن يدخل فهد الإسلام لعرض عليه ذلك منذ اليوم الأول الذي تولى فيه الوساطة، ولم يصبر عليه خمس سنوات ثم يدعوه للإسلام! كما أن النصارى في زمن الحاكم قد تم تعينهم في العديد من الوظائف العليا في الدولة[8]، فلو كان هدف الحاكم دخول فهد في

---

(1) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج97/1.

(2) المواعظ والاعتبار، م88،3.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م88،3.

(4) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج187/2.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج2/ 103.

(6) تاريخ الزمان، ابن عبري، ص73.

(7) أهل الذمة في مصر، ص64.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 88.

الدين الإسلامي، لقام بعزل كل النصارى وفرض عليهم الإسلام بالقوة ومن يرفض يقوم بقتله أو حرقه، ولو كان هدف الحاكم إجبارهم على الإسلام لأباد كل النصارى في مملكته وتخلص منهم.

وتشير الباحثة بأن رأي الباحث سلام محمود أقرب للدقة، وتؤيد رواية المقريزي وابن القلانسي في أن فهد تعرض للقتل؛ بسبب وشاية النحوي وابن عبداس وميله وتعصبه للنصارى والدليل على ذلك أن الحاكم لم يتعرض لأولاده بأي أذى بل رد لهم أموالهم وحفظ حقوقهم وحقوق أباهم[1]، ولكن ذلك لا يعفي الحاكم اضطهاده للنصارى، ومن أن قتله لفهد فيه افتراء وظلم، واستبداد، فكان أولى له استدعاء فهد وعزله من منصبه، بدلاً من قتله بتلك الطريقة البشعة، وذلك يدل على ظلم وتجبر الحاكم فهو اعتاد على قتل كبار المسئولين في الدولة كما قتل برجوان من قبل.

3- منصور بن عبدون النصراني الملقب بالكافي

يعد من النصارى الذين تقلدوا مناصب عليا وهامة في الدولة الفاطمية، فتولى منصور بن عبدون رئاسة ديوان بلاد الشام قبل قدومه مصر[2]، وفي سنة (399هـ/1009م)، أصبح ابن عبدون مسئولاً عن ديوان الخراج في مصر لوحده دون شركاء[3]، واختلف المؤرخون حول المنصب الذي تولاه ابن عبدون النصراني في مصر، فقد ذكر ابن الفوطي بأنه تولى منصب الوزارة من قبل الحاكم بأمر الله بعد عزل صالح بن علي الروذبادي[4]، ولقبه بالكافي[5]، ولقب أيضاً بالقاضي وكتب له كتاب بهذا اللقب وحمل على بغلتين[6].

بينما ذكر القلقشندى بأنه تقلد منصب الوساطة وهو منصب أقل درجة من الوزارة زمن الحاكم بأمر الله[7]، أكد ذلك القول المقريزي حيث أشار إلى تولى ابن عبدون منصب الوساطة والسفارة [8]، وكان ذلك سنة(400هـ/1010م)[9]، وتميل الباحثة لرأي القلقشندى والمقريزي في

---

(1) تاريخ دمشق، ابن قلانسي، ج1 / 97.

(2) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص277.

(3) اتعاظ الحنفا،، المقريزي، ج76/2.

(4) مجمع الآداب، ج30/4.

(5) مجمع الآداب، ابن الفوطي، ج30/4.

(6) اتعاظ الحنفا،، المقريزي، ج81/2.

(7) صبح الأعشى، ج562/3.

(8) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج849/2.

(9) المصدر السابق، ج819/2.

أن ابن عبدون تولى منصب الوساطة؛ لأن ابن الفوطي مؤرخ عراقي لم يعش بمصر ولم يسبر أغوارها مثل القلقشندى والمقريزي[1]، بينما القلقشندى نشأ في القاهرة وعمل في ديوان الإنشاء[2]، فكانت معلوماته عن مصر التي نشأ فيها أدق وأقرب للحقيقة؛ لأن له تجربة بالعمل في بلاط الخلفاء، وخبرة في مناصب الدولة من خلال عمله في ديوان الإنشاء تجعله أدق في عرض مناصب الدولة.

كما أن المقريزي مؤرخ عاش في مصر فضلاً عن أنه مؤرخ متخصص في تاريخ مصر ومتعمق فيه فكان أدق وأقرب للأحداث والحقائق في مصر من ابن الفوطي، وبناء على ذلك يعد ابن عبدون مسئول الوساطة.

وقد علا شأن ابن عبدون وأصبح يوقع نيابة عن الحاكم بأمر الله، ونظر في الدواوين وجدد ديوان المفرد[3]، وتعرض ابن عبدون النصراني للمكائد والدسائس من قبل بعض المتنفذين عند الحاكم فقد وشى به بنو المغربي عند الحاكم خاصة أبا القاسم المغربي ووالده؛ نظرا لعداوة قديمة بينهما وحاولوا إفساد العلاقة بينه وبين الحاكم، وتشويه صورته عنده من أجل عزله من منصبه، لكن منصور بن عبدون كان متيقظاً لما يفعله بنو المغربي ولم يكن أقل حنكة منهم[4]، وخاصة أنهم تسببوا في إيذاء النصارى وابن عبدون فقد كان أبو القاسم ووالده المتسببين في ضرب النصارى وعلى رأسهم ابن عبدون ألف سوط ويبدو أن منصور بن عبدون لم ينسَ ذلك الفعل منهم[5]، وأراد أن يأخذ بثأره فقد حرض الحاكم عليهم وأخذ يغريه بقتلهم وضرورة التخلص منهم والقضاء عليهم، وبالفعل نجح ابن عبدون في مسعاه حيث أمر الحاكم بقتلهم وقتل عدد منهم من ضمنهم أخوين لأبي القاسم المغربي[6].

ولعل هذا السبب الذي دفع ابن القلانسي بوصفه بأنه رجل خبيث! صاحب جَلَد[7]، ولكن ابن عبدون لم يستمر طويلا في منصبه فقد تغير عليه الحاكم وعزله من منصبه[8]، وذلك

---

(1) فوات الوفيات، ابن شاكر، ج319/2.

(2) صبح الأعشى، القلقشندي، ج399/1.

(3) المواعظ والاعتبار، م3، 40.

(4) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج201/1-202.

(5) مجمع الآداب، ابن الفوطي، ج30/4.

(6) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج201/1-202.

(7) المصدر السابق، ج100/1.

(8) المصدر نفسه، ج202/1.

يوم الخميس الرابع من محرم في عام (401هـ/1011م)[1]، ويعود سبب صرف ابن عبدون عن الوساطة والسفارة أن الحاكم تكررت رسائله لقائد الجيش حسين ابن جوهر وزوج ابنته عبدالعزيز بن نعمان يعدهم فيها بالأمان ويطلب عودتهم بعد أن فروا منه وصادر أموالهم؛ فرفض ابن جوهر أن يدخل وابن عبدون النصراني مسئول الوساطة ويوقع عن الخليفة ويرجع سبب رفض حسين بن جوهر قائد القواد؛ أنه عندما كان مسئولاً عن ديوان النظر أحسن إلى ابن عبدون وأكرمه، لكن ابن عبدون أوقع بينه وبين الحاكم وسعى في الفتنة بينهما وحرض الحاكم عليه حسبما ادعى حسين ابن جوهر[2]، فإن عاد وابن عبدون في الوساطة فسوف يعيد الكرة ويحرض الحاكم عليه ويسعى للوقيعة بينه وبين الحاكم لذلك قام الحاكم بعزل ابن عبدون[3].

رغم اعتراف الحاكم بفضل ابن عبدون! وبعد أن صرفه الحاكم عن الوساطة كتب له أماناً بخط يده يؤمنه، وكان يقول بحق ابن عبدون: "ما خدمني أحد ولا بلغ في خدمته ما بلغه ابن عبدون، ولقد جمع لي من الأموال ما هو خارج في أموال الدواوين ثلاثمائة ألف دينار"[4]، ثم سلبه أمواله وقتله[5]، بعد وقت قصير من عزله في الرابع من محرم سنة 401هـ/1011م،[6]".

4- زرعة بن عيسى بن نسطورس

صرف الخليفة الحاكم بأمرالله ابن عبدون عن السفارة والوساطة، وعين بدلاً منه أحمد بن محمد القيشوري الذي لم يستمر في منصبه سوى عشرة أيام حيث قام الحاكم بقتله، وقلد بدلاً منه في منصب الوساطة والسفارة زرعة بن عيسى بن نسطورس[7]، في شهر ربيع الآخر سنة (401هـ/1011م) [8].

---

(1) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص286.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 42.

(3) المصدر السابق، م3، 42.

(4) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج84/2.

(5) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج202/1.

(6) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص286؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 42.

(7) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص286؛ نهاية الأرب، النويري، ج119/28.

(8) الاشارة لمن نال الوزارة، ابن الصيرفي، ص85.

قال ابن خلدون أن زرعة تولى منصب الوساطة بعد ابن عبدون مباشرة[1]، ولقب زرعة بعد مدة يسيرة من تقلده منصبه بالشافي[2]، وقد توفي زرعة بن نسطورس؛ بسبب مرض أصابه في ظهره[3]، يوم الاثنين في الثاني عشر من صفر سنة(403هـ/ 1013م)[4]، بعد مرور سنتان وشهر على تقلده منصب الوساطة، وتأسف الحاكم على موت زرعة ليس حباً في زرعة؛ بل لأنه نجا من بطش الحاكم ومن سيفه؛ لأن الحاكم كان ينوي قتله بحجة أن زرعة منافق وخائن، فاتهمه بأنه خرب دولة الحاكم وكان يبطن له العداوة ولم يظهرها له، وتواصل مع حسان بن الجراح ليهرب عنده[5]، لكن الأنطاكي يتناقض في حديثه مع ما ذكره المقريزي، حيث يصف زرعة بأنه شخص حسن السمعة، محبوب من سلطانه الحاكم بأمرالله ومن الجيش والكُتّاب، ويجيد إدارة البلاد[6].

5- صاعد بن عيسى بن نسطورس

هو الأمير الظهير شرف الملك تاج صاعد بن عيسى بن نسطورس المعالي ذو الجدين تولى الوزارة في زمن الحاكم بأمرالله وعينه الحاكم نفس منصب أخيه في الوساطة[7]، سنة(409هـ/1019م)، بعد علي بن جعفر بن فلاح[8]، ولقب بقسيم الخلافة[9]، وطلب منه الحاكم التوجه إلى الشام بعد توارد أنباء بخروج ولي العهد عليه، ولكنه عندما تيقن بأن ولي العهد لم يخرج عليه أبقاه على الشام، وطلب من صاعد أن يعود إلى مصر وقام بقتله والقضاء عليه[10]، سنة(409هـ/ 1019م)[11].

(1) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج76/4.
(2) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص286؛ اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج86/2.
(3) الاشارة لمن نال الوزارة، ابن الصيرفي، ص85.
(4) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص286.
(5) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج93/2.
(6) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص286.
(7) الإشارة لمن نال الوزارة، ابن الصيرفي، ص33.
(8) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج114/2.
(9) كنز الدرر، الدواداري ج296/6.
(10) تاريخ الأنطاكي، المقريزي، ص351.
(11) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ص130.

6- بهرام الأرمني:

تولى بهرام الأرمني الوزارة في مصر زمن الخليفة الفاطمي الحافظ[1]، في يوم الجمعة السادس عشر من جمادي الآخرة[2]، عام (529هـ/ 1135م)[3]، ولقبه تاج الدولة[4]، وسيف الإسلام[5]، وموطن بهرام الأصلي تل باشر[6]، شمال حلب[7]، وسبب مجيئه إلى مصر هو موت زعيم الأرمن في تل باشر وكان بهرام هو الأجدر والأقدر على تولي أمر الأرمن لكن الأرمن رفضوا أن يختاروه، وولّوا عليهم شخصاً آخر أقل كفاءة منه ليصبح زعيما لهم؛ مما أغضب بهرام فترك تل باشر وتوجه إلى مصر[8]، وعندما وصل إلى مصر التقى بالحافظ فأعجب به الحافظ وأعجب بعقليته وبحسن إدارته وقدراته العسكرية والحربية؛ مما دفع الحافظ إلى تعينه وزيراً في مصر[9]، رغم معارضة كبار مستشاريه ورفض المسلمين له فقد أشار مستشارو الحافظ بألا يعينه وزيرا؛ لأنه من شروط الوزارة أن يصعد الوزير مع الإمام إلى المنبر في يوم الجمعة والأعياد لإزالة الحواجز بينه وبين الرعية[10]، فكيف سيصعد وزير نصراني المنبر مع الامام؟

كما رفضوه لأنه نصراني لن يقبله المسلمون وزيرا عليهم، لكن الحافظ تجاهل نصائح مستشاريه وقال: "إذا رضيناه نحن فمن يخالفنا"[11]، وأمر قاضي القضاة بالصعود إلى المنبر مع الامام بدلاً من الوزير، وعينه وزيراً رغم معارضة المسلمين له[12]، وذكرت المصادر التاريخية أن سبب تولي بهرام الأرمني الوزارة أن ابن الحافظ الحسن كان نائبا للخليفة، قد طمع

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 201.

(2) نهاية الأرب، النويري، ج195/28.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م201،2.

(4) حسن المحاضرة، السيوطي، ج205/2.

(5) نهاية الأرب، النويري، ج195/28.

(6) تل باشر: قلعة محصنة شمال حلب معظم أهلها من النصارى الأرمن، معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج40/2؛ مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق، ج269/1.

(7) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج40/2.

(8) نهاية الأرب، النويري، ج196/28.

(9) نهاية الأرب، النويري، ج196/28.

(10) رفع الإصر، ابن حجر العسقلاني، ص134.

(11) نهاية الأرب، النويري، ج196/28.

(12) المصدر السابق، ج196/28.

بالخلافة وتآمر مع السودان ضد جنود والده وقتل عددا كبيرا منهم، ووقعت فتنة بين جنود الخليفة والسودان، استولى فيها السودان على القاهرة ففر عدد من الجنود إلى المحلة مستنجدين بواليها الذي كان في ذلك الوقت بهرام الأرمني وانضم له بعض الجنود والعساكر من الريف وتوجه إلى القاهرة؛ فأغلقت الأبواب في وجهه، فقام بإحراق بعضها وتدميرها وقتل عدد كبير جداً من السودان واستطاع القضاء على السودان ثم طالب الجند ابن الحافظ بتسليم ابنه، لكنه رفض فأصر عليه الجند فقام الحافظ بدس السم لابنه فتوفي، ومن بعدها تولى بهرام الأرمني الوزارة[1].

وقيل أن بهرام الأرمني كان حاكماً لمنطقة الغربية بمصر ثم توجه إلى القاهرة وحاصرها ودخلها، وبعد أن أصبح وزيرا متمكناً في الدولة وله الكلمة المسموعة عند الخليفة استأذن من الحافظ بأن يستقدم أهله وإخوته من تل باشر إلى مصر، فسمح له الخليفة باستقدامهم؛ فاستغل الفرصة وجلب من بني جنسه الأرمن حوالي ثلاثين ألفاً[2]، كما جلب أخيه المشهور بالباساك وعينه والياً على قوص[3]، في صعيد مصر[4].

وقد استبد الباساك بالناس وبالغ في ظلمهم ونهب أموالهم واضهدهم وتسلط عليهم وزاد آذاه على المسلمين[5]، فيما يبدو أن بهرام تعمد جلب ذلك العدد الكبير من الأرمن مستغلاً ثقة الخليفة به؛ ليستقوي بهم على المسلمين وذلك ما حدث بالفعل فقد تطاول النصارى الأرمن على المسلمين واستبدوا بهم[6]، وعمّروا الكثير من الكنائس والأديرة حتى كان لكل رئيس عائلة كنيسة خاصة به بجوار بيته، ويتضح من ذلك بأن النصارى في مصر قد تمتعوا بامتيازات كبيرة لم يحظ بها المسلمون أنفسهم وكان لهم نفوذ سياسي كبير[7].

لكن النصارى لم يحسنوا التصرف فقد أساءوا إلى المسلمين وظلموهم واستبدوا بهم، مستغلين نفوذهم ومناصبهم عند الخلفاء؛ وخير مثال على ذلك بهرام الأرمني الذي أثارت

---

(1) كنز الدرر، الدواردي، ج515/6.

(2) نهاية الأرب، النويري، ج196/28.

(3) قوص: مدينة من أعظم مدن صعيد مصر توجد على نهر النيل بينها وبين الفسطاط اثنا عشر يوماً، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع، ج1133/3.

(4) اتعاظ الحناء، المقريزي، ج157/3.

(5) المصدر السابق، ج157/3.

(6) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج201/36.

(7) نهاية الأرب، النويري، ج196/28.

تصرفاته، حفيظة وخوف سكان مصر الذين خشوا أن تتحول مصر إلى الديانة النصرانية ويضيع الإسلام منها؛ بسبب استبداد بهرام وأخيه، وكثرت الشكاوي من بهرام وأخيه[1]، واستنكر الأمراء ما حصل للمسلمين من ظلم؛ فأرسلوا إلى أبي الفتح رضوان بن ولخشي وكان والياً لمنطقة الغربية وهو يعد كبير الأمراء؛ بسبب قوته فاشتكوا له ظلم بهرام وأخيه وما حصل للمسلمين من تصرفاتهم، وطالبوه بضرورة التدخل لإنقاذهم من ظلمه وجوره، وكان ذلك عام خمسمائة وواحد وثلاثين فاستجاب لطلبهم وطالب بالوزارة وخطب بالناس يحثهم على حرب بهرام وحاشيته من النصارى الأرمن[2].

لكن المقريزي في كتابه (اتعاظ الحنفاء) يروي رواية أخرى عن بهرام فقد وصفه بالحكمة وحسن القيادة، وأعاد تنظيم الجيش وأنفق عليه حتى استقرت الأمور في وزارته، وانتهت النزاعات والحروب الأهلية في عهده، وتحسن وضع الجيش وكان مطيعاً للخليفة، لكن العقبة الوحيدة التي كانت تواجهه أنه نصراني، بالإضافة إلى أن المسلمين أنكروا عليه كثرة جلبه للأرمن الذين كان من ضمنهم ابن أخيه الملقب بالسبع الأحمر، وإطلاقه أسير من كبار قادة الصليبيين؛ فذلك أثار حفيظة المسلمين فاشتكوه للخليفة مطالبين بعزله[3]، لكن ذلك يتناقض مع حديث الذهبي الذي وصفه بسوء الإدارة وظلم الشعب المصري ومحاباته للأرمن دون غيرهم، أي أن وزارته لم تكن قائمة على العدالة وذلك كان سبب من أسباب سقوط وزارته[4].

ويرجح المقريزي أن سبب الخلاف بين بهرام ورضوان بن ولخشي هو استهزاء رضوان ببهرام وبأفعاله وقراراته مما دفع بهرام إلى استبعاده من القاهرة؛ وعينه والياً على عسقلان؛ فقام رضوان بمنع جماعة من الأرمن الذين نزلوا البحر من الوصول إلى القاهرة، فعلم بهرام بذلك فاستدعاه إلى القاهرة ولم يتحمل إقامته فيها[5]، فجعله حاكما على الغربية ليبعده عنه[6]، وبعد أن زادت نقمة المصريين من أفعال بهرام وازدادت الاحتجاجات؛ بسبب قراراته التعسفية بحق المسلمين ومحاباته للأرمن قرر رضوان جمع جيوشه والتوجه إلى القاهرة ففر منها بهرام وتوجه إلى قوص ومعه من بني جلدته ألفين من الأرمن[7]، وكان هدفه أن يلتقي هو وأخيه في قوص

---

(1) نهاية الأرب، النويري، ج196/28.

(2) المصدر السابق، ج196/28-197.

(3) ج157/3.

(4) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج201/36؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4.

(5) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج158/3.

(6) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4؛ اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج157/3.

(7) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4.

ويتوجهوا إلى أسوان فيسيطروا عليها ثم يتوجهوا إلى بلاد النوبة؛ لأنهم نصارى مثلهم يشدون أزرهم ويقفون إلى جانبهم[1]، فرجع بهرام إلى القاهرة وسلب ما خفّ حملُه وخرج خلسة من باب البرقية في الحادي عشر من جمادي الأولى، وتوجه إلى الصعيد فعندما رحل اقتحم بعض العوام في مصر مقر الوزارة ونهبوها ونهبوا دور الأرمن بالحسينية وسلبوا كنيسة الزهري، وقيل أنهم نبشوا قبر البطريرك أخا بهرام، وانتشر خبر هزيمة بهرام في مصر فوصل لمدينة قوص فثار المسلمون على حاكمها أخا بهرام وقتلوه ومثلوا به وألقوا بجثته على مكب النفايات وجعلوا في رجله كلبا ميتاً.

فلما وصل بهرام بعد يومين قوص ومعه ألفي فارس ورماة من الأرمن ووجد جثة أخيه ملقاة على القمامة قتل جماعة من أهل قوص ونهبها[2]، وتوجه إلى أسوان فلم يتمكن من دخولها حيث اعترض طريقه كنز الدولة[3]، ونزل بالأديرة البيض وهي عبارة عن حصون منيعة غربي اخميم فتفرق عنه الأرمن فمنهم من عاد إلى بلاده، فأرسل له رضوان أخيه إبراهيم لطلبه ومنحه الأمان له وللأرمن الذين معه؛ واستطاع المجيء به فوضعه الحافظ في القصر وبقي فيه حتى مات[4].

وذكر المقريزي أن إبراهيم سار إلى الأديرة وتم الاتفاق بينه وبين بهرام على إقامة بهرام في الأديرة هو وأولاده وأهله، وطلب من إبراهيم أن يمنح الأرمن الذين بقوا معه أراضي يسكنوا بها فخصص لهم سمالوط وإبوان[5] وأقلوسنا[6]، والبرجين في صعيد مصر بالإضافة إلى أراض بالمحلة، وبقي بهرام مقيماً بالأديرة البيض مع عائلته[7]، وقيل أن الحافظ ألقى القبض عليه وسجنه[8]، وذكر المقريزي أن الحافظ لم يسجنه بل نقله من الصعيد إلى القاهرة في القصر عنده ولم يمنحه أي سلطة أو أي منصب سياسي، بل كان عبارة عن مستشار فقط.

---

(1) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج160/3.

(2) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4؛ نهاية الارب، النويري، ج197/28.

(3) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4.

(4) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4.

(5) إبوان: قرية توجد في الصعيد غرب النيل، معجم البلدان، ياقوت الحموي، (ج80/1)؛ مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق، ج20/1.

(6) أقلوسنا وهيبلدة من نواحي الأشمونين، صبح الأعشى، القلقشندي، ج419/14.

(7) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج160/3–162.

(8) حسن المحاضرة، السيوطي، ج205/2.

وفي العشرين من ربيع الأول من عام خمسمائة وخمس وثلاثين توفي بهرام الأرمني، وحزن عليه الحافظ حزناً شديداً وأمر بإغلاق الدواوين ثلاث أيام، ودعا بطريرك الملكية ليجهزه للدفن وأقام له جنازة مهيبة شارك فيها الأعيان وكبار المسؤولين والعامة والقساوسة، والخليفة الحافظ سار في الجنازة ببغلته ونزل عليها وبكى بحرقة على قبره [1]، وكانت مدة وزارته سنة واحدة وعشرة أيام[2].

7- الوزير الأسعد شرف الدين أبو القاسم هبة الله بن صاعد بن وهيب الفائزي:

يعد من نصارى صعيد مصر دخل الإسلام في زمن السلطان الأيوبي الكامل محمد بن العادل[3]، ويبدو أنه دخل الإسلام من أجل الحصول على منصب الوزارة حيث كان يحظر على النصارى تقلد منصب الوزارة إلا إذا تركوا النصرانية ودخلوا في الإسلام[4]، تولى النظر في الديوان زمن السلطان نجم الدين أيوب، تدرج في المناصب الحكومية في العهد الأيوبي، ولكن عندما قامت دولة المماليك قلده السلطان عزالدين أيبك التركماني الوزارة سنة ستمائة وثمان وأربعين هجري.

واتصفت فترة وزارته بالظلم والاستبداد حيث زاد من حجم الضرائب على التجار، واستحدث ضرائب جديدة لم تكن موجودة من قبل، وفرض ضرائب على الحيوانات من خيول وجمال وحمير في ذلك الوقت، وفرض الضرائب على العبيد والجواري وكان يخرج بنفسه لجبي الضرائب من مناطق مصر، كما أنه ضمن ما حرمه الإسلام، للحصول على الأموال كبيوت الزواني والخمر والحشيش، وازادت قوته وسلطته وتمتع بصلاحيات واسعة لدرجة أنه توجه للصعيد لمحاربة بعض الامراء، وتمتع بثراء كبير لم يتمتع به وزير من قبل واستحدث التقويم والتصقيع[5].

والتصقيع: هو إحصاء المنازل والعقارات من أجل فرض ضريبة عليها، والتقويم: هو تقدير قيمة تلك المنازل من أجل فرض ضريبة عليها[6]، وبقي طوال فترة عزالدين أيبك يتمتع بسلطة وجبروت إلى أن مات السلطان وجاء ابنه الملك المنصور نور الدين علي، وشهد عليه

---

(1) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج175/3.

(2) كنز الدرر، الدواداري، ج507/6.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م297،3.

(4) تاريخ الزمان، ابن عبري، ص73.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 297.

(6) معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دهمان، ص45.

بعض الأمراء بأنه يستخف السلطان الصغير ويسعى لإزاحته وأنه ينوي التوجه لدمشق ليتولى الملك الناصر سلطان مصر، فدبرت أم السلطان المنصور مكيدة وتخلصت منه وسجنته وصادرت أمواله ثم مات خنقا سنة(655هـ/ 1257م)[1].

8- عبد الله بن أحمد بن إبراهيم الوزير الصاحب علم الدين بن تاج الدين الشهير بابن زنبور:

وهو قبطي مصري، تولى ناظر الإسطبل في سنة (737هـ/131م)في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد ثم أصبح ناظر الخاص[2]، تمتع ابن زنبور بصلاحيات واسعة في مصر حيث تركزت في يده ثلاثة مراكز عليا في الدولة لم يسبق أن اجتمعت لوزير من قبله حيث تقلد منصب وزارة مصر، إضافة إلى ناظر الخاص وناظر جيشها[3]، وذلك في عهد السلطان المملوكي المظفر حاجي في سنة سبعمائة وسبع وأربعين[4].

وناظر الجيش هو: المتحدث باسم الجيش وهو المتولي أمره، وناظر الخاص: هو من ينظر في أموال السلطان الخاصة[5]، وعندما تقلد ابن زنبور تلك المناصب علا شأنه وذاع صيته، فاستقر في القاهرة وهو صاحب السبع قاعات، وحدث خلاف بينه وبين الأمير ضرغتمش الناصري؛ أدى ذلك الصراع إلى قيام الأمير بالقبض عليه وسجنه تسعين يوماً وصادر أمواله وكل ما يملكه من ذهب وبيوت وأموال واشتد في تعذيبه وإيذائه وتشريد عائلته، وذلك سنة سبعمائة وثلاث وخمسين ونفاه إلى قوص، واستمر ابن زنبور سجيناً لمدة عامين وتوفي في سجنه عام سبعمائة وخمس وخمسين[6].

تذكر المصادر التاريخية الإسلامية عن ديانته شيء إذا ما بقي على النصرانية أو أسلم ولكن المقريزي ذكر بأنه دخل الإسلام، لكن من تأمروا عليه اظهروه بأنه بقي على دين النصرانية؛ وذلك بغرض التحريض عليه والتخلص منه وتزين قتله[7].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 298.

(2) المصدر السابق، م3، 195.

(3) إنباء الأمراء، ابن طولون، ص70.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 196.

(5) صبح الأعشى، القلقشندي، ج437/5.

(6) إنباء الأمراء، ابن طولون، ص71.

(7) المواعظ والاعتبار، م3، 199.

9- الوزير علم الدين عبد الوهاب القبطي:

سمى نفسه بعد إسلامه علم الدين بن القسيس ولقب نفسه بعلم الدين، كان من النصارى الأقباط ثم أسلم، كان مشهوراً بين الأقباط بكاتب سيدي، تدرج في المناصب حتى أصبح رئيس ديوان المرتجع[1]، تولى الوزارة في عهد الدولة المملوكية زمن الملك الظاهر سنة سبعمائة وتسع وثمانين[2]، استمر في الوزارة سنة واحدة حيث تم القاء القبض عليه في رمضان[3]، سنة سبعمائة وتسعين، وعين الملك الظاهر بدلاً منه كريم الدين بن غنام وكان على خلاف مع علم الدين حيث أراد علم الدين القبض عليه ومصادرة أموال كريم الدين، فلما تولى كريم الدين الوزارة قام بالقبض عليه وبتغريمه وإجباره على دفع أموال قيمتها عشرة آلاف مثقال من الذهب[4]، وقيل عشرة آلاف دينار[5]، ومات في سنة (790هـ/1388م)، وكان وزيراً ليناً وكاتباً بارعاً، عُرف عصر وزارته بالهدوء والخلو من الاضطرابات[6].

10- الوزير عبد الكريم بن عبد الرزاق بن إبراهيم بن مكانس:

يعد من أقباط مصر[7]، تولى الوزارة بعد أن كان ناظر الدولة[8]، وأصبح ناظر الجيش[9]، وتقلد عدة مناصب مجتمعة منها ناظر الخاص، ووزير ووكيل بيت المال، وناظر الدواوين معا[10]، وكان يهابه الناس تميزت شخصيته بالاندفاع والشجاعة، أُلقي القبض عليه بسبب اندفاعه وطيشه[11]، وتم تعذيبه هو وشقيقه فخرالدين وهربا بعد أيام من تعذيبهما، وقد تسببا في ظلم العديد من الناس أثناء فترة وزارته، منها: فرض ضرائب كثيرة على الناس؛ أدت

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 127–128؛ إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج333/1؛ نيل الأمل، ابن شاهين، ج250/2.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م127،3–128؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج118/12.

(3) نيل الأمل، ابن شاهين، ج262/2.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 127–128.

(5) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج352/1.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي،م127،3–128؛ إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج378/1.

(7) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج227/13.

(8) السلوك، المقريزي، م46،4.

(9) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني، ج170/2.

(10) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج164/11.

(11) شذرات الذهب، ابن عماد، ج50/9.

إلى ارهاقهم وتعطل أعمالهم، كما أنه قام بعدة مظاهر تدل على عدم احترامه للمسلمين، فأظهر الفجور والفسق علناً، والاستخفاف والاستهزاء بالقرآن والرسول ﷺ، كما أن زوجته وبناته بقوا على دين النصرانية[1]، وظهر بعد هربه عندما طلب الأمير بركة الأمراء المعزولين فجُرد وضرب بالمقارع[2]، توفي كريم الدين عام(803هـ/1401م)[3].

لقد ذكر المقريزي في كتابه أسماء العديد من الوزراء من الأقباط والذين دخلوا الإسلام وبعضهم لم يتم التأكد من إسلامه مثل: الوزير سعد الدين سعد الله بن البقري الذي تولى النظر في ديوان المفرد والخاص، ثم تولى الوزارة زمن السلطان المملوكي الظاهر برقوق سبعمائة واثنين وتسعين[4]، ولكن سرعان ما عُزل وأُلقي القبض عليه وسجن وكان يشهد له بالكفاءة وحسن الرأي، لكن بعد الإشاعات التي طالته والتي تشيع أنه لم يسلم بل كان متشدداً للنصرانية سرا، ولم تجد الباحثة في المصادر التاريخية حديثاً يتعلق بديانة ابن البقري سوي كتاب المقريزي[5].

ثالثاً: الدواوين

تقلد النصارى في مصر في الدولة الإسلامية العديد من المناصب والمراكز الهامة التي كان لها وزنها وثقلها وتأثيرها، وذكرنا فيما سبق أن النصارى تولوا منصب الوزارة والوساطة وهي أكبر المناصب في الدولة بعد منصب الخليفة، ولم يقتصر توظيف النصارى على تلك المناصب، بل تغلغل النصارى في العديد من الوظائف الهامة في مصر مثل: رئاسة الدواوين، وعملوا ككتّاب في الدواوين، وذلك منذ الفتح الإسلامي لمصر وعبر المراحل التاريخية المختلفة وإن تأرجح وضع النصارى في بعض الفترات التاريخية ما بين توليتهم لأعلى المراتب، وعلو شأنهم وما بين دنوِ شأنهم وحرمانهم من الوظائف؛ لأسباب مختلفة ذكرت في منصب الوزارة والوساطة وسنذكر بعضها أثناء دراستنا للدواوين، وسأذكر بعض النصارى الذين تولوا رئاسة الدواوين وعملوا بها.

---

(1) السلوك، المقريزي، ج321/2.

(2) المصدر السابق، ج330/2.

(3) النجوم الزاهرة، ابن تري، ج22/13.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 211–212.

(5) المصدر السابق، م3، 214.

أول من أنشأ الدواوين في الدولة الاسلامية هو الخليفة عمر بن الخطاب[1]، وكانت الدواوين موجودة في مصر قبل الفتح الإسلامي وخاصة الخراج[2]، فأشار المقريزي أن الدواوين في مصر كانت تكتب باللغة القبطية[3]، ويدل ذلك على وجود الدواوين قبل الفتح الإسلامي، وأن المسلمين اعتمدوها أثناء بناء دولتهم في مصر، وذلك ما ورد في المصادر التاريخية الإسلامية، فأشار ابن الحكم إلى أن عمرو بن العاص أول والٍ مسلم على مصر أقر الأقباط على خراجها[4].

ويتضح من ذلك أن الأقباط استمروا في رئاسة الدواوين زمن الخلفاء الراشدين، وفي العهد الأموي اتخذ مروان بن الحكم من النصارى كاتبيْن أمينيْن من الأرثوذكس[5]، حيث كان غالبية الكُتّاب من النصارى لخبرتهم وعلمهم في هذا المجال[6]، وولى أولئك الكُتّاب على جميع مناطق ومقاطعات مصر، والكاتبان هما: اثناسيوس وإسحق، وأصبحا مسئولان عن ديوانه [7].

استمر اثناسيوس في عمله واتخذه عبدالعزيز بن مروان والي مصر زمن الخليفة عبد الملك بن مروان كاتبا له وهو من النصارى اليعاقبة[8]، ويطلق عليه المقريزي اسم أثيناس[9].

ويتضح من ذلك أن النصارى تقلدوا رئاسة الدواوين في مصر منذ الفتح الإسلامي، واستمروا حتى العصر الراشدي والعصر الأموي حتى زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك، حيث نُقلت الدواوين من القبطية إلى العربية، وأول من حولها من القبطية إلى العربية والي مصر عبدالله بن عبد الملك بن مروان[10].

وذلك يعني أن الدواوين قبل عهد الوليد بن عبد الملك كانت تكتب في مصر بالقبطية ويتولى أمرها الأقباط؛ لأن العرب لا يتقنون لغة الأقباط ولم يصبح المسلمون رؤساءً للدواوين

(1) الوزراء، الجهشياري، ص16.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج22/2.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص168؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج104/1.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 230.

(7) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج106/1.

(8) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج41/2.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 264.

(10) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج125/1.

إلا بعد تعريبها، حيث بمجرد أن عربت صُرف اثيناس عن رئاسة ديوان الخراج وعين بدلاً منه ابن يربوع الفزاري[1]، وكان جل كتاب الدواوين زمن عبد العزيز بن مروان من النصارى[2]، وتم توظيفهم في الوظائف الإدارية المهمة مثل: الخراج والكتابة، حيث تولى شخص يسمى يونس ديوان الخراج في ولاية قرة بن شريك[3].

كما تولى عدد من النصارى رئاسة الدواوين فضلاً عن الكتاب النصارى الذين كانوا يعملون في الدواوين من ضمنهم عيسى بن نسطورس[4]، الذي أصبح في عهد الخليفة الفاطمي العزيز مسئولاً عن جميع الدواوين، وتولى جميع شؤونها فأصبح هو الآمر الناهي في الدولة؛ يكاتب مسؤولي الدولة ويرسل لهم نيابة عن العزيز ويوقع نيابة عنه[5]، ثم عينه الحاكم ابن العزيز _عيسى بن نسطورس_ على الديوان الخاص[6].

ومن النصارى الذين تقلدوا رئاسة الدواوين في الدولة الفاطمية، منصور بن عبدون الذي تولى رئاسة ديوان بلاد الشام قبل قدومه لمصر[7]، وفي عام ثلاثمائة وتسع وتسعين أصبح ابن عبدون مسؤولاً عن ديوان الخراج في مصر لوحده دون شركاء[8]، وقد علا شأن ابن عبدون وأصبح يوقع نيابة عن الحاكم بأمر الله، ونظر في الدواوين وجدد ديوان المفرد[9].

ومن الكُتاب النصارى أبي منصور بشر بن عبيد الله بن سورين الكاتب النصرانيّ[10]، الذي تولى رئاسة ديوان الإنشاء[11]، أمره الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بأن يكتب رسالة أو كتاباً تقرأ في سائر مساجد وجوامع القرى والمدن في مصر توضح وتبرر أسباب قتل الحاكم لمتولي وساطته برجوان، والتي جاء فيها أن سبب قتله هو ظلمه وبطشه وخيانته للحاكم

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج120/1.

(3) المصدر السابق، ج127/1.

(4) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج222،7؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج1/ 56؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7/ 440.

(5) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج1/ 283.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 136.

(7) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص277.

(8) اتعاظ الحنفا، المقريزي، ج76/2.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م40/3.

(10) البخلاء، البغدادي، ص170.

(11) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م40،3.

واستغلال منصبه؛ وذلك لتبرير قتله وخوفه من ثورة الناس عليه فكانت تلك الرسالة لتهدئة الناس[1]، وتلك الرسالة كتبت على يد ابن سورين كاتب الإنشاء، ويتضح من خلال قراءة رسالته رسالته أنه كاتبٌ متمرس بالكتابة، له خبرة ودراية بالقرآن وأحكامه، حيث دلت الرسالة على براعة كاتبها، وذلك يدل على أن ابن سورين كان كاتباً متمكناً ومتمرساً في كتابة الإنشاء، وتوفي بشر بن سورين كاتب الحاكم في سنة أربعمائة الهجرية[2].

ويبدو أن النصارى في زمن الحاكم بأمر الله عاشوا في حالة هلع وخوف شديد من الحاكم وبطشه حيث أمر الحاكمُ ابن سورين بكتابة رسالة يدعو فيها أحمد بن يعقوب الداعي أن يتوجه إلى القدس ويهدم كنيسة القيامة ويتركها للناس لسرقتها ونهبها حتى يختفي أثرها[3]، ولم يبد ابن سورين أي اعتراض أو احتجاج! بل كتب الكتاب دون أن تذكر لنا المصادر التاريخية أنه احتج أو اعترض على ذلك أو استقال من منصبه ربما لأنه يعلم أن الاعتراض سيكلفه حياته وسيقضي عليه الحاكم كما قضى على غيره، كذلك تدخل الحاكم بشكل سافر في الحياة الاجتماعية للنصارى وهذا ما ستوضحه الباحثة في الفصل الخامس .

ومن النصارى الذين تولوا رئاسة الدواوين أبو الكرم الأخرم، الذي ترأس ديوان النظر وكان ذلك الديوان من أعظم الدواوين المالية وأهمها، وصاحب ذلك الديوان يمتلك صلاحياتٍ واسعةً؛ فيحق له أن يُعيّن الموظفين أو يعزلهم، وهو من يعرض الشؤون المالية على الخليفة أو الوزير، وهو أول من تولى رئاسة ذلك الديوان من النصارى[4]، وكان صاحب هذا الديوان يخدمه يخدمه حاجبٌ من أمراء الدولة وهو من يرسل المندوبين لطلب الأموال، ولا يحق لأحد من موظفي أو مسئولي الدولة أن يتدخل في قراراته أو الاعتراض عليها[5]، وسبب تولية الأخرم شؤون الدواوين خدعة قام بها النصارى بعد أن قام الخليفة الفاطمي في مصر الحافظ بطرد النصارى من الوظائف كافة في الدولة بعد ازدياد الشكاوي عليهم من قبل المسلمين، وظلم كاتب نصراني لصاحب معدية يعمل بها، وفرض ضرائب وهمية عليه[6]، فأصبحت أوضاع النصارى غاية في السوء، فدبر النصارى مكيدة للعودة لمكانتهم في السابق، فكان الملك الحافظ محباً لعلم النجوم والمُنجمين ويقرب المُنجمين منه، فذهب كبار النصارى ومن ضمنهم الأخرم بن أبي

---

(1) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج2/28-27.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا (ج2/83).

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، ج2/75.

(4) المصدر السابق، م2، 331.

(5) المصدر نفسه، م2، 332.

(6) المصدر نفسه، م2، 346-347.

زكريا لأحد المُنجمين المقربين من الحافظ، ودفعوا له أموالاً على أن يقوم المنجم بذكر صفات رجل من الكُتاب يظهرُ في ذلك العام، وبتجميل صورة الأخرم وبقدرته على تدبير الدولة وحسن إدارتها وجعلها في أحسن حال.

وبالفعل فعل المنجم ما أمره به النصارى وذكر للحافظ صفاتِ رجلٍ له القدرة على تدبير الدولة، فأحضر الحافظ الكُتاب، وأبطأ النصارى في احضار الأخرم حتى لا تتكشفَ خدعته، فأمر الحافظ بإحضار جميع الكُتاب فرأى في الأخرم الصفاتِ التي تحدث عنها مُنجمُه، فأخذه وقربه منه وعينه رئيسا للدواوين كلها فعاد الكتاب النصارى لمناصبهم في الدولة، بل وازداد عددهم لكنهم ظلموا المسلمين [1]، ويُستدل بهذه القصة على أن النصارى استخدموا المكر والحيلة للوصول إلى غايتهم وهي السلطة.

وكان أبو المكارم هبةُ الله بن مينا المعروف بابن بولس ترأس ديوان التحقيق وبعد ترأسه ديوان النظر وأصبح رئيسا لجميع الدواوين سنة خمسمائة وثلاثين[2].

وفي سنة (501هـ/1107م)، قام الأفضل بن بدر الجمالي أميرُ الجيوش، وزيرُ الآمر بأحكام الله في زمن الدولة الفاطمية باستحداث ديوان جديد اسمه ديوان التحقيق[3]، وذلك الديوان المستحدث في العهد الفاطمي لا يترأسه إلا كاتب خبير ومحنك وله مكانة مرموقة[4]، فعين أبو البركات يوحنا بن أبي الليث النصراني رئيسا لذلك الديوان وبقي رئيسا لذلك الديوان حتى قتل واستمر سبعة وعشرين عاماً فيه[5]، كما ترأس ابن الأسقف وهو نصراني ديوان المجلس، وعندما توفي ابن الأسقف تولى ابن أبي الليث النصراني ديوان المجلس وجميع الدواوين وأصبح مسئولا عنها بعد أن فاوض الأفضل أمير الجيوش[6]، وأثناء توليته لرئاسة الديوان استطاع تحصيل أموال كثيرة وعرضها على الأفضل ليتباهى بها وأنه أفضل ممن سبقوه في تحصيلها، ويبدو أن ابن اليث النصراني حصل على تلك الأموال من كثرة الجباية وفرض الضرائب على سكان مصر؛ لذلك هدده الأفضل إن رأى أرضاً بوراً أو بئراً قد جفت ليقطعن رأسه[7].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 348/347.

(2) تاريخ الكنائس، أبو المكارم، ج1/ص2.

(3) نهاية الأرب، النويري، ج177/28.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 332.

(5) نهاية الأرب، النويري، ج177/28.

(6) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج21/54.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 333.

وظهر شخص اسمه ابن أبي النجاح بن قنا الراهب من أشموم طناح عمل في خدمة يوحنا ابن أبي الليث[1]، زمن الخليفة الفاطمي الآمر بأحكام الله بصفته مستوفٍ للدواوين، ثم تمكن من الدولة وتولى رئاسة الدواوين، وكان راهباً فابتدأ بظلم النصارى، وفرض عليهم الضرائب وطالبهم بالأموال ثم انتقل لبقية الحرف والصناعات والقضاة والكتاب والولاة، وزاد ظلمه وبطشه وعم جميع أنحاء مصر مستغلاً ثقة واحترام الآمر بالله له، حيث كان يخصص له ملابس خاصة يتميز بها من خيوط الذهب، ويركب الحمير المزينة سروجها بالذهب والفضة[2]، ويجلس بالقاعة المخصصة للخطباء بالجامع العتيق في مصر ويطلب حضور الناس لمصادرة أموالهم[3]، ولما تعاظم خبره أمر الآمر بإلقاء القبض عليه، وضرب بالأحذية حتى مات، ثم بعد ذلك صلب على لوحٍ وألقيَ في نهر النيل وخرجت جثته إلى البحر المالح[4].

تولى النصارى العديد من الوظائف العليا، مثل: وظيفة الناظر وهي وظيفة مهمتها النظر في الأموال والبت فيها حيث يتم رفع الحسابات والمصاريف إلى الناظر فيقرُّ ما يراه مناسباً ويرجع ما لا يراه مناسبا[5]، ومن النصارى الذين تولوا وظيفة الناظر تاج الدين موسى بن كاتب السعدي الذي تولى مهمة ناظر الخواص السلطانية زمن الملك المملوكي الظاهر برقوق[6]، وناظر الخاص هو الذي ينظر في الأموال التي تخص السلطان[7]، وكان تاج الدين نصرانياً من الأقباط، واتصف تاج الدين بالمجون وأنه شخص ذو أخلاق دنيئة وتوفي حرقاً بالنار في دمشق أثناء غزو تيمورلنك لها[8].

ومن جملة كُتاب النصارى في الدواوين الكاتب المعروف بجمال الكفاة الذي أصبح ناظر الديوان الخاص[9]، وأسلم جمال الكفاة وتدرج في الوظائف الديوانية، منها: ناظر الجيش والخاص، ثم عزل وقبض عليه بسبب مكيدة من حساده[10]، وعذب وقتل[11].

(1) نهاية الأرب، النويري، ج189/28.
(2) نهاية الأرب، النويري، ج189/28؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 333.
(3) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج300/5.
(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 157.
(5) صبح الأعشى، القلقشندي، ج437/5.
(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م126،3.
(7) صبح الأعشى، القلقشندي، ج437/5.
(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م126،3.
(9) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج137/9.
(10) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م249،3.
(11) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج115/6.

تولى الأمجد بن العسال النظر في ديوان الإنشاء زمن الملك الأيوبي الملك الصالح نجم الدين أيوب، ومن شروط الكتاب في ذلك الديوان أن يكون لديهم الأمانة والنزاهة، وأن يكونوا قليلي الاحتكاك بالناس، وكان كُتاب الإنشاء لا يعملون يوم الجمعة، فتم اختيار الكاتب النصراني للعمل في الديوان يوم الجمعة حيث كانوا بحاجة لكاتب يعمل به يوم الجمعة[1].

كما تمكن النصارى من تولي رئاسة الدواوين التي كانت محظورة عليهم، مثل: ديوان الجيش الذي لا يترأسه إلا مسلم[2].

ففي أواخر العهد الفاطمي تمكن المهذب بن زكريا بن مينا من تولي ديوان الجيش، وأصله من نصارى الصعيد من أسيوط وهي مدينة بمصر[3]، وهو من بيت نصراني عريق اشتهر بالكتابة[4]، وتولى مناصب رفيعة، فجده كان يعمل بمنصب رفيع زمن الوزير بدر الدين الجمالي في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وكان له الكلمة المسموعة في الدولة[5]، لكن عندما قدم أسد الدين شيركوه على مصر وتولى وزارتها فرض إجراءات صارمة على لباس النصارى فقدم له المهذب برسالة على شكل بيتين من الشعر يستعطفه فيها، حيث قال:

يـــا أســـدَ الـــدين ومَـــن عدلُـــه يحفـــظُ فينـــا ســـنَّةَ المصـــطفى

كفـــى غيـــاراً شَـــدَّ أوســـاطنا فمـــا الـــذي أوجـــبَ كشـــفَ القفـــا

فلم يجبه أسد الدين شيركوه؛ فاضطر لدخول الإسلام للاحتفاظ بمركزه الوظيفي[6]، وعن ذلك كتب فيه ابن الذروي أبياتاً من الشعر يقول فيها:

لم يسلم الشيخ الخطير لرغبة في دين أحمد

بل ظنّ أن محاله يبقي لها لديوان سرمد[7].

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3،734.

(2) صبح الأعشى، القلقشندي، ج565/3.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، ج531/3-532.

(4) الدر الثمين، ابن الساعي، ص303.

(5) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج635/2.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 531-532.

(7) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج637/2.

وأصبح مسئولا عن جميع الدواوين حتى توفي[1]، فتولى ابنه أبو المكارم أسعد بن المهذب ولقبه الخطير ديوان الجيش[2]، ودخل الإسلام[3]، وجُمع له ديوان المال فأصبح مسئولاً عن ديوانين: المال والجيش، وهما أعظم دواوين مصر، وعندما تولى الملك العادل ملك مصر كان وزيره الصفي عبيد الله بن شكر، وكان بينه وبين الأسعد عداوة؛ فدبر له المؤامرات والمكائد التي أدت إلى فقره وذله ونكبته، ففر هارباً إلى الشام وتوجه إلى حلب، فعرف الملك غزي بن صلاح الدين بن أيوب قصته فصرف له راتباً شهرياً وبقي في حلب إلى أن مات عام ستمائة وست هجري[4]، وتوفي عن عمر ناهز الاثنين وستين عاما[5]، كما تولى أبو الفتوح ابن الميقاط الملك نشو الخليفة النصراني رئاسة ديوان الجيش زمن الأيوبيين في عهد الملك العادل الأيوبي[6].

رابعاً: القضاء

أول عمل قام به عمرو بن العاص قائد الجيوش الإسلامية التي فتحت مصر وأول والٍ لمصر[7]، إنشائه داراً ليحكم فيها بين الناس لتصبح فيما بعد تلك الدار مركزاً لمدينة الفسطاط[8]، وهذا ما أكده عمرو بن العاص عندما أرسل رسالة للخليفة عمر بن الخطاب قال فيها: " ... والله الذي لا يحلف بأعظم منه إني لأقيم الحدود في صحن داري على المسلم والذمي" [9]، ففي ذلك الوقت الذي تم فيه فتح مصر لم يكن في مصر مسلمين كثر بل كانت مصر تعج بالنصارى مكتظة بهم [10]، وعلى الرغم من ذلك كانت أولى اهتمامات عمرو بن العاص هي إرساء مبادئ العدالة بين سكان مصر الذين كان جلهم من الأقباط والروم[11]، لذلك

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 531-532.

(2) المصدر السابق، م3، 531.

(3) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج202/43.

(4) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ج247/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 532.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 532.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1012.

(7) بدائع الزهور، ابن ياس، ج102/1.

(8) المصدر السابق، ج103/1.

(9) الرياض النضرة، محب الدين الطبري، ج354/2؛ تاريخ الخميس، الديار البكري، ج252/2.

(10) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(11) المصدر السابق، م4، 997.

أنشأ داراً يحكم فيها بين الناس[1]، وكان إنشاؤها قبل أن يعين قيس أبي العاص أول قاض لمصر [2].

فمنذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي لمصر تحددت الخطوط العريضة لسياسة الدولة الإسلامية في البلاد التي تم فتحها، وظهرت تلك السياسة واضحة عند الفتح فعندما استقر عمرو والياً لمصر، استدعى بنيامين بطريرك الاسكندرية وأمره بتدبير شؤون النصارى ورعاية المراكز الدينية من بِيَعٍ وكنائسَ وتصريفِ شؤونهم[3]، ويستدل من ذلك أن الأحوال المدنية والشخصية مثل: الزواج والطلاق، والميراث، والأحوال الاجتماعية، كان يتولى القضاء فيها النصارى وأساقفتهم ورؤساء كنائسهم، لا يتدخل فيها المسلمون حتى وإن كانت مخالفة للشريعة الإسلامية، وذلك ما أكده حسن البصري عندما أرسل عمر بن عبد العزيز رسالة له قال فيها: "ما بال الخلفاء الراشدين تركوا أهل الذمة، وما هم عليه من نكاح المحارم، واقتناء الخمور والخنازير"[4]، فكتب إليه قائلاً: "إنما بذلوا الجزية؛ ليُتركوا، وما يعتقدون، وإنما أنت متبع ولست بمبتدع" [5]، ومن تلك الرسالة يتبين أنه ليس من حق الخليفة أو الوالي المسلم أو القاضي التدخل في النصارى أو حرمانهم مما أحله دينهم، حتى وإن كان مخالفاً للشريعة الإسلامية ، سواء في المأكل أو المشرب أو الزواج والطلاق والأعياد وغيرها من الأمور، فعدم التدخل في شؤون النصارى وممارسة شعائرهم الدينية وعاداتهم الاجتماعية، وترك قضاياهم لكبار رؤسائهم من النصارى أصبحت قاعدة شرعية عند الفقهاء في الإسلام طوال العهد الراشدي والأموي.

ويتضح من ذلك أن النصارى تولوا إدارة شؤونهم بأنفسهم، ومن ضمنها القضاء وذلك ما أكده المؤرخ القبطي يعقوب نخلة روفيله من أن عمرو بن العاص رتب شؤون الدولة وعمل على إنشاء جهاز إداري مكون من الأقباط؛ لكي يديروا مصر فهم أعلم وأكثر خبرة في بلادهم وشؤونهم الدينية[6]، فقسم مصر إلى عدة مناطق كل منطقة يترأسها حاكم قبطي له صلاحيات

---

(1) بدائع الزهور، ابن إياس، ج103/1.

(2) كتاب الولاة، الكندي، ص217.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج88/1.

(4) المبسوط، السرخسي، ج69/5؛ تبين الحقائق، فخر الدين الزيلعي، ج173/2؛ فتح القدير، ابن همام، ج417/3.

(5) المبسوط، السرخسي، ج69/5؛ تبين الحقائق، فخر الدين الزيلعي، ج173/2؛ فتح القدير، ابن همام، ج417/3.

(6) تاريخ الأمة القبطية، ص56.

وحدود معينة لا يتجاوزها ينظر في قضايا ومشاكل الأقباط ويحكم بينها[1]، كما أنه أنشأ ما يشبه المحاكم الابتدائية والاستئناف مكونة من أشخاص يتمتعون بالنزاهة والشفافية والموضوعية والثقة والحكمة حتى يضمن استقرار أوضاعهم، كما عين أعضاءً من الأقباط وأعطاهم صلاحياتِ حقِ التدخل في تلك القضايا وإصدار أحكام فيها، بما يتناسب مع شريعة الأقباط المسيحية[2]، فتمتعوا بالاستقلال والحرية وكان لهم قضاء مستقل بذاته، فكان قضاتهم مكلفون بفض الخلافات والنزاعات الدينية والمدنية للمسيحيين، أما إذا كان النزاع بين مسيحي ومسلم كانت تشكل هيئة قضائية مكونة من قضاة الطرفين، أما القضايا الجنائية فكانت من اختصاص القضاة المسلمين[3]، كما أن بعض القضايا كان ينظر فيها قضاة مسلمين إذا كانت تتعلق تلك القضايا بالجانب الأمني أو الديني للمسلمين، فقد حدث في ولاية علي بن سليمان الهاشمي أنْ قام أحد النصارى من الأقباط بسب النبي ﷺ وسخر واستهزئ به؛ فقام قاضي مصر المفضل بن الفضالة بإرساله إلى القاضي مالك بن أنس يستشيره بأمر ذلك القبطي الذي سب الرسول ﷺ فأمره بقطع رأسه[4].

ومن خلال تلك الحادثة يتبين أن النصارى تمتعوا بحكم ذاتي للقضايا والمشاكل التي تخصهم وتخص معتقداتهم ودينهم، أما القضايا التي تتعلق بسياسة الدولة الإسلامية ودينها فإنه ينظر فيها قضاة مسلمين.

وذلك لا يمنع بأن نصارى مصر كانوا يلجئون إلى القضاة المسلمين، فالقاضي خير بن نعيم الخضرمي قاضي مصر الذي عينه والي مصر حنظلة بن صفوان الكلبي، كان يجلس في المسجد يقضي بين المسمين ثم يجلس بعد العصر على باب المسجد ليقضي بين النصارى[5]، وقد خصص قضاة مصر يوماً من كل أسبوع للفصل فيه في قضايا النصارى، حيث كان يلتقي النصارى بالقاضي في بيته للحكم في قضاياهم[6]، وكان يأخذ بشهادة النصارى على المسلمين

---

(1) تاريخ الأمة القبطية ، ص56؛ أقباط ومسلمون، تاجر، ص74.

(2) تاريخ الأمة القبطية، روفيله، ص56.

(3) أقباط ومسلمون، تاجر، ص74.

(4) كتاب الولاة، الكندي، ص276.

(5) المصدر السابق، ص254.

(6) المصدر نفسه، ص282.

وعلى بعضهم إذا كانوا ثقاة[1]، وكان يسأل عنهم وعن نزاهتهم قبل الأخذ بشهادتهم وقبل أن تأخذ شهادتهم ممن هم مسئولون عنهم من أهل دينهم[2].

وعندما تولى محمد بن مسروق قضاء مصر زمن هارون الرشيد عام مئة وسبع وسبعين، سمح للنصارى بدخول المسجد للحكم بينهم وفي خصوماتهم، فكان أول قاضٍ يحكم في قضايا النصارى في المساجد[3].

وعندما تولى حفص بن الوليد ولاية مصر في العهد الأموي أصدر قراراً بنقل مواريث النصارى على قسم مواريث المسلمين، أي: نقل مواريث النصارى من القضاء الذمي إلى القضاء الإسلامي، وكانت قبل حفص تخضع مواريث القبط لأحكام القضاء النصراني[4].

مما سبق يتضح أن النصارى كان لهم جهاز قضائي مستقل خاص بهم، وذلك لا يمنع لجوؤهم إلى القضاة المسلمين، ربما لأنهم رأوا في القضاء الإسلامي عدلاً لم يروه من قبل.

خامساً: الأسطول والجيش:

1- الأسطول:

بدأت الدولة الإسلامية فتوحاتها على مختلف الجبهات واستطاعت تحقيق انتصارات وفتح عدة بلدان دون امتلاك أسطول بحري أو مراكب بحرية تعينها على ذلك، فحروبها كانت برية على جبهات القتال، ولم تراود فكرة إنشاء الأسطول قادة الفتح الإسلامي إلا عندما فتحت مصر والشام وتعرضوا لغزوات الروم البحرية[5].

حاول معاوية بن أبي سفيان اقناع الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بإنشاء أسطول بحري للمسلمين لكن عمر رفض الفكرة وقال: "لا والذي بعث محمداً بالحق لا أحمل فيه مسلما أبدا"[6]، فرفضُ عمر كان خوفاً على المسلمين وحرصاً على حياتهم، كما أن الجيوش الإسلامية الإسلامية كانت تفتقر إلى أي خبرة قتالية في البحر، فدخول المسلمين مجال القتال في البحر في بداية فتوحاتهم يعد مجرد مغامرة تشكل خطراً كبيراً عليهم؛ لذلك منع الخليفة عمر بن

---

(1) رفع الإصر، ابن حجر العسقلاني، ص156.

(2) كتاب الولاة، الكندي، ص254.

(3) المصدر السابق، ص282.

(4) تاريخ ابن يونس المصري، ابن يونس المصري، ج134/1؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج449/14.

(5) فتوح الشام، الواقدي، ج2/ 68.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 604.

الخطاب المسلمين من القتال في البحر أو إنشاء أسطول حربي، فالعرب حديثي العهد في البحر وجلُّ حياتهم كانت في البادية لا يمتلكون أي خبرة في بناء السفن أو في فن الملاحة، عكس الروم الذين كانوا متمرسين فيه وعلى خبرة وجهوزية عالية للقتال فيه[1].

ولكن عندما تولى عثمان بن عفان الخلافة ألحَّ معاوية على عثمان أن يقاتل في البحر، فوافق عثمان بشرط ألا يجبر مسلما على القتال فيه ويجعل الجهاد فيه تطوعياً، فمن أراد التطوع فله ذلك، فكان أول من قاتل من المسلمين في البحر معاوية على الرغم من قلة خبرة المسلمين في مجال القتال في البحر[2]، لكن بعد الفتح الإسلامي واستقرار المسلمين في البلاد المفتوحة وفرض سيطرتهم عليها وخضوع شعوبهم لها بدأت فكرة إنشاء أسطول بحري إسلامي للمسلمين.

فلعب النصارى الأقباط دورا بارزا في إنشاء الأسطول الإسلامي في مصر بعد الفتح، فالمسلمون هم سادة مصر ولم يكونوا على خبرة أو دراية بمهارات الصُّناع والحرفيين، والأقباط النصارى هم أهل البلاد وجلهم من الحرفيين والمهنيين[3]، فتقرب الصناع الأقباط للمسلمين يعرضون خدماتهم على المسلمين فاستخدمهم المسلمين في صناعة السفن والمراكب المعدة للجهاد في البحر؛ مما ساهم في بناء أسطول إسلامي قادر على مجابهة أعداء الدولة الإسلامية[4]، وقد ساهم الأساقفة والرهبان أيضاً في صناعة المراكب بأيديهم وبناء الأسطول ومكثوا في ذلك وقتا طويلا[5]، حتى تلك الأخشاب التي كانت تستخدم في صناعة الأسطول كانت موجودة عند النصارى، وكان المسلمون يشترونها منهم وتبين ذلك من رسالة حيان بن شريح إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يعلمه أن دار الصناعة بحاجة إلى أخشاب وأن تلك الأخشاب موجودة عند أهل الذمة، فطلب منه الخليفة عمرﷺ شراءها بثمنها الذي يبيعونه فيها[6].

ولم يساهم الأقباط النصارى في بناء الأسطول الإسلامي في مصر فقط، بل امتدت مساهمتهم وصناعتهم إلى بلاد المغرب العربي فصنعوا أسطولا إسلامياً في تونس، واتضح ذلك

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 605-606.

(2) المصدر السابق، م3، 604.

(3) المصدر نفسه، م4، 997.

(4) المصدر نفسه، م3، 608.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج201/200/1.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 27.

من رسالة الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان إلى أخيه حاكم مصر عبد العزيز بن مروان التي أمره فيها أن يرسل ألفاً من أقباط مصر بزوجاتهم وأولادهم وأمتعتهم ومؤنهم ويحسن تجهيزهم إلى تونس؛ لبناء الأسطول الإسلامي في المغرب، وأمر الحسان بن النعمان أن يبتني داراً لصناعة الأسطول تكون سنداً للمسلمين ضد أعدائهم، وأن تكون مهمة البربر حمل الخشب ونقله من مكانه إلى دار الصناعة، أما الأقباط فوصلوا إلى تونس وكانت مهمتهم صناعة المراكب وبناء الأسطول[1]، ويتبين مما سبق دور الأقباط البارز في صناعة المراكب الحربية والسفن، وأن النصارى ساهموا بشكل لا يمكن انكارُه في بناء أسطول إسلامي قوي في مصر أولا ثم المغرب، وساهمت تلك الصناعة في انتصار الجيش الإسلامي على الروم في أول معركة بحرية يخوضها المسلمون وهي: ذات الصواري[2]، سنة أربع وثلاثين[3].

بل إن الأقباط اشتركوا مع المسلمين في قتال الروم في معركة ذات الصواري حيث أشار الطبري أن محمد بن أبي حذيفة ركب سفينة في معركة ذات الصواري لم يكن معه سوى الأقباط مما يدلل على مشاركتهم في المعركة إلى جانب المسلمين[4].

استمر الاهتمام بالأسطول طوال الخلافة الأموية والعباسية والفاطمية حيث اعتمد الفاطميون على النصارى في إنشاء أسطول بحري، فقد أمر الخليفة الفاطمي العزيز بالله عيسى بن نسطورس وهو نصراني كان يتقلد منصب الوساطة بإنشاء أسطول لقتال الروم ليصل إلى طرابلس، فاجتهد عيسى بإنشاء الأسطول وجمع له الأخشاب من جميع مناطق مصر، وأنشأ ذلك الأسطول بدار الصناعة في مصر[5]، لكن قام التجار الروم بإحراق ستة عشر مركبا من ذلك الأسطول، فقام عيسى بن نسطورس ببناء أسطول جديد مكون من أربعةٍ وعشرين مركباً[6]، وقد أشار المقريزي أن السفن في مصر كانت تصنع على نوعين: سفن عسكرية للقتال والحرب، وسفن نيلية للتجارة[7].

يتضح مما سبق أن الفضل في وجود أسطول للمسلمين يعود للنصارى في مصر ولولا مساعدتهم لم يمتلك المسلمين أسطولًا بحرياً قوياً قادراً على مجابهة الأعداء.

---

(1) المسالك والممالك، البكري، ج695/2؛ الروض المعطار، الحميري، ص266.

(2) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج620/2.

(3) فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، ص217.

(4) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج620/2.

(5) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص233.

(6) المصدر السابق، ص234–235.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 602.

2- الجيش:

أشار المقريزي في كتابه إلى دور الأقباط النصارى في إنشاء الأسطول الإسلامي، لكن لم يشر إلى أي دور للنصارى في الجيش الاسلامي سواء من ناحية تجنيدهم أو اشتراكهم فيه، وتتبعت الباحثة المفاوضات التي تمت بين المسلمين والروم عند الفتح الإسلامي لمصر فلم يظهر في تلك المفاوضات أي إشارة إلى اشتراك النصارى في الجيش الإسلامي وتجنيدهم فيه بل إن المفاوضات تركزت حول دفع الجزية وشروط الصلح[1].

وترى الباحثة أن عدم اشتراك النصارى في الجيش الإسلامي يعود لعدة أسباب، منها: دينية تتمثل في دفع النصارى للجزية مقابل حماية المسلمين للنصارى ودفع الأذى عنهم والقتال عنهم، كما جاء على لسان عبادة بن الصامت أثناء مفاوضاته مع المقوقس حاكم مصر[2]، فاقتصرت المهام العسكرية والأمنية على جيش المسلمين فهم من يتولون حماية النصارى والدفاع عنهم، وإلى أسباب عسكرية تتمثل في أن نصارى مصر من سكانها الأصليين الأقباط لم تكن لديهم الخبرة القتالية في الحروب، فالمسيطر على مصر عسكريا قبيل قدوم المسلمين هم الروم، فكان منهم الجيش والجنود والقادة العسكريين، أما سكان مصر فكان غالبيتهم يعمل في الخدمة المدنية والحرفية والمهنية بعيدا عن حياة الجندية والجيش[3]، وتذكر الباحثة سيدة كاشف كاشف أسباباً أخرى لعدم اشتراك النصارى في الجيش الإسلامي وهو خوف المسلمين من أن يقوم نصارى مصر بإحياء النزعة القومية وطرد العرب من بلادهم؛ لذلك اقتصرت أعمالهم على الجوانب المدنية من الدولة، بالإضافة إلى ضعف الروح القتالية لدى المصريين واستسلامهم[4].

وإن لم يشترك النصارى في الجيش الإسلامي ويقاتلوا داخل صفوفه، فإن ذلك لا يعني أنهم لم يقدموا المساعدة للجيش الإسلامي، فقد أكدت المصادر التاريخية الإسلامية والنصرانية أن جزءاً كبيراً من الأقباط ساعد الجيوش الإسلامية أثناء فتحها لمصر، فكانوا مساعدين ومرشدين لجيوش عمرو بن العاص أثناء الفتح، وذلك ما أمرهم به بطريركهم بنيامين[5]، وأشار المؤرخ النصراني سعيد بن البطريق إلى دور نصارى مصر في مساعدة عمرو بن العاص في قتال الروم أثناء غزوهم للإسكندرية عندما أرسل قسطنطين مانويل لقتال المسلمين زمن الخليفة عثمان بن عفان، فهزم الروم وولوا فارين من شواطئ الإسكندرية، ولعب الأقباط دورا كبيرا في

---

(1) فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم، ص74-81.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 19.

(3) المصدر السابق، م4، 997.

(4) مصر في فجر الإسلام، كاشف، ص70.

(5) فتوح مصر والمغرب، ابن عبد الحكم، ص80؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 13.

تحقيق ذلك الانتصار فهم من قدموا المساعدة العسكرية والمادية من أموال وطعام وغيرها[1]، لكن النصارى لم يدخلوا الجيش بل اقتصر دورهم على تقديم المساعدة والعون للجيوش الإسلامية.

بقي النصارى مستبعدون من الخدمة في الجيش الإسلامي طوال العهد الراشدي والأموي إلى أن جاء العهد الفاطمي فاستخدم الخلفاء الفاطميين الجنود النصارى في صفوف الجيش الإسلامي، وقد استُخدموا في عهد أكثر من خليفة فاطمي، فازداد نفوذ الأرمن النصارى في الدولة الإسلامية في مصر في زمن الخليفة الفاطمي المستنصر ابن الظاهر لإعزاز دين الله علي، فاستكثر قائد الجيش في عهده[2]، ووزيره[3]،بدر الدين الجمالي من الأرمن وجعل جل جيشه من جنود وعساكر وقادة من الأرمن، فبات السواد الأعظم من جيش مصر من الأرمن[4].

ولعب الأرمن دوراً بارزاً في زمن الخليفة الفاطمي الحافظ الذي استوزر بهرام الأرمني[5]، ذلك الوزير الذي جلب ثلاثين ألفاً من الأرمن إلى مصر[6]، وقربهم منه [7]، واعتمد عليهم وجعلهم عماد جيشه وعسكره بل استخدمهم في قتال المسلمين[8]، مما دفع المسلمين للاستغاثة برضوان بن ولخشي حاكم منطقة الغربية لتخلص من ظلمه وبطشه، كان ذلك عام خمسمائة وواحد وثلاثين فاستجاب لطلبهم[9]، فجمع بهرام جنوده من الأرمن وتوجه لقوص عند أخيه الباساك ومعه ألفين من الأرمن؛ لقتال الجيوش الإسلامية بقيادة رضوان[10]، وكان يرغب في أن يشد عضده بأهل النوبة؛ لأنهم نصارى مثلهم[11]، لكنه هزم فأرسل له رضوان أخيه إبراهيم لطلبه ومنحه الأمان له وللأرمن الذين معه واستطاع المجيء به فوضعه الحافظ في

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج32/2.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 32.

(3) صبح الأعشى، القلقشندي، ج554/3.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 32.

(5) المصدر السابق، م2، 201.

(6) نهاية الأرب، النويري، ج196/28.

(7) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج201/36؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4.

(8) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج201/36.

(9) نهاية الأرب، النويري، ج196/28-197.

(10) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4.

(11) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج160/3.

القصر وبقي فيه حتى مات[1]، وذلك يشير إلى مدى خطورة دخول الجنود غير المسلمين إلى الجيش الإسلامي، فتوظيف بهرام للجنود الأرمن كان فيه مصلحة شخصية له، وعندما وجد اعتراض من قبل المسلمين دفعه ذلك للاستعانة بقوى خارجية ضد المسلمين تمثلت في بلاد النوبة، وربما لتلك الأسباب كان المسلمون حريصون على عدم دخول عناصر غير إسلامية إلى الجيش الإسلامي للحفاظ على السرية وأمن دولتهم.

توغلُ النصارى الأرمن في الجيش الإسلامي في مصر بقي حتى أواخر العهد الفاطمي فعندما استوز الخليفة الفاطمي العاضد صلاح الدين الأيوبي لمصر كان للأرمن دوراً خاصاً بهم وكان جلهم رماة وكان يجري عليهم راتب لهم، كما حاولوا قتال صلاح الدين بعد واقعة العبيد لكن صلاح الدين تمكن من القضاء عليهم[2].

(1) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج94/4.
(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 6.

المبحث الثاني:
ثورات وإنتفاضات النصارى في مصر

أولاً: انتفاضة الأقباط عام مئة وسبع للهجرة:

ذكر المقريزي في كتابه العديد من الانتفاضات التي قام بها الأقباط والتي كانت أسبابها في الأغلب إلى الضرائب التي فرضت عليهم، تولّى الحر بن يوسف بن يحيي بن الحكم صلاة مصر من قبل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في سنة مئة وخمس هجري[1]، وذكر ابن عساكر بأن هشام جعله أميراً على مصر كلها سنة (106هـ/724م)[2]، وعين عبيد الله بن الحبحاب مسئول الخراج في مصر في ذلك الوقت، فأرسل عبيد الله إلى الخليفة هشام يشجعه على زيادة الضرائب على سكان مصر، بحجة أن بلادهم تستوعب تلك الزيادة، فوافق الخليفة على طلبه بالزيادة، فقام عبيد الله بفرض العديد من الضرائب؛ فازدادت الضرائب على أقباط مصر وأصبح يفرض زيادة على كل قيراط من الأرض دينارا؛ مما دفع سكان مصر للاعتراض والاحتجاج؛ بسبب تلك الزيادة فانتفض العديد من الأقباط في مناطق مختلفة من مصر، وذلك دفع الحر بأن يرسل لهم المسئولين عن جباية الخراج لقتالهم ووقف انتفاضتهم فحدثت اضطرابات كثيرة؛ أدت إلى مقتل الكثير من الأقباط والمسلمين[3]، وكانت تلك أول انتفاضة للأقباط على المسلمين عام (107هـ/725م) [4]، وأثناء تلك الاضطرابات خرج الحر من مصر إلى دمياط وبقي فيها ثلاثة أشهر مقاتلاً للأقباط، ثم عاد إليها وأحسن إدارتها واستطاع التغلب على ثورة الأقباط[5]، وبعدها تم عزله من قبل الخليفة هشام عن ولاية مصر؛ بسبب خلافات وقعت بينه وبين مسئول خراج مصر عبيد الله بن الحبحاب[6]!

تذكر المصادر النصرانية رواية تختلف عن الرواية في المصادر الإسلامية لتلك الانتفاضة، فيذكر ابن المقفع أن سبب انتفاضة الأقباط هو أن الحبحاب أمر بإحصاء الناس

---

(1) تاريخ مدينة دمشق، ابن هبه الله الشافعي، ج356/12.

(2) تاريخ دمشق، (ج356/12)؛ بغية الطلب، ابن العدين، ج2224/5.

(3) كتاب الولاة، الكندي، ص56–57.

(4) كتاب الولاة، الكندي، ص56–57؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 52.

(5) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج285/1.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 52؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج285/1.

والبهائم وقاس الأراضي بالحبال، والطرقات والأراضي الزراعية وضاعف عليها الضرائب، ثم أمر بأن توضع علامة من رصاص في حلق كل نصراني من سن العشرين إلى المائة في الفسطاط، وعلامة الأسد في منف على يد كل النصارى فيحظر عليه البيع أو الشراء إلا من يوجد على يده علامة الأسد، ومن لم توجد عليه علامة الأسد تقطع يده[1]، ولم يكتف بهذا بل جمع حشودا من الأقباط لبناء مدينة الفسطاط حتى أرهق الأقباط من التعب ومن الضرائب، وذلك أدى إلى قيام انتفاضة الأقباط التي سُفكت فيها دماءٌ كثيرة [2]، كما استبعد ابن المقفع أن يكون الخليفة هشام بن عبد الملك على علم بما فعله الوالي وصاحب الخراج من زيادة في الخراج وذلك يتناقض مع ما ذكره الكندي[3]، وامتدح المؤرخ النصراني ابن المقفع علاقة الخليفة هشام بن عبد الملك بالنصارى، بل وصف فترة خلافته بأنها مباركة من قبل النصارى، ووصف علاقته بهم بأنها طيبة، حتى عندما أرسل واليه الى مصر أوصاه بأهل مصر خيراً[4].

وذكر المؤرخ النصراني يعقوب نخلة روفيه أن الأقباط قبل الانتفاضة توجهوا إلى الخليفة هشام بن عبد الملك؛ ليشكو إليه ظلم عمال الخراج، فأرسل هشام للوالي يوصيه بالالتزام بالعهد الإسلامي مع نصارى مصر ولكن دون جدوى فأصرّ الوالي مع عمال الخراج على فرض الضرائب؛ مما أدى إلى انتفاض الأقباط وامتناعهم عن دفع الضرائب فقامت حرب بين الطرفين أدت إلى مقتل الكثير منهم، ولما علم الخليفة هشام بما حدث قام بعزل الوالي وعين والياً آخرَ وأمره بالالتزام بالعهد الذي أبرمه عمرو بن العاص مع سكان البلاد[5].

ويتضح من الروايات التاريخية السابقة أن السبب الرئيسي لتلك الانتفاضة هي زيادة الخراج على سكان مصر بشكل يفوق طاقتهم فلا يستطيعون تأديته؛ مما أدى إلى قيام انتفاضتهم، وتلك الانتفاضة دفعت الخليفة إلى إعادة ترتيب الأمور في مصر، فخلع واليها وعيّنَ والياً آخر بدلاً منه يكون على قدر من الوعي بسياسة الدولة الإسلامية الاقتصادية والدينية مع رعاياه غير المسلمين.

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج131/1.

(2) المصدر السابق، ج132/1.

(3) كتاب الولاة، الكندي، ص56-57.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج131/1.

(5) تاريخ الأمة القبطية، ص72-73.

ثانياً: انتفاضة الأقباط عام مئة وتسعة عشر للهجرة:

حدثت تلك الانتفاضة في ولاية حنظلة بن صفوان الثانية على مصر[1]، الذي تولى ولاياتها من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك سنة مائة وتسعة عشر للهجرة [2]، وعلى الرغم من أن الخليفة هشام أوصى ولاة مصر بضرورة الالتزام بالمعاهدات والمواثيق التي أبرمت بين النصارى وعمرو بن العاص بداية الفتح الإسلامي لمصر، ووصيةِ الرسول ﷺ في حسن معاملة أهل الذمة إلا أن حنظلة لم يأبه بوصية الخليفة أثناء ولايته على مصر[3]، وأوضح المقريزي أن سبب انتفاضة الأقباط في ولاية حنظلة بن صفوان تعود إلى سياسة حنظلة الصارمة تجاه النصارى، حيث زاد من حجم الضرائب عليهم، وقام بعمل إحصاء جديد للسكان النصارى وللحيوانات من أجل فرض الضرائب عليها، وأجبر كل نصراني بأن يضع على يده وسما على صورة أسد وإن لم يضع النصراني ذلك الوسم تقطع يده[4]، وأدت تلك السياسة إلى ثورة الأقباط على حنظلة وهاجموا موظفي الخراج[5]، فتصدى حنظلة لانتفاضتهم وهزمهم وقضى على تلك الانتفاضة بعد قتل عدد كبير منهم عام مئة وواحد وعشرين[6]، ثم عزل هشامُ حنظلةَ عن الولاية وأمره بالتوجه إلى إفريقية[7]، ثم عاد مرة أخرى إلى مصر زمن مروان بن محمد إلا أن سكان مصر رفضوا توليته وعارضوها ومنعوه من دخول الفسطاط [8].

ثالثاً: انتفاضات الأقباط في أواخر الخلافة الأموية:

تولى عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير في عام مئة واثنين وثلاثين ولاية مصر من قبل الخليفة الأموي مرون بن محمد[9]، وهو آخر ولاة مصر في العهد الأموي، وُصف عبد الملك من قبل المؤرخين بأنه والٍ عادل[10]، بل من أعدل ولاتهم [11]، تمرد الأقباط النصارى

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2،52.

(2) البيان المغرب، ابن عذارى المراكشي، ج58/1؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج330/15؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج281/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1000.

(4) المصدر السابق، م4، 1000.

(5) كتاب الولاة، الكندي، ص62.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2،52؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج281/1.

(7) كتاب الولاة، الكندي، ص62؛ نهاية الأرب، النويري، ج21/ 281.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 53.

(9) تاريخ ابن يونس المصري، ابن يونس، ج326/1؛ الاكمال في رفع الارتياب، ابن ماكولا، ج326/1.

(10) تاريخ ابن يونس المصري، ابن يونس، ج326/1.

(11) تاريخ ابن يونس المصري، ابن يونس، ج326/1؛ الأنساب، السمعاني، ج245/4؛ تاريخ الإسلام، الذهبي، ج335/8.

وثاروا عليه وعلى رأسهم رجل من الأقباط اسمه يحنس بسمود واستعدوا لقتاله فتمكن من القضاء على تمردهم، وقتل يحنس[1]، وقتل معه عدداً كثيراً منهم[2].

يختلف المؤرخ النصراني ابن المقفع مع المؤرخين المسلمين حول شخصية عبد الملك بن موسى ويصفه بأنه ظالم كان يكره النصارى، فأساء معاملتهم وزاد من حجم الضرائب عليهم، كما أنه صادر أملاك المصريين وثرواتهم، من ذهب وفضة ونحاس وأرسلها إلى الخليفة مروان[3]، بالإضافة إلى أنه أحضر بطريرك الاسكندرية الأنبا ميخائيل وطلب منه ضرائب جديدة على البيع والكنائس ورفع ضريبة الخراج على النصارى، وسجن البطريرك ميخائيل وسجن معه ثلاثمائة رجل وامرأة من الرهبان[4]، فتعاطف النصارى معه، وطاف الأساقفة في جميع أنحاء مصر لجمع الأموال للبطريرك[5]، ثم أخرج ميخائل من السجن؛ ليجمع له الأموال التي طلبها عن البيع وعندما توجه إلى الصعيد وجد معظم مناطق مصر تعاني من الفقر المدقع؛ بسبب كثرة الضرائب، والظلم الواقع عليهم، فجمع منهم مبلغاً من المال وأعطاه لعبد الملك[6].

علم ملك النوبة قرياقوس ما حل ببطريرك الاسكندرية ميخائيل من اعتقال في سجون عبد الملك؛ فجهز جيشاً كبيراً من مئة ألف فارس ومئة ألف جمل، وتوجه إلى مصر ونزل ببركة الحبش، وسلب العديد من القرى ونهبها، وأرسل رسولاً لعبد الملك اسمه الابرخس يأمره بأن يطلق سراح ميخائيل، إلا أن عبد الملك قام بسجن ذلك الرسول مع البطريرك، ولكن عندما علم بقدوم ملك النوبة وما فعله بنواحي مصر، أطلق سراح الرسول وبعث معه برسالة مضمونها أنه أفرج عن البطريرك، كما أنه أمر ميخائيل بأن يكتب رسالة لملك النوبة يطمئنه بها عن أحواله ليتراجع عن غزو مصر ففعل ذلك البطريرك[7].

---

(1) كتاب الولاة، الكندي، ص71.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 54؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج1/316.

(3) تاريخ البطاركة، ج1/ 151؛ الخريدة النفيسة، إيسوذوروس، ج2/150-151.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 159؛ الخريدة النفيسة، إيسوذوروس، ج2/150-151.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1000.

(6) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 162 -163.

(7) المصدر السابق، ج1/ -163.

استمر الأقباط بانتفاضتهم زمن الوالي عبد الملك؛ بسبب كثرة الضرائب المفروضة عليهم[1]، فانتفض عليه الأقباط في الوجه البحري وهم يلقبون بالبشموريين وقائدهم مينا بن بقيرة، ورفضوا دفع الخراج له أو لأحد من ولاته المسئولين عن الخراج؛ فقاتلهم عبد الملك عدة مرات إلا أنهم فروا من أرض المعركة[2].

تمرد الأقباط مرة أخرى في أواخر العهد الأموي عام (132هـ/749م)عند قدوم الخليفة مروان بن محمد إلى مصر بعد هزيمته في معركة الزاب على يد العباسيين، فانتفض الأقباط في رشيد، لكن الخليفة مروان تمكن من القضاء على انتفاضتهم والقضاء عليهم[3].

وعندما وصل الخليفة مروان مصر اضطهد النصارى فدخل الإسكندرية واعتقل الرهبان المتواجدين فيها، كما اعتقل بطريرك الاسكندرية ميخائيل، وطلب منه حوثرة بن سهيل أن يكتب البطريرك إلى البشامرة؛ لوقف انتفاضتهم لأنه رجل دين له احترامه بين النصارى وكلمته مسموعة بينهم، ولكن البشامرة لم يستجيبوا لدعوته[4].

عاث مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فساداً في مصر من سرقة ونهب وسلب وسبي، فدمر كل بلدة يمر بها، فكان وجوده في مصر كارثة على النصارى، حتى أنه مر بدير راهبات فراود إحداهن عن نفسها فرفضت ذلك، وفضلت الموت بحيلة صنعتها لنفسها فدهنت جسمها بزيت ادعت بأن الإنسان إذا دهن به لا يتأثر بأي ضربة من ضربات السيوف، وطلبت منهم بأن يضربوها بالسيف لتأكد فاعلية ذلك الدهن فضربوها، فماتت على الفور، وبعدها علم مروان بأنها كانت حيلة منها وأنها فضلت الموت حفاظاً على دينها وشرفها[5]، استمر مروان بتدمير كل ما يمر به من قرى ومخازن ومراكب، فقام بحرق مخازن الطعام في مصر، كما أحرق الفسطاط والعديد من المدن والمناطق والسفن البحرية فأحدث محرقة كبيرة جدا، وخراباً كبيراً بمصر، وفعل ذلك الخراب بحجة ألا يستفيد منها العباسيين، ويتراجعوا عن السيطرة على

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 164.

(2) المصدر السابق، ج1/ 168.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2،55؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج317/1.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 169-170؛ الخريدة النفيسة، إيسوذوروس، ج151/2-152.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م 4، 1000؛ تاريخ البطاركة، ج1/ 170.

مصر[1]، وبقي مروان بن محمد يضطهد النصارى ورجال الدين منهم، حتى قتل في ببوصير في مصر[2].

رابعاً: ثورات الأقباط النصارى في العصر العباسي:

تتصف علاقة العباسيين بنصارى مصر بالتأرجح ففي بداية عهدهم كانت علاقة جيدة لدرجة أن نصارى مصر كانوا يباركون الخلافة العباسية ويؤيدوها ضد الأمويين، فقد خفف العباسيون الخراج على نصارى مصر وأحسنوا إليهم وعاملوهم برفق[3]، وذلك ما اعترف به المؤرخ القبطي يعقوب نخلة روفيله، واعترف بأن نوايا العباسيين تجاه الأقباط كانت جيدة وحسنة، لكن بعض الولاة استغلوا بُعد مركز الخلافة العباسية عن مصر واستبدوا بالحكم وتصرفوا على أهوائهم[4].

أحدث بعض الأقباط شيئاً من الاضطرابات زمن الخليفة أبي جعفر المنصور في عام مئة وخمسين للهجرة، فقاموا بانتفاضة في سخا[5]، وطردوا موظفي الدولة والمسئولين عن الخراج منها[6]، وتجمعوا وانضم إليهم أهل البشرود والأوسية والبجوم[7]، فأرسل إليهم والي مصر يزيد بن حاتم جيشاً كبيراً للقضاء على الفوضى التي أحدثوها لكن الأقباط خدعوهم ليلاً وقتلوا عددا من قادتهم واستطاعوا هزيمتهم، فعاد جيش يزيد منهزما[8]، فقام أبو جعفر المنصور بعزله عنها[9]، وتمرد الأقباط مرة أخرى في لهيب سنة (156هـ/772م)[10]، فجهز موسى بن علي والي مصر من قبل الخليفة أبي جعفر المنصور[11]، جيشاً وتمكن من القضاء عليهم وهزيمتهم[12].

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 173-174.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج181/1.

(4) تاريخ الأمة القبطية، ص82.

(5) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج3/2.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

(7) كتاب الولاة، الكندي، ص88.

(8) كتاب الولاة، الكندي، ص88؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

(9) كتاب الولاة، الكندي، ص88.

(10) المصدر السابق، ص90.

(11) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج411/7.

(12) كتاب الولاة، الكندي، ص90.

الخليفةُ العباسي عيّنَ موسى الهادي علي بن سليمان العباسي والياً على مصر عام مئة وتسع وستين، ثم توفي موسى الهادي وأبقاه هارون الرشيد على ولاية مصر، فأصدر أوامره بمنع الخمر، والغاء أي مظاهر للنصارى تخالف الشريعة الإسلامية، ودمر الكنائس حديثة البناء في مصر[1]، فدمر كنيسة مريم القريبة من أبي شنودة بمصر، ودمر كنائس محارس قسطنطين[2]، فجمع له النصارى خمسين ألف دينار مقابل ترك الكنائس فرفض[3].

وتدهور وضع النصارى في ذلك الوقت فلم يجدوا طعاماً يأكلونه لدرجة أنه أكلوا بقايا الحيوانات الميتة[4]، وبعد عزل سليمان بن علي أذن موسى بن عيسى والي مصر بعد سليمان للنصارى بتعمير الكنائس؛ فعمرت كلها بعد أن تشاور في أمرها الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قاضي مصر؛ لأن النصارى قدموا حجتهم بأن كنائسهم معظمها بنيت وعمرت زمن الخلفاء الراشدين أي زمن صحابة الرسول ﷺ والتابعين ولم يحتج أحد على بنائها أو طالب بهدمها، لذلك وافق موسى بن عيسى على إعادة تعميرها[5]، ويبدو أن موسى بن عيسى هو الوالي الذي امتدحه مرقس البطريق الإسكندرية ودعا له، وهو الذي ذكره ابن المقفع في كتابه والذي سمح له بإعادة كل كنائس الفسطاط[6].

في عام (177هـ/793م)تولى اسحق بن سليمان ولاية مصر من قبل الخليفة هارون الرشيد فزاد من حجم الضرائب؛ بشكل عرض المزارعين وتجارتهم للخسارة، فكانت ضرائبه لا يستوعبها المزارعون؛ فثار عليه النصارى، فاستعان بهارون الرشيد فأرسل له هارون جيشاً كبيراً بقيادة هرثمة بن أعين فتوجه للمتمردين في الحوف فاضطر السكان للقبول والإذعان والتسليم للأمر الواقع ودفع ما عليهم من أموال[7].

ثم ثار الأقباط واحتج سكان الحوف مرة أخرى في ولاية الليث بن الفضل والي مصر من قبل هارون الرشيد[8]، لأنه أعاد قياس مساحة أراضيهم الزراعية فانتقصوا من القصبة

---

(1) كتاب الولاة، الكندي، ص100.

(2) كتاب الولاة، الكندي، ص100؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

(4) المصدر السابق، م4، 1001.

(5) كتاب الولاة، الكندي، ص100؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

(6) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج216/1.

(7) كتاب الولاة، الكندي، ص104.

(8) المصدر السابق، ص107.

أصابع فاحتج السكان لليث فلم يستجب لهم، فتوجهوا نحو الفسطاط لمحاربة الليث، فحاربهم الليثُ عام مئة وست وثمانين لكنه لم يستطع هزيمتهم في بادئ الأمر، ثم تمكن من ذلك، فرفض أهل الحوث دفع الخراج فاشتكاهم الليث لهارون الرشيد فعزله وعين بدلاً منه محفوظ بن سليمان[1].

توفي هارون الرشيد عام مئة وثلاث وتسعين للهجرة[2]، وبعد وفاته حدث صراع بين ابنيه الأمين والمأمون على الخلافة؛ مما أدى إلى حدوث فوضى انعكست على الدولة الإسلامية ورعاياها فعاني نصارى مصر من تلك الفوضى، ومن الفتن التي نتجت عن ذلك النزاع بين الأخوين، فتعرض نصارى الإسكندرية للسرقة والسلب ودمرت لهم العديد من الكنائس وأحرقت[3]، وتعرضت الأديرة في وادي هبيب للسرقة والسلب ففر منها معظم رهبانها ولم يبق فيها من الرهبان إلا قلة قليلة[4].

خامساً: ثورة عام مائتين وستة عشر (ثورة البشموريين):

حدثت تلك الثورة سنة (216هـ/831م)، في عهد الخليفة العباسي عبد الله المأمون في مصر، وكان والي مصر في ذلك الوقت عيسى بن منصور[5]، بدأت الانتفاضة باحتجاج أهل الوجه البحري على سياسة عيسى بن منصور ومسئولي الخراج ثم انضم إليهم الأقباط [6].

وذكر ابن البطريق أن من قام بالثورة هم أهل البيما وأصلهم يعود للروم الذين رحلوا من مصر بعد الفتح الإسلامي، فبقي منهم أربعون رجلاً وتكاثروا وتناسلوا وهم من رفضوا دفع الجزية والخراج وأُطلق عليهم البيما، أي: نسل الأربعين بالقبطية[7].

تعد تلك الثورة آخر ثورة للأقباط في مصر في عصر الدولة الإسلامية كما وصفها المقريزي[8]، ولم يكن الأقباط وحدهم من قام بتلك الثورة بل اشترك فيها العرب المسلمين في

---

(1) كتاب الولاة، الكندي، ، ص108.

(2) المصدر السابق ص113.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج224/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1002.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1002 ؛ تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج231/1.

(5) كتاب الولاة، الكندي، ص142؛ بدائع الزهور، ابن ياس، ص47.

(6) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج215/2.

(7) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج59/2.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1002.

مصر[1]، وسببها يعود إلى سياسة والي مصر عيسى بن منصور وموظفي الخراج، ومن أبرزهم رجلان يدعيان: أحمد بن الأسبط، وإبراهيم بن تميم، الذين تسلطوا على سكان مصر وأرهقوا أهلها بكثرة الضرائب، فكان موظفو ومسئولو الخراج يطالبون سكان مصر بدفع الخراج والجزية وقد زادوا من قيمته بشكل كبير بحيث يعجز السكان عن دفعه، في الوقت الذي كانت تعاني فيه مصر من الغلاء الفاحش، حيث بلغ سعر خمس وبيات من القمح دينار، وتسبب ذلك الغلاء في حدوث مجاعات حيث توفي العديد من النساء والأطفال والرجال وكبار السن جوعاً، فكان من الصعب على السكان دفع الخراج والضرائب في وطأة ذلك الغلاء[2]، فتلك السياسة كان لها أسوء الأثر على سكان مصر الذين عجزوا عن دفع الضرائب، مما دفعهم للتمرد والثورة فطردوا عمال الخراج وموظفي الضرائب ورفضوا الانصياع لأوامرهم؛ ويعود ذلك بسبب ظلم وتجبر مسئولي الخراج الذين بالغوا في جمع الأموال من الناس بطرق وحشية في ظل الغلاء والقحط[3].

وكان أكثر المتضررين في ذلك الوقت هم النصارى فكل من لا يدفع الخراج أو الجزية يتعرض للتعذيب والاضطهاد، وخاصة النصارى البشموريين الذين تعرضوا لعذاب شديد من قبل مسئولي الخراج، فقد ربطوا بطواحين ليطحنوا الغلال بالقوة، وتفاقمت مأساة البشموريين؛ بسبب العذاب والاضطهاد الذي عانوا منه لدرجة أنهم عرضوا أولادهم للبيع ليضطروا لدفع الجزية والخراج، وتلك الأسباب دفعتهم للتعنت والاستمرار في الثورة والامتناع عن دفع الخراج فتحصنوا في مناطقهم الوحلة، والتي يصعب على عسكر المسلمين الدخول فيها[4]، وحاول عيسى القضاء على تلك الثورة وحشد لها الجيوش لكنه فشل أمام ثورة الأقباط وسكان الغربية الذين احتجوا على سياستهم السيئة، فتوجهوا نحو مصر ودخلوها وطردوا منها عيسى وطردوا معه مسئول الخراج في مصر بشكل مهين[5]، فأرسل الخليفةُ المأمون الأفشين من برقة إلى مصر وانضم إليه عيسى بن منصور ومن معه من جنود[6]، الذي فتك بالنصارى وقتل عددا من البشموريين،

---

(1) كتاب الولاة، الكندي، ص142.
(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 250.
(3) كتاب الولاة، الكندي، ص142.
(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 250).
(5) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج215/2.
(6) المصدر السابق، ج216/2.

وعدداً كبيراً من الرهبان النصارى[1]، وقاتل عدد من القبائل العربية مع عيسى بن منصور الزعماء المتمردين وهزمهم[2].

أما البشموريون فقد أصروا على قتال رجال الخليفة المأمون ورفضوا الانصياع للوالي ومن معه، لكن بطريرك النصارى يوساب أشفق عليهم؛ بسبب ضعفهم وعدم مقدرتهم على الدخول في حرب مع رجال الخليفة، فكتب لهم الكثير من الرسائل لدرجة أن ابن المقفع روى أنه كان يرسل إليهم كل يوم كتاباً للكف عن قتال رجال الخليفة خوفاً عليهم لأنهم لا يستطيعون الوقوف في وجه الخليفة، لكنهم لم يستمعوا لكلام البطريرك ورفضوا ما نصحهم به، بل اعتدوا على الأساقفة الذين أرسلوا لهم رسائل البطريرك[3].

وقد أخبر الأفشين الخليفةَ بموقف البشموريين بعد رسائل البطريرك ليخبره بما حدث منتظراً رد الخليفة[4]، فأصر المأمون أن يأتي بنفسه إلى مصر وبرفقته عساكر ضخمة[5]، وصل مصر في شهر محرم[6]، وكان وصوله لمصر بداية سنة 217هـ/832م) للهجرة[7]، وهو أول خليفة عباسي يدخل مصر[8]، وعند وصول الخليفة إلى مصر غضب على عيسى بن منصور وأمر بعزله، وأجبره أن يرتديَ البياض ووبخه وحمّله مسئولية ما حدث في مصر من اضطرابات؛ بسبب سوء إدارته وإدارة عماله وظلمهم واستبدادهم بالناس وتعسفهم وتجبرهم في جباية الضرائب بشكل يفوق طاقتهم، حيث قال لعيسى بن منصور: "لم يكن هذا الحدَث العظيم إلَّا عَنْ فِعلك وفِعل عُمَّالك، حمَّلتم الناس ما لا يُطيقون، وكتمتموني الخَبر حتى تفاقم الأمر، واضطربت البلد"[9]، ثم أرسل الأفشين ومعه فرقة من الجنود إلى أعلى الصعيد وكان أكثر سكانها من الأقباط والحوف[10]، وقاتل سكانها وأباد عدداً كبيراً منهم واعتقل النساء والصبيان،

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج/ 250.

(2) كتاب الولاة، الكندي، ص143.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 251.

(4) المصدر السابق، ج1/ 252-253.

(5) بدائع الزهور، ابن ياس، ج148/1.

(6) المعرفة والتاريخ، الفسوي، ج201/1؛ تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج627/8.

(7) بدائع الزهور، ابن ياس، ج148/1.

(8) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج16/15.

(9) كتاب الولاة، الكندي، ص144؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج148/1.

(10) كتاب الولاة، الكندي، ص144؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج148/1.

وجاء بهم بين يدي الخليفة فأصدر الخليفة قراراً بقتل الرجال وبيع النساء والصبيان[1]، وتذكر بعض المصادر التاريخية النصرانية موقفَ النصارى من الخليفة المأمون حيث تصفه بالحكيم والمحب للنصارى فقد جالس الحكماء النصارى وتبادل معهم الحوار[2]، وعندما قدم إلى مصر اصطحب معه بطريرك أنطاكية ديونوسيوس[3].

فتوجه بطريرك الإسكندرية يوساب ليرحب بالخليفة المأمون الذي أحسن استقباله وطلب منه ومن بطريرك الاسكندرية أن يتوجهوا إلى البشموريين؛ ليكفوا عن ثورتهم ويمتثلوا لأوامر الخليفة، فرحب البطاركة بذلك وأعلموه أن البشموريين إنْ رفضوا نصيحتهم فهم منهم براء فتوجهوا إلى البشموريين ونصحوهم، لكن البشموريين رفضوا نصيحتهم[4]، فأرسل لهم الخليفةُ الأفشين وتمكن من هزيمتهم والقضاء على ثورتهم[5].

وبعد الانتهاء منها ووقف ثورة البيما تم استدعاء زعمائهم وقادتهم وطلب منهم مغادرة مصر، فأخبروا أحدَ قادة المسلمين عن المعاملة السيئة التي كانوا يعاملوا بها من قبل عمال الخليفة، وأن ثورتهم كانت احتجاجاً عليها وهم خافوا من النفي لأنهم إذا نفوا خارج البلاد لن يجدوا قوت يومهم ولن يجدوا سبل العيش، فحياتهم ومعيشتهم في مصر تعتمد على زراعة القصب وصيد الأسماك، فتوسلوا أن يبقوا في مصر، لكن الخليفة أصرّ على نفيهم فغادروا مصر وكان عددهم ثلاثة ألاف من مصر إلى أنطاكية، ومنها إلى بغداد وبعضهم هاجر لسوريا، ومات جلهم في الطريق، واستعبد خمسمائة من الأسرى الذين حملهم المسلمون إلى دمشق، مما دفع الخليفة إلى إصدار قرار إلى ولاته على مصر بعدم الاساءة إليهم وخفض الضرائب عنهم[6].

يصف المقريزي تلك الثورة بأنها آخر ثورة للأقباط في مصر حيث ذُلَّ الأقباطُ ولم يستطيعوا أن يقوموا بأي انتفاضة أو احتجاج على الخلفاء المسلمين، وازداد عدد المسلمين في

---

(1) المعرفة والتاريخ، الفسوي، ج201/1؛ كتاب الولاة، الكندي، (ص144)؛ بدائع الزهور، ابن إياس، (ج148/1).

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 252–253.

(3) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج43/3.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 252–253.

(5) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج627/8؛ تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/ 252–253.

(6) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج3/ 47–48.

مصر وفاق عددهم عدد النصارى، فبدأ النصارى باستخدام المكر والحيلة للوصول إلى مراكز ومناصب الدولة لتحقيق مأربهم[1].

وخير مثال على ذلك ما حدث في زمن الدولة الفاطمية حيث تمكن العديد من النصارى في عهد الحاكم بأمر الله أبو على منصور من الوصول إلى العديد من الوظائف العليا في الدولة، مثل: الوزارة والوساطة، وكان أشهرهم عيسى بن نسطورس، وفهد بن إبراهيم الذيْن اشتد ظلمهم وغدرهم للمسلمين؛ بسبب مناصبهم ومكانتهم في الدولة التي مكنتهم من التحكم برقاب المسلمين وظلمهم والافتراء عليهم والتي كانت سبباً في اعدامهم على يد الحاكم بأمر الله، فقد تسببت سياستهم إزاء المسلمين بغضب الحاكم على كل النصارى في مصر فقيّد لباسهم ومنعهم من حرية ممارسة شعائرهم الدينية ومنعهم من الاحتفال بأعيادهم، وتسبب بهدم العديد من كنائسهم، فقيّد حريتهم الدينية والاجتماعية والتي سأتحدث عنها في الفصل الخاص بالحياة الاجتماعية والدينية[2].

كما أنه أمر بهدم جميع كنائس النصارى فهدم الآلاف وتم نهب كل ما فيها، كما أنه قرر نفي النصارى خارج مصر فأمر بإخراجهم جميعهم من مصر؛ فاجتمع جميع النصارى عند قصر الحاكم وتوسلوا إليه بالتراجع عن قراره والعدول عنه حتى عفا عنهم وسمح لهم بالبقاء[3].

وتلك المصائب التي حلت بالنصارى كان سببها يعود لبعض النصارى الذين تمكنوا في الدولة وبطشوا بالمسلمين، وترى الباحثة بأن ما فعله الحاكم بأمر الله يخرج عن كل تعاليم الدين الإسلامي ومنافٍ لأخلاق الإسلام، بل أنه ظلم النصارى في تلك القرارات القاسية، وسلبهم حقوقهم فجرائمه لم تقف عند النصارى، بل اليهود أيضاً والمسلمين فقد قتل العديد من الوزراء والوسطاء المسلمين من ضمنهم أبو الفتوح برجوان[4].

تكرر اعتداء النصارى على المسلمين حيث حدثت في عام(692هـ/1292م)، واقعة النصارى زمن الدولة المملوكية بخلافة الأشرف خليل بن قلاوون، وكان سببها تمكن النصارى من تولي بعض المناصب في الدولة، فقد تكاثر الكُتاب النصارى في زمنه، وخدموا عند الأمراء المقربين للسلطان وكان من ضمن الكُتاب كاتبٌ يخدم عند الأمير عين الغزال، وقد التقى يوما

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1002.

(2) المصدر السابق، م4، 1007.

(3) المصدر نفسه، م4، 1009/1008.

(4) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص249.

بأحد السماسرة فنزل السمسار وقبّل رجل الكاتب النصراني فأخذ الكاتب يهينه ويشتمه؛ لأنه تأخر في دفع المال الذي عليه للأمير، وعلى الرغم من اعتذار السمسار إلا أن الكاتب النصراني زاد من اهانته وأهانه أمام الناس وطلب من غلامه أن يقيده ويسير به، والناس اجتمعت عليهم وطلبت من الكاتب أن يتركه وشأنه فتكاثر الناس عليه وأسقطوه من على حماره، وفكوا قيد السمسار فأرسل إلى أستاذه أن ينجده من أيدي الناس، فبعث إليه مجموعة من الغلمان الذين أنجدوه من الناس وأخذوا في اعتقال وسجن الناس وتعذيبهم، بسبب ما فعلوه مع الكاتب فاستغاث الناس بالسلطان [1]، الذي بعث ليتقصى عن الأمر فوجد أن تلك المشكلة سببها يعود إلى تطاول الكاتب النصراني على السمسار، فعاتب السلطانُ الكاتبَ عين الغزال الذي أنكر معرفته بما حدث، فطلب السلطان جميع النصارى في اسطبل عين الغزال وأمر العامة بإحضار النصارى وطلب من الأمراء بأن لا يخدم نصراني عند الأمراء، وأن يُسرحوا من يعمل عندهم من الكُتاب النصارى، كما طلب منهم أن يعرضوا على النصارى الإسلام فمن يسلم يبقى في عمله، ومن يرفض الإسلام يقتل، وتلك الأوامر عرّضَت بيوت النصارى للسرقة والسلب من قبل عوام الناس، وعرّضت نساءهم للسبي، وسرقوا كنيسة المعلقة في مصر، وقتل عدد من النصارى ولكن الأمير بيدرا نائب السلطان زجر العامة وهددهم بأن من سلب بيت نصراني يقتل؛ فتوقف الناس عن النهب وجمع ذلك النائب الكُتاب النصارى جميعهم فطلب السلطان أن يأخذ مجموعة منهم، ويقوم بقتلهم حرقا، فشفع لهم بيدرا فرفض شفاعته السلطان، واستقر الأمر على أن من أسلم منهم يستقر في الخدمة، ومن رفض الدخول في الإسلام يقتل، فأسلم عددٌ كبيرٌ منهم خوفاً على حياتهم ووظائفهم فأصبح الذليل منهم عزيزا بعد الإسلام، ويرى المقريزي بأن إسلامهم كان ظاهرياً بحيث تسلطوا على المسلمين بشكل أكبر من ذي قبل، ففعلوا بهم ما كانوا لا يستطيعون فعله في النصرانية[2].

بعد القضاء على ثورات النصارى في العصر العباسي، استخدم النصارى المكر والحيلة في الوصول إلى السلطة وتحقيق أهدافهم، فمعظم الاضطهادات التي تعرض لها النصارى كان سببها ظلم الموظفين الكبار من النصارى للمسلمين وإهانتهم، لذلك فإن ذلك الظلم نتج عنه ردة فعل سلبية، واحتجاج كبير من المسلمين على الحكام، مما دفع الحكام لاستبعاد النصارى واضطهادهم.

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1014.

(2) المصدر السابق، م4، 1015–1016.

الفصل الرابع:
الحياة الدينية للنصارى في مصر

المبحث الأول:
الطوائف الدينية للنصارى في مصر

تحدث المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار عن فرق النصارى الدينية المختلفة التي كانت سائدة في زمنه في مصر فذكر أكثر خمس فرق نصرانية مشهورة في ذلك الوقت وهي الملكانية والنسطورية واليعقوبية والبوذعانية والمرقولية ، كما أن تلك الفرق لها مذاهب كثيرة ومتعددة لم يذكرها المقريزي بشكل مفصل بل اكتفى بالإشارة إليها فقط[1]، ومن أهم فرق النصارى التي كانت سائدة في مصر بعد الفتح الإسلامي:

الطائفة الأولى: الملكانية:

إحدى فرق النصارى وتلك الفرقة كان يعتنق أفكارها معظم ملوك النصارى وكل نصارى إفريقيا ما عدا الحبشة والنوبة وصقلية والأندلس ومعظم نصارى بلاد الشام[2]، وأتباع تلك الفرقة الملكانية جلهم من الروم والفرنجة وغيرهم[3]، بالإضافة إلى أهل الشمال ويقصد بهم ابن تيمية بلاد الشام وبلاد الروم[4].

يعود سبب تسميتهم بالملكانية لأنهم اتبعوا رأي الملك مرقيان وزوجته[5]، وقيل أن اسمه ملكان وأتباع تلك الفرقة هم مؤيدين ملكان الذي برز في أرض الروم وسيطر عليها فأصبح معظمهم ينتمون للطائفة الملكانية، ولم يوضح الشهرستاني إذا كان ملكان هذا ملك أو رجل دين[6]؛ وقال القلقشندي أنه وجد في بعض الكتب أنهم ينتسبون إلى مركان أحد أباطرة الروم الذي أيد مذهبهم ونصرهم فأطلق عليهم مركانية ثم عربت الكلمة وأصبح يطلق عليها ملكانية[7].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1021.

(2) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، ج48/1.

(3) صبح الأعشى، القلقشندي، ج280/13.

(4) الفتاوي الكبرى، ج586/6.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج64/1.

(6) الملل والنحل، الشهرستاني، ج27/2؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء،ج89/1.

(7) صبح الأعشى، القلقشندي، ج13/ 279.

ترجع أسباب ظهور تلك الفرقة حسب ما ذكر سعيد بن البطريق أن امبراطور الروم ميرقان اجتمعت عنده الأساقفة من جميع البلدان، ليهنئوه بالملك ويشتكوا إليه ما فعله ديسقورس بطريرك الإسكندرية في المجمع الثاني في مدينة أفسس من تأييده للراهب أفتيشيوس الذي قال بأن المسيح قبل التجسد له طبيعتان وبعد التجسد له طبيعة واحدة أي أنه أيد اليعقوبية وأن ما فعله ديسقورس أفسد عليهم دينهم، فأمر مرقيان بأن يجتمع جميع البطاركة والقساوسة في مدينة خلقيدونية؛ لينظروا في أمر أفتيشيوس وديسقورس فاجتمع ستمائة وثلاثون أسقف[1]، وعقد المجمع الرابع من مجامع النصارى في مدينة خلقيدونية، وعرض ديسقورس بطريرك الإسكندرية رأيه حول طبيعة المسيح حيث رأى بأن المسيح جوهر من جوهرين وأقنوم من أقنومين وطبيعة من طبيعتين ومشيئة من مشيئتين ، أما مرقيان أو ملكيان إمبراطور الروم هو ومملكته فكان يرى أن عيسى هو الجسد وأنه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد[2].

ويقصد بالأقنوم الأصل وهي كلمة رومانية[3]، والأقانيم عند النصارى ثلاثة وهي الوجود والعلم والحياة وأطلقوا عليها الأب والابن وروح القدس[4]، ويقصدون بأقنوم الوجود الأب وأقنوم الحياة روح القدس وأقنوم العلم الكلمة[5].

وروي المقريزي عن الأساقفة الذين حضروا ذلك المجمع رواية تختلف عن سعيد بن البطريق ففي روايته يؤكد المقريزي أن الأساقفة عندما أيقنوا رأي مرقيان حول طبيعة المسيح وأنه جوهران وطبيعتان ومشيئتان وأقنوم واحد؛ خافوا منه وأيدوا رأيه ووافقوا عليه جميعهم ما عدا ديسقورس بطريرك الإسكندرية وستة أساقفة معه، فكتب القساوسة ما اتفق مع رأي الملك، أما ديسقورس فكتب ما أقره من قبل في مجمع أفسس وحرم من يخالف رأيه؛ مما أغضب مرقيان منه وأراد قتله فعرض المستشارين على مرقيان أن يناظروا ديسقورس ويجادلوه؛ فجمع ستمائة وأربع وثلاثون أسقف وبطريرك والذي عرف بمجمع خلقيدونية، حاول الأساقفة اقناع ديسقورس بتأييد ما يقوله الملك مرقيان؛ ليحتفظ بمنصبه في البطريركية فرفض واحتج على تدخل مرقيان في الأمور الدينية ومبيناً أن مهمة الملك إدارة الأمور الدنيوية ومتابعة الرعية، فأمر مرقيان بنفيه وحرمانه من منصبه في البطريركية بعد أن ضرب وخلع له ضرسان ونتفت لحيته من قبل الملك

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج179/1- 182.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 988.

(3) مختار الصحاح، الرازي، ص261.

(4) دستور العلماء، الأحمد نكري، ج1/ 104.

(5) الملل والنحل، الشهرستاني، ج27/2؛ كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي،ج248/1.

وزوجته، ومنذ ذلك المجمع انقسم النصارى إلى يعقوبية وملكانية، والملكانية هم من أيدوا مرقيان ملك الروم واليعقوبية من أيدوا ديسقورس[1].

والملكية يقوم أساس اعتقادهم على أن جزءاً من اللاهوت حل في الناسوت[2]، واللاهوت معناه الإله بلغة النصارى والناسوت يقصد به الطبيعة البشرية أو الإنسان[3].

فيزعم الملكانية أن الكلمة وهي أقنوم العلم اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ومازجته ممازجة الخمر اللبن أو اللبن الماء ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا بل المسيح مع ما تدرع به هو الابن وأن الجوهر غير الأقانيم كما في الموصوف والصفة مصرحين بالتثليث[4]، ويزعمون أن الأب والابن وروح القدس إله واحد لذلك أشار إليهم القرآن الكريم في قوله تعالى يدحض مزاعمهم ﴿**لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ**﴾[5].

ويزعمون أن عيسى قديم أزلي جاء من قديم أزلي وإن مريم ولدت إليهاً أزليا فيطلقون الأبوة والنبوة على الله وعلى المسيح! مستشهدين بما ورد في الإنجيل من ذكر الأب والابن حيث قال المسيح : "إنك أنت الابن الوحيد، وحيث قال له شمعون الصفا إنك ابن الله حقا"[6]، ويزعمون أن المسيح ناسوت كلي لا جزئي وأن القتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معاً[7]، وأن القتل والصلب وصلا إلى اللاهوت بالإحساس والشعور لا بالمباشرة[8]، وأطلقوا لفظ الابن على عيسى، ولفظ الأب على الله تعالى[9].

ومن المعتقدات الدينية للفرقة الملكانية أن الميعاد والحشر يكون بالجسم والروح معاً، وأن الجسم في الآخرة يستمتع بالمأكل والمشرب والنكاح وغيرها من الأمور فهم يتشابهون مع المسلمين في تلك الأمور، كما أن بعض مذاهب الفرقة الملكانية لا يختتنون، ويأكلون لحم الميتة، كما أن الملكانية يطيعون البابا بطريرك روما ويقدسونه، ولا يجرؤون على مخالفة أوامره

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 988-989.

(2) صبح الأعشى، القلقشندي، ج279/13.

(3) المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون، ج895/2.

(4) الملل والنحل، الشهرستاني، ج221/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج279/13.

(5) المائدة: 73.

(6) الملل والنحل، الشهرستاني، ج221/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج280/13.

(7) الملل والنحل (ج221/1)؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج280/13.

(8) مفاتيح الغيب، الرازي، ج261/11؛ اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج113/7.

(9) أبكار الأفكار، سيف الدين الآمدي، ج57/2.

فهو مقدس عندهم وكانت ملوك النصارى عندما تلتقي بالبابا تركع على الأرض وتقبل قدمي البابا ولا تقوم إلا إذا أمرها البابا بذلك[1].

الملكانية تسمى اليوم الكاثوليك[2]، ويشكلون غالبية النصارى[3]، ومقر كرسي البطريركية الملكانية يوجد في مدينة روما، ويطلق على البطريرك المسئول عنهم لقب البابا[4]، وهو مسئول عن كل الأمور الدينية عند النصارى الملكانية، فهو يقرر ما هو محلل وما هو محرم في شريعتهم فهو من يلجئون إليه في الأمور الدينية [5].

الطائفة الثانية: اليعاقبة

إحدى أشهر وأكثر فرق النصارى التي كانت متواجدة في مصر، فقد ظهرت تلك الفرقة بعد مجمع خلقيدونية[6]، الذي عقد عام أربعمائة وواحد وخمسين ميلادي[7]، ونتج عن ذلك المجمع خلاف مذهبي أدى إلى انقسام النصارى إلى فرقتين رئيسيتين هما الملكانية أتباع الملك مرقيان واليعقوبية أنصار ديسقورس بطريرك الإسكندرية[8].

يعود أصل اليعقوبية إلى الراهب أفتيشيوس الذي عاش في القسطنطينية، وآرائه مبنية على أساس أن جسد المسيح غير مساوي لأجسادنا، وأن المسيح ذو طبيعة واحدة، وأنه قبل التجسد كان ذو طبيعتين، ولكن بعد التجسد أصبح طبيعة واحدة وأقنوم واحد[9].

آراء أفتيشيوس أدت إلى لعنه ومحاربته من قبل بطريرك القسطنطينية فلابيانوس، فاشتكى أفتيشيوس إلى ملك الروم ثاودوسيوس ما فعله بطريرك القسطنطينية به؛ فدعا ملك الروم لعقد المجمع الثاني من مجمعات النصارى في أفسس؛ فاجتمع البطارقة ومنهم ديسقورس بطريرك الإسكندرية وبطريرك أنطاكية وبيت المقدس وممثلين عن بطريرك روما وبعض الأساقفة، فأيد ديسقورس بطريرك الإسكندرية آراء أفتيشيوس وأقر صحتها وأيد ملك الروم

---

(1) صبح الأعشى، القلقشندي، ج280/13.

(2) التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج39/16؛ زهرة التفاسير، أبي زهرة، ج2755/5.

(3) تفسير السمعاني، السمعاني، ج429/5.

(4) صبح الأعشى، القلقشندي، ج295/5.

(5) المصدر السابق، ج443/5.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 988-989.

(7) موسوعة تاريخ الأقباط، شنودة، ج3/18.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 989.

(9) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج179/1.

ثاودوسيوس ما ذهب إليه ديسقورس وأفتيشيوس، فانتشر مذهب ديسقورس وخاصة في مدينة الإسكندرية ومصر [1].

وكان عدد أعضاء المجمع الذي عقد عام 449م مئة وخمس وثلاثون أسقفاً أيدوا ما قاله الراهب أفتيشيوس بأن عيسى ذات طبيعة واحدة فأطلق على أصحاب وأتباع مذهب أفتيشيوس وديسقورس اسم المونوفيزية ومعناها المسيح ذات طبيعة واحدة[2]، والتي تسمى الكنيسة السريانية الأرثوذكسية [3].

وبعد موت ملك الروم ثاودوسيوس أصبح مرقيان ملك الروم فاجتمعت عنده الأساقفة؛ واشتكوا إليه ما فعله ديسقورس بطريرك الإسكندرية في المجمع الثاني في مدينة أفسس من تأييده للراهب أفتيشيوس وأن ما فعله ديسقورس أفسد عليهم دينهم، فأمر مرقيان بأن يجتمع جميع البطاركة والقسوس في مدينة خلقيدونية؛ لينظروا في أمر أفتيشيوس وديسقورس فاجتمع ستمائة وثلاثون أسقف[4]، وعقد المجمع الرابع من مجامع النصارى في مدينة خلقيدونية[5]. كانت أهم نتائج ذلك المجمع بطلان جميع القرارات التي صدرت عن المجمع الثاني في أفسس وتعرض ديسقورس للنفي واللعن ولعن من أيده، وعزلوه من منصبه بالبطريركية ووصفوه بالكافر والملعون[6]، وبعد عقد مجمع خلقيدونية انقسم النصارى إلى قسمين ملكانية ويعاقبة[7].

أساس جوهر عقيدة فرقة اليعاقبة يقوم على أن المسيح جوهر واحد وطبيعة واحدة[8].

واليعاقبة عدة مذاهب منهم من قال أن المسيح هو الله تعالى وقالوا بالأقانيم الثلاثة[9]، وأن الإله صلب ومات وقتل، وأن الكون استمر ثلاثة أيام دون إله يدبر شؤونه ثم عاد الإله وقام كما كان، لكنه رجع محدثاً، وأن الله تعالى هو من حملت به مريم، تعالى الله عما يقولون[10].

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/179-180.

(2) الفروق والمذاهب المسيحية، رستم، ص27.

(3) العقائد والأديان، صالح، ص285.

(4) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/179- 182.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 988.

(6) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/183-184.

(7) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج1/129؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج1/301؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 989.

(8) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ص61.

(9) الملل والنحل، الشهرستاني، ج2/31.

(10) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الأندلسي، ج1/48.

ومنهم من يزعم أن الكلمة تحولت لحم ودم بالاتحاد[1]، فأصبح الإله هو المسيح[2].

وزعم بعضهم أن الله ظهر في الإنسان فأصبح ناسوت المسيح مظهر حق لاعن طريق حلول جزء فيه، ولا عن طريق اتحاد الكلمة، بل اصبح هو هو ومثال كأن يقال ظهر الملك على صورة إنسان، والشيطان على شكل حيوان، وأغلب اليعاقبة يزعمون أن عيسى جوهر واحد وأقنوم واحد إلا أنه من جوهرين وطبيعة من طبيعتين، وهما جوهر الإله القديم وجوهر الإنسان المحدث، وهو المركب تركيب كما تركب النفس على البدن فأصبح جوهر واحد وأقنوم واحد وهو كله إنسان وكله إله كالفحم الذي يلقى في النار فنقول صارت الفحمة نارا، ولا نقول أصبحت النار فحما، وزعموا أن الكلمة اتحدت مع الإنسان الجزئي لا الكلي، واتحدت عبر الامتزاج والتدرع والحلول، وأجمعوا أن القديم يجب ألا يتحد مع المحدث إلا أن الأقنوم الثاني الكلمة اتحدت خلافاً عن كل الأقانيم[3].

وزعم بعضهم أن مريم أنجبت إلهاً وأن القتل والصلب وقع على الجوهر، وزعم البعض الآخر أن الكلمة لم تأخذ من مريم شيئا بل عبرت كما يعبر الماء عبر القنوات، والذي ظهر منها من شخص المسيح في الأعين فهو كالخيال، والقتل والصلب وقع على الخيال وهؤلاء أطلق عليهم الإليانية وزعموا أن الإله صلب من أجل الخلاص لهم، وزعموا أن الكلمة كانت تدخل جسد المسيح أحيانا فتحدث المعجزات من إحياء الموتى وشفاء المرضى، وتفارقه أحياناً فيرجع عليه الألم والوجع[4].

ومن معتقدات اليعاقبة أن البعث والآخرة مقتصرة على الروح فقط دون البدن من فرح وراحة وسرور ولا يوجد مأكل ولا مشرب ولا نكاح، وبعض فرق اليعاقبة يختتن، ولا يأكلون لحوم الحيوانات إلا بعد التذكية[5].

---

(1) تمهيد الأوائل، الباقلاني، ص108؛ الملل والنحل، الشهرستاني، ج30/2؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج104/1؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج77/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج281/13.

(2) الملل والنحل، الشهرستاني، ج30/2؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج104/1؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج77/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج281/13.

(3) الملل والنحل، الشهرستاني، ج31/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج281/13.

(4) الملل والنحل، الشهرستاني، ج32/2.

(5) صبح الأعشى، القلقشندي، ج282/13.

تركز اليعاقبة في فلسطين[1]، وبلاد النوبة والحبشة ومصر فغالبية الأقباط ينتمون لطائفة اليعاقبة [2]، وانتشر اليعاقبة في العراق وتكريت وشبه الجزيرة العربية والأرمن يعاقبة[3]، كما سيطر اليعاقبة على كرسي البطريركية في أنطاكية وفي الإسكندرية[4].

اختلف النصارى حول سبب تسميتهم باليعاقبة أو اليعقوبية وظهرت عدة آراء مختلفة منها: أن ديسقورس بطريرك الإسكندرية اسمه الأول كان يعقوب قبل أن يتولى كرسي البطريركية، فقد كان يراسل أتباعه وأصدقائه بأن يتمسكوا بأمانة المنفي يعقوب، وقيل أنهم سموا يعاقبة نسبة إلى تلميذ ديسقورس واسمه يعقوب والذي كان يراسل أصدقائه وهو منفي عن طريق تلميذه يعقوب[5].

وقيل أن يعقوب أحد تلاميذ ساويرس بطريرك أنطاكية وكان يعتنق مذهب ديسقورس بطريرك الإسكندرية فكان ساويرس يرسل يعقوب إلى النصارى لكي يتمسكوا بمذهب ديسقورس ونسبة إلى ذلك التلميذ يعقوب سموا يعاقبة، وقيل أن يعقوب كان رجل نصراني متدين يكثر من العبادة والزهد [6]، وكان راهب بمينة القسطنطينية [7]، ويرتدي خرق البراذع فأطلق عليه يعقوب البراذعي وكان البراذعي يدعو لمذهب ديسقورس في كل البلدان فأصبح يطلق على أتباعه اليعاقبة، ويقال ليعقوب يعقوب السروجي[8].

الطائفة الثالثة: النسطورية

النسطورية فرق من فرق النصارى، وأطلق عليهم النسطورية؛ لأنهم أنصار نسطور بطريرك القسطنطينية[9]، تقوم رؤية نسطور الدينية على أن مريم لم تلد الإله وإنما ولدت

---

(1) صبح الأعشى، القلقشندي ، ج13/282.

(2) المصدر السابق، ج13/282.

(3) مروج الذهب، المسعودي، ج1/144.

(4) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج1/130.

(5) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج1/130؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج13/281؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 989.

(6) صبح الأعشى، القلقشندي، ج13/281؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 989.

(7) صبح الأعشى، القلقشندي، ج13/281.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 989.

(9) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/156.

الإنسان!، وزعم أنه يوجد ابنان إحداهما الاله المولود من الأب، والإنسان المولود من مريم، أي أن مريم هي والدة المسيح الإنسان[1]، فالإله لم يلد الإنسان بل ولد الإله[2].

وأن الإنسان المسمى بالمسيح متحد مع الابن بالمحبة، فتسميته بالإله وابن الإله ليست حقيقية ولكن بالموهبة والكرامة فهو كأحد الأنبياء[3].

ذكر الشهرستاني أن النسطورية تنسب إلى أتباع نسطور الذي ظهر زمن الخليفة العباسي المأمون، وفسر الإنجيل حسب رؤيته، وزعم نسطور أن الله واحد صاحب الأقانيم الثلاثة الوجود والعلم والحياة، وتلك الأقانيم ليست زائدة على الذات ولا هي هو، وأن الكلمة اتحدت بجسد عيسى ليست عن طريق الامتزاج ولا عن طريق الظهورية، ولكن كإشراق الشمس في كوة على بلورة، وأن الإله واحد الجوهر ليس مركبا بل بسيط وواحد، ويزعم نسطور أن القتل والصلب وقع على ناسوته لا على لاهوته لأن الإله لا تصيبه الآلام[4]، أي أن نسطور نادى بأن طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية، وبذلك أنكر ألوهية المسيح ولكنه ظن أن المسيح فوق البشر بكراماته ومباركته من الإله[5].

أثارت أفكار وآراء نسطور حفيظة بطاركة الإسكندرية وأنطاكية وروما؛ فعقدوا اجتماع خاص لمناقشة أفكار نسطور ليناظروه ويحاجوه ويقنعوه بالعدول عن أفكاره وإلا تبرؤوا منه ولعنوه ونفوه[6]، فعقد المجمع الثالث للنصارى في مدينة أفسس واجتمع البطاركة ومعهم مئتين من الأساقفة[7].

تأخر بطريرك أنطاكية عن حضور المجمع، وأرسلوا لنسطور؛ لكي يحضر ذلك الاجتماع فلم يحضر، فاتفق الحاضرون في المجمع على لعن نسطور ونفيه، وأقروا أن مريم والدة الإله، وأن المسيح إله، وأن المسيح بطبيعتين متوحد في الأقنوم أي أنهم أبطلوا مقالة نسطور في المسيح وأمه[8].

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج156/1؛ الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الأندلسي، ج48/1.

(2) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ص61؛ الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الأندلسي، ج48/1.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج156/1.

(4) الملل والنحل، الشهرستاني، ج223/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1022.

(5) عقائد أهل الكتاب، الديسي، ص741.

(6) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج156/1-157.

(7) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ص61.

(8) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج156/1-157.

توجه نسطور بعد النفي إلى مصر وأقام في صعيد مصر في مدينة اسمها اخميم عاش بها سبع سنوات ثم مات، فدفن في قرية تسمى سقلان، وبعد موته نشر مذهب نسطور عن طريق برصوما أسقف نصيبين[1]، وقباد ابن فيروز ملك الفرس الذي أسس المذهب النسطوري بالمشرق، ثم انتشرت النسطورية في المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة[2]، وخراسان[3].

وذكر اليعقوبي أن نسطور هرب إلى العراق وليس مصر[4]، بعض النسطورية تؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره[5].

الطائفة الرابعة: المرقولية (المرقيونية)

هي فرقة من فرق النصارى، وهم أتباع مرقيون[6]، ومرقيون كان ابناً لأحد الأساقفة في حران[7]، ومن خلال البحث تبين للباحثة بأن هناك اختلافات وغموض بين المؤرخين والباحثين حول ماهية المرقونية، فالشهرستاني والمقريزي اتفقوا بأن المرقونية إحدى فرق الثنوية[8]، ولكنهم اختلفوا حول معتقداتها، يرى الباحث المعاصر عبد القادر صالح أنها فرقة مجوسية متأثرة بأفكار الدين المسيحي[9].

وروي الشهرستاني الأسس التي نشأت عليها أفكار المرقولية فهي ترى أن العالم تكون بفعل إلهين أزليين متنافرين وهما النور والظلمة، وأثبتت تلك الفرقة أصلاً ثالثاً وهو المعدل الجامع، وهو أقل مرتبة من النور وأعلى من مرتبة الظلمة، وهو سبب الامتزاج، وأن العالم خلق من وراء ذلك الامتزاج والاجتماع، ومنهم من قيل أن الامتزاج كان بين الظلمة والمعدل

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج158/1؛ التنبيه والإشراف، المسعودي، ج129/1؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج112/1.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج158/1.

(3) الفصل في الملل والنحل، ابن حزم الأندلسي، ج48/1.

(4) تاريخ اليعقوبي، اليعقوبي، ص61.

(5) الملل والنحل، الشهرستاني، ج223/1.

(6) الفهرست، ابن النديم، ص412.

(7) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج111/1؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج293/1.

(8) الملل والنحل، الشهرستاني، ج49/2؛ المواعظ والاعتبار، م4، 1021.

(9) العقائد والأديان، ص254.

فأرسل النور إلى العالم الممتزج روحا مسيحية هي روح الله وابنه رفقا بالعالم؛ ليخلصه من كل سوء ومن أفعال الشياطين فمن اتبع النور نجا ومن خالفه هلك[1].

وذكر ابن عبري والمقريزي أن مرقيون ادعى بأن هناك ثلاث آلهة هم الصالح والطالح والعادل، وأن العادل ظهرت أفعاله في الطالح فخلق العالم، فعندما وجد الصالح انجذاب العالم للطالح أرسل ابنه ليدعو العالم الى عبادة أبيه الصالح، فجاء ونسخ التوراة بالإنجيل، فأثار العادل عباده عليه ومكنهم منه فقتلوه، وبعد قيامه من الموت جمع الناس ووجههم إلى عبادة أبيه، ويروي ابن عبري أن تلك ما هي إلا خرافات لمرقيون، الذي دعته الأساقفة للعدول عما يدعو إليه من خرافات إلا أنه رفض فقاموا بلعنه ونفوه[2].

يروى المقريزي بأن المرقولية تدعي أن المسيح ابن الله من باب الرحمة، كأن نقول إبراهيم خليل الرحمن[3]، ويزعم المرقولية بأن المسيح يحوم حولهم كل يوم وليلة[4].

ذكر المقريزي في كتابه العديد من فرق النصارى، ولكن أشهر فرق النصارى التي كانت سائدة في مصر هي الملكانية واليعقوبية والنسطورية، بالإضافة إلى بعض فرق النصارى التي ذكرها المقريزي، و يبدو أن تلك الفرق كانت عبارة عن أقليات مثل المرقولية، والمرايمة الذين يزعمون أن مريم وابنها عيسى إلهين من غير الله[5]، والبوذعانية التي تزعم أن عيسى هو من سيحشر الموتى من قبورهم ويحاسبهم[6].

تلك الفرق لم تجد لها الباحثة أثرا في كتب التاريخ الإسلامي حتى في كتب المؤرخين النصارى ربما يعود ذلك لقلة أتباعها أو لاندثارها واختفاء أثرها.

---

(1) الملل والنحل، الشهرستاني، ج57/2.

(2) تاريخ مختصر الدول، ابن عبري، ج72/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 981.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م981،4.

(4) المصدر السابق،م4، 981.

(5) المصدر نفسه، م4، 981.

(6) المصدر نفسه، م4، 1023.

المبحث الثاني:
بطاركة مصر في العصر الإسلامي

وضعت الشريعة الإسلامية أسس التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى، فكان القرآن الكريم والسنة النبوية بمثابة الدستور الذي يحدد علاقاتهم مع الآخرين، ومن الأسس التي ارتكزت عليها مبادئ الإسلام احترام الأديان وخاصة رجال الدين، فالمسلمين لم يفرضوا الجزية على الرهبان احتراماً لرجال الدين[1]، فقد فأوصى أبي بكر الصديق يزيد بن أبي سفيان أثناء تسيير جيشه إلى الشام قائلاً له: "لا تقتلوا صبيا، ولا امرأة، ولا شيخا كبيرا، ولا مريضا، ولا راهبا..." [2]، فقد وضع الإسلام مساحة مهمة في تشريعاته لاحترام رجال الدين من أصحاب الديانات الأخرى.

أولاً: البطريركية مفهومها وشروطها وواجباتها وطرق تعيين البطريرك:

1- مفهوم البطريرك:

البطرك كلمة تعني رئيس الأساقفة، وهي كلمة معربة عن الكلمة اليونانية باتير ارخوس ومعناها الأب الرئيس[3]، والبطريرك في مصر كان يمثل رأس الهرم في سلطة الكنسية فالبطريرك هو المسئول الديني الأعلى عند النصارى[4]، ورئيس رؤساء الأساقفة، ويعد الأسقف الأول[5]، فالبطاركة حسب معتقدات النصارى يعدون نواب المسيح ورسله[6]، والبطريركية كلمة تطلق على كراسي البطاركة الأربعة وهي الإسكندرية، بيت المقدس، أنطاكية، روما[7]، فكل بطريركية لها سلطة دينية على الأماكن التي تتبع لها[8]، فهي بمثابة خلافة مسيحية دينية

---

(1) الخراج، أبي يوسف، ص135-136.

(2) سنن البيهقي، البيهقي، باب ترك من لا قتال فيه من الرهبان والكبير وغيرهما، ج9/ 153: رقم الحديث:18152.

(3) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص19.

(4) لسان العرب، ابن منظور، ج301/1.

(5) المجموع الصفوي، ابن عسال، ص19؛ المعجم الوسيط، مصطفى وآخرون، ج61/1.

(6) المجموع الصفوي، ابن عسال، ص19.

(7) المصدر السابق، ص20.

(8) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج217/1.

مهمتها حماية الدين المسيحي، والحفاظ على مبادئ الشريعة النصرانية وتطبيقها، ودعوة النصارى إلى الالتزام بتعاليمها [1]، وأطلق على بيت البطريرك اسم قلاية وهي مركز البطريرك بالدار البطريركية في الإسكندرية[2].

2- الشروط التي يجب توافرها في البطريرك:

أهم الشروط التي يجب توفرها في البطريرك أن يكون عادلاً وعالماً في الدين النصراني، صاحب حكمة ورأي وحنكة وحسن التدبير والتصرف، بالإضافة إلى سلامة العقل والحواس والأعضاء التي تمكنه من تأدية مهامه، وخلوه من الأمراض المعدية حتى يتمكن من عقد الاجتماعات دون أن يشكل خطراً على أحد، وقدرته على إدارة شؤون ومصالح النصارى في كافة الظروف[3]، أن يكون بتولاً معروف بالأمانة وكثرة العلم وحسن التدين[4].

3- طريقة تعين بطريرك الإسكندرية :

أول بطريرك تم تعينه في مدينة الإسكندرية من قبل مرقص الإنجيلي اسمه حنانيا ويقال أنانيو، وعندما نصبه مرقص الانجيلي بطريرك للإسكندرية عين معه اثنتي عشر قسيس وأوصاهم في حالة وفاة حنانيا أن يختاروا واحداً من الاثنتي عشر بطريرك جديد للإسكندرية ، ثم يختاروا رجل فاضل ليكون قسيس جديد بدل القس الذي أصبح بطريرك، بحيث يكون عدد القساوسة اثنتي عشر لا يزيدون ولا ينقصون عن ذلك العدد، فأصبحت تلك الطريقة معتمدة لاختيار بطريرك الإسكندرية[5]، استمر تعين البطريرك مقتصرا على القساوسة الاثنتي عشر حتى زمن البطريرك الإسكندروس[6]، وهو البطريرك التاسع عشر لمدينة الإسكندرية[7]، فبعد عقد مجمع نيقة 325م أبطل الإسكندورس الطريقة المعتمدة سابقاً في تعين البطريرك وهي أن يقتصر تعيين البطريرك من قبل القساوسة الاثنتي عشر، وجعل شرط تعين البطريرك أن يجتمع الأساقفة ويختاروا رجلاً صالحاً من أي بلد، أو من القساوسة الاثنتي عشر أو من غيرهم فلا

---

(1) المجموع الصفوي، ابن عسال، ص27.

(2) تاريخ البطاركة، يوساب، ص85؛ تكملة المعاجم العربية، دوزي، ج375/8.

(3) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص27.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج98/1.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج95/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 975.

(6) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج95/1.

(7) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج44/1.

يكون اختياره حكراً عليهم، ويعينوه بطريرك للمدينة، فأصبح الأمر منوط بالأساقفة كلهم في اختيار بطريرك الإسكندرية وليس مقتصراً على الاثنتي عشر كما كان بالسابق[1].

وإذا اختلف الأساقفة حول شخصية البطريرك الذي سيختارونه يؤخذ برأي الأغلبية منهم[2]، وإذا اتفقوا على شخص توفرت فيه كل الشروط السابقة واعتذر ذلك الشخص عنها، يختاروا غيره وإذا لم يكن غيره أحق بها منه وجب تعينه رغما عنه[3]، كما حدث مع البطرك قسما البطرك الرابع والأربعين للإسكندرية[4]، حيث تم اجباره على تولي كرسي البطريركية[5].

وإذا قدم مرشحين اثنين واحد ذو علم غزير والآخر لديه القدرة على إدارة البطريركية بحنكة اختير ما هو أنسب للوضع والعصر الذي يعيشه النصارى، وإذا تعادل اثنان في الاختيار تجرى قرعة بينهم، والأفضل أن يتم اختيار ثالث؛ لأن تعادلهما يعد تجريح لهما، ولا يجوز أن يكون هناك بطريركين لكرسي واحد، وإذا أوصى بطريرك لأحد الأساقفة بأن يتم اختياره بعده لا يعمل بوصايته، بل يتم الاختيار بالطريقة الدارجة وتستخدم وصايته للترجيح فقط[6]، كذلك ذكرت المصادر النصرانية طريقة مختلفة لاختيار بطريرك الإسكندرية كتلك الطريقة التي اختير فيها يوحنا البطريرك الثامن والأربعين وهي القرعة وتتمثل بقيام الكهنة والأساقفة بترشيح اسم بطريرك الذي يريدونه في أوراق منفصلة، ثم يحضرون طفل برئ ليختار ورقة من تلك الأوراق فالاسم الذي يظهر في الورقة التي اختارها الطفل يقع عليه الاختيار ويصبح بطريرك للإسكندرية[7]، واتفق البطاركة والأساقفة بعد عقد مجمع نيقة أن لا يكون للبطريرك زوجة[8].

منذ الفتح الإسلامي لم يتدخل المسلمين في طريقة انتخاب أو تعين بطريرك الإسكندرية إلا في حالات نادرة جدا، كتلك الحالة التي أجبرت عبد العزيز بن مروان للتدخل وسبب تدخله يعود إلى أنه بعد وفاة البطريرك يوحنا؛ قام بعض الكتاب النصارى بالتعاون مع بعض الأساقفة

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج1/95-96.

(2) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص24.

(3) المصدر السابق، ص27.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/135.

(5) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص124.

(6) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص28.

(7) تاريخ البطاركة، يوساب، ص107.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 982.

للانفراد في اختيار البطريرك دون مشورة كافة الأساقفة، وقاموا بترشيح جرجة من سخا وهو شماس فألبسوه زي الرهبنة وقدموه لعبد العزيز بن مروان مخالفين وصية يوحنا الثالث، واتفقوا فيما بينهم أن يخدعوا عبد العزيز بن مروان إن استفسر منهم عن البطريرك ويدعون أن يوحنا هو من رشحه[1]، وأخذ منهم عهداً بذلك قبل وفاته[2]، ولكن عبد العزيز بن مروان اكتشف خدعتهم وأبطل ترشيح جرجة وأمر بترشيح اسحق حسب وصية يوحنا الثالث بطريرك الإسكندرية وكان تدخل عبد العزيز لصالح النصارى ولمصلحتهم[3].

كذلك عندما رشح الأساقفة يوحنا ليكون البطريرك الثاني والأربعين للإسكندرية احتج أحد الأساقفة ورشح سيمون ليكون بطريرك أمام والي مصر عبد العزيز بن مروان، فلم يتدخل الوالي في اختيارهم أو في شؤونهم الخاصة، بل ترك الأمر لهم فاستقر أمرهم على سيمون فاختاروه بطريرك لهم[4]، فكان اختيار البطريرك مهمة النصارى أنفسهم ولا علاقة للولاة أو الخلفاء المسلمين في اختيار البطاركة في مصر، فقد تركوا مطلق الحرية للنصارى في اختيارهم [5]، وإن تدخل المسلمين فتدخلهم لا يتجاوز حدود النصح وعرض الاقتراحات والتشاور لاختيار البطريرك، واقتراحاتهم لا تكون ملزمة للنصارى كتلك الطريقة التي عرضها الوزير علي بن أحمد عندما توجه إليه وفد من النصارى لاختيار البطريرك الخامس والستين، والتي لم يعمل بها النصارى وتجاهلوها[6].

ولكن من عادة النصارى عند ترشيح بطريرك أن يخبروا والي مصر باسم البطريرك الذي أتفقوا على اختياره، ويبلغوه بالأمر احتراما للوالي[7].

4- مهام وواجبات البطريرك:

أن يكون خبيراً عالماً بالدين المسيحي، وبتاريخ الكنيسة، وبالأناجيل، وبالمجامع المسيحية والرسل، والبطاركة الذين قبله؛ لتكون لديه القدرة على مباشرة مهامه والفصل في كافة الأمور الخاصة بالنصارى، والقدرة على حل المشكلات، وتطبيق قوانين الدين النصراني، وتنفيذ

---

(1) تاريخ البطاركة، يوساب، ص86.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج109/1.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج109/1؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص86.

(4) تاريخ البطاركة، يوساب، ج110/1-111؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص87-88.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج214/1.

(6) المصدر السابق، ج127/2.

(7) تاريخ البطاركة، يوساب، ص124.

الأحكام، وتقدير الأموال واعطائها لمن يستحقونها دون تأخير أو تقصير، وتقليد رجال الدين في المناصب التي يستحقونها بنزاهة، وتقديم أموال الصدقات للأمناء لتوزيعها، ومتابعة الأمور العامة بنفسه ولا يقتصر على تفويضها للآخرين، وأن يكون أمره شورى مع غيره من رجال الدين في الأحكام والقضايا النصرانية فلا يكون متفردا برأيه [1]، وكان يخصص يوم في العام لاجتماع البطريرك مع الأساقفة والمطارنة[2].

ثانياً: أحوال البطاركة في الخلافة الراشدة:

اعتمدت الباحثة على كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي، والذي يعد أهم مصدر لمعرفة البطارقة وتسلسلهم التاريخي في مصر، وكذلك ساويرس ابن المقفع وكتابه تاريخ البطاركة، وتاريخ ابن الراهب، لكن ابن المقفع كان يقتصر في كتابه على البطاركة الذين ينتمون لنفس طائفته وهم اليعاقبة وتجاهل البطاركة على مذهب الملكانية فلم يذكرهم في كتابه، أما المقريزي فذكر البطاركة بغض النظر عن الطائفة التي ينتمون إليها، لذلك يعد المقريزي أكثر حيادية في كتابه، فقد ذكر على الترتيب البطاركة منذ الفتح الإسلامي وحتى قيام دولة المماليك فبلغ عددهم ثماني وثلاثين بطرك من اليعاقبة وثلاثة من الملكية[3].

عانى البطاركة الأرثوذكسيين أو اليعاقبة قبل الفتح الإسلامي الويلات من الروم الكاثوليك الملكانية الذين يعتنقون نفس ديانتهم ويختلفون معهم في الانتماء الطائفي، فتعرض اليعاقبة للتعذيب والنفي والقتل والاضطهاد الديني وإجبارهم على تغير مذهبهم الديني من اليعقوبية إلى الملكانية حسب قرارات مجمع خلقيدونية [4]؛ مما دفع بطريرك الإسكندرية بنيامين إلى الهرب من الروم بعد استعادتهم لمصر من الفرس إلى دير في منطقة الصعيد[5]، وبقى البطريرك بنيامين هارباً مطارداً من قبل الروم وأتباعهم ثلاثة عشر عاماً، وحين علم بالفتح الإسلامي لمصر[6]، كتب للنصارى الأقباط يبشرهم بسقوط دولة الروم وزوالها في مصر[7].

---

(1) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص28.

(2) المصدر السابق، ص24.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1014.

(4) تاريخ البطاركة، يوساب، ص81.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/85-86.

(6) المصدر السابق، ج1/88.

(7) فتوح مصر ، ابن عبد الحكم، ص80؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج1/107.

بعد الفتح الإسلامي لمصر علم عمرو بن العاص بقصة بنيامين وما حدث؛ له فكتب له كتاباً يمنحه فيه الأمن والسلام، ويدعوه للعودة إلى البطريركية؛ ليدير أمورها وأمور طائفته من اليعاقبة، فعاد بنيامين بعد غياب 13 عاما، وعندما حضر لعمرو بن العاص أبدى عمرو بن العاص احتراماً وتقديراً كبيراً للبطريرك[1]، وأكرمه وأحسن إليه وأمر المسلمين باحترامه والاحسان إليه، ومنحه صلاحيات كاملة لإدارة الكنائس والأديرة وإدارة شؤون المسيحيين في مصر دون أي تدخل من قبل المسلمين في مهامه، مما أسعد بنيامين وأسعد سكان مصر النصارى كلهم[2].

لم يتدخل المسلمين في تصرفات وتحركات وصلاحيات البطريرك في بداية الفتح الإسلامي فقد عاد بنيامين لممارسة مهامه بكل حرية، وأرسل للنصارى الذين هربوا من هرقل وأعادهم إلى مصر، ودعا النصارى الذين أجبروا على تغيير مذهبهم إلى العودة إلى مذهبهم دون أن يتدخل المسلمين وقائدهم في شؤونه[3]، فكان المسلمين رحماء بالبطاركة النصارى فمنحوهم الحرية الدينية أكثر من الروم الذين كانوا نصارى مثلهم!.

كما لم يتدخل المسلمين أو أميرهم باختيار صاحب كرسي البطريركية فكان القساوسة والمصريين النصارى وخاصة الأقباط هم من يختارون البطريرك، فبعد وفاة بنيامين اختار النصارى أغاثون ليكون بطريرك الإسكندرية[4]، وذلك في ولاية عمرو بن العاص الثانية على مصر، ومارس مهامه بكل حرية، فعمر الكنائس وبني كنيسة مرقص في الإسكندرية[5].

كما كان يتمتع البطريرك بكافة الصلاحيات الدينية دون تدخل المسلمين في وظيفته فعين الأساقفة، مثلما عين أغاثون الأسقف يوحنا مسئولاً عن مدينة بأكملها ونائبا له[6]، واستمر أغاثون في البطريركية 16 عاما[7].

---

(1) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص122؛ تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج88/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج88/1.

(3) المصدر السابق، ج89/1.

(4) المصدر نفسه، ج100/1.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي،م4، 998.

(6) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج102/1.

(7) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص122.

ثالثاً: أحوال بطاركة الإسكندرية في الخلافة الأموية:

بعد وفاة أغاتون تولى يوحنا الثالث بطريركية الإسكندرية، ولم يشر المقريزي في كتابه إلى يوحنا، لكن ابن المقفع أشار إليه[1].

ذكر ابن المقفع أنه عندما وصل والي مصر عبد العزيز بن مروان سجن البطريرك يوحنا الثالث؛ بسبب وشاية النصارى الملكانية الذين وصفوه بالغرور والتكبر ورفضه استقبال والي مصر الجديد عبد العزيز بن مروان، أي أن الاساءة للبطريرك لم تكن إلا بفعل نصارى مثلهم، لكن الوالي عندما علم حقيقة يوحنا البطريرك وتعرف عليه أطلق سراحه، وسجن من فتنوا عنه، ودعا سكان المدينة إلى احترام البطريرك وتقديره[2]، وأصبح محبوباً عند والي مصر عبد العزيز، فعندما أصيب يوحنا الثالث بطريرك الإسكندرية بمرض النقرس حزن عليه والي مصر عبد العزيز بن مروان؛ وأرسل إليه وفدا لعلاجه وحمله إلى الإسكندرية إلا أنه بعد وصوله للإسكندرية توفي[3]، وعندما بنى عبد العزيز بن مروان مدينة حلوان خصص في المدينة كنيسة خاصة لبطريرك الإسكندرية يوحنا الثالث هو والأساقفة الذين معه[4].

أثناء فترة الغلاء التي مرت بها مصر كان يوحنا الثالث يوزع الهبات والمساعدات على الفقراء والمساكين من النصارى في ظل الحكم الاسلامي، وذلك يدل على أنه حتى في فترات الغلاء والمحن والمجاعات لم يتدخل المسلمين في أوائل عهدهم بما عند النصارى من أموال فلم يصادروها لإطعام المسلمين، بل تركوا لهم حرية التنظيم الإداري الخاص بهم ولم يقاسموهم أموالهم[5].

استمر البطاركة في ممارسة مهامهم بكل حرية في مصر في عصر الخلافة الأموية، فبعد وفاة يوحنا اختير اسحق وهو من مدينة شبرا ليكون بطريرك الإسكندرية فتمكن من ممارسة مهامه بكل حرية ورمم كنيسة مرقص وجدد بنائها[6].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 998.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج104/1– –106.

(3) المصدر نفسه، ج107/1.

(4) تاريخ الكنائس والأديرة، أبو المكارم، ج66/1.

(5) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص122.

(6) تاريخ البطاركة، ابن المقفع،ج109/1؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص86.

لكن بطريرك الإسكندرية إسحق حاول التدخل في الشؤون السياسية للدولة والتي هي من مهام المسلمين المسئولين المباشرين عن الدولة، فتصرف إسحق بشكل يؤثر على موازين القوى ويهدد أمن الدولة الإسلامية في مصر، حيث قام بإرسال الكتب سراً إلى ملك الحبشة وملك النوبة ليصلح بينهم وينهي الخلافات التي كانت قائمة بين الطرفين، وبذلك يكون البطريرك قد تجاوز المهام الموكلة إليه كبطريرك وتدخل في مهام القادة المسلمين المسئولين عن الدولة المتواجد بها، فتصرفه قانونياً يعد خيانة للدولة، وعندما علم عبد العزيز بن مروان أراد قتله، لولا تدارك بعض الكتاب النصارى ذلك الخطأ الفادح، فقاموا بتبديل الكتب التي أرسلها إسحق بكتب أخرى، وأخبروا عبد العزيز بن مروان عنها فأرسل إليها الجنود ليقبضوا عليهم فوجد الكتب المزيفة التي تبرأ البطريرك من تهمة الخيانة، لكن عبد العزيز أمر بعد تلك الحادثة بكسر الصلبان والأواني في جميع مناطق ومدن مصر[1].

بعد وفاة إسحق عين سيمون السرياني بطريرك للإسكندرية فتعرض للاغتيال مرتين عن طريق وضع السم له من قبل بعض أعدائه من الأساقفة لكنه نجا من تلك المحاولتين، وعندما علم عبد العزيز بن مروان بمحاولة اغتياله ألقى القبض على من وضعوا له السم وقتلهم[2].

وإن دل ذلك فإنه يدل على العدالة التي كانت سائدة في ذلك العصر فالمجرم يحاسب ويعاقب بغض النظر على من وقع جرمه على مسلم أو نصراني، كما يدل ذلك على الأمن الذي ساد في مصر وعلى احترام النصارى واحترام رجال الدين النصارى والحرص على حمايتهم والحفاظ على حياتهم فهم في عهد المسلمين، ففي الوقت الذي يتعرض فيه بطاركتهم للاغتيال على أيدي نصارى من بني جلدتهم بل من رجال دين نصارى مثلهم نجد أن المسلمين حريصين على الحفاظ على حياتهم وإنقاذهم وعدم التسامح مع القتلة، حتى عندما تدخل سيمون لدى الوالي ليعفو عن القتلة رفض الوالي وأصر أن ينفذ فيهم حكم القتل لما اقترفوه من جرائم[3].

وذلك كان له أثر كبير على البطريرك سيمون الذي أظهر احترامه للوالي المسلم فأثناء بطركيته وصل إليه مبعوث من الهند يطلب منه أن يرسل إليهم رجال دين نصارى من الأساقفة والقساوسة فرفض سيمون أن يقوم بذلك الأمر دون إذن والي مصر[4]؛ فقام بعض الأساقفة الناقمين عليه بالتعاون مع مبعوث الهند دون علم سيمون وأرسلوا له أسقف وكهنة، وأثناء

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج109/1.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج112/1؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص88.

(3) تاريخ البطاركة، يوساب، ص88.

(4) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص122؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 999.

عودتهم إلى مصر ألقى القبض عليهم من قبل الشرطة التابعة للخليفة الأموي عبد الملك بن مروان فظن عبد العزيز بأن الأمر تم عن طريق سيمون فغضب منه، ولكنه تراجع عندما علم بأن البطريرك لا علاقة له بالموضوع ، وأن الأمر تم دون علمه فأمر بقتل الأساقفة الذين تعاونوا مع المبعوث[1]، ويتضح أن عقاب الوالي المسلم يقع على المنحرفين والأساقفة الذين ارتكبوا جرائم سواء أكانت تلك الجرائم سياسية من خلال تدخلهم في شؤون الدولة أو جنائية كالسم الذي دسوه للبطريرك، واستمرت العلاقة طيبة بين عبد العزيز وسيمون حتى وفاة سيمون فعندما توفي حزن عليه والي مصر عبد العزيز[2].

أصبح كرسي البطريركية شاغراً بعد وفاة سيمون لمدة ثلاث سنوات دون تعين بطريرك[3]، وبعد ثلاث سنوات تولى الأكسندروس وهو من منطقة الغربية[4]، وفي بطريركيته ظهر الأصبغ وهو ابن عبد العزيز بن مروان الذي طارد النصارى وضاعف عليهم الضرائب الباهظة التي لم تفرض عليهم من قبل، وقد ساعده في تلك المهمة النصارى أنفسهم فهم من حرضوه على البطريرك، وخاصة شماس يسمى بنيامين الذي كان أخطر على النصارى من أي عدو آخر، حسب ما قاله أشهر مؤرخيهم ساويرس بن المقفع ذلك الشماس هو من أوغل صدر الأصبغ على النصارى، ففرض الأصبغ ضريبة على الأساقفة وعلى الرهبان لأول مرة منذ الفتح الإسلامي[5]، عاني الأكسندروس من الاضطهاد والمطاردة والسجن[6]، وفرض الضرائب الباهظة عليه حيث فرضت عليه ضريبة تقدر بستة آلاف دينار؛ مما دفعه إلى السفر إلى جميع أنحاء مصر ليجمعها من النصارى ويدفعها لأصبغ فدفعها عنه الأساقفة بالتقسيط، وقام الأصبغ بفرض ضريبة على الأساقفة تقدر بألفين دينار[7]، واتصف الولاة المصريين الذين تعاقبوا على مصر أثناء تواجد الأكسندروس على كرسي البطريركية بالشدة على النصارى وفرض المزيد من الضرائب والقيود على تحركاتهم[8].

---

(1) تاريخ البطاركة، يوساب، ص88.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج119/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 999.

(4) وادي النطرون ورهبانه وأديرته، طوسون، ص116.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج120/1-121.

(6) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج122/1؛ تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص23؛ تاريخ البطاركة ، يوساب، ص90.

(7) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص23؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص90.

(8) المواعظ والاعتبار، يوساب، م4، 999-1000.

استبداد الأصبغ وغيره من الولاة بالبطريرك الأكسندروس لا يمثل حقيقة المبادئ الإسلامية التي كرسها عمرو بن العاص بالعهد الذي منحه للنصارى وبمعاملته مع بنيامين، وذلك يعني عدم التزام جميع الولاة بعهدهم مع النصارى من احترام رجال الدين، وفرض الضرائب، كما أن الباحثة ترى أن استبداد بعض الولاة بالنصارى ورجال الدين كان يحدث بسبب النصارى أنفسهم فهم من يجمعون الضرائب ويلا حقون الرهبان وساهمت الاختلافات الطائفية في تعزيز ذلك التحريض[1]، فكان غالباً ما يتم التحريض والوشاية على النصارى والبطاركة عند الوالي من قبل النصارى أنفسهم كما فعل الشماس بنيامين الذي حرض الأصبغ على اليعاقبة[2]، وإن دل ذلك فإنه يدل على أن الولاة كانوا يستمعون للوشايات ولا يتحققون من صحتها ولا يتحرون الدقة والحقيقة، وتلك الحالة التي كان عليها الولاة تسببت في حدوث الكثير من الاضطرابات في الدولة الإسلامية وساهمت في عدم نشر الاستقرار بين سكان مصر.

عندما تولى الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الخلافة أمر ولاة مصر بالتزام العهد الذي منحه الفاتحون المسلمين للنصارى مصر واحترم النصارى[3]، فساهم هشام بدور كبير وهام في تعين أثناسيوس بطريرك لمدينة أنطاكية، حتى البطريرك الأكسندروس دعا له ووصفه بالعادل[4]، وتمكن البطاركة في عهده من ممارسة مهامهم وواجباتهم بكل حرية مثل بطريرك الإسكندرية قسيما[5]، وكذلك البطريرك الذي جاء بعده تادروس والذي استمر في منصبه إحدى عشر سنة[6]، ومارس مهامه الدينية بكل سهولة دون اعتراض أو مقاومة، من بناء الكنائس وغيرها من المهام، وشهد المؤرخ ابن الراهب على تلك الحرية وقال: "كانت البيعة تنمو"[7]، وبعد موت تادروس قام ملك الروم لاون بتعيين قسيما بطريرك للإسكندرية وقسيما من الطائفة الملكانية وذلك عام مئة وسبع هجري، فأصبح قسيما أول بطريرك ملكاني لمصر في العصر الإسلامي، حيث غاب الملكية عن كرسي البطريركية سبع وسبعين عاماً كما أنه تمكن من رد جميع الكنائس التابعة للملكية وذلك بعد زيارته لهشام بن عبد الملك[8]، فاشتكي اليعاقبة إلى

---

(1) تاريخ البطاركة، يوساب، ص90.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج120/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1000.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج130/1-1131.

(5) ابن الراهب، تاريخ ابن الراهب، ص124.

(6) وادي النطرون ورهبانه وأديرته، طوسون، ص117.

(7) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص124.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

والي مصر حفص بن الوليد وطالبوه بتعين بطريرك منهم فسمح لهم باختيار بطريرك فاختاروا ميخائل بطريرك لهم[1].

تعرض ميخائيل لضغوطات كثيرة وللظلم فقد قام بعض الأساقفة النصارى بالوشاية عليه عند الوالي والتجني عليه[2]؛ مما دفع الوالي في ذلك الوقت عبد الملك بن موسى بن نصير إلى القبض عليه وسجنه وطالبه بضريبة في الوقت التي كانت تعاني منه مصر من مجاعات واضطرابات سياسية، وأفرج عنه لكي يجمع تلك الأموال ويقدمها له فتمكن من دفع الأموال التي طلبها منه[3].

أدى اعتقال ميخائيل إلى تدخل ملك النوبة كبريانوس وتوجهه بجيش كبير يقدر بمائة ألف من الخيول ومائة ألف من الجمال لمصر؛ لينقذ البطريرك وعندما اقترب من مصر؛ سارع عبد الملك بن موسى إلى البطريرك ميخائيل؛ ليكتب لملك النوبة كتاب يطمأنه فيه على أحوال النصارى في مصر، فكان تدخل ميخائل تدخلاً دبلوماسياً يحسب له فقد حرص على تحقيق مصلحة مصر العامة ولم يستغل قدوم ملك النوبة لصالحه رغم تعرضه للاضطهاد والظلم بل فعل ما يمليه عليه واجبه الوطني تجاه وطنه، فأرسل كتاب يطمئن فيه ملك النوبة ويدعوه للعودة عن مصر مما أنقذ مصر من اجتياح نوبي، كاد يفتك بها[4]، في الوقت الذي كانت تعاني مصر والخلافة الأموية من ضعف شديد يسهل على أعدائها السيطرة عليها واجتياحها خاصة عندما يكون العدو مجهز بالعدة والعتاد مثل ملك النوبة، فأنقذ ميخائيل مصر من حرب خطيرة[5].

ورغم ذلك فقد تعرض ميخائل للظلم والاعتقال والاضطهاد[6]، خاصة بعد قدوم مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية إلى مصر، الذي أساء معاملة البطريرك، فعاني ميخائيل من التعذيب والاهانة وبقي على ذلك الحال حتى سقوط الخلافة الأموية على أيدي العباسيين[7].

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ص96–97.

(2) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص24–125.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1000.

(4) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص125–126.

(5) تاريخ البطاركة، يوساب، ص101.

(6) تاريخ البطاركة، يوساب، ص101؛ تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص126؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1000.

(7) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص126.

رابعاً: أحوال بطاركة الإسكندرية في العصر العباسي:

بعد سقوط الدولة الأموية ووصول العباسيين إلى السلطة، ووصول جيوشهم إلى مصر أطلقوا سراح البطريرك ميخائيل وأحسنوا إليه وأكرموه، بعد أن تعرض للتعذيب والإهانة من قبل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وسمح له العباسيين بالتصرف في أموال الكنائس[1].

بعد وفاة ميخائيل اختار الأساقفة مينا بطريرك لهم[2]، لكن مينا تعرض لمؤامرة من قبل شماس يدعى بطرس الذي طلب من البطريرك أن يكون أسقفاً لكن مينا رفض؛ لأنه غير مؤهلاً لها، فقام بإعداد مؤامرة تتمثل في إرسال رسائل إلى بطريرك أنطاكية باسم بطريرك الإسكندرية ولأنه شماس وعالم بأسرار الكنيسة فإنه يجيد كتابة الرسائل، وكان هدفه من تلك الرسائل الحصول على أموال، ولم يكتفي بإرسال الرسائل لبطريرك أنطاكية، فأرسل رسائل لسائر المطارنة السريان، وعندما وصلته الأموال توجه لأبي جعفر المنصور؛ للتحريض على البطريرك مينا، ويدعي أن بيت مال المسلمين فارغ بينما الكنائس بمصر مليئة بالذهب والفضة، فصدق أبي جعفر خدعة الراهب وعين بطرس بطريرك للإسكندرية وكتب إلى والي مصر بذلك القرار وأمر بطاعة البطريرك بطرس المزيف !، فقام والي مصر باعتقال البطريرك مينا وبعض الأساقفة معه[3].

كان هذا أول تدخل منذ الفتح الإسلامي في كرسي البطريركية حيث لم يعهد النصارى قبل ذلك بأن يتدخل الخلفاء في تعيين بطاركتهم، وذلك يعد تدخلاً في شؤونهم الدينية ومخالفة للعهد والوثيقة التي منحها الفاتحون الإسلاميون للنصارى، ولم تجد الباحثة سبب مقنع لما فعله أبي جعفر المنصور بالبطريرك غير أن المصادر النصرانية ذكرت أن بطرس كان شديد الشبه بأحد أبناء الخليفة الذي توفي فحبب إلى قلب الخليفة فقربه منه ومنحه صلاحيات مطلقة وحذر والي مصر من الاعتراض عليه أو مخالفته [4].

تسببت مؤامرة بطرس بظلم واضطهاد النصارى وخاصة رجال الدين منهم من الأساقفة الذين رفضوا بطريركيته، ولم يكتفي بطرس بذلك بل أمعن في إذلالهم فطلب منهم احضار

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج182/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج196/1؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص104-105.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج196/1؛ تاريخ البطاركة، ص104-105.

الذهب والفضة الذي يوجد في الكنائس[1]، ثم أمر الوالي بأن يخرجهم من السجن؛ ليصنعوا أسطول للمسلمين فبقي البطريرك والأساقفة يعملون في صناعة السفن مدة عام كامل[2].

وبعد فترة وقع خلاف بين والي مصر العباسي وبين بطرس نجم عن ذلك الخلاف سجن بطرس واطلاق سراح مينا وعودته لكرسي البطريركية، وحاول بطرس أن يعود للبطريركية مرة أخرى لكن موت الخليفة لم يمكنه من تحقيق مراده واستكمال مؤامرته بحق البطريرك والأساقفة[3].

يتضح مما سبق أن معظم المؤامرات التي يتعرض لها بطاركة الإسكندرية تكون بفعل النصارى أنفسهم وليس بفعل المسلمين، ولعبت الخلافات المذهبية بين اليعاقبة وبين الملكانية دوراً هاماً في تردي أحوالهم، كذلك فساد رجال الدين الذين نشأوا معهم وفي كنائسهم وطمعهم في المناصب والأموال كما فعل الراهب بطرس[4]، كان لها دور كبير في إحداث الفتنة على النصارى والوشاية عليهم عند الخلفاء المسلمين فيقع عليهم التعذيب، ولكن عندما يتقين المسلمين من براءتهم يطلقون سراحهم، أي أن الولايات التي عاني منها البطاركة كانت بسبب نصارى مثلهم، وذلك لا يبرر ما فعله بعض الولاة بحق البطاركة.

أصبح يوحنا الرابع بطريرك للإسكندرية بعد وفاة مينا، تميزت علاقة يوحنا بالخلفاء العباسيين والولاة بأنها علاقة جيدة وطيبة قائمة على الاحترام فكان الولاة المسلمين يحترمونه ويحترمون آرائه وسمحوا له بممارسة مهامه بكل حرية، وكذللك سمحوا له ببناء الكنائس وتجديدها؛ فاستقرت أحوال الكنيسة في بداية عهده[5].

تولى بعد يوحنا مرقص الثاني وأثناء توليه منصبه توفي الخليفة هارون الرشيد فأوصى بالخلافة للمأمون قبل موته[6]، فحدث صراع بين ابنيه الأمين والمأمون، انعكس تداعياته على نصارى مصر فتعرض النصارى في بطريركيته للسلب والنهب وأحرقت الأديرة خاصة بوادي

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج196/1؛ تاريخ البطاركة، يوساب،ص104-105.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج201/1؛ تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص127.

(3) تاريخ البطاركة، يوساب، ص104-105.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج196/1؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص104.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج205/1.

(6) تاريخ البطاركة، يوساب، ص113.

هبيب فهرب منها كل رهبانها[1]، فتأثرت مصر بتلك الحرب الأهلية فهرب البطريرك مرقص من الإسكندرية وبقي هارباً لمدة خمسة سنوات ثم عاد إليها[2].

قام بعض البطاركة بدور دبلوماسي في مصر للحفاظ على الأمن والاستقرار فيها، فلم يقتصر الأمر على ميخائيل الذي صد ملك النوبة عن مصر، بل يوساب مارس دوراً مشابهاً فحاول أن يخفف من حدة التوتر بين الولاة والخلفاء العباسيين وبين الثائرين من النصارى ضد الحكم العباسي وخاصة خلال ثورة البشموريين التي حدثت؛ بسبب الغلاء والضرائب فقد تدخل البطريرك يوساب كوسيط وكتب للبشموريين كتب بالالتزام بأوامر الخليفة العباسي المأمون والتوقف عن الثورة حقنا للدماء، وليحول دون قتل المزيد من النصارى، وأرسل لهم الكثير من الأساقفة[3]، وعندما وصل الخليفة المأمون إلى مصر طلب من يوساب الوساطة والتدخل لدى البشموريين للكف عن الثورة فتوجه يوساب وبطريرك أنطاكية بأنفسهم؛ لحث وإقناع البشموريين على وقف الثورة لكن محاولته للتدخل باءت بالفشل[4].

وخلال بطركيته حاول بعض الأساقفة أن يوقعوا بين الوالي والبطريرك يوساب وأن يتجنوا عليه ويتهموه بأنه هو من يقف وراء سبب ثورة البشموريين؛ فأرسل إليه الوالي فوضح يوساب للوالي بأن تلك التهمة مجرد وشاية من الأساقفة الذين فصلوا من الكنيسة ، وبسبب فصلهم وطردهم تجنوا عليه فأراد الوالي معاقبة الأساقفة الذين فتنوا على البطريرك لكن البطريرك سامحهم؛ مما أثار إعجاب الخليفة المأمون الذي طلب من الوالي أن يحترم البطريرك ويترك له حرية التصرف[5].

يوساب قام بمهامه بكل حرية وأرسل أساقفة إلى افريقيا والقيروان واستمر على كرسيه ثمانية عشر عاماً[6]، كذلك استقبل الوفود من إفريقيا وعين مطران للحبشة، واستفاد الخلفاء العباسيين من البطاركة ليس فحسب في الوساطة بينهم وبين النصارى بل في علاقاتهم مع

---

(1) المواعظ والاعتبار ، المقريزي، م4، 1002.

(2) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص128.

(3) تاريخ البطاركة، يوساب، ص125.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج253/1.

(5) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص130؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص125.

(6) صبح الأعشى، القلقشندي، ج303/5.

الدول المجاورة فقد لعب يوساب دوراً هاماً في اقناع ملك النوبة بدفع ما عليه من ضرائب للخليفة العباسي[1].

ذكر المقريزي بأن يوساب كان في زمن الخليفة المتوكل[2]، لكن أغلب المصادر النصرانية والإسلامية تقول خلاف ذلك، وأن قزما هو من عاصر خلافة المتوكل الذي فرض على النصارى قيوداً اجتماعية سنتطرق لها في الفصل السادس[3]، وتعرض قزما في نهاية حياته للاعتقال؛ بسبب وشايات النصارى من الرهبان ضده فمات وهو في السجن[4].

وتلاحظ الباحثة أن معظم الآلام التي حلت بالبطاركة في مصر سواء في العصر الأموي أو العباسي تعود للنصارى أنفسهم؛ بسبب الوشايات التي تحدث ضدهم من رهبان وأساقفة تربوا وعاشوا معهم في كنائسهم وأديرتهم، فلم يقف الأمر عند البطاركة الذين سبق ذكرهم فالبطريرك شنودة البطريرك الخامس والخمسين[5]، سجن بسبب وشاية أحد الرهبان الذي اتهمه بتنصير المسلمين[6]، وكذلك البطريرك خايال الذي تعرض لمؤامرة من أسقف كان ناقماً عليه؛ بسبب اصدار قرار حرمان ضده، فتوجه لأحمد بن طولون والي مصر وأقنعه بأن البطريرك لديه أموال كثيرة والمسلمون أولى بذلك المال، فأرسل ابن طولون للبطريرك يطالبه بالأموال فعجز البطريرك عن توفيرها؛ لأنه لا يملكها فقام ابن طولون بسجنه[7]، فالمبلغ الذي طلبه من البطريرك يقدر بعشرين ألف دينار؛ مما اضطر البطريرك إلى بيع الكثير من الأراضي التابعة للكنيسة، وبيع الكنائس لليهود؛ ليدفع الأموال التي طالبه بها ابن طولون[8]، فوفر البطريرك نصف المبلغ وقبل أن يوفر نصفه الثاني توفي أحمد بن طولون، وعفا خمارويه عنه ولم يطالبه بالأموال[9].

---

(1) تاريخ البطاركة، يوساب، ص127.

(2) المواعظ والاعتبار، م4، 1003.

(3) صبح الأعشى، القلقشندي، ج303/5؛ تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص131؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص133.

(4) تاريخ البطاركة، يوساب، ص141.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج10/2.

(6) تاريخ البطاركة، يوساب، ص143.

(7) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج58/2؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص145.

(8)المقريزي، المواعظ والاعتبار (مج1004/4).

(9) تاريخ البطاركة، يوساب، ص146.

شكل بعض البطاركة وخاصة الملكية منهم خطراً على الدولة الإسلامية، حيث قام بطريرك الملكية في زمن خمارويه بنقل أخبار مصر إلى الروم، وذلك التصرف يعد خيانة، فعاقبه خمارويه بقطع اصبعين من يده اليمنى ونفي الأساقفة الذين يعملون معه، وعلم خمارويه بتلك الخيانة عن طريق أسقف اسمه باخوم الذي أخبره بما فعله البطريرك الملكاني[1].

توالى البطاركة اليعاقبة على كرسي البطريركيه فأصبح غبريال بطريرك، وهو أول من فرض الديارية[2]، على النصارى[3]، ثم تولى بعده قسيما[4]، وحرق المسلمين زمن قسيما العديد من الكنائس عام ثلاثمائة واثنتي عشر هجري[5]، وفي عام ثلاثمائة وثلاث وعشرين قدم الوزير علي بن عيسى الجراح إلى مصر وفرض على الرهبان والأساقفة الجزية؛ فتوجه وفد منهم إلى الخليفة العباسي المقتدر واشتكوا إليه واستنجدوا به فأصدر أمراً بأن لا يؤخذ من رهبان وأساقفة مصر جزية وأن يلتزمون بالعهد الذي منحهم إياه عمرو بن العاص[6]. ثم تولى الراهب مقاره بطريرك الإسكندرية وفي عهده تولى محمد بن طقج الإخشيد حكم مصر[7].

تعرض أحد البطاركة وهو تاوفانيس البطريرك الستين[8]، للاغتيال على أيدي الأساقفة الذين حملوه في مركب وقتلوه، وألقوا جثمانه في البحر[9]، وهو البطريرك الوحيد الذي تعرض للاغتيال منذ الفتح الإسلامي فكان اغتياله على أيدي أساقفته.

خامساً: أحوال البطاركة في العصر الفاطمي:

كان البطريرك مينا البطريرك الحادي والستين وهو من عاصر قدوم الفاطميين من المغرب إلى مصر، وقدوم أول ملك لهم وهو المعز لدين الله الفاطمي[10]، امتازت علاقات

---

(1) تاريخ البطاركة، يوساب ، ص147-148.

(2) الديارية: ضريبة يفرضها البطريرك على الأديرة التي تتبع بطركيته، معجم الألفاظ التاريخية، دهمان، ص78.

(3) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص132.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1005.

(5) صبح الأعشى، القلقشندي، ج404/5؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1005.

(6) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج83/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1005.

(7) تاريخ بن الراهب، ابن الراهب، ص132.

(8) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج68/2.

(9) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص133.

(10) تاريخ البطاركة، يوساب، ص155.

البطاركة في العصر الفاطمي مع الملوك الفاطميين بالجيدة والطيبة فالبطريرك الثاني والستين أفرهام بن زرعة كان على علاقة جيدة بالمعز وقادة دولته، الذي بنى له بيتاً في العاصمة الفاطمية الجديدة القاهرة[1]، وسمح له ببناء الكنائس ومنحه الكثير من الأموال[2]، مما أثار حفيظة الوزير اليهودي يعقوب بن كلس الذي حاول أن يوقع بينه وبين المعز لكنه فشل في ذلك[3].

والبطريرك فيلاتاوس عاصر الملك الفاطمي العزيز بالله[4]، وعاش معززا في عصر الفاطميين[5]، ووصف بحبه لملذات الدينا من مال ومأكل ومشرب وسلطة[6].

تميز عصر الحاكم بأمر الله بالاضطراب والتغيرات المفاجئة والقرارات المباغتة التي تصدر عن الحاكم والتي عانى منها جميع فئات الشعب المصري، وتلك التصرفات انعكست على تعامله مع النصارى وبطريركهم زخارياس الذي تعرض للظلم والاضطهاد، فاعتقله الحاكم وألقاه للوحوش لكنها لم تقترب منه أو تضره، حسب ما زعم النصارى[7]، فقام بذبح أحد الأسود وتلطيخ البطريرك بدمه وألقاه مرة أخرى إليها فلم تضره[8].

بدأ الفساد يضرب أركان أكبر مؤسسة دينية نصرانية في مصر فتدهورت أحوال البطريركية بعد زخارياس فقد جاء بعده بطريرك يدعى سانونيوس أو شنودة في بعض المصادر النصرانية، وهذا البطريرك أقام بطريركيته على أساس الفساد المالي ففرض الشرطونية على الأساقفة[9]، والشرطونية هي الضرائب أو الأموال التي يدفعها الرهبان والأساقفة للكنيسة عند تعينه وترقيته لدرجة دينية أعلى[10]، فقد ذكرت المصادر النصرانية بأن البطريرك سانونيوس كان محباً للسلطة والمال؛ مما ساهم في إحداث الكثير من الخلافات في عهده وترقيته لبعض

---

(1) تاريخ البطاركة، يوساب ، ص157.

(2) المصدر السابق، ص161.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج77/2؛ تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص133.

(4) تاريخ البطاركة، يوساب، ص163.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1006.

(6) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص135.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007.

(8) تاريخ البطاركة، يوساب، ص171.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1009.

(10) معجم الألفاظ التاريخية، دهمان، ص97.

رجال الدين بشكل غير قانوني؛ بسبب الرشاوي التي تلقاها منهم[1]، واستمر هذا التدهور في بطريركيه الإسكندرية في زمن البطريرك إخرسطودلس بسبب صراع الأساقفة على المناصب الدينية حيث طالب بعض الأساقفة بخلعه من بطريركيته؛ وذلك بسبب خلاف وقع بين البطريرك وأسقف سخا وسكان الإسكندرية، أي أن المصالح الشخصية تداخلت بالمهام الدينية وتركت أثرها على رجال الدين[2]، كما قام بعض الناقمين على البطريرك من النصارى بالشكوى عليه للوزير اليازوري وزير الخليفة الفاطمي المستنصر بالله واتهامه بأنه هو من حرض ملك النوبة بعدم دفع الجزية؛ مما دفع اليازوري بفرض ضريبة عليه قدرها مائة دينار، إلا أنه أعفى عنه بسبب بعض الوساطات[3]، ثم تم مصادرة مبلغ من المال منه يقدر بستة ألاف دينار لبيت المال بعد وشاية أحد النصارى الذي رفض البطريرك أن يعينه أسقفا، وتعرض النصارى أثناء فترة بطريركيته للظلم والاضطهاد واغلاق الكنائس، حتى البطريرك طرد من مقره ونهبت داره وتم إهانته فضرب وعلق وفرض عليه مبلغ يقدر ب 3000 ألاف دينار؛ بسبب الاضطرابات السياسية التي سادت مصر في ذلك الوقت[4].

تولى كيرلس البطريركية في عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي أحسن استقبال كيرلس وفرح به وطلب منه أن يبارك له أمه وأخته وأولاده[5]، وأصدر قراراً لوالي مصر بخدمته وأن يحسن معاملته ورعايته[6]، وفي عصره وقعت خلافات بين الأساقفة مما دفع بعض الأساقفة بالشكوى على البطريرك، لكن البطاركة في العصر الفاطمي كانوا يتمتعون باحترام وتقدير عالي فقد قام أمير الجيوش بإحضار البطريرك كيرلس وأحضر معه47 من الأساقفة بأمر من الخليفة، ودعاهم لوضع قوانين خاصة بشريعتهم وحثهم على الوحدة والتعاون ونهاهم عن الخلافات والانشقاقات فدعوا له وباركوه[7].

كما عاصر البطريرك ميخائل الحبيس عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي أرسله إلى ملك الحبشة كمبعوث يحمل معه هدية؛ من أجل فتح سد لجريان نهر النيل حيث نقص

---

(1) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص 137؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص183.

(2) تاريخ البطاركة، يوساب، ص192.

(3) المصدر السابق، ص192.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج2/ 174؛ تاريخ البطاركة، يوساب، ص194-195.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج2/ 175؛ تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب، ص137.

(6) تاريخ البطاركة، يوساب، ص205.

(7) المصدر السابق، ص209.

منسوبه وكاد أن يتسبب بمجاعات، وقد نجح ميخائل في مهمته حيث فتح ملك الحبشة سداً وزاد منسوب مياه نهر النيل[1]، كما تعرض البطريرك الثاني والسبعين يونس أبو الفتح لمؤامرة من الأساقفة حيث اتهموه بأنه يجبي من الأساقفة أموال كثيرة فقام الوزير الصالح بن زريك باعتقال البطريرك وطالبه بمبلغ من المال دون علم الخليفة الفاطمي، ولكن عندما تم سجن الوزير الصالح أفرج عن البطريرك[2].

لقد تمتع البطاركة في العصر الفاطمي باحترام الخلفاء وتقديرهم وحمايتهم ورعاية مصالحهم، ولم يتعرضوا للإهانة أو التشويه إلا في حالات نادرة تكون؛ بسبب وشايات النصارى ضدهم بسبب الغيرة أو الحسد أو الصراع على السلطة الدينية، لكن حينما ينكشف أمرهم سرعان ما يطلق سراحهم.

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1010.

(2) تاريخ البطاركة، يوساب، ص248.

سادساً: أحوال البطاركة في العصر الأيوبي:

عاصر البطريرك مرقص بن زرعة العصر الأيوبي وعاش في ذلك العصر يمارس صلاحياته ومهامه دون مضايقة من أحد، فقد تحدث يوساب بأن البطريرك مرقص: "بقي الأب في قلايته متمتعاً بهدوء وسلامة"[1]، وحدث خلاف زمن الأيوبين حيث قام أحد الكتاب وهو أبو الفتوح نشو الخلافة بجمع بعض الأساقفة؛ لاختيار القس داود بن يوحنا بن لقلق الفيومي بطريرك دون مشورة بقية الأساقفة[2]، فتوجه النصارى إلى قلعة الجبل حيث كان مقر الملك الأيوبي الكامل واشتكوا إلى الكامل واحتجوا على تعين الأسقف بطريرك دون اتفاق الجميع؛ فاستجاب السلطان الكامل لمطالبهم وأبطل بطريركيته وبقيت مصر دون بطريرك تسعة عشر سنة، ثم عين ذلك القس بطريرك وكان ذلك البطريرك يحب المنصب والمال، فأخذ الشرطونية وارتكب مخالفات كثيرة ضد قوانين الكنيسة، واستمر حتى زمن الصالح نجم الدين أيوب[3]، وتعرض للإهانة من النصارى، وفرضوا عليه غرامة قدرها اثني عشر ألف دينار[4].

---

(1) تاريخ البطاركة، يوساب، ، ص251.

(2) المصدر السابق، ص254.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1013؛ 1014.

(4) تاريخ ابن الراهب، ابن الراهب،ص142؛ تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج109/3.

المبحث الثالث:
دور العبادة النصرانية في مصر

تعرضت دور العبادة النصرانية التابعة لليعاقبة في مصر قبيل الفتح الإسلامي للاضطهاد والاعتداءات من قبل الروم الملكية وخاصة في عهد هرقل، فانتهكوا حرمات الكنائس والأديرة ونجسوها، ولم يسمحوا لليعاقبة ببناء الكنائس أو الأديرة وحولوا معظمها على مذهب الروم الملكية، فعاني الأقباط اليعاقبة من ذلك الاضطهاد الديني[1]، لذلك كان الفتح الإسلامي بمثابة فرصة للأقباط؛ للحصول على حريتهم الدينية واستعادة وبناء دور العبادة الخاصة بهم.

فمنذ الفتح الإسلامي حظيت دور العبادة النصرانية باحترام المسلمين، فلم يتعرض الفاتحين المسلمين أثناء وبعد الفتح الإسلامي لدور العبادة الخاصة بالنصارى بأي أذى بل بالعكس حافظوا عليها وعلى مقتنياتها، وذلك ما اعترف به أشهر مؤرخين النصارى حنا النقيوسي الذي وصف موقف عمرو بن العاص من الكنائس قائلاً: " ... ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس، ولم يرتكب شيئا ما سلباً أو نهباً، وحافظ عليها طوال الأيام"[2]، ولم يكتفي الفاتحين المسلمين بالحفاظ على مراكز العبادة الخاصة بالنصارى، بل كانت دور العبادة من كنائس وأديرة حاضرة بقوة في جوهر العهود والاتفاقيات التي منحها المسلمين للنصارى، ففي العهدة العمرية التي منحها عمرو بن العاص للنصارى منحهم الأمان على كنائسهم، وألا يتعرض لها أحد من المسلمين فلا تهدم ولا تسكن[3].

وذلك ما فعله القائد عمرو بن العاص عند فتح مصر حيث منح النصارى عهداً حرص فيه على الحفاظ على المراكز الدينية للنصارى بكل ما تحتويه قائلاً:" هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ..."[4]، فتلك السياسة الي رسمها الفاتحين للتعامل مع دور العبادة النصرانية في مصر وغيرها من البلدان المفتوحة، والتي تعد نموذجاً مثالياً يقتدى به المسلمين من بعدهم، ولكن ذلك لا يعني بأن جميع الحكومات الإسلامية التي تعاقبت على

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج89/1.

(2) تاريخ مصر، حنا النقيوسي، ص220.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج17/2؛ تاريخ الامم والملوك، الطبري، ج449/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 998.

(4) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

مصر التزمت بتلك العهود والمواثيق ففي بعض الفترات التاريخية من مراحل عمر الدولة الإسلامية تعرضت الكنائس للهدم وذلك يعود لعدة أسباب سوف تناقشها الباحثة في معرض الحديث عنها.

أما بالنسبة لدور العبادة النصرانية في مصر، فتنوعت دور العبادة الخاصة بهم في مصر من كنائس وأديرة وأبرشيات وصوامع، وبنى النصارى الكثير من دور العبادة في العصر الإسلامي منذ الفتح الإسلامي وحتى الدول الإسلامية المتعاقبة، ومن أهم مراكز العبادة عند النصارى في مصر:

أولاً: الكنائس

الكنيسة هي المكان الذي يتعبد فيه النصارى[1]، ويؤدون فيه صلواتهم[2]، والكنائس لم يقتصر وجودها في مصر منذ الفتح الإسلامي في مناطق محددة بل انتشرت في كافة مناطق مصر، ففي زمن الخلفاء الراشدين عندما فتح عمرو بن العاص مصر وبنى مدينته الفسطاط، سمحوا للنصارى ببناء وتعمير دور العبادة الخاصة بهم، فبنى النصارى الكنائس في الفسطاط[3]، بينما بني المسلمين فيها مسجد واحد فقط وهو المسجد الذي بناه عمرو بن العاص[4].

فالفتح الإسلامي كان بمثابة فرصة للبطريرك بنيامين ليبني الكنائس بعد تشرده لمدة ثلاثة عشرة عاماً، فبدأ ببنائها وتعميرها، وقد أشار ابن المقفع إلى ذلك عندما تحدث عن ابتداء بنيامين ببناء البيع والأديرة في بداية الفتح الإسلامي لمصر قائلاً: " كانت أعمال الأرثوذكسيين الصالحة تنمو"[5]، فجدد ما دمره الروم من كنائس وأعاد ترميمها من جديد[6]، كما بنى بنيامين كنيسة أبو مقار بشهيت[7]، كذلك قام أغاثون البطريرك التاسع والثلاثين بتعمير الكنائس

---

(1) طلبة الطلبة، النسفي، ص93؛ مجمع بحار الأنوار، الكجراتي، ج4/ 438.

(2) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص9.

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص 148.

(4) تاريخ الأمة القبطية، روفيله، ص52.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج90/1.

(6) المصدر السابق،ج100/1.

(7) تاريخ البطاركة، يوساب، ص82.

وترميمها مثل كنيسة أبي مقار[1]، وبني كنيسة مرقص في الإسكندرية[2]، وبنى النصارى القلالي في زمنه[3].

استمر النصارى في عصر الخلافة الأموية ببناء الكنائس وتجديدها، ففي ولاية العزيز بن مروان الأموي على مصر جدد يوحنا الثالث البطريرك الأربعين كنيسة مار مرقص وزينها وجعلها في قمة الروعة المعمارية، فلم يقتصر النصارى على بناء الكنائس بل تفننوا في تزينها [4]، كذلك قام البطريرك الواحد والأربعون اسحق بتجديد العديد من الكنائس وبنى كنيسة في مدينة حلوان مدينة الوالي الأموي عبد العزيز بن مروان، ولم يعترض الأمويين أو يحتجوا بل سمحوا للنصارى ببناء الكنائس بكل حرية حتى عندما بنى عبد العزيز بن مروان مدينة حلوان سمح للنصارى ببناء الكنائس فيها[5]، وسمح للبطريرك سيمون البطريرك الثاني والأربعين ببناء كنيستين في حلوان وكلف أسقف خاص لمتابعة عملية البناء[6]، كذلك في خلافة هشام بن عبد الملك أذن والي مصر الوليد بن رفاعة ببناء كنيسة في الحمراء أطلق عليها فيما بعد كنيسة أبي مينا[7]، وكذلك بنيت الكنائس في زمن البطريرك تاودروس الخامس والأربعون الذي عاصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك وكانت عمارة وبناء الكنائس في ازدياد[8]، وبنى تاودروس كنيسة بومنا في الحمراء في مدينة مصر[9]، كما أرجع هشام بن عبد الملك للطائفة الملكية الكنائس التابعة لها[10].

وفي حالة حدوث صراع أو خلاف بين اليعاقبة والملكية على ملكية الكنائس يتوجه النصارى إلى المسلمين لفض تلك الصراعات، فيشكل المسلمين لجنة خاصة للنظر في القضية وتقصي الحقيقة، وذلك ما حدث عندما تنازع الملكيين واليعاقبة على حقيقة ملكية كنيسة أبو مينا في مدينة مريوط، فتوجه الطرفان إلى الوالي الأموي لمصر عبد الملك بن نصير الذي أحضر

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/101.
(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 998.
(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/101.
(4) تاريخ البطاركة، يوساب، ص85.
(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/109.
(6) المصدر السابق، ج1/117.
(7) كتاب الولاة، الكندي، ص60.
(8) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/137.
(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1000.
(10) المصدر السابق، م4، 1001.

الطرفين وكلف لجنة لمتابعة القضية بينهم، فتولى قاضي مسلم القضية، وبعد تحقق المسلمين في الأمر أصدروا الحكم بأن الذي بناها اليعاقبة وتعود ملكيتها لهم[1].

ويتضح من خلال الصراع على كنيسة أبو مينا مدى حرص المسلمين في التحري الحقائق والوصول إلى الحقيقة من خلال ارسال الثقاة من الخبراء، والمترجمين، والكتاب إلى موضع الكنيسة لمعرفة الحقيقة بالتفصيل والفصل في الخصومات بين النصارى، فالمسلمين لم يتحيزوا إلى طائفة دون الأخرى، بل تعاملوا مع الملكية واليعاقبة من منطلق عدالة القضاء، ولم يستغلوا ذلك الخلاف لصالحهم، ولم يستغلوه لمصادرة الكنيسة، بل تحققوا من الأمر ثم صدر الحكم بعودتها لمن يملكها.

دب الضعف في جسد الخلافة الأموية في أواخر عصرها فتميز بالتفكك والضعف وحدوث الانقلابات السياسية على الأمويين وثورات الخوارج[2]، وانتشار العصبية القبلية [3]،

مما انعكس سلباً على المناطق التي خضعت للسيطرة الأموية، فتعرض النصارى للسلب والنهب، واضطربت أحوالهم في مصر، فالخليفة الأموي مروان بن محمد عندما وصل إلى مصر هدم الكثير من الأديرة ونهبت في زمنه أموال الكنائس، واستبد بالنصارى[4].

استمر النصارى في بناء الكنائس في الخلافة العباسية فقام البطريرك يوحنا الرابع البطريرك الثامن والأربعين ببناء قلاية له و كنيسة، كما قام بتزيين كل كنائس الإسكندرية وإعمارها دون أن يعترضه أحد بل كان الولاة يحترمونه ويساعدونه ويلبون حاجاته[5]، بل ساعده الولاة العباسيين في ترميم جميع كنائس الإسكندرية [6]، وعندما تولى هارون الرشيد الخلافة عين علي بن سليمان واليًا على مصر وكان شخصية متعصبة ومستبدة اضطهد النصارى وتشدد عليهم فهدم الكنائس المحدثة في مصر، ودمر كنيسة مريم، ودمر كنائس محارس قسطنطين، فدفع له النصارى خمسون ألف دينار لإعادة بنائها فرفض، إلا أن سياسة علي بن سليمان القائمة على الجشع والاستبداد فشلت فعزله هارون الرشيد عن ولاية مصر[7]،

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/151-155.

(2) المعارف، الدينوري، ج369/1.

(3) الأخبار الطوال، الدينوري، ص351.

(4) تاريخ البطاركة، يوساب، ص100.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج205/5.

(6) تاريخ البطاركة، يوساب، ص107.

(7) كتاب الولاة، الكندي، ص100؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1001.

وعين بدلاً منه موسى بن عيسى فسمح للنصارى بإعادة بناء جميع الكنائس التي دمرت وتم ذلك بموافقة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة قاضي مصر اللذان أكدا بأن معظم الكنائس بنيت في عصر الصحابة والتابعين[1].

كذلك جدد البطريرك مرقص زمن هارون الرشيد كنيسة السوطير ووسعها[2]، لكن بعد وفاة هارون الرشيد، وحدوث الصراع على السلطة بين الأمين والمأمون عمت الفوضى في أركان الدولة الإسلامية مما عرض كنائس النصارى للنهب والتدمير وأحرقت الأديرة في وادي هبيب وسرقت[3]، ولكن بعد تولى المأمون الخلافة العباسية عام مئتين وثمان وتسعين وانتهاء الحرب بينه وبين أخيه [4]، أعاد النصارى عمارة جميع الأديرة والكنائس التي تهدمت[5].

تغيرت أحوال النصارى في خلافة المتوكل ففي عام (235هـ/849م) أصدر قرارات خاصة بالكنائس فأمر بهدم كل الكنائس المستحدثة في مصر[6]، كما منع النصارى من ضرب أجراس الكنيسة، ومنعهم من قراءة القداس الخاص بهم في الكنائس بالألحان وأن تقرأ سراً وبصوت منخفض، كما كسرت الصلبان الخاصة بالنصارى، وعانى النصارى في عهده من الظلم والاستبداد حيث استحدث قوانين خاصة بهم لم يسبق لأحد من الخلفاء أو الولاة أن فرضها عليهم[7]، بعد وفاة المستنصر بن المتوكل حدثت اضطرابات وفتن فهدمت الكثير من الأديرة في الصعيد، وبعد تولى المستعين الخلافة العباسية توجه بعض النصارى للخيفة العباسي في بغداد وطلبوا منه ترميم الكنائس فوافق الخليفة وأصدر قراراً بإعمار جميع الكنائس واصلاح جميع كنائس النصارى في مصر مما أسعد نصارى مصر[8].

---

(1) كتاب الولاة، الكندي، ص100؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 100.

(2) تاريخ البطاركة، يوساب، ص112.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1002.

(4) الأمم والملوك، الطبري، ج121/5.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1002.

(6) الأمم والملوك، الطبري، ج318/5؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج145/6؛ نهاية الأرب، النويري، ج207/22؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1003.

(7) تاريخ البطاركة، يوساب، ص133-134.

(8) المصدر السابق، ص138.

اضطر البطريرك ميخائيل في خلافة المعتز أن يبيع بعض كنائس النصارى؛ بسبب الضريبة الباهظة التي فرضها أحمد بن طولون والي مصر عليهم، فعاني ميخائيل الويلات من جراء تلك الضريبة التي لم يستطيع أن يؤديها[1].

أما في عصر الدولة الإخشيدية قام محمد بن طغج الإخشيد في خلافة الراضي بالله عام (323هـ/934م) [2]، بسبب وشيات النصارى على بعضهم بإغلاق كنيسة أبي جبلة في تنيس ومنع الصلاة فيها، وصادر ما كان فيها من الذهب والفضة ومن أواني وألات وحملها إلى الفسطاط [3]، فقام أسقف تنيس بدفع فدية قدرها خمسة آلاف دينار من أجل إعادة ما أخذ منها[4].

امتازت علاقات النصارى بالدولة الفاطمية بأنها علاقات قوية وجيدة[5]، فسمح الخليفة المعز لدين الله للبطريرك الثاني والستين أفرهام بن زرعة بترميم الكنائس وإعادة إعمارها، بل منحه أموال من بيت مال المسلمين لترميمها، وكتب له كتاب رسمي بذلك[6]، كذلك أحوال الكنائس كانت مستقرة في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي[7].

تدهورت حالة الكنائس في زمن الخليفة الحاكم بأمر الله حيث صادر كل ما فيها وأحرق الصليب، ودمر كنائس في مدينة مصر ودمر كنائس المقس وترك ما فيها للعامة لتنهبها وهدم دير القصير، ثم ازداد الأمر سوء فهدم كنائس مصر كلها، وتركها للعامة لتنهب كل ما فيها فهدمت وتحولت لمساجد، ورفع الأذان بكنيسة شنودة بمصر، ونهبت الكنائس والأديرة كلها وبيع ما فيها من ذهب وفضة وأواني في أسواق مصر، وبدأ هدم الكنائس في عام أربعمائة وثلاثة واستمر سنتين حتى عام أربعمائة وخمسة، وأصدر الحاكم كتب للولاة يأمرهم بتدمير كل الكنائس التابعة للنصارى، فهدم أكثر من ثلاثون ألف كنيسة، وأمر بترحيل النصارى من مصر إذا لم يدخلوا في الإسلام فتوسل النصارى للحاكم بأن يعفوا عنهم وأن يكف عن هدم الأديرة والكنائس،

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1004.

(2) كتاب الولاة، الكندي، ص207.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج95/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1006.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1006.

(5) تاريخ البطاركة، يوساب، ص157.

(6) المصدر السابق، ص161.

(7) المصدر نفسه، ص164.

لكنه رفض[1]، ثم أمر الحاكم بإعادة بناء دير القصير وسمح الحاكم للنصارى ببناء وتعمير جميع الكنائس التي يطلب النصارى إعمارها، فتسامح الحاكم مع النصارى بشأن بناء الكنائس وتعميرها فسمح لهم بذلك، بل كان يطوف على العمال الذين جددوا دير القصير وحثهم على سرعة إعمار الدير[2]، فقد كان الحاكم مضطرباً في تصرفاته ومتناقض سببت سياسته في مصر الكثير من الرعب والخوف داخل بين سكان مصر على اختلاف دياناتهم، فالحاكم كان شخص غير سوى واتهمه سعيد ابن البطريق بأنه مريض بمرض المناخوليا[3].

ومن خلال الدراسة يمكن الاستنتاج أن المقريزي ركز على أسباب التدهور والهدم في عصر السلاطين المماليك، ففي العصر المملوكي تعرضت الكنائس للهدم في عام (692هـ/1292م)، حيث حدثت واقعة النصارى وسببها افتراء أحد الكتاب النصارى على أحد السماسرة؛ بسبب خلاف مالي بينهم فأمعن النصراني في اهانته وإذلاله مما دفع المسلمين بالهجوم على النصارى ، وهاجموا الكنيسة المعلقة بمصر ونهبوها[4]، وفي عام (700هـ/1300م) هجري تكررت حادثة مشابهة زمن الملك الناصر بن قلاوون من النصارى بعد تمكنهم من تولى الوظائف العليا في الدولة فلاحظ وزير مغربي كان زائراً لمصر تسلط النصارى وإذلالهم واهانتهم للمسلمين ، أثارت تلك الحادثة غضب الوزير المغربي فاجتمع مع الأمراء وبكى بكاء شديداً على حالهم، وحرضهم الوزير المغربي على هدم كنائس النصارى، فاعترضه القاضي تقي الدين محمد بن دقيق العيد ومنعه من القيام بهدم الكنائس أو المساس بها فأغلقت بعض كنائس في مصر والقاهرة لعدة أيام فتدخل النصارى لدى بعض الأمراء وقاموا بفتحها[5]؛ مما أدى إلى ثورة السكان عليهم فتعرض النصارى للإهانة والضرب والاذلال وذلك دفع بعضهم للدخول في الإسلام[6].

في عام (403هـ/1012م)أرسل ملك برشلونة هدية للسلطان، ولموظفيه وطلب منه أن يفتح الكنائس ففتح كنيسة البنداقيين وكنيسة حارة زويلة [7].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 11007- 1009.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق،ج221/2-233.

(3) المصدر السابق، ج219/2.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1017.

(5) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج2/ 337.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1018.

(7) المصدر السابق،م4، 1018 -1019.

تعرضت كنائس النصارى في عام (721هـ/1321م) لواقعة غريبة، حيث هدم عدد كبير منها، وذكر الدواداري تفسيراً لتلك الحادثة ، حيث أرجع سبب تلك الحادثة إلى صدور مرسوم يتضمن أوامر بهدم كنيسة الحمرا؛ فقام العامة بهدم عدة كنائس دون إذن الملك(1).

لكن المقريزي ذكر سبباً آخر لتلك الحادثة وهو تجمع بعض الناس الغوغاء دون إذن من أحد فهدموا كنيسة الزهري ونهبوا ما فيها وقتلوا النصارى المتواجدين بها، كذلك هاجموا كنيسة بومنا ونهبوا ما فيها من أموال ومتاع، وهدموا كنيسة الحمراء، وكنيسة البنات التي تسكنها بنات النصارى؛ فكان يتواجد فيه أكثر من ستين بنتاً ، فتعرضن البنات للسبي ونهبوا ثيابهن، ونهبوا كل الكنائس التي حولها، وتلك الحادثة وقعت يوم الجمعة فعندما خرج الناس من الصلاة انتشرت فوضى عارمة بينهم، وعندما علم السلطان بما حدث نقم على العامة؛ بسبب تجرأهم واعتدائهم على الكنائس، وما أحدثوه من فوضى وفتنة، حيث أحرقوا ما يزيد عن خمسين كنيسة، فأمر الأمير أيدغمش القبض على العامة، وتقصي أسباب ما حدث من فوضى واعتداء على النصارى، فإذا بخبر يأتي أن العامة ثارت على كنائس مدينة القاهرة ومصر هدموها؛ مما زاد من غضب السلطان فأمر بقتل كل من يمسكوا به من العامة الذين نهبوها ، وقدد وردت أخبار للسلطان بأن كنائس الوجه البحري والقبلي تعرضت للهدم والنهب؛ مما زاد من نقمة السلطان على العامة، وتلك الحوادث التي حدثت لم تحدث بأمر من أي جهة رسمية في الدولة، بل فوجئ الناس في أماكن متعددة بشخص يصرخ اهدموا كنائس النصارى، فرأى عوام الناس ما فعله النهابة من هدم الكنائس فتوجهوا لهدمها، فصدم السلطان مما حدث وحاول أن يوقف موجة الهدم بكل الطرق واستطاع إيقافها بعد خسائر كبيرة وقعت على النصارى جراء تلك الحادثة، بعد أن وجه تهديداً شديداً للعامة بالقتل، وتتبع السلطان العامة والنهابة وقتل عدد كبير منهم(2)، ويبرر المقريزي ما فعله المسلمين بحق النصارى يرجع أسباب تلك الحوادث التي تسببت في هدم كنائس النصارى إلى فساد النصارى وتجبرهم واستعلائهم على المسلمين، لكن الباحثة لا ترى ذلك سبباً أو مبرراً لهدم الكنائس وتدميرها فبيوت العبادة بيوت لها حرمتها وقدسيتها، والدين الإسلامي حث المسلمين على احترام دور العبادة وقد تضمنت العهود التي منحها

(1) كنز الدرر، الدواداري، ج9/306.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1066-1069.

المسلمين للنصارى عدم المساس بالكنائس والأديرة التابعة لهم، فعمرو بن العاص عندما فتح مصر لم يهدم كنيسة بل العكس منح النصارى الأمان على كنائسهم، وسمح لهم ببنائها [1].

تعرضت الكنائس للهدم مرة أخرى ففي عام (755هـ/1354م) عاد النصارى على ما كانوا عليه من التقرب للطبقة الحاكمة، فاستطاعوا العمل في الوظائف العليا في الدولة؛ مما زاد من تجبرهم على المسلمين، فاشتكى العامة إلى السلطان الملك الصالح صالح؛ الذي أصدر قوانين وقيود اجتماعية على النصارى وحرموا من العمل في وظائف الدولة، فاستغل العامة تلك القرارات لاضطهاد النصارى من جديد فقاموا بهدم عدة كنائس لهم وتدميرها وسرقوا محتوياتها وكل ما فيها، فهدمت الكثير من كنائس الصعيد وتم تحويلها الى مساجد؛ بسبب دخول كثير من النصارى في الاسلام[2].

أهم كنائس النصارى في مصر :

انتشرت كنائس النصارى في كافة أنحاء مصر ومناطقها في الوجه البحري والقبلي، فهي لم تقتصر على مكان واحد أو منطقة جغرافية محددة، فمنها ما بنى قبل الإسلام، ومنها ما بني بعده مثل كنيستا الخندق، ولم تقتصر الكنائس في مصر على طائفة واحدة للنصارى، بل كان لكل طائفة كنائس خاصة بها[3]، فكنيسة بومنا التي توجد على طريق مدينة مصر كانت عبارة عن ثلاث كنائس كنيسة لليعاقبة وواحدة للأرمن وواحدة للسريان ولتلك الكنيسة عيد يجتمع فيه النصارى كل عام[4].

لكن المقريزي في كتابه ركز على ذكر كنائس اليعاقبة حيث ذكر أكثر من مئة واثنتي عشر كنيسة لليعاقبة مقابل خمس كنائس للملكية [5]، ربما يعود سبب ذلك لكثرة النصارى اليعاقبة في مصر حيث أنهم كانوا يشكلون الغالبية من جملة نصارى مصر[6]، وقد ذكر المقريزي في كتابه بدقة وبشكل مفصل أكثر من مئة وعشرين كنيسة وماذا حل بها من خراب،

---

(1) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1019–1021.

(3) المصدر السابق، م4، 1062.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1062.

(5) انظر المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 160 –186.

(6) المصدر السابق، م4، 997.

وأسمائها بالتفصيل وأماكن انتشارها[1]، ويلاحظ من خلال حديث المقريزي عن كنائس النصارى في مصر أن تلك الكنائس لم تقتصر وظيفتها على العبادة فقط، بل تعددت وتنوعت استخداماتها حسب أهمية كل كنيسة، فبعض الكنائس كان لها أهمية كبيرة وقدسية عند النصارى مثل كنيسة المعلقة، وكنيسة شنودة، وكنيسة مريم، وكنيسة المخلص، وكنيسة بوجورج وكنيسة بربارة، كذلك كنيسة بوسرجة التي يقدسها النصارى ويزعمون أن بتلك الكنيسة مغارة سكن فيها المسيح وأمه[2].

فبعض الكنائس يقدسها النصارى وتكون لها منزلة عالية عندهم مثل كنيسة حارة زويلة، وبعضهم اعتقد أن بعض الكنائس يوجد فيها الكنوز![3]، وبعض الكنائس كان لها أعياد خاصة تحتفل بها النصارى كل سنة مثل كنيسة بومنا[4]، وكنيسة بربارة التي كان يتواجد فيها راهبتان إيسي وتكلة في مصر التي يقام فيها كل سنة عيد يحضره البطريرك بنفسه[5]، وكنيسة الحكيمين التي يقام فيها عيد كبير يحضره الأسقف[6].

وبعض الكنائس كانت بمثابة دور علم فكنيسة شنودة نسبت لأبي شنودة وله عدة مؤلفات وكتب[7]، وبعض الكنائس هجرت وأصبحت خربة، فكان يوجد في بهنسا ثلاث مائة وستون كنيسة لم يتبقى منها إلا واحدة وهي كنيسة مريم، وربما يعو ذلك إلى دخول عدد كبير من النصارى في الإسلام[8].

ويلاحظ من خلال ذكر المقريزي لكنائس مصر أن العديد من الكنائس اكتسبت أسمائها من أسماء الرهبان الذين مكثوا فيها أو من أسماء الحواريين والرسل، مثل كنيسة الحكيمين، وغيرها الكثير من الكنائس[9].

---

(1) انظر للجدول جدول (3.1)؛ والجدول (2:3).

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1062- 1064.

(3) المصدر السابق، م4، 1062.

(4) المصدر نفسه، م4، 1063.

(5) المصدر نفسه، م4، 1064.

(6) المصدر نفسه، م4، 1082.

(7) المصدر نفسه، م4، 1063.

(8) المصدر نفسه، م4، 1080.

(9) المصدر نفسه، م4، 1082.

ثانياً : الأديرة

الدير هو المكان الذي يتعبد فيه الراهب[(1)]، وهو خان النصارى[(2)]، والدير يختلف عن الكنيسة فالدير مخصص للعباد والزهاد من النصارى دائمين الإقامة فيه، أما الكنيسة فهي لعامة النصارى[(3)].

ذكر المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار ما يزيد عن ستة وثمانين ديراً للنصارى، منها اثنان وستون ديراً في الوجه القبلي [(4)]، وأربعة وعشرون ديراً في الوجه القبلي[(5)]، وإن دل ذلك فإنه يدل على الحرية الدينية التي سمحت للنصارى ببناء الأديرة والتعبد فيها دون فرض قيود على الأديرة، وخير دليل على ذلك عندما فتح المسلمين مصر من الروم كان الكثير من النصارى فروا من مصر؛ بسبب الاضطهاد الديني إلى الأديرة في الصحاري، وبعد الفتح بدأ النصارى الأرثوذكس الفارين من بطش هرقل بالعودة إلى مصر، وإلى ممارسة ديانتهم بحرية وسمح لهم عمرو بن العاص بإعادة إعمار الأديرة فقام بنيامين بإعادة إعمار أديرة وادي النطرون ومنى[(6)].

لم تكن الأديرة مكاناً مخصص للعبادة فقط بل كانت مركز للعلم وتأليف المصنفات كدير موسى الذي لجأ إليه أبو موسى الأسود وألف فيه العديد من الكتب[(7)]، ومركز علمي للرهبان وعلماء النصارى[(8)]، ومثل دير بوميساس الذي اشتهر رهبانه بعلمهم ومهارتهم فيه[(9)].

بعض الأديرة كان تعد أماكن للتنزه وللترفيه مثل دير القصير الذي تمتع بموقع جميل على أعلى الجبل وتوفر المياه فيه والمساحات الخضراء، ودير مرحنا[(10)]، وستتحدث عنها الباحثة بالتفصيل عند الحديث عن أماكن التنزه والترفيه للنصارى[(11)].

---

(1) المغرب في ترتيب المعرب، المطرزي، ص172.

(2) المخصص، ابن سيده، ج302/3.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1025.

(4) انظر للجدول (3:3).

(5) انظر للجدول (3:4).

(6) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج90/1.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1024.

(8) المصدر السابق، م1025،4.

(9) المصدر نفسه، م4، 1047.

(10) المصدر نفسه، م4، 131.

(11) المصدر نفسه، م4، 1028.

وبعضها كان يخصص له عيد من كل عام مثل دير شعران الذي يخصص له عيد من الجمعة الخامسة من الصوم الكبير ويحضره البطريرك وكبار رجال الدين من النصارى ويصرفون فيه مالاً كثيراً[1]، وكذلك دير بطرس وبولص الذي يحتفل به النصارى في الخامس من شهر تموز ويسمى عيد القصرية[2]، ودير المعطس الذي يحج إليه النصارى كحجهم لكنيسة القيامة وذلك في يوم عيد خصص له يسمى عيد الظهور حيث يزعمون أن مريم تظهر فيه في ذلك اليوم، وتعرض ذلك الدير للهدم[3]، ومن الأديرة التي لها أعياد دير أتريب في بنها على شاطئ النيل[4]، ودير المحرق الذي يعمل له عيد عظيم يعرف بعيد العنصرة والزيتونة[5].

تحدث المقريزي عن أديرة الوجه البحري وأوضح المقريزي أن الكثير من أديرة الوجه البحري قد أصبحت خربة ومهجورة، وقد تأثرت بعض الأديرة بحالات الهدم التي كانت منتشرة زمن الحاكم بأمر الله وأعمال السلب والنهب التي نتجت عن أعمال الهدم، حيث أن بعض الأديرة لم تعمر واختفت معالمها بعد عمليات الهدم والسلب والنهب التي حدثت لها[6]، وبعض الأديرة تلاشى أمرها وفقدت أهميتها وانقرض منها الرهبان مثل دير أتريب[7]، ودير بويخنس القصير ودير أبو إلياس ودير الأرمن[8]، وبعض الأديرة كانت مقدسة عند النصارى بحث لا تصح بطريركية البطريرك عندهم إلا إذا أجلسوه في الدير المقدس مثل دير بومقار الكبير[9]، خصصت أديرة خاصة للنساء ليتعبدن فيها مثل دير الراهبات والبنات والمعلقة وبربارة[10].

وتنوعت الأديرة في مصر من حيث حجمها واختلاف مساحتها، وشكل بنائها وطبيعة البناء فقد كانت تبنى الأديرة من الحجر واللبن والنخل مثل دير شعران[11]، والطوب الأحمر[12]،

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4،1026.
(2) المصدر السابق، م4، 1027.
(3) المصدر نفسه، م4، 1049.
(4) المصدر نفسه، م4، 1049.
(5) المصدر نفسه، م4، 1041.
(6) المصدر نفسه، م4، 1047.
(7) المصدر نفسه، م4، 1049.
(8) المصدر نفسه، م4، 1052.
(9) المصدر نفسه، م4، 1051.
(10) المصدر نفسه، م4، 1055.
(11) المصدر نفسه ،م4، 1026.
(12) المصدر نفسه، م4، 1046.

وبعض الأديرة كان يوجد لها قباب مثل دير الخندق وله باب من حجر[1]، بعضها كان يبنى على الجبال مثل دير الطور[2]، والقصير[3]، ودير الطير[4]، ودير السبعة جبال[5].

(1) تاريخ الكنائس والأديرة، أبو المكارم، ج16/1.
(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1056.
(3) المصدر السابق، م4، 1029.
(4) المصدر نفسه، م4، 1032.
(5) المصدر نفسه، م4، 1034.

المبحث الرابع:

الطقوس والشعائر الدينية عند النصارى في مصر، ومراتبهم الكهنوتية

أولاً: الطقوس والشعائر الدينية عند النصارى

للنصارى الكثير من الطقوس والشعائر الدينية الخاصة بهم، فقد قدم المقريزي صورة موجزة لتلك الشعائر الدينية الخاصة بالنصارى في مصر منها:

1- المعمودية :

الدخول في الديانة النصرانية لا يكون إلا بالتعميد فلا يكون النصراني نصراني إلا إذا تم تعميده، والتعميد يتم عن طريق غمس المولود في ماء تم غليه ووضعه في حوض يحتوى الماء على أنواع الرياحين وألوان الطيب المختلفة، ثم يتلون عليه بعض الآيات من كتبهم المقدسة، فيدعون أن روح القدس تنزل عليه فيصبح نصرانيا[1]، والتعميد عند النصارى يفرض على الذكر والأنثى سواء صغير أو كبير، ولا يتم التعميد إلا على أيدي أسقف أو قسيس ويمنع أن يعمد النصارى مقابل رشوة أو هبة، والنساء لا يسمح لهن أن يعمدن، فالمعمدين من الرجال فقط والتعميد يكون في ماء جاري أو في مغطس أو ماء ساخن، فإن لم يوجد ماء فيعمد الأسقف بالأكف عن طريق سكب الماء ثلاث مرات على رأسه، والذين يتعمدون يغتسلون يوم الخميس ويصومون الجمعة ثم يتوجهون السبت إلى الكنيسة ثم يصلي عليهم الأسقف وينفخ عليهم ثم يعترف المعمد بالأب والابن وروح القدس فيصبح نصرانياً[2]، ومن يريد دخول في الديانة النصرانية لا بد من تعميده فيتم ذلك عن طريق منعه من أكل اللحم وشرب الخمر عدة أيام ثم يتم تعليمه مبادئ دينهم، وبعد ذلك يناقشه القساوسة في دين النصرانية، ثم يعمد عن طريق تغطيسه بالماء ثلاث مرات و يدعي له القس بالبركة فبذلك يدخل الديانة النصرانية[3].

2- الطهارة:

الطهارة عند النصارى تكون بغسل الوجه واليدين فقط[4]، وأهم ما في الطهارة غسل اليدين قبل الصلاة ويجب غسلها بمجرد القيام من النوم[5].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م4، 1023.

(2) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص14-16.

(3) الإعلام بما في دين النصارى، القرطبي، ص403.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1023.

(5) مذكرات في القوانين الكنسية، سوريال، ج1/79.

3- الصلاة:

ذكر المقريزي أن للنصارى سبع صلوات[1]، وهي فرض على جميع النصارى الأولى قبل طلوع الفجر، وصلوات الساعة الثالثة والسادسة والتاسعة وصلاة المغرب وصلاة النوم ومنتصف الليل[2]، يستقبلون فيها جهة الشرق[3]، ويحث الإنجيل النصارى على الصلاة بخشوع والصلاة تكون عنهم بقراءة هذه الكلمات: " أبانا الذي في السماء ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء، كذلك على الأرض خبزنا الذي للغد أعطنا اليوم، واترك لنا ما علينا، كما نترك نحن لمن لنا عليهم، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجنا من الشرير، لأن لك القوة والمجد إلى الآباد"[4].

ومن شروط الصلاة عند النصارى أن يكون واقفاً على رجليه ومتجها نحو الشرق؛ لأنهم يعتقدون أن جهة الشرق هي الجهة التي سيأتي منها المسيح في آخر الزمان، وشد الوسط بالزنار، والرسم بالأصبع على شكل صليب، وتلاوة الصلوات، والركوع والسجود[5].

بعض الصلوات عند النصارى يجب أن تصلى في الكنيسة وبعضها يمكن أن يؤدى في البيت، وإذا جاء وقت من أوقات تلك الصلوات ولم يستطيع أن يصليها النصراني فليصلي في قلبه[6].

4- الزكاة والصدقة :

مقدار الزكاة العشر من أموالهم[7]، أما الصدقة فالدين النصراني يحث على اعطاء الصدقات وذلك ما ورد في انجيل متى "من سألك فأعطه"[8]، وتعد كفارة عن ذنوب وخطايا النصراني، وتنجيه من المصائب وثوابها عظيم[9]، وأن يمنح الصدقات بسخاء ودون تذمر

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1023.

(2) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص159.

(3) الروض الأنف، السهيلي، ج9/5؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1023.

(4) انجيل متي، الاصحاح السادس، 9-13.

(5) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص157-158.

(6) المصدر نفسه، ص160.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1023.

(8) انجيل متي، الاصحاح الخامس، 42.

(9) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص183.

فالأجر من الإله، ونهت النصرانية عن رد المحتاج أو جرحه[1]، والصدقة تجعل الصوم والصلاة مقبولاً، والصدقة تفرض على الأغنياء والفقراء كلا حسب مقدرته ويؤجر النصراني على الصدقة حسب نيته لا بالحجم والكم الذي منحه بل بصدق عطائه[2]، والصدقة نوعان عند النصارى سراً تمنح للفقراء والمحتاجين والمعتقلين والمساكين والغريب، أما صدقة المعلنة فهي تلك التي تعطى لرجال الدين في الكنيسة وهم يتولون توزيعها على الفقراء والمحتاجين[3].

5- الصيام والحج :

الصوم هو الامتناع عن الطعام في أوقات محددة، هدفه عند النصارى التوبة من الذنب والحصول على الأجر والثواب، ويجب على جميع النصارى صوم الأربعين وهي فرض عليهم حيث يكون صيامهم إلى آخر النهار، ولا يأكلون في الصوم اللحوم أو ما يتعلق بالحيوانات ويؤكل فيها السمك، ومن يصوم من النصارى غير أيام الصوم المحددة لهم يحسب له الأجر[4]، ذكر المقريزي في كتابه أن الصوم عند النصارى خمسون يوماً[5]، لا يحل لهم الجماع في الصوم[6]،أما الحج عند النصارى فيكون إلى بيت المقدس[7].

6- الختان:

الختان ليس فرضا شرعياً على النصارى، كان قديما فرض على النصارى لتميزهم عن بقية الشعوب، لكن عند انتشار الديانة النصرانية أصبحت المعمودية هي من يميز النصارى عن بقية الأمم فبطل كفرض، وأصبح يختتن بعض النصارى من باب العادات ليس أكثر، فهي ليست محرمة ولا مفروضة عليهم بل تترك لهم الحرية في ذلك[8]، النصارى لا يختتن فيهم إلا اليعقوبية وهم الأقباط[9].

---

(1) الديداخي، ص164.

(2) المجموع الصفوي، ابن العسال، (ص179).

(3) المصدر السابق، ص180.

(4) المصدر نفسه، ص170-171.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1023،4-1024.

(6) البدء والتاريخ، المقدسي، ج4/ 47؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1023،4-1024. 1024.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1023،4.

(8) المجموع الصفوين ابن العسال، ص418- 421.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1023.

7- شرب الخمر:

السكر عند النصارى محرم[1]؛ لأن السكر هو الطريق لارتكاب لجميع المعاصي والذنوب، ويعرض الشخص لكثير من الأمراض الخطيرة والموت، لذلك هو محرم، ويحظر على النصراني أن يأكل أو يشرب مع سكير؛ لأنه في معتقداتهم يتعرض للعقوبة الالهية ، أما استخدام الخمر كعلاج فهو مسموح عندهم، لكن استخدام الخمر المؤدي إلى السكر فهو محرم[2].

8- حد الزنا واللواط والقتل :

إذا زنا المتزوج فعقوبته الرجم، أما إذا زنا الغير متزوج بامرأة وحملت منه فإنه يجب عليه أن يتزوجها، والزاني ملعون عند النصارى[3]، وزنا المحارم عقوبته القتل، ومن يغتصب جارية عقوبته قطع أنفه ودفع ثلث أملاكه لها، ومن يغتصب جارية دون الثالثة عشر من العمر قطع أنفه ودفع لها نصف ما يملكه، والاغتصاب عقوبته القتل [4]، أما اللواط فالفاعل والمفعول به عقوبتهما القتل إلا إذا كان المفعول به عمره أقل من ثلاثة عشر عاماً فإنه لا تقع عليه العقوبة[5]، والقتل المتعمد عند النصارى عقابه الموت، أم إذا كان غير متعمد فيجب على القاتل أن يهرب ولا يسمح لأهل القتيل أن يلاحقوه بل يجب عليهم أن يعفو عنه حسب تعاليم دينهم، كما أنه يحرم على النصارى شهادة الزور ولعب القمار [6].

9- الزواج:

يتم الزواج عند النصارى بحضور الشماس والقس وشهود ومهر، ويحرم عليهم من النساء ما يحرم على المسلمين، ولا يجوز أن يجمع الرجل بين زوجتين، ولا يجوز أن يتزوج بجارية إلا إذا عتقت فإنه يتزوج بها، ويمنع عندهم الطلاق إلا إذا جاءت المرأة بفاحشة مثبتة حينها تطلق، ولا يجوز أن تعود لزوجها أبداً[7]، ويحرم الزواج برابعة، أو الزواج براهبة أو

---

(1) البدء والتاريخ، المقدسي، ج47/4؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1024.

(2) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص414-415.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1024.

(4) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص406.

(5) المصدر السابق، ص408.

(6) البدء والتاريخ، المقدسي، ج48/4؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1024.

(7) البدء والتاريخ، المقدسي، ج48/4؛ المواعظ والاعتبار ، المقريزي، م4، 1024.

الزواج بمن بلغت ستين سنة، ويحرم الزواج بامرأة لم تنهى أشهر العدة وهي عشرة أشهر [1].

10- العبودية :

يحرم على النصارى بيع العبد النصراني لغير النصراني، ويشجع الدين النصراني على عتق العبيد، ويتم عتق العبد في الكنيسة بحضور الأسقف أو القسيس أو ثلاثة شهود[2]، ويذكر المقريزي أن العبد إذا خدم سيده لمدة سبع سنين يعتق[3].

ثانياً: مراتبهم الكهنوتية:

تتدرج المراتب الدينية الكنسية عند النصارى إلى عدة مراتب أو درجات فأكبر درجة دينية عند النصارى وهو المسئول الديني عنهم البطريرك وقد سبق التحدث عنه، ثم يليه في الدرجة المطران، ثم الأسقف، ثم القسيس ، ثم الشماس[4].

قسم القلقشندي مراتبهم الكهنوتية بشكل أكثر دقة من المقريزي إلى ثمان أقسام تبدأ بأعلى درجة وهو البابا ومقره في روما، ثم البطريرك، ثم الأسقف، والمطران، والقسيس والجاثليق، ثم الشماس وبعده الراهب[5]، وترتيبهم من الدرجة الأقل إلى الأعلى كالتالي:

1- الراهب: هو الذي اختلى بنفسه وتفرغ للعبادة بشكل منعزل عن الآخرين[6].

2- الشماس: هو خادم الكنيسة[7]، ويشترط في الشماس أن يكون متزوج امرأة واحدة، ويحسن تدبير بيته وأولاده، وأن يشهد عليه ثلاث شهود على أخلاقة وسلوكه وهدوئه، ويشترط فيه ألا يشرب الخمر كثير وألا يشهد زور وأن يكون رؤوف رحيم، وأن لا يقبل الرشوة وألا يكذب فإن اتصف بصفة من الصفات السابقة تسقط درجته، ولا بدأن يكون في المدينة سبع شمامسة لهم أجر إذا زادوا على ذلك فيعتبرون متطوعين، ومن واجبات الشماس خدمة

---

(1) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص235.
(2) المصدر السابق ، ص301-302.
(3) المواعظ والاعتبار ، المقريزي،م4، 1024.
(4) مفاتيح العلوم، الخوارزمي، ص148-149.
(5) صبح الأعشى، القلقشندي، ج444/5.
(6) المصدر السابق، ج444/5.
(7) الدايداخي، ص191.

الأسقف والقسيس في كل شيء، وخدمة المحتاجين من الناس، وليس له الحق أن يعمد أو يقدس أو يبارك الشعب(1).

3- القسيس: وهو خادم دين المسيحيين وإمامهم في أمور عبادتهم، له الصلاحية في إقامة المناسك(2)، وشروط القسيس أن لا يكثر من شرب الخمر، أن يكون متواضع، أن يكون عفيف النفس واليد، ملتزم بتعاليم الدين النصراني والكتب والأناجيل، يجب أن يبلغ سن الثلاثين حتى يصبح قسيس ويتم تزكيته من قبل خمسة رجال، والقسيس هو المعلم فله الحق في أن يعلم ويبارك ويقدس ويعمد(3).

4- الأسقف: عالم النصارى(4)، يشترط في الأسقف أن يكون خالي من الأمراض، لديه ضمير، محباً للخير عالما بتعاليم النصرانية وكتب الرسل والأناجيل، لا يكثر من الخمر، متواضع زاهدا في المال عفيف النفس واليد، مربي حكيم في بيته مع زوجته وأولاده، ويشترط موافقة المطران على تعينه، و يجب تزكيته من اثنتي عشر رجلا(5).

5- المطران: يعين على المدن الكبيرة وتكون مهمته تعين الأساقفة في منطقته(6)، هو كبير الأساقفة، ومن حقه دعوة مجلس الكنيسة للاجتماع ورئاسة الاجتماع(7).

6- الجاثليق: هو رجل الدين المسئول على النصارى في بلاد المسلمين، وتحديدا في مدينة بغداد ويكون تابع لبطريرك أنطاكية وهو أعلى درجة من المطران(8).

---

(1) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص71-72.

(2) معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، ج3/ 1810.

(3) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص64-65.

(4) شمس العلوم، الحميري، ج3118/5.

(5) المجموع الصفوي، ابن العسال، ص31-32.

(6) المصدر السابق، ص21.

(7) قصة الحضارة، ديورانيت، ج54/16.

(8) القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ج871/1.

الفصل الخامس:

الأحوال الاجتماعية والعلمية والعمرانية للنصارى في مصر

المبحث الأول:

الحياة العامة للنصارى في ظل الحكم الإسلامي

أولاً: طبقات المجتمع النصراني في مصر

دخل المسلمون مصر وكان النصارى الروم والأقباط يشكلون السواد الأعظم من سكانها[1]، ففي الوقت الذي دخل فيه المسلمون إلى مصر كان سكان مصر النصارى منقسمين إلى فئتين أو طبقتين، وتلك الطبقتين بينهما خلافات دينية وفكرية واجتماعية، وتلك الخلافات أدت إلى صعوبة التوافق بينهم، وإلى حدوث العديد من المشكلات بينهم، وتانك الطبقتين هما:

الطبقة الأولى: الروم البيزنطيون

هي الطبقة الحاكمة في مصر، فعندما فتح المسلمون مصر كان الروم من يمثلون الحكومة الرسمية في الدولة، فهي الطبقة التي كانت تسيطر على مقاليد السلطة في مصر وتتحكم بالشؤون السياسة فيها قبيل الفتح الإسلامي، وأطلق عليهم المقريزي اسم أهل الدولة، ويتبعون إدارياً وسياسياً للإمبراطور البيزنطي في القسطنطينية[2]، وبلغ عدد الروم في مصر إبان الفتح الإسلامي أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة[3]، فقد بلغ عدد الجنود والعسكر من الروم فقط أكثر من مائة ألف جندي رومي مجهزين بكامل الأسلحة والعتاد[4]، والروم البيزنطيون مذهبهم الديني يختلف عن الأقباط النصارى فكان الروم البيزنطيون معتنقين مذهب الملكية، والذي سبق وأن تحدثت عنه[5].

الطبقة الثانية: الأقباط

وهي طبقة عامة الشعب وهم الأقباط، وهم عبارة عن خليط من الأقباط والأحباش وأهل النوبة أو الإسرائيليين ويصعب التمييز بينهم، وجميعهم على مذهب اليعاقبة، وهم يشكلون غالبية السكان في مصر السفلى والعليا أي: منتشرون في جميع أنحاء مصر، لم يذكر المقريزي عددهم لكنه اكتفى بالقول أن أعدادهم تزيد كثيراً عن عشرات الآلاف، فمن الطبيعي أن يتفوق عددهم على عدد الروم، لأنهم يشكلون غالبية المجتمع المصري، ويبدو أن الأقباط لم

---

(1) فضائل مصر، ابن زولاق، ص24.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 997.

(3) المصدر السابق، م3،997.

(4) المصدر نفسه، م2، 22.

(5) المصدر نفسه، م3، 997.

يتولوا مراكز سياسية كبيرة في ظل حكم الروم البيزنطيين، فاقتصر المقريزي على ذكر بعض مهنهم ووظائفهم، فكان جلهم يعمل في الزراعة والفلاحة والصيد والتجارة والصناعة والحرف والمهن وبعض الوظائف في الدولة فمنهم: الكتاب، ومنهم القساوسة والرهبان والأساقفة ومنهم الخدم[1].

كان الروم والأقباط على عداء شديد، فالخلافات بينهم جوهرية، فهي لم تقتصر على جانب واحد؛ لكن الخلافات بينهم كانت في عدة مجالات اجتماعياً وسياسياً ودينياً، لذلك لم يكن هناك اختلاط بينهم لدرجة أن تلك الخلافات كانت تحول دون حدوث تقارب اجتماعي بين تلك الطبقتين فيمنع الزواج بين تلك الطبقتين، وفي بعض الأحيان أدت تلك الاختلافات إلى حدوث مشكلات وعداوات وصراعات أدت إلى قتل بعضهم البعض[2].

واختلف موقف الطبقتين السابقتين من الفتح الإسلامي لمصر فالأقباط ساندوا المسلمين، أما الروم فاتخذوا موقفاً معادٍ من الفتح الإسلامي وقاتلوا المسلمين[3]، وقد سبق أن أوضحت الباحثة موقف الطرفين بالتفصيل من الفتح الإسلامي.

تعامل المسلمون بعد الفتح الإسلامي لمصر مع طبقات المجتمع النصراني في مصر دون تمييز أو الميل لأحد الطرفين، فكان تعاملهم مع نصارى مصر مرتكز على مبادئ الإسلام دون استغلال لتلك الخلافات والفروقات الاجتماعية والسياسية والدينية بينهم لتحقيق مصالح خاصة بالمسلمين، فعندما منحهم عمرو بن العاص عهد الأمان منح جميع نصارى مصر الذين قبلوا الجزية دون أن تقتصر وثيقة بابليون على اسم الأقباط فقط أو الروم فقط، بل كانت شاملة جميع النصارى دون تمييز حيث نص الوثيقة كان واضحاً على عدالة المسلمين في التعامل مع الطرفين فقد قال عمرو بن العاص: "هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ..."[4]، أي أن نص الوثيقة ينص صراحة على حفظ حقوق كل ملة من ملل النصارى كاملة وعدم المساس بحقوقها إذا قبلت الجزية.

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 997.

(2) المصدر السابق، م3، 997.

(3) المصدر نفسه، م3، 997.

(4) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13)؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

فالمسلمون حفظوا لكل طبقة حقوقها ولم يضطهدوا أي طبقة لصالح طبقة أخرى، وحافظوا على الأماكن الدينية لكل طبقة، وخير شاهد على ذلك ما ذكره مار ميخائيل بطريرك أنطاكية حيث قال: "... أن العرب عندما دخلوا المدينة، أبقوا لكل طائفة ما بحوزتها من كنائس"[1]، عكس الروم الذين اضطهدوا الأقباط، فكان الفتح الإسلامي إعلانًا لانتهاء العنصرية والقضاء على التفرقة الطبقية التي كانت سائدة في مصر قبيل الفتح الإسلامي، وشهادة مار ميخائيل بطريرك أنطاكية في القرن الثاني عشر الميلادي والقرن السادس الهجري، أي بعد الفتح الإسلامي بحوالي ستة قرون خير شاهد على ذلك حيث قال: "إن الله إله النقمة الذي وحده له السلطان على كل شيء هو الذي يغير الملك كما يشاء، ويعطيه لمن يشاء، ويقيم عليه الضعفاء، إذا رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتد ساعدهم في الحكم، ويقاضوننا بلا رحمة، جاء من الجنوب بأبناء إسماعيل لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم[2]".

ولكن مع مرور الوقت واستيطان العرب ريف مصر وخاصة بعد سنة 109هـ/728م حيث استقدم العديد من ولاة مصر بعض القبائل العربية إلى مصر الذين اندمجوا مع المجتمع المصري[3]، ودخول الكثير من النصارى في الإسلام وتزوجهم من مسلمات واختلاط الأنساب بين المسلمين والأقباط الذين دخلوا في الإسلام في مصر ذابت الفروقات الاجتماعية وتفككت الطبقات في المجتمع النصراني[4].

تستدل الباحثة على انصهار النصارى في المجتمع الإسلامي في مصر واختفاء الفوارق الاجتماعية بين النصارى أنفسهم من خلال قيام المقريزي بتصنيف المجتمع المصري إلى عدة طبقات أو فئات، وغياب النصارى من ذلك التصنيف، ولم يشر إلى هذا التصنيف في كتابه (المواعظ والاعتبار) ولكنه أشار إليه في كتاب (إغاثة الأمة بكشف الغمة)، وقد قسّم المجتمع المصري الإسلامي إلى سبعة أقسام أو طبقات، وهو: الطبقة الحاكمة، والثانية الأغنياء والتجار الأثرياء، والثالثة التجار متوسطو الحال وأصحاب المعايش، والرابعة طبقة الفلاحين، والخامسة وهم الفقراء من الجنود والفقهاء وطلاب العلم، والسادسة الصناع وأصحاب الحرف، والطبقة السابعة الكادحون ذوو الفقر المدقع من متسولين ومساكين[5].

---

(1) تاريخ مار ميخائيل، مار ميخائيل، ج302/2.

(2) المصدر السابق، ج302/2.

(3) كتاب الولاة والقضاة، الكندي، ص58–59؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 214.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 219.

(5) إغاثة الأمة، المقريزي، ص47.

وتلك الطبقات التي أشار إليها المقريزي لم يذكر فيها النصارى ولم يذكر طبقة خاصة بالمجتمع النصراني في الدولة الإسلامية في مصر، ويبدو أنه مع تقادم العهد بالفتح الإسلامي لمصر وخاصة في الوقت الذي ألّف فيه المقريزي كتابه ظهرت الطبقية في المجتمع المسلم وتداخل النصارى بتلك الطبقات التي ذكرها المقريزي دون انفرادهم بطبقة مستقلة، فكان منهم أهل الدولة مثل عيسى بن نسطورس الذي تولى منصب مرموق في الدولة الإسلامية[1]، وكذلك كان من النصارى من ينتمي للطبقة الثانية _التجار ذوو الثراء الكبير_ مثل بطريرك الإسكندرية إبراهيم بن زرعة السرياني عمل تاجراً بمصر[2]، وهكذا عندما ظهرت الطبقات في المجتمع المسلم لم ينفرد النصارى بطبقة مستقله لهم بل اندمجوا في تلك الطبقات على اختلاف طبيعتها.

ثانياً: العادات والتقاليد السائدة عند نصارى مصر

كان لنصارى مصر عادات وتقاليد خاصة بهم، بقي النصارى محتفظن بها بعد الفتح الإسلامي، وبعض تلك العادات والتقاليد اندثرت مع الوقت من المجتمع النصراني من ضمن تلك العادات والتقاليد:

1- إلقاء أصبع الشهيد في النيل:

من العادات السائدة عند نصارى في مصر أن لديهم اعتقاد أن مياه نهر النيل لا تزداد ولا يرتفع منسوبها إلا إذا تم إلقاء تابوت خشبي يزعمون أن فيه أصبع شهيد، ويقوم بإلقاء ذلك التابوت أحد الأشراف من الأقباط، ففي اليوم الذي يلقى فيه اصبع الشهيد في النيل تتوجه النصارى من سائر قرى مصر للاحتفال بعيد الشهيد[3]، واستمر النصارى باتباع هذه العادة حتى عام 702هـ/ 1303م زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون، حيث أصدر الأمير ركن الدين بيبرس أوامره بمنع الاحتفال بذلك العيد في جميع أنحاء مصر[4].

أعاد الملك محمد بن قلاوون عام 736هـ/ 1336م الاحتفال بعيد الشهيد فاستمر حتى عام 755هـ/ 1354م، ففي ذلك العام قام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون بإحضار والي القاهرة لهدم الكنيسة التي يتواجد بها الأصبع وأخذ منها الأصبع في صندوق وحرقه في

(1) تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج1/ 58؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج7/ 440؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج366/11؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج68/4؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج601/1.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج76/2.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 183؛ الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج43/2؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج202/8؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج299/2.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 183–185؛ الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج43/2–44؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج202/8–203؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج299/2.

ميدان عام، وألقى رماده في البحر حتى لا تأخذه النصارى، ومنذ ذلك اليوم بطلت تلك العادة التي كانت سائدة عند النصارى[1].

2- اللجوء إلى صنم لحل الخلافات بين الروم والأقباط:

من العادات التي كانت سائدة عند الروم والأقباط إذا تخاصموا وحدثت بينهم مشكلات وتجنى أحدهم على الآخر لجأوا إلى صنم يوجد عند باب الريحان قرب الكنيسة المعلقة، وذلك الصنم مصنوع من النحاس على شكل جمل، وعلى الجمل شخص له عمامة وفي قدميه نعلان حاملاً قوساً عربية، فإذا حدث خلاف بينهم ذهبوا ووقفوا بين يدي الجمل فيقول المظلوم للظالم أعطني حقي قبل أن يخرج الراكب فيأخذ حقي منك رضيت أم أبيت، ويقصدون بالراكب النبي ﷺ، ولكن عندما فتح عمرو بن العاص مصر أخفى الروم والأقباط ذلك الصنم حتى لا يكون شاهداً عليهم[2].

3- إلقاء فتاة بِكر في النيل:

وهي من العادات التي كان يؤمن بها معظم سكان مصر وليست مقتصرة على النصارى، ومن تلك العادات التي قام بها سكان مصر وأبطلها الإسلام هي إلقاء جارية بكر حسناء مزينة بأفضل الملابس والحلي في النيل في الثاني عشر من شهر بؤونة، أي: شهر حزيران، وذلك بسبب اعتقادهم أن مياه النيل لا تجري ولا يزداد جريانها إلا إذا ألقيت فتاة في النيل في كل عام، فرفض عمرو بن العاص تلك العادة السيئة؛ لأن تلك العادة لا توجد في الإسلام وتتنافى مع تعاليم الإسلام، والإسلام يهدم ما قبله، فعندما أبطل عمرو بن العاص تلك العادة؛ فاستعد سكان مصر للرحيل خوفاً من وقف جريان نهر النيل، فكتب عمرو بن العاص إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ يشاوره في أمر الفتاة بعد أن ضعف جريان نهر النيل وبدأ الناس بالهجرة من مصر، فأيد الخليفة عمر بن الخطاب ما فعله عمرو بن العاص، وكتب عمر بن الخطاب ﷺ بطاقةً وأمرَ عمرو بن العاص بإلقائها في نهر النيل يقول فيها: "من عبد الله عمر ﷺ عنه أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد، فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله ﷻ يجريك، فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك"، فألقى عمرو البطاقة قبل عيد

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 183-185.

(2) المقريزي، المواعظ والاعتبار، م1، 85؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج68/1.

الصليب فأجرى الله النيل في تلك الليلة أربعة عشر ذراعا، وانتهت تلك العادة السيئة عند سكان مصر [1].

4- التبرك بدهن البلسان:

يؤخذ ذلك الدهن من شجرة البلسان وهي شجرة لا تنمو إلا بأرض مصر يستخرج منها دهن اسمه دهن البلسان[2]، ويتم ري تلك الشجرة من بئر يقدسها النصارى ويزعمون أن مريم العذراء شربت من تلك البئر هي ونبي الله عيسى عليه السلام[3]، وتقوم النصارى بزيارة تلك البئر والاستحمام بمائها والتبرك به واستخدامه كعلاج[4]، وتعود أسباب تقديس النصارى لدهن البلسان كما تزعم النصارى؛ أن عيسى عليه السلام عندما هاجرت به أمه إلى مصر ووصل بها الأمر إلى مدينة عين شمس استراحت عند بئر فغسلت مريم ثياب المسيح وسكبت الماء على الأرض فأنبت الله البلسان؛ لذلك يقدسه النصارى، وفي معتقداتهم لا يدخل أي شخص الديانة النصرانية ولا يكون نصرانياً إلا إذا انغمس في ماء المعمودية الذي يتواجد فيه دهن البلسان[5]، وتشتريه النصارى بأضعاف وزنه من الذهب، وتتهافت ملوك النصارى من مختلف البلدان للحصول على البلسان من مصر ويشترونه بأغلى ثمن، وأحيانا يقدم لهم كهدية من ملوك مصر [6].

ثالثاً: المرأة النصرانية في المجتمع الإسلامي في مصر:

حظيت المرأة النصرانية باحترام في المجتمع المصري منذ الفتح الإسلامي فقد منح الخليفة عمر بن الخطاب عند فتح بيت المقدس النصارى عهداً كان من أهم بنوده أن تعيش المرأة النصرانية في أمان في مجتمعها، حيث منحهم الأمان على أنفسهم ونسائهم وأموالهم[7].

واحترام المسلمين للمرأة النصرانية بدت ملامحه منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي فعندما فتح عمرو بن العاص بلبيس وجد فيها أرمانوسة ابنة المقوقس، وكانت قد خطبت لقسطنطين ابن هرقل، وهي مجهزة بالأموال والخدم، وحين وجدها عمرو بن العاص في الحصن

---

(1) العظمة، الأصبهاني، ج1424/4؛ كرامات الأولياء، الكائي، ج126/9؛ دلائل النبوة، المستغفري، ج600/2؛ الطيوريات، الطيوري، ج1097/3؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي،م1، 152-154.

(2) التبصرة بالتجارة، الجاحظ، ص25؛ نزهة المشتاق، الإدريسي، ج326/1.

(3) تاريخ أبي المكارم، أبي المكارم، ج14/1.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 624.

(5) المصدر السابق، م1،624-626.

(6) تذكرة داوود الأنطاكي، الأنطاكي، ج83/1.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 998.

أثناء دخول المسلمين، تعامل معها بأخلاق المسلمين وشهامتهم، فأوصى الصحابةَ بضرورة معاملتها معاملة حسنة[1]، فأرسل ابنة المقوقس بأموالها وكل ما معها من خدم معززة مكرمة مع الصحابي قيس بن سعد إلى والدها[2]، وإن دل ذلك فإنه يدل على احترام المسلمين للمرأة النصرانية وصيانتها وحفظ حقوقها، فلم يفعل المسلمون كما يفعل الغزاة بالنساء في ذلك الوقت، فلم يتخذوها رهينة أو أسيرة، بل احترموها وأعادوها معززة إلى والدها.

ويبدو أن المرأة القبطية النصرانية كان لها مكانتها المرموقة وكلمتها المسموعة في المجتمع المصري منذ القدم حتى قبل ظهور النصرانية في مصر، فالنساء النصارى وخاصة القبطيات كان لهن دور فعال في أسرهن، فسطوة المرأة القبطية غلبت سطوة الرجل، فالرجل النصراني القبطي يلجأ إليها ولمشورتها في كل شؤون حياته، ولا يتصرف بأي عمل إلا بعد أخذ موافقتها عليه، وذلك يرجع إلى التغيرات التي حدثت في المجتمع المصري منذ زمن فرعون، فعندما غرق فرعون وجنوده في البحر بعد ملاحقتهم لنبي الله موسى ﵇، تغير التركيب النوعي للسكان في المجتمع المصري، فانقرض الرجال؛ بسبب الغرق حيث اختفى أشراف مصر وكبار رجال الدولة والجنود، وكثرت النساء، فلم يتبق في مصر إلا النساء والعبيد والأجراء من الرجال فقط، فاجتمعت نساء مصر وقررن أن يتم اختيار امرأة منهن لحكم مصر فاخترن دلوكة بنت الزباء؛ بسبب خبرتها وحكمتها فحكمت[3].

وكانت دلوكة من بنات كبار رجال الأقباط فحكمت مصر بعد فرعون[4]، وأحسنت إدارتها وبنت حائط العجوز، أما بقية النساء فلم يتحملن غياب الرجال عنهن، فأصبحت كل امرأة منهن تحرر العبد والأجير الذي تملكه وتتزوجه، واشترطن على الرجال منذ ذلك الوقت أن لا يقوموا بأي شيء أو عمل إلا بمشورتهن، وأخذ الإذن منهن، فوافقوا على ذلك، فمنذ ذلك الوقت وحتى بعد الفتح الإسلامي بقرونٍ تغلب نساء مصر القبطيات على رجالها، فأصبح صفة

---

(1) فتوح البلدان، البلاذري، ج2 /44.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 499.

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم (ص33)؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار (مج102/1)؛ السيوطي، حسن المحاضرة (ج48/1).

(4) مروج الذهب، المسعودي، ج397/1-398؛ المختصر في أخبار البشر، أبو الفداء، ج58/1؛ تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج49/1؛ نزهة الممالك والمملوك، الصفدي، ص55؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج86/2.

امتاز بها المجتمع المصري النصراني، فلا يستطيع أي رجل من رجال القبط أن يبيع أو يشتري أو يتصرف بأي أمر حتى يقول: "أستأمر امرأتي"[1].

ويتضح مما سبق بأن المرأة النصرانية لها احترامها في أسرتها؛ لأن هذه الصفة غلبت على نساء مصر كلها وذلك ما أوضحه المقريزي حتى وقت كتابة كتابه.

يبدو أن المرأة النصرانية القبطية لم تحظ باحترام أسرتها فقط، بل حظيت أيضاً باحترام قريتها ومجتمعها الذي تعيش فيه فتبوأت مكانة مرموقة في ذلك المجتمع، واستطاعت أن تتولى مراكز قيادية فيه في العصر الإسلامي، فكانت المرأة النصرانية تتولى زعامة القرى في المجتمع المصري وخير دليل على ذلك[2]، عندما قدم الخليفة العباسي المأمون إلى مصر سنة 217هـ/ 833م للقضاء على ثورة البشموريين[3]، قام بعد الانتهاء من الثورة بجولة في قرى مصر وكان يرافقه أخاه المعتصم وابنه العباس وأولاد إخوته الواثق والمتوكل، بالإضافة إلى كبار الموظفين في الدولة وجنوده، فكان يمكث هو وأمراؤه وجنوده في كل قرية يوماً وليلة بعد أن ينصب له موكب فخم وتنصب خيام الجنود، وفي أثناء جولته على القرى تجاهل إحدى القرى تسمى بطاء النمل التي كانت تتولى زعامتها امرأة نصرانية قبطية ولم ينزل بتلك القرية لحقارتها[4]، فخرجت له امرأة طاعنة في السن ترجف بين خادمين تعرف بمارية القبطية فبكت تلك العجوز وصرخت، فاعتقد المأمون بأنها امرة تستغيث به متظلمة، وكانت العجوز تتحدث اللغة القبطية فاستعان المأمون بالمترجم الخاص به _كان معه مجموعة من المترجمين يتحدثون بكل اللغات_ فتحدثت إليه العجوز معاتبة الخليفة بأنه يمكث في كل قرية يوماً وليلة ولم ينزل بقريتها وتجاهلها، فتصرفُ الخليفة تجاه قريتها سوف يجلب لها معايرة القبط فيشمتوا بها؛ لأن الخليفة لم ينزل بقريتها[5]، فاعتذر لها المأمون وبرر لها عدم نزوله بقريتها؛ بسبب صغر قريتها التي لا تتسع للعسكر، كما أن ضيافة الخليفة وعساكره سوف تشكل عبئاً مادياً عليها لا تستطيع أن تؤديه تلك

---

(1) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص33؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 102؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج48/1.

(2) بدائع الزهور، ابن إياس، ج150/1.

(3) المعرفة والتاريخ، الفسوي، ج201/1؛ تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج518/4؛ المنتظم في تاريخ الامم والملوك، الطبري، ج3/1؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج570/5؛ البداية والنهاية، ابن كثير، ج10/ 297؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي،م1، 217.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي،م1، 217؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج149/1.

(5) بدائع الزهور، ابن إياس، ج149/1.

القرية الصغيرة[1]، أصرت العجوز على استضافة المأمون بقريتها وبكت بكاءً كثيراً؛ فعطف عليها المأمون ونزل بقريتها ونصب الخيام الخاصة بالجند، فأحضر ابن العجوز لصاحب المطبخ كل ما يحتاجه من أصناف اللحوم والأطعمة والأسماك والفواكه والعسل والتوابل والسكر والشمع بشكل فائض عما يحتاجونه، فقدمت العجوز القبطية لكل فرد من الجنود والقادة طعامه بشكل خاص به وأكرمت الخليفة.

فنزل المأمون بقريتها يوماً وليلة وهو في رغد من العيش فلما أصبح أراد الخليفة أن يرحل فجاءت إليه العجوز بعشرة وصائف كل واحدة منهن تحمل طبقاً على رأسها فاعتقد الخليفة بأن ما جاءت به هو هدية المرأة العجوز قائلاً: "قد جاءتكم القبطية بهدية الريف..."[2]، فلما وضعت الأطباق فإذا يوجد بكل طبق كيس من ذهب ودنانير، فقدم لها المأمون الشكر واكتفى بما أكرمتهم إياه في قريتها رافضاً الذهب والدنانير، فرفضت العجوز وبكت مخافة شماتة الأقباط بها فقبله المأمون، وتعجب من أمر الذهب والدنانير من أين جاءت به العجوز فظنها أنها عثرت على كنز فقال لها: "أيتها العجوز أظفرت بكنز؟" فردت عليه قائلة: "لا والله، وإنما هو من زرع الأرض، ومن عدلك يا أمير المؤمنين"[3]، فشكرها على كرمها وحسن ضيافتها ومنحها المأمون قرية طاء النمل لها ولأولاها من بعدها، حتى أن القنطرة التي توجد بقرية طاء النمل سميت على اسمها قنطرة العجوز[4]، كما منحها مائتي فدان وأعفاها من دفع الخراج[5].

وأصبحت ماريا القبطية حديث المأمون بعد أن غادر مصر متعجباً من كرمها وشهامتها حتى أنه قال: "الحمد لله في رعيتنا من هو بهذه الصفة"[6].

فالمرأة النصرانية كانت قائدة لتلك القرية ومسئولة عنها وما فيها، وذلك يدل على أن المرأة النصرانية كان لها دور ومكانة واحترام في مجتمعها في ظل الحكم الإسلامي في مصر.

لم يقتصر موقع المرأة النصرانية في مصر على أن تتولى إدارة قرية فقط، بل وصلت النساء النصرانيات إلى قصور الملوك، فاتضح أن العزيز بالله الفاطمي العبيدي من خلال الاطلاع على كتب التاريخ وخاصة النصرانية منها أنه كان له زوجة نصرانية، يبدو أنها أثرت

---

(1) بدائع الزهور، ابن إياس، ج149/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 218؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج150/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 218؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج150/1.

(4) بدائع الزهور، ابن إياس، ج150/1.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 218.

(6) ابن إياس، بدائع الزهور (ج150/1).

على كثير من قرارات العزيز بالله في مجال السياسة والدين، حيث ذكر سعيد بن البطريق أن العزيز عين اريستس خال ابنته ست الملك بطريرك على مدينة القدس، وعيّن أخاه أرسانيوس وهو خال ابنته أيضا مطراناً على مدينة القاهرة ومصر، وأوضح سعيد بن البطريق أنهم كان لهم احترام وتقدير كبير من قبل العزيز بالله، وكان لهم شأن كبير وكلمة مسموعة في دولته[1].

وقد أنجبت له تلك الزوجة ابنة تسمى ست الملك وكانت تلك هي ابنة العزيز المدللة، استطاعت ست الملك أن تؤثر في الكثير من القرارات السياسية التي اتخذها العزيز بالله، من أمثلة تلك القرارات التي استطاعت ست الملك أن تؤثر فيها على والدها عودة عيسى بن نسطورس النصراني إلى وظيفته بعد أن عزله منها، حيث لجأ إليها عيسى كواسطة بينه وبين أبيها لعودته إلى عمله وقد نجحت تلك الوساطة بينهما ونجاح تلك الواسطة يعود إلى ابنته ست الملك[2].

كما شاركت المرأة النصرانية في المناسبات والأعياد الدينية وكانت تحتفل مع أسرتها بتلك الأعياد من شراء الفوانيس، وعمل الحلويات، والاحتفال مع عائلتها بالأعياد فقد ذكر المقريزي أن فهد بن إبراهم النصراني كان يحتفل بعيد الغطاس مع زوجته وأولاده[3]، فكانت تطبخ المرأة النصرانية في خميس العهد العدس وتشتري الملابس الجديدة[4]، وكان يوزع عليها الكسوة الخاصة بها من قبل خزانة الكسوات في الدولة إذا كان زوجها من موظفي الدولة، وكانت تخرج في الأعياد؛ لمشاهدة الاحتفالات التي تكون في الأعياد وتشارك في تلك الاحتفالات[5].

تمتعت المرأة النصرانية بالحرية الدينية، فكانت لها أماكن للعبادة مخصصة لها لا أحد يعترض عليها أو يتعدى على أماكن عبادتها، إلا في حالات نادرة؛ بسبب الفوضى التي سادت في بعض مراحل الدولة الإسلامية في مصر وسبق التحدث عنها، فكان لبعض الراهبات أديرة خاصة بهن يتعبدن فيها، ومن أشهر أديرة النساء النصرانيات في مصر دير المعلقة المليء

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق،ج2/164-165؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص203.

(2) تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج7/223؛ تاريخ دمشق، ابن القلانسي، ج1/56.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 719.

(4) المصدر السابق، م1، 728.

(5) المصدر نفسه، م1، 183.

بالمترهبات، إضافة إلى دير الراهبات في حارة زويلة بالقاهرة، ودير البنات في حارة الروم بالقاهرة وهو ملئ بالنساء الراهبات، ودير بربارة(1).

تميزت المرأة المصرية بصفة عامة ومن ضمنهن النساء النصارى بارتفاع معدل الخصوبة لديهن، أي سرعة الحمل وكثرة الإنجاب(2)، وخاصة نساء الأقباط التي ربما تلد الواحدة منهن اثنين وثلاثة في بطن واحدة وحمل واحد(3)، ويذكر ابن فقيه الهمذاني أن النساء القبطيات يكرهن نساء خراسان؛ لأن القبطيات أغلب ذريتهن إناث ونساء خرسان أغلب ذريتهن من الذكور(4).

رابعاً: المتنزهات وأماكن الترفيه عند النصارى في مصر:

تمتع النصارى بحرية الحركة في مصر وممارسة حياتهم الاجتماعية بكل حرية فلم تفرض عليهم قيود إلا في فترات محددة من تاريخ الدولة الإسلامية وخاصة في فترة حكم الحاكم بأمر الله وفرضت تلك القيود على كل سكان مصر بلا استثناء(5).

تعددت الأماكن التي يتنزه فيها النصارى وكان من أبرز الأماكن التي يتنزهون بها(6)، هم وعائلاتهم:

1- سواحل نـهر النيل:

أغلب الأماكن التي يتردد عليها النصارى في معظم مناسباتهم وخاصة الاجتماعية منها مثل: الأعياد والمواسم هي سواحل نهر النيل، ففي عيد الشهيد ينصب النصارى الخيام على سواحل النيل ويجتمع أصحاب الغناء والرقص واللهو والمهرجون؛ ويجتمع عدد كبير من النصارى من كل نواحي مصر؛ ليشاهدوا فعاليات ذلك العيد، للتنزه والترفيه، بالإضافة إلى أنهم

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، م3، 1055.

(2) المصدر السابق، م1، 126.

(3) نزهة المشتاق، الإدريسي، ج344/1.

(4) البلدان، ابن فقيه الهمذاني، ص128.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج187/2-188.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م729،1.

استخدموا المراكب النيلية للتنزه والتجول داخل نهر النيل والغناء والرقص داخل تلك السفن، فكان النيل وسواحله بمثابة متنزه للنصارى ومكان للترفيه في وقت الأعياد والمواسم[1].

كذلك قام الرئيس فهد بن إبراهيم النصراني في عيد الغطاس بنصب الخيام والأسرة الخاصة بهم في مناطق متفرقة على ساحل نهر النيل للاحتفال بالعيد، وكان النصارى في تلك المواسم يوقدون الشموع و يشعلون النيران على شواطئ نهر النيل، ويحضر المطربون وأصحاب اللهو والمهرجون يشربون الخمر احتفالا بأعيادهم[2].

2- الأديرة:

تعد بعض الأديرة في مصر أماكن للتنزه عند النصارى ولم تقتصر على العبادة فقط، لتوفر عدة عوامل فيها ساعدت على جذب الزائرين والسياح والمتنزهين من النصارى وغيرهم ومن تلك الأديرة التي تعد بمثابة متنزهات للنصارى وغيرهم من سكان مصر:

أ- دير القصير: يعد من الأديرة التي يقصدها النصارى للتنزه فيه؛ بسبب موقعه الجميل فهو يقع على أعلى جبل في مصر[3]، وهو جبل المقطم[4]، فقد ساعد ارتفاع ذلك الدير، بالإضافة إلى اطلالته على مدينة مصر ومبانيها وأسواقها، وموقعه على أن يكون متنزهاً ومكاناً للترفيه، كما يوجد فيه صورة لمريم وعلى حجرها عيسى عليه السلام حسب زعم النصارى، ويوجد فيه بئر ماء، بالإضافة إلى أن ذلك الدير يطل على قرية تقع على شاطئ البحر مليئة بالسكان ويشرف على صحراء بنفس الوقت[5]، فاجتمعت فيه كل عوامل جذب المتنزهين من اطلالته الجميلة، وموقعه المرتفع، وتوفر المياه، وبالإضافة إلى كونه من أماكن العبادة، وقد ذكر العديد من الشعراء في قصائدهم ذلك الدير من ضمنهم الزيلعي الذي قال فيه:

دير القصير الفرد في صفائه   يا من رأى الجنة من غير عمل

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 183-185.

(2) المصدر السابق، م1، 718.

(3) الديارات، الشابشتي، ص319؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1028-1029.

(4) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص282.

(5) الديارات، الشابشتي، ص319؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج526/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1028- 1029.

أشربها راحا شمولا قرقفا   تدب في الجسم فما تبقي علل[1]

ب- دير مرحنا: يقع على شاطئ بركة الحبش المطلة على نهر النيل، ويقع بالقرب من ذلك الدير بساتين وحدائق جميلة ومتنزهات جميلة، كما يوجد بجانب ذلك الدير بئر للشرب وشجرة جميزة يجتمع الناس عندها، كما يوجد إلى جانب الدير مجلس من أعمدة رخام جميل البناء والصنع، كما يزداد جمال ذلك الدير وتقصده الناس في الأيام التي يزداد فيها النيل وتمتلئ البركة بالمياه، فيجتمع الناس للهو واللعب والتنزه والغناء، وفي أيام الربيع يزداد الزائرين إلى ذلك المكان حيث تكثر الورود وتخضر الأرض[2].

ت- دير نهيا: يقع دير نهيا في الجيزة[3]، ويعد من أشهر المتنزهات في مصر ومن أكثر الأماكن التي يقصدها الزائرون والمتنزهون، فهو يطل على نهر النيل وتحيط به مياه النيل من جميع الجهات فتمنحه منظرا جذابا، وعندما تنحسر المياه عنه تزرع أرضه فتظهر في أرضه أنواع مختلفة من النوار والزهور والمزروعات الغريبة والجميلة، كما أن هذا الدير يشرف على خليج تجتمع فيه أشكال مختلفة من الطيور؛ لذلك يعد مكاناً رائعاً لصيد الطيور لمن لديهم هواية الصيد لذلك يتنزه الناس في هذا الدير وخاصة النصارى[4].

ث- دير طمويه: يشرف على ساحل نهر النيل مباشرة، وتحيط به كروم العنب والنخيل والأشجار المتنوعة، كذلك تحيط به البساتين، فحين يأتي موسم الربيع يكون ذلك الدير في غاية الجمال؛ لأنه يكون محصوراً بين مياه النيل وبين البساتين الخضراء؛ لذلك يعد من أروع المتنزهات التي يزورها النصارى في الربيع ولم تقتصر زيارة تلك المتنزهات على النصارى بل سكان مصر كانوا يتنزهون فيها[5].

3- البرك:

---

(1) يتيمة الدهر، الثعالبي، ج510/1.

(2) الديارات، الشابشتي، ص325؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج535/2.

(3) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج539/2.

(4) الديارات، الشابشتي، ص331؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج539/2.

(5) الديارات، الشابشتي، ص336؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1036.

البرك هي جمع بركة وهي الأحواض التي تتجمع فيها المياه[1]، تعد البرك في مصر من الأماكن التي يقصدها الناس للتنزه والترفيه فيتنزه بها النصارى وغيرهم من السكان ومن أشهر تلك البرك:

أ- بركة الحبش: تسمى ببركة المعافر وبركة الحمير واسطبل قاش[2]، تقع جنوب مدينة الفسطاط بين الجبل المقطم ونهر النيل، وتعد من أشهر البرك الموجودة في مصر[3]، يوجد في أرض تلك البركة وبجانبها مزارع وأشجار ويحيط بها من الشرق أشجار على شكل جنان[4]، كما يقع إلى الجنوب منها جنان تعرف بجنان الحبش[5]، وسميت بركة الحبش بهذا الاسم نسبة إلى تلك الجنان التي تسمى بجنان الحبش[6]، تقع تلك البركة بين بئرين.

ويبدو أن بركة الحبش كانت من ضمن أملاك النصارى، الذين اضطروا لبيعها أثناء مطالبة أحمد بن طولون لهم بأموال قدرت بعشرين ألف دينار فاضطر البطريرك أن يبيعها[7]، أما بالنسبة لحدود البركة من جهاتها الأربعة فيحدها من الجنوب المعادي ومزارع وبساتين، ومن الشمال مباني سكنية وبركة الشعبية، ومن الشرق حدائق وبساتين الوزير، ومن الغرب نهر النيل وأراض دير الطين[8]، وتبلغ مساحة البركة ألف فدان، تحدها من ثلاث جهات متنزهات خلابة إضافة إلى مناظر وبساتين[9]، تطل عليها المتنزهات من ثلاث جهات ويتضح من خلال حدود تلك البركة وموقعها أنها ذات موقع جذاب للتنزه فيها.

فالنيل والبساتين والغيطان والجنان المحيطة ببركة الحبش تجعلها مكانا رائعاً للتنزه والترفيه، لذلك تعد من أشهر الأماكن التي يتنزه فيها ويقصدها سكان مصر وخاصة النصارى في

---

(1) لسان العرب، ابن منظور، ج399/10.

(2) الانتصار، ابن دقماق، ج55/1؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج401/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 510.

(3) الانتصار، ابن دقماق، ج55/1؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج401/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 510.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 511.

(5) تاريخ ابن يونس، ابن يونس، ج399/1.

(6) الانتصار، ابن دقماق، ج55/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 512.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 513.

(8) المصدر السابق، م3، 514.

(9) الانتصار، ابن دقماق، ج56/1.

أعيادهم، حيث يتجمع النصارى في عيد الغطاس، والنوروز، والميلاد، والشعانين والمهرجان وغير ذلك من المناسبات، فينصبون الخيام والقباب ويخرجون بعائلاتهم وأولادهم فيتوجه الصغار والكبار إلى بركة الحبش؛ للترفيه والاحتفال بالأعياد والتنزه بها مصطحبين المغنيات والراقصات والمعازف فيأكلون ويستمعون للأغاني ويترفهون ويتسامرون، ويركبون القوارب ويحيون السهرات فيها ويضيئون الشموع[1]، فهي جميلة المنظر في الأيام التي يفيض بها نهر النيل[2].

ب- بركة الرطلي: تسمى ببركة الطوابين؛ لأنه كان يصنع فيها الطوب، وسميت ببركة الرطلي بسبب وجود شخص بقربها يصنع أرطال الحديد التي يستخدمها البائعين؛ فسميت بذلك الاسم نسبة إلى صانع الأرطال.

تشرف البركة من جهة الشرق على أشجار نخيل تمنحها منظر خلاب، وفي العصر المملوكي قام الملك الناصر محمد بن قلاوون بحفر الخليج الناصري الذي يمر بجانب البركة، فأصبحت مياه نهر النيل تدخل إلى تلك البركة عبره، ثم بني جسر بين الخليج والبركة وأقام الناس فوقه بيوتهم، وأصبحت القوارب تدخل البركة عبر الخليج الناصري، وتدور حول البيوت للتنزه، ويبدو أن النصارى كانت تحتفل وتتنزه في تلك البركة؛ لأن المقريزي ذكر في كتابه أنها يكثر فيها الناس يوم الأحد فيظهرون الفسوق من شرب الخمور ويظهرن النساء متبرجات ويختلطن بالرجال، فيجتمع يوم الأحد والجمعة عدد كبير من الناس من الصعب إحصاؤه[3]، وفي سنة 807هـ/ 1405م منع الناصر الناس من الدخول إليها[4]، في الشخاتير[5]، لكنها فقدت أهميتها كمتنزه منذ سنة 806هـ/1404م، فقل الزائرون إليها؛ بسبب الغلاء الذي حدث بمصر[6].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 517-518.

(2) المصدر السابق، م3، 519.

(3) المصدر نفسه، م3، 514.

(4) إنباء الغمر، ابن حجر العسقلاني،ج289/2.

(5) الشخاتير، مفرد شختور هو سفينة صغيرة، وهي المراكب النيلية تستعمل لتعدية الناس في النيل وتستخدم لتعدية الناس من احل النيل إلى الساحل البحر في وقت الزيادة وهي تستخدم للفرجة والتنزه في خلجان النيل وبركه، السفن الإسلامية على حروف العجم، النخيلي، (ص74).

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 541.

ت- بركة بطن البقر: كانت تلك البركة عبارة عن بستان يسمى بالبستان المقسي ثم تحولت إلى بركة زمن الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله، وفي زمن الخليفة الآمر بأحكام الله حفرت البركة لتكون عميقة أكثر وتم توصيل مياه نهر النيل إليها من خليج الذكر، فعرفت حينها ببركة بطن البقر، يجتمع فيها الناس للتنزه فكانت أحسن متنزه في مصر [1].

ث- بركة قرموط: كان يسكنها الكُتاب: المسلمون والنصارى، وكانت مكاناً للتنزه فكانت تدخل فيها السفن الصغيرة محملة بالناس للتنزه[2].

4- الخلجان:

تعد الخلجان من الأماكن التي يتنزه فيها سكان مصر وخاصة النصارى ومن أبرز تلك الخلجان:

أ- خليج القاهرة: يقع إلى الغرب من مدينة القاهرة، كان الخليج عبارة عن متنزه لسكان القاهرة، يدخلون فيه عبر السفن المخصصة للتنزه[3]، وفي سنة 706هـ/1307م منع الملك الناصر محمد بن قلاوون دخول المراكب إلى خليج القاهرة للترفيه والتنزه؛ بسبب ما كان يحدث فيه من سلوكيات تخالف الشريعة الإسلامية مثل: شرب الخمر وسماع الأغاني وظهور النساء المتبرجات والإسراف في الأموال وحوادث القتل التي تحدث فيه، وسمح فقط للسفن التجارية الدخول فيه[4].

ب- خليج الذكر: تصل إليه المياه من نهر النيل إلى المقسي، كان النصارى يحتفلون بالقرب منه ويحيون أعيادهم حوله، ففي سنة 415هـ/ 1025م احتفل النصارى في عيد الفصح ونصبوا الخيام، وشربوا الخمر وأكلوا ومارسوا هوياتهم مصطحبين المعازف والمطربين، وكان الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله يشاهد ما يفعله النصارى وما تفعله نساؤهن من تبرج ورقص وفجور دون أن يتدخل[5].

يتضح مما سبق أن النصارى لم تقتصر أماكن التنزه لديهم في أماكن محددة، بل كانوا يتنزهون في مختلف المناطق السياحية والجميلة في مصر والتي كان يتنزه فيها المسلمون، وفي

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، م3، 543-544.

(2) المصدر السابق، م3، 553.

(3) المصدر نفسه، م3، 465-474.

(4) المصدر نفسه، م3، 476-477.

(5) المصدر نفسه، م3، 481.

مواسم الاحتفالات والأعياد خاصة، وقد ترك لهم المسلمون حرية التنزه والتنقل والترفيه دون أن يضايقوا عليهم أو أن يفرضوا شروطاً تحد من حريتهم في أماكن التنزه والترفيه.

خامساً: الحمامات والمستشفيات:

اشتهرت المدن المصرية بوجود الحمامات الرائعة فيها التي بنيت من قبل النصارى قبل الفتح الإسلامي، فقد أثارت تلك الحمامات وخاصة حمامات الروم في الإسكندرية من حيث عددها ومساحتها وفخامة بنائها اهتمام وإعجاب الفاتحين المسلمين، وخاصة القائد عمرو بن العاص الذي وصفها للخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مبدياً إعجابه بها[1].

لكن بعد الفتح الإسلامي سيطر المسلمون على ممتلكات الروم ومن ضمنها الحمامات وبنى المسلمون العديد من الحمامات، لكنهم لم يمنعوا النصارى من بناء الحمامات فقد بنى الطبيب النصراني أبو سعيد بن قرفة حماماً له في حارة زويلة زمن الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله[2].

لم ينفرد النصارى بحمامات خاصة بهم في الدولة الإسلامية إلا في حالات استثنائية، بل استخدموا حمامات المسلمين للاستحمام فيها هم ونساؤهم بكل حرية دون أن يمنعهم أحد، فكان النصراني يدخل الحمام ليستحم في نفس الحمام الذي يدخله المسلم دون أي تميز بينهم أو تفرقة عنصرية على أساس الدين، لكن في بعض فترات الدولة الإسلامية فرضت قيود على النصارى عند دخول الحمامات ففي عصر الدولة الفاطمية فرض الحاكم بأمر الله قيوداً على النصارى عند دخولهم الحمامات تمثلت في إجبارهم على وضع الصليب على أعناقهم للتميز بينهم وبين المسلمين لكن ذلك الاجراء تم الغاؤه بعد فترة قصيرة[3].

أصدر الحاكم قرارات جديدة تتعلق بدخول النصارى إلى الحمامات تتمثل في إجبار النصارى بوضع الصلبان على صدورهم إذا دخلوا الحمامات؛ لتميزهم عن المسلمين[4]، فاتخذ النصارى صليبا من الذهب والفضة؛ فاعترض الحاكم على ذلك الصليب وأمرهم بدخول الحمامات بصليب مصنوع من الخشب ويعلقوا في أعناقهم أجراساً عند دخول الحمامات لكي

---

(1) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص96؛ فضائل مصر، ابن زولاق، ص61؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 449؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج122/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 266.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج195/2.

(4) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص278؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007-1009.

يتميزوا به عن الآخرين[1]، وفي سنة 403هـ/ 1013م أصدر الحاكم قراراً بمنع النصارى من دخول حمامات المسلمين، وخصص لهم حمامات خاصة بهم علق على مداخل وأبوب تلك الحمامات إشارة الصليب[2]، كما منع الحاكم جميع نساء مصر من دخول الحمامات بما فيهن النساء النصرانيات[3].

ويتضح مما سبق أن النصارى من الرجال والنساء في مصر استخدموا نفس الحمامات التي يستخدمها المسلمون فكانوا يدخلون إليها دون قيد إلا في فترات محددة كفترة حكم الحاكم بأمر الله التي اشتد فيها على جميع أفراد دولته وليس على النصارى فقط، كما أن صلاح الدين الأيوبي أنشأ حمام الصوفية في مصر ومنع اليهود والنصارى من دخوله، ويبدو أن صلاح الدين منع النصارى من دخوله؛ لأن إنشاءه كان مخصصاً لبعض الفرق الصوفية[4].

لم يذكر المقريزي أن النصارى منعوا من دخول حمامات المسلمين زمن صلاح الدين الأيوبي باستثناء ذلك الحمام، أما بقية الحمامات التي ذكرها فيبدو أن النصارى تمتعوا بحرية دخولها دون قيد أو شرط.

أما بالنسبة للمستشفيات فلم يمنع المسلمون النصارى في بناء المستشفيات، فقذ ذكرت المصادر التاريخية النصرانية أن بطريرك الإسكندرية قسما بنى للنصارى مستشفى خاصاً للمرضي في مدينة الإسكندرية، وذلك في خلافة الخليفة العباسي المتوكل[5].

سادساً: المقابر والمدافن:

تعددت أماكن الدفن الخاصة بالنصارى ومن الأماكن التي دفن فيها النصارى موتاهم المقابر والأديرة والكنائس، فمن الأديرة التي كان يوجد فيها مدافن ومقابر كثيرة للنصارى دير القصير والذي تعرض في سنة أربعمائة هجري للهدم وذلك بعد أن أصدر الحاكم بأمر الله قراراً بهدمه وهدم ما حوله من مقابر ومدافن؛ فقام العبيد والعامة بفتح المقابر ونبشوا القبور وألقوا الجثث خارج المقابر والمدافن فأمر الحاكم بأمر الله بوقف نبش القبور[6]، كما كانت بعض

(1) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ج61/15.

(2) أخبار ملوك بني عبيد، ابن حماد، ص99؛ كنز الدرر، الداوردي، ج260/6؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج174/15.

(3) العبر، الذهبي، ج208/2؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج1/ 602؛ شذرات الذهب، ابن عماد، ج29/5.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 280.

(5) تاريخ البطاركة، يوساب، ص135.

(6) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج197/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص283.

الأديرة تحتوي على رفات بعض النُساك النصارى مثل: دير بومقار الكبير الذي وضعت فيه رفات ثلاثة من النصارى في أنابيب من خشب يزورها النصارى بذلك الدير[1].

ومن الكنائس التي كانت تحتوي على مدافن ومقابر للنصارى كنيسة مريم التي توجد في مدينة مصر، والتي يوجد فيها مقابر كثيرة ومدافن للنصارى وتعرضت تلك المقابر والمدافن للنهب والسلب في عام (399هـ/ 1009م)، في زمن الحاكم بأمر الله بعد أن أمر بهدم كنيسة مريم؛ حيث هاجم السودان والعبيد والعامة والنهابة تلك المقابر وفتحوها ونبشوا قبور الموتى ورميت عظامهم، وأكلت الكلاب لحوم الموتى حديثي العهد بالموت[2]، وكذلك كان في دمياط مدافن ومقابر كثيرة للنصارى في كنيسة العجوز والتي تعرضت للنهب زمن الحاكم بأمر الله فنبشت مقابر النصارى ودمرت[3].

واتخذ النصارى مقابر خاصة بهم غير الكنائس والأديرة لدفن موتاهم بعيدة عن مقابر المسلمين، ومن مقابر النصارى المشهورة بمصر مقبرة الخندق حيث تقع تلك المقبرة قرب كنيسة الخندق في ظاهر القاهرة، حيث يدفن النصارى موتاهم فيها[4].

تعرضت بعض مقابر النصارى لبعض التدخلات من قبل المسلمين فقد أمر المتوكل في عام مئتين وخمس وثلاثين النصارى بتسوية قبورهم بالأرض؛ لكي لا تتشابه مع قبور المسلمين[5].

وكذلك في عصر الدولة الفاطمية أمر الحاكم بأمر الله عندما بنى جامع راشدة بعمل توسعةً للمسجد الذي كان يجاوره قبور اليهود والنصارى فقام بهدم قبور النصارى واليهود من أجل توسعة المسجد[6].

كما قام أحمد بن طولون عندما بنى القطائع على قلعة الجبل بجرف قبور النصارى وبنى بدلاً منها قصر ابن طولون والميدان الخاص به[7].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1051.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج195/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص279..

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج197/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص283.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1062.

(5) الأمم والملوك، الطبري، ج318/5؛ تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج298/4؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج145/6؛ نهاية الأرب، النويري، ج207/22؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1003.

(6) نهاية الأرب، النويري، ج176/28.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2،85.

وتلك الحوادث التي تعرضت لها مقابر النصارى في مصر هي حوادث طارئة واستثنائية في فترات قليلة من التاريخ الإسلامي لمصر فالحاكم بأمر الله وما صدر عنه من قرارات عانى المسلمون منها قبل النصارى، وأعمال النهب والسلب التي قام بها بعض العوام الذين لا يمثلون قيم ومبادئ الدين الإسلامي فلم يحدث في زمن الخلفاء الراشدين أو غيرهم بأي عملية اعتداء على قبور النصارى إلا في حالات نادرة، فقد حرص المسلمون على أن تكون للنصارى مقابر خاصة بهم منذ الفتح الإسلامي فقد منح عمرو بن العاص للمقوقس قطعة أرض قرب بركة الحبش لجعلها مقبرة خاصة بالنصارى[1].

سابعاً: وسائل النقل عند النصارى:

تنوعت وسائل النقل التي يتنقل فيها النصارى، ويتضح من خلال كتاب المقريزي أن وسائل النقل التي استخدمها النصارى صنفت إلى نوعين: وسائل نقل بري، ووسائل نقل بحري، ومن وسائل النقل البرية التي استخدمها النصارى: الدواب فكان بطريرك الإسكندرية يوحنا الثالث يتنقل بدابته من مكان إلى آخر[2]، ومن ضمن وسائل النقل البرية الخيول والبغال والحمير فقد كان استخدامها شائعاً عند نصارى مصر فقد أهدى المقوقس الرسول محمد ﷺ، بغلة وحماراً مما يدل على استخدامها كوسيلة نقل مهمة عند النصارى قبل الفتح الإسلامي[3]، وكانوا يتنقلون بالخيول العربية وغير العربية، والجمال[4]، ولكن فرضت على النصارى بعض القيود التي تتعلق بوسائل النقل البري مما أثر على حركة تنقل النصارى من مكان إلى آخر، فقد فرض عليهم الخليفة العباسي المتوكل الاقتصار في ركوبهم على البغال والحمير، ومنعهم من ركوب البراذين، والخيول[5]، وكذلك أصدر الحاكم بأمر الله الحاكم الفاطمي قيوداً على وسائل التنقل عند النصارى ومنعهم من ركوب الخيول[6]، وسمح لهم بركوب بقية الدواب من حمير وجمال وبغال، بشروط ومواصفات معينة، كأن يكون الركب خشباً، وسرجه جلداً أسوداً خالٍ من أي

---

(1) فضائل مصر، الكندي، ص46.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج106/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 78.

(4) المصدر السابق، م4، 1027.

(5) الأمم والملوك، الطبري، ج318/5؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج145/6؛ نهاية الأرب، النويري، ج207/22؛ المواعظ والاعتبار، المريزي،م1003،4.

(6) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج202/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص295.

معدن[1]، وكذلك منعوا من ركوب الخيل عام (700هـ/1301م)؛ بسبب تفاخرهم وتكبرهم على المسلمين واساءة معاملتهم[2].

أما وسائل النقل البحري التي استخدمها النصارى فقد تعددت وتنوعت حسب الحاجة المستخدمة إليها، لكن في الغالب استخدمت المراكب والسفن على اختلاف أحجامها وأنواعها، فاستخدمت لنقل السكان والبضائع من مكان إلى آخر[3]، كما استخدمت الزوارق فعند حدوث فيضان نهر النيل يتنقل الناس من قرية إلى أخرى باستخدام الزوارق[4]، واستخدمها النصارى كوسيلة من وسائل الترفيه في أعيادهم للتجول في نهر النيل والبرك التي حوله[5].

ثامناً: الملابس والأزياء الخاصة بالنصارى:

لم يذكر المقريزي زياً خاصا بالنصارى في كتابه، لكنه ذكر أن أزياء معينة وملابس بمواصفات محددة فرضت على النصارى في فترات تاريخية معينة من تاريخ الدولة الإسلامية في مصر، وأن أول حاكم أصدر قراراً في تاريخ الإسلام بتغيير ملابس وأزياء أهل الذمة هو الخليفة العباسي المتوكل حسب ما ذكر السيوطي[6]، حيث تم فرض زي ولباس إجباري على النصارى سواء الرجال أو النساء في مصر، وسوف تذكره الباحثة في مبحث خاص عند حديثها عن القيود الاجتماعية التي فرضت على النصارى في مصر، وتلك القيود لم تتخذ كقانون يسير عليه جميع الولاة والخلفاء بل هي حالات استثنائية وقليلة، أما بالنسبة لأزياء النصارى فقد اشتهرت مصر بصناعة الثياب والأقمشة المتنوعة التي تصدر لكل دول العالم فتنوعت ملابسهم وأزيائهم بحسب ما هو متوفر لديهم من أقمشة[7]، وكان النصارى يجددون ملابسهم وثيابهم في عيد حد الحدود[8].

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج202/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص295؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007-1009.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1017.

(3) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج102/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 69.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 80.

(5) المصدر السابق، م1، 718.

(6) أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، ابن حجر الهيتمي، ص501.

(7) تاريخ أبو المكارم، أبي المكارم، ج83/1.

(8) نهاية الأرب، النويري، ج182/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج456/2-457؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 720.

فالرهبان النصارى يرتدون الثياب السوداء في الأديرة والكنائس، وذلك التقليد يعود لزمن الإسكندر المقدوني الذي بنى الإسكندرية من الرخام الأبيض فكانت كلها بيضاء فاتخذ الرهبان اللباس الأسود وأصبح تقليداً بعد ذلك[1]، أما بطاركة الإسكندرية فقد قام البطريرك كيرلص بتصميم بدلة خاصة للبطاركة مصنعة من الديباج الأزرق وبلارية ديباج أحمر عليها تصاوير من ذهب[2].

أنشأ الخليفة الفاطمي المعز لدين الله خزانة الكسوات التي كان يفصل فيها جميع أنواع الملابس، وكان من خلال تلك الخزانة يكسو فيها الناس بغض النظر عن عقيدتهم أو وظيفتهم أو عمرهم أو جنسهم أو مركزهم الوظيفي، وجعل تلك عادة لمن يتناوبون على الحكم من بعده فكان فيها كسوة للخدم وللكتاب والوزراء والأطباء سواء كانوا مسلمين أو نصارى[3].

تاسعاً: اللغة

كانت اللغة السائدة في مصر قبيل الفتح الإسلامي هي اللغة اليونانية التي قدمت نفسها بسهولة لاستخدامها من قبل للمصريين؛ وسبب وجودها وانتشارها في مصر يرجع إلى أن مصر تعرضت لغزو الإسكندر الأكبر منذ 332ق.م، فحكمها الإغريق لعدة قرون فتأثر المصريون بلغتهم وتحدثوا بها، بالإضافة إلى أن الكثير من الشعب اليوناني عاش واستقر في مصر في المدن خاصة، فاحتكاك المسلمين بهم واندماجهم مع بعضهم كان له الأثر الكبير على المصريين فعرفوا اللغة اليونانية وتحدثوا بها وتبنوها وأصبحوا على معرفة واطلاع بالثقافة اليونانية؛ لذلك كانت كثيرا ما تكتب الكلمات والنصوص المصرية بالأحرف اليونانية، فكانت اللغة اليونانية لغة المثقفين والدوائر الحكومية في مصر، لذلك كانت تستخدم اللغة اليونانية في التدريس وكانت هي لغة الكتاب المقدس عند النصارى.

ولكن سكان مصر عامة كانوا يتحدثون اللغة القبطية، واللغة القبطية كانت عبارة عن عدة لهجات معروف منها في الوقت الحاضر خمس لهجات، ويتضح أنه كان سائدا في مصر لغتان: لغة اليونان، وهي اللغة السائدة في الدوائر الحكومية، ولغة الأقباط وهي لغة عامة الشعب[4]، فعند دراسة اللغة السائدة في مصر قبل الفتح الإسلامي لا بد من الانتباه إلى اللغات التي كانت سائدة في مصر وهي اللغة القبطية التي كان يتحدث بها سكان مصر عامة، واللغة

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 505.

(2) المصدر السابق، م4، 1010.

(3) المصدر نفسه، م2، 359–361.

(4).p., COPTIC AND ITS VALUE(pp.230-232). WALTER. C

اليونانية التي كانت تستخدم في الدوائر الحكومية، وكان غالبية المصريين في ذلك الوقت يعملون في الزراعة والفلاحة ويتحدثون القبطية ويجهلون اللغة اليونانية لغة الحاكم الروماني[1].

لكن مع مرور الوقت ودخول الكثير من الأقباط في الإسلام وتعريب الدواوين في مصر سنة ست وثمانين وتحويلها إلى اللغة العربية[2]، انتشرت اللغة العربية في مصر، وساهم انتشار اللغة العربية في مصر في ظهور العديد من الفقهاء والعلماء في النحو وقواعد اللغة القبطية من الأقباط أنفسهم، وأصبحوا من علماء اللغة القبطية، وقد تشبع هؤلاء العلماء بالثقافة واللغة العربية فاتخذوا علماء النحو واللغة العربية نموذجاً يحتذى بهم، فقلدوهم في عمل قواعد ونحو اللغة القبطية كما فعل العلماء المسلمون في اللغة العربية، فانتشار اللغة العربية كان عاملاً مساعداً لوضع أسس وقواعد اللغة القبطية وساهم في نهضتها، فوجود اللغة العربية ساهم في تطور اللغة القبطية ووضع أسس وقواعد لها[3].

(1) تاريخ أهل الذمة في مصر، عامر، ص216.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 49.

(3) Worrell.H.A.Short account of the copts (p45).

المبحث الثاني:
الأعياد والمواسم الخاصة بالنصارى

ذكر المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) الأعياد الخاصة بالنصارى في مصر وجمع كل المعلومات الخاصة بها، فهو بذل جهداً كبيراً في الحصول على تلك المعلومات الخاصة بأعياد النصارى بحيث لن يجدها الباحث في أي كتاب آخر، فقد بحث عنها في بطون الكتب النصرانية وكتب المؤرخين المسلمين الأوائل، واقتصر المقريزي في كتابه على أعياد النصارى اليعاقبة ربما؛ لأن اليعاقبة كانوا يشكلون أكبر طائفة من النصارى في مصر، وحصر المقريزي جميع أعياد اليعاقبة فوجدها أربعة عشر عيداً، فصنف تلك الأعياد إلى: سبعة تسمى الأعياد الكبار، وسبعة أخرى تسمى الأعياد الصغار، بالإضافة إلى بعض المواسم التي يحتفل بها النصارى.

أولاً: الأعياد الكبار عند النصارى:

1- البشارة: يحتفل النصارى بهذا العيد في التاسع والعشرين من برمهات وهو أحد الشهور القبطية، ويصادف ذلك الشهر شهر آذار، ويرجع أصل الاحتفال به؛ إلى اعتقاد النصارى بأن جبريل عليه السلام في ذلك اليوم بشر مريم بميلاد عيسى عليه السلام[1].

2- الزيتونة: يحتفلون به في الأحد السابع من صومهم، يطلق عليه اسم آخر وهو عيد الشعانين ويعني التسابيح، ويعتقدون أن اليوم الذي ركب فيه عيسى عليه السلام الحمار ودخل فيه إلى صهيون في القدس وهو راكب والناس حوله يسبحون، وهو يأمرهم بعمل الخير وينهاهم عن المنكر، ومن مظاهر احتفالهم بهذا العيد الخروج بسعف النخيل من الكنيسة، وإظهار الزينة في دور العبادة الخاصة بهم[2]، واستمر الاحتفال به حتى عام 798هـ/ 1396م الذي أصدر في الحاكم بأمر الله أوامره بمنع الاحتفال به[3].

---

(1) نهاية الأرب، النويري، ج180/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج454/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 715.

(2) نهاية الأرب، النويري، ج180/1-181؛ صبح الأعشى ، القلقشندي، ج454/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 715.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 715.

3- الفصح: أطلق النصارى عليه العيد الكبير، ويعتقدون أن عيسى عليه السلام قام بعد صلبه بثلاثة أيام[1]، عندما تآمر اليهود عليه واتفقوا على قتله، وألقوا القبض عليه ووضعوه على خشبة فصلب عليها مع لصيْن، فانتشر الظلام في الأرض نهار يوم كامل وهو يوم الجمعة ويصادف التاسع عشر من برمهات أي آذار، ويدعون أن عيسى دفن وقام بعدها بثلاث أيام ليكلم تلاميذه ويوصيهم بالإنجيل![2].

4- خميس الأربعين: وهو يعرف بعيد السلاق، أو عيد الصعود، وهو اليوم الذي صعد فيه عيسى عليه السلام إلى السماء بعد مباركته لتلاميذه ووعدهم باشتهار رسالتهم[3]، حيث يدعي النصارى بأن عيسى بعد أربعين يوماً من قيامه خرج إلى بيت عنيا وتلاميذه معه فباركهم ورفع إلى السماء وعمره ثلاث وثلاثون سنة وثلاثة أشهر[4].

5- الخمسين: أطلق عليه العنصرة، ويحتفلون به بعد مضي خمسين يوماً من يوم القيام ويدعون أنه بعد مضي عشرة أيام من الصعود وخمسين يوماً من قيام عيسى عليه السلام، اجتمع تلاميذه في علية صهيون فظهر لهم روح القدس على شكل ألسنة من النار، فامتلأوا منه وتكلموا بجميع اللغات وبرزت على أيدهم معجزات كثيرة، فسجنهم اليهود فأنقذهم الله ثم انتشروا في الأرض يدعون لدين عيسى[5]، ويحتفلون به في السادس والعشرين من بشنس، أي شهر أيار[6].

6- الميلاد: ويدعون أنه اليوم الذي ولد فيه عيسى عليه السلام وهو يوم الاثنين، فيحتفلون به ليلة يوم الأحد الذي يصاف يوم التاسع والعشرين من كهيك من أشهر الأقباط، أي كانون الأول[7]، ومن مظاهر احتفال النصارى بيوم الميلاد توزيع الحلوى بأشكالها كافة، والسمك البوري،

---

(1) نهاية الأرب، النويري، ج181/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج454/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 715.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 715-716.

(3) نهاية الأرب، النويري، ج181/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج455/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 716.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 716.

(5) المصدر السابق، م1، 717.

(6) صبح الأعشى، القلقشندي، ج455/2.

(7) نهاية الأرب، النويري، ج181/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج455/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 717.

واللعب بالنيران، وإضاءة الشموع، والتماثيل، والفوانيس ويزينون فيها دكاكينهم وأسواقهم[1]، ويبدو أن النصارى تمتعوا بمطلق الحرية في الاحتفال بأعيادهم دون أن يتدخل المسلمون بشؤونهم بل على العكس يتضح من خلال الاحتفال بعيد الميلاد بأن المسلمين يشاركونهم الاحتفال بأعيادهم كما ذكر المقريزي ورأى ذلك بنفسه[2].

7- الغطاس: يحتفل به النصارى في الحادي عشر من شهر طوبة من أشهر الأقباط[3]، وهو شهر كانون الأول، ويرجع أصل الاحتفال بهذا العيد كما يزعم النصارى هو أنَّ يحيى بن زكريا عليهم السلام غسّل عيسى عليه السلام في بحيرة الأردن وعندما خرج من البحيرة اتصل عيسى بروح القدس، فأصبح النصارى يغمسون أولادهم في الماء ويستحمون جميعهم بالماء في البرد الشديد[4]، وعيد الغطاس يوم عظيم ليس عند النصارى فقط بل عند جميع المصريين ويعد من أجمل ليالي مصر، فكانت تضاء المشاعل والشموع ويأكل الناس في هذا العيد كل أنواع الأطعمة والمشارب، ويظهرون كل زينة من ذهب وفضة، والمعازف، وفي تلك الليلة يستحمون في النيل؛ لاعتقادهم أن ذلك الحمام يشفيهم من الأمراض ويحميهم منها[5]، حيث كان يحتفل به الجميع وكان المسلمين يشاركونهم فرحتهم بهذا العيد، فشاركهم الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله الاحتفال به سنة 415هـ/1025م[6].

ثانياً: الأعياد الصغار عند النصارى:

1- الختان: يزعم النصارى بأن عيسى ﷺ اختتن في ذلك اليوم، وهو يصادف السادس من بؤنة عند الأقباط، أي: شهر حزيران[7]، والنصارى الأقباط هم من يختتنون فقط أما النصارى غير الأقباط لا يختتنون[8].

---

(1) المواعظ والاعتبار، م1، 717.

(2) المصدر السابق، م1، 717.

(3) مروج الذهب، المسعودي، ج379/1؛ نهاية الأرب، النويري، ج181/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج455/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 718.

(4) نهاية الأرب، النويري، ج181/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج455/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 718.

(5) مروج الذهب، المسعودي، ج380/1.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 719.

(7) نهاية الأرب، النويري، ج181/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج455/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 719.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 719.

2- الأربعون: يحتفل به النصارى في الثامن من شهر أمشير، أي: شهر شباط، ويزعمون أن سمعان الكاهن أدخل عيسى مع والدته _عليهم السلام_ إلى الهيكل وتمت مباركته بواسطة ذلك الكاهن(1).

3- خميس العهد: يحتفل به النصارى بعد عيد الفصح بثلاثة أيام، وفي هذا اليوم يملؤون إناءً بالماء ويزمزمون عليه، ثم يقوم البطريرك بغسل أقدام جميع النصارى الموجودين، ويدعون أن عيسى فعل هذا مع تلاميذه من أجل أن يعلمهم التواضع، ويزعمون أن عيسى أخذ من تلاميذه العهد بأن يكونوا متواضعين(2)، ويطلق عليه خميس العدس؛ لأن النصارى تطهي في ذلك اليوم العدس الملون(3).

4- سبت النور: يحتفل به النصارى قبل عيد الفصح بيوم، ويدعي النصارى بأن نور ظهر على قبر عيسى عليه السلام، فتضاء في ذلك اليوم جميع مصابيح كنيسة القيامة، ويوضح المقريزي بأن هذا هو جزء من حيل النصارى لا أساس له، بل خدعة يختلقونها؛ لاستمالة البعض إليهم(4).

5- حد الحدود: يحتفل به النصارى بعد الفصح بثمانية أيام، في الأحد الأول بعد الفطر، وفي هذا العيد يقوم النصارى بالتخلي عما هو قديم من آلاتهم وأدواتهم وأثاثهم وملابسهم، وشراء أثاث وأدوات وملابس جديدة لهم، ويهتمون بأمور دنياهم ومعاملاتهم اليومية(5).

6- التجلي: يحتفل به النصارى في الثالث عشر من شهر آب، ويزعم النصارى بأن عيسى ظهر لتلاميذه بعدما صعد إلى السماء، وأنهم توسلوا إليه أن يأتي إليهم بإيلياء وموسى، فأتى بهم بمصلى بيت المقدس ثم رفع إلى السماء على حد زعمهم(6).

---

(1) نهاية الأرب، النويري، ج181/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج455/2؛ المواعظ والاعتبار، القلقشندي، م1، 719.

(2) صبح الأعشى، القلقشندي، ج456/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 719.

(3) نهاية الأرب، النويري، ج182/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج456/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 719.

(4) نهاية الأرب، النويري، ج182/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج456/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 720.

(5) نهاية الأرب، النويري، ج182/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج456/2-457؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 720.

(6) نهاية الأرب، النويري، ج183/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج457/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 720.

7- الصليب: يحتفل به النصارى في السابع عشر من توت، أي: الرابع عشر من شهر أيلول، بعد ميلاد عيسى بثلاثمئة وثمانية وعشرين سنة، ويرجع أصل الاحتفال به إلى أن هيلانة والدة الإمبراطور قسطنطين عثرت على الصليب، ويعد هذا العيد من الأعياد المستجدة على النصارى يرجع أصل الاحتفال به إلى زمن الامبراطور قسطنطين الذي يعد أول امبراطور روماني اعتنق النصرانية، وقد رأى في منامه بنودا شبه الصليب وسمع صوتا ينادي عليه ويقول له إذا أردت أن تنتصر على أعدائك فاجعل الصليب رمزا لك وعلى ملابسك وشكلك وشكل العسكر، فاتخذ قسطنطين من الصليب رمزا له، فأرسل قسطنطين والدته هيلانة إلى القدس لتطبيق دين النصرانية، فأرشدها أثناء زيارتها إلى القدس أسقف يدعى مقاريوس على الخشبات التي يدعي النصارى أن عيسى صلب عليها[1]، فبحثت هيلانة عنها ووجدت الثلاث خشبات، فاتخذوا اليوم الذي وجدت فيه الخشبات عيداً أطلقوا عليه عيد الصليب[2].

وكان نصارى مصر يحتفلون بيوم الصليب ومن مظاهر احتفالهم بعيد الصليب شرب الخمر وغيرها من الأمور المنافية للإسلام؛ مما دفع بعض الخلفاء الفاطميين إلى إصدار قوانين للحد من الاحتفال به[3].

ثالثاً: المواسم التي يحتفل بها النصارى في مصر

1- النوروز:

لم يقتصر الاحتفال بالنوروز على النصارى؛ بل كان معظم سكان مصر يحتفلون بهذا اليوم الذي يصادف الرابع عشر من شهر آذار[4]، وهو أول أيام السنة عند الأقباط [5]، والنوروز كلمة فارسية تعني اليوم الجديد[6].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 722-724.

(2) نهاية الأرب، النويري، ج183/1؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج457/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 723.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 723-724.

(4) المصدر السابق، م1، 724-725.

(5) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج184/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 724-725.

(6) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج184/1.

ذكر المقريزي عدة روايات حول تاريخ بدء الاحتفال بالنوروز وأسباب الاحتفال به، وقد اختلفت الروايات التاريخية حول ماهية ذلك العيد وأسبابه، وبغض النظر عمن بدأ الاحتفال بالنوروز وأسباب الاحتفال به، فسكان مصر كانوا يعتبرونه يوما عظيماً، وكان عادة المصريين في ذلك اليوم التراشق بالماء وإشعال النار في الطرق، فكان موسم للمجون والترف[1]، وكثر في احتفال النيروز ظهور الفسق والفجور والتبرج والكثير من الأمور المحرمة في الشريعة الإسلامية المنافية للأخلاق، فمن مظاهر الاحتفال بالنيروز خروج أمير يسمى أمير النوروز يقوم بحركات بهلوانية وحركات تميل للسخرية، ويتسلط على بيوت الناس والأغنياء خاصة ليطلب منهم الأموال، فيعطيه الناس بعض الأموال والأطعمة والهدايا[2].

وكان من مظاهر الاحتفال بذلك اليوم اجتماع المخنثين والفاسقات أسفل قصر الخليفة، والخليفة يشاهدهم ليقوموا بألعابهم وحركاتهم المثيرة للسخرية، وكان الناس يشربون الخمر في ذلك اليوم في الطرق علناً ويتراشقون به، إضافة إلى تراشقهم بالماء، ثم بعد ذلك أصبح الناس يتراشقون بالبيض، وفي ذلك اليوم تتعطل حركة التجارة فتتوقف الأسواق عن العمل، ويجاهر الناس بالفساد واللهو، فكان لا يمضي يوم النوروز إلا وقتل فيه أحدُ الأشخاص، وبقي الاحتفال في ذلك اليوم على هذا الحال منذ عهد الدولة الفاطمية إلى أن تولى السلطان المملوكي برقوق حكم مصر، ومنع مظاهر الاحتفال بالنوروز بعد سنة 780هـ/1379م[3].

2- عيد الشهيد:

احتفل به النصارى في اليوم الثامن من شهر بشنس من أشهر الأقباط، ويصادف الثالث من شهر أيار[4]، ويدعى النصارى بأن مياه نهر النيل لا يزداد منسوبها إلا إذا ألقي فيه أصبع الشهيد في تابوت خشبي، ففي اليوم الذي يلقى فيه الأصبع في النيل على يد أحد زعماء الأقباط تتوجه النصارى من سائر قرى مصر للاحتفال بذلك العيد[5].

لم يقتصر الاحتفال بعيد الشهيد على النصارى بل كان يخرج معظم سكان مصر على اختلاف دياناتهم للاحتفال به، ومن مظاهر الاحتفال به نصب الخيام على سواحل النيل،

---

(1) التنبيه والإشراف، المسعودي ، م1، 723-724.

(2) المصدر السابق، م1، 728-729.

(3) المصدر نفسه، م1، 728-729.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 183.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 183؛ الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج43/2؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج202/8؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج299/2.

واجتماع المغنيين والمخنثين وأصحاب اللهو واللعب والبغايا، وجميع أصناف الناس مما لا يحصى عدده، وتنفق فيه أموال لا حصر لها، ويكثر الفسوق في ذلك اليوم من شرب الخمر علناً وغيره من الأمور، فقد بيع من الخمر في ذلك اليوم باثني عشر درهم، وكان مقر اجتماعهم في ذلك العيد في شبرا من نواحي القاهرة، وكان الفلاحون يعتمدون على ذلك العيد لسد ضريبة الخراج المستحقة عليهم من كثرة ما يباع من الخمر، واستمر النصارى بالاحتفال بذلك العيد حتى عام 702هـ/ 1303م إلى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون، وكان المسئول عن تسيير أمور مصر في ذلك الوقت الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الذي أصدر أوامره بمنع الاحتفال بذلك العيد في جميع أنحاء مصر؛ فتوقف النصارى عن الاحتفال به حتى عام 732هـ/1332م، حاول النصارى اقناع الأمير بعودة الاحتفال بالعيد بالطرق والوسائل كافة لكنهم فشلوا في ذلك[1].

أعاده الملك محمد بن قلاوون عام 732هـ/ 1336م، الاحتفال به فاستمر حتى عام 755هـ/ 1354م، ففي ذلك العام قام الملك الصالح صالح بن محمد بن قلاوون بإحضار والي القاهرة لهدم الكنيسة وأخذ منها الأصبع في صندوقٍ وحرقه في ميدان عام وألقى رماده في البحر حتى لا تأخذه النصارى، ومن يومها انتهى الاحتفال بعيد الشهيد[2].

ذكر المقريزي بعض الأعياد التي يحتفل بها النصارى ولم يصنفها من ضمن الأعياد الكبار أو الأعياد الصغار، ومن تلك الأعياد التي ذكرها عيد القيامة والذي يزعم فيه النصارى بأن عيسى عليه السلام خرج من القبر، كذلك عيد الجديد وهو اليوم الذي برز فيه المسيح لطلابه بعد صعوده من القبر، ومن جملة الأعياد التي ذكرها المقريزي عيد الذبح، تلك الأعياد الخاصة بالنصارى والتي حصرها المقريزي في كتابه المواعظ والاعتبار[3].

يبدو أن المقريزي حصر أهم الأعياد والمناسبات التي يحتفل بها النصارى في مصر، لكن الباحثة وجدت أن الكثير من المناسبات الدينية وغير الدينية الخاصة بالنصارى لم يرد ذكرها في كتاب المقريزي، ربما غض عنها المقريزي الطرف؛ لأنها ليست بأهمية ومكانة

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 183- 185؛ الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج2/43-44؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج8/202-203؛ حسن المحاضرة ، السيوطي، ج2/299.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 183-185.

(3) المصدر السابق، م4، 1024.

الأعياد التي ذكرها، فالقلقشندي أورد في كتابه أكثر من مئة وخمسين عيداً ومناسبةً يحتفل بها النصارى على مدار السنة الكاملة في مصر، وذكر أسماء تلك الأعياد وتاريخ الاحتفال[1].

لكن الباحثة اقتصرت على أهم الأعياد الدينية والمناسبات التي احتفل بها النصارى في مصر.

---

(1) صبح الأعشى، ج458/2-463.

المبحث الثالث:

القوانين الاجتماعية التي فرضت على النصارى في مصر

خضع النصارى في مصر لبعض القوانين الاجتماعية التي فرضها بعض الخلفاء والسلاطين في ظروف استثنائية، نسبت تلك الشروط والقوانين إلى الخليفة عمر بن الخطاب وقد تناولها العديد من الفقهاء والمؤرخين على أنها شروط الخليفة عمر بن الخطاب، وأطلق عليها (العهدة العمرية)، ونصت تلك العهدة على لبس النصارى الغيار، ووضع الزنانير على وسطهم، وتعليق صليب في رقابهم، وأن تلبس المرأة خفين ذي لونين مختلفين: أحدهما أسود والآخر أبيض، وإذا دخل النصراني الحمام يجب أن يكون في رقبته طوق من رصاص أو حديد أو نحاس، ويمنعوا من ركوب الخيول، وإن ركبوا البغال يركبوها من جانب واحد، ومنعهم من عمل احتفالات لأعيادهم أو الندب بصوت مرتفع على موتاهم[(1)].

ويرى الكثير من المؤرخين والمستشرقين أن الخليفة عمر بن الخطاب برئ من تلك الشروط، وشككوا بوجود مثل تلك الشروط عند الفتح الإسلامي، ورجحوا بأنها شروط موضوعة وبحكم العادة أصبح الناس ينظروا إليها وكأنها جزء من الدين[(2)]، وترى الباحثة بأن تلك القوانين التي فرضها عمر بن الخطاب تتناقض مع سياسة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال: "إِذَا فُتِحَتْ مِصْرُ، فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا"[(3)]، كما أن تلك الشروط لم يرد ذكرها في القرآن الكريم أو أحاديث الرسول، فكيف سيبتدع عمر شروطا جديدة؟ وهو الحريص على اتباع سنة الأولين النبي وأبي بكر، وترجح الباحثة سيدة كاشف بأن الحكام هم من وضعوا تلك الشروط ونسبوها إلى الدين للتضيق على أهل الذمة، وأصبغوا عليها صبغة دينية؛ لأن دمج القرارات السياسية بالدين واعطائها صبغة دينية يكون أكثر إقناعاً للشعوب وأكثر ضماناً لولائها للسلطة الحاكمة[(4)].

تلك القوانين التي فرضها بعض الحكام والسلاطين بعد مئات السنين من الفتوح الإسلامية كانت بمثابة قيود اجتماعية على النصارى، وتلك القيود فرضت في فترات معينة ومحدودة من تاريخ الدولة الإسلامية في مصر، وصنفت الباحثة تلك القيود حسب الحكام الذين فرضوها:

---

(1) نهاية الرتبة الظريفة، الشيزري، ص106–107؛ أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية،ج1160/3.

(2) فتح العرب لمصر، بتلر، ص464.

(3) المعجم الكبير، الطبراني، ج61/19.

(4) مصر الإسلامية وأهل الذمة، ص48.

أولاً: القوانين الاجتماعية التي فرضت على النصارى في عهد الخليفة العباسي المتوكل:

أصدر الخليفة العباسي المتوكل عام (235هـ/850م) قوانين خاصة بأهل الذمة، وتلك القوانين التي أصدرها الخليفة المتوكل بحق النصارى تمثلت في إجبار النصارى على ارتداء الطيالس[1] العسلية، وشد الزنانير[2]، وأن تكون رِكاب السرج من خشب، وأن توضع كرتين في مؤخرة السرج، ووضع رقع على ثياب الرجال يكون لونها مخالف للون الثياب ويكون حجمها حجم أربع أصابع وكل رقعة يكون لها لون مختلف عن الرقعة الأخرى، وأن ترتدي نساؤهم عند خروجهن ثوباً عسلياً، ومنعهم من ارتداء المناطق[3]، وأمر والي مصر بأن يرتدي الكُتاب الملابس دون أكمام لها[4]، وأن يلصق على أبوب منازلهم صوراً على هيئة شياطين من خشب، ومنع ظهور الصليب والشموع في أعيادهم ومناسبتهم الدينية، ومنعهم من إشعال النيران في الطرق، وأن تسوى قبورهم مع نفس مستوى الأرض؛ لتخالف قبور المسلمين، وأن لا يتعلم أولادهم عند المسلمين، ويؤخذ العُشر من بيوتهم، وهدم دور العبادة التي بنيت حديثاً، وأمر أن تطبق تلك القوانين في أرجاء الدولة الإسلامية كافة[5].

وفي عام (239هـ/854م) فرض المتوكل قيوداً جديدة تمثلت في لبس دراعين عسليين على الأذرع والقباء، ويقتصر ركوبهم على البغال والحمير، ويمنعوا من ركوب البراذين[6]، والخيول[7].

ذكر المقريزي والمؤرخون أمثال: الطبري وسعيد بن البطريق، وابن الأثير والذهبي تلك القيود التي فرضها المتوكل على النصارى دون التطرق إلى الأسباب التي دفعت المتوكل

---

(1) الطيالس: هو عبارة عن ثوب يغطى به الرأس والبدن ويتم ارتدائه فوق الملابس، النظم المستعذب، بطال، ج209/2.

(2) الزنانير: هي عبارة عن حزام يشده النصراني على وسطه، مختار الصحاح، الرازي، ص138؛ التعريفات، الجرجاني، ص115.

(3) المنطق: هو ما يستخدم لشد منطقة الوسط، المغرب في تريب المعرب، الخوارزمي، ص468.

(4) يوساب، تاريخ البطاركة (ص134).

(5) تاريخ الامم والملوك، الطبري، ج304/5؛ التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج63/2؛ تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج287/4-298؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج126/6-127؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي،ج34/12؛ نهاية الأرب، النويري، ج203/22.

(6) البراذين: الخيل الغير غربية، مشارق الأنوار، القاضي العياض، ج83/1.

(7) الأمم والملوك، الطبري، ج318/5؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج145/6؛ نهاية الأرب، النويري، ج207/22؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1003.

لإصدار تلك القوانين، لكن ابن قيم الجوزية أوضح الأسباب التي دفعت المتوكل لاتخاذ تلك الإجراءات وقد أوجزت الباحثة تلك الأسباب التي تمثلت فيما يلي:

تمكن النصارى في زمن المتوكل من تقلد المناصب العليا في جميع أنحاء الدولة الإسلامية فسيطروا على معظمها إن لم يكن كلها وسعوا جاهدين لاستبعاد المسلمين من إدارة شؤون الدولة، كما أن النصارى أوغلوا صدر المتوكل على المسلمين وسعوا للوقيعة بينه وبين الكتاب وكبار رجال الدولة من المسلمين حيث اتهموهم بالخيانة، واهمال شؤون الدولة، واختلاس أموال الدولة لصالحهم، والسيطرة على ثرواتها لصالحهم، ولتحقيق أغراض شخصية لهم وذلك على غفلة من الخليفة المتوكل.

وآخر تلك الأسباب أن المتوكل أثناء أدائه فريضة الحج سمع أحد الحجاج يدعو عليه فأمر بمعاقبته، لكن الرجل أصر أن يشكو مظلمته للمتوكل وكان ذلك الرجل قد أحزنه ما فعله النصارى بالمسلمين من جور وظلم واستبداد[1].

أيقن المتوكل باستبداد النصارى في دولته عندما ازدادت شكوى الرعية من العمال النصارى وظلمهم واستبدادهم بشؤون الدولة، واغتصابهم حقوق المسلمين؛ مما أدى إلى غضب المتوكل على النصارى فأصدر تلك القوانين بحق أهل الذمة[2].

وترى الباحثة بأن تلك الاجراءات التي اتخذها المتوكل قاسية، وقراراته تعسفية لا أساس لها في الإسلام، فقد ذكر السيوطي أن أول حاكم أصدر قراراً في تاريخ الإسلام بتغيير ملابس وأزياء أهل الذمة هو المتوكل[3]، فوشاية النصارى على المسلمين وظلمهم لهم ليست مبرراً لفرض المتوكل تلك القيود الاجتماعية على جميع النصارى، ومن الظلم أن يتحمل النصارى في جميع أنحاء الدولة الإسلامية أخطاء وحماقات بعض قادتهم، فكان الأجدر به أن يعاقب من ارتكبوا الخطأ لا أن يعاقب الجميع، فالخليفة عمر بن الخطاب عندما فتح بيت المقدس منح النصارى عهداً وميثاقاً يعد فريداً من نوعه في ذلك الزمان، بل هو بمثابة وثيقة حقوق إنسان متكاملة، حيث منح سكانها العهدة العمرية والتي تمثلت بمنحهم الأمان على أنفسهم وأبنائهم

---

(1) أحكام أهل الذمة، ابن قيم الجوزية، ج467/1-474.

(2) المصدر السابق، ج467/1-474.

(3) أشرف الوسائل إلى فهم الشمائل، ابن حجر الهيتمي، ص501.

ونسائهم وكنائسهم ودينهم وأموالهم، ولم نقرأ في تلك العهدة التي تعد مرجعاً لحقوق النصارى في الإسلام ما يمس ملابس النصارى أو طرق تنقلهم أو أي تدخل في حياتهم الاجتماعية[1].

كذلك العهد الذي منحه عمرو بن العاص لنصارى مصر كان واضحاً وخالياً من التدخلات في الحياة الاجتماعية للنصارى بل منحهم كامل الحرية[2]، وخير دليل على ذلك أن عمرو بن العاص عندما بنى الفسطاط أذن للنصارى ببناء كنائسهم في مدينته الجديدة[3].

فقد شبه المستشرق الفرنسي جان موريس فييه تلك الشروط التي فرضها المتوكل بالأوضاع السائدة في العصور الوسطى، وبأنها كانت متوافقة مع روح العصر في ذلك الوقت مقارنة بالقيود التي فرضها أمراء أوروبا النصارى على اليهود في القرون الوسطى، والتي من ضمنها قيود باباوات روما ضد اليهود قبل أن تدينها أوروبا نفسها، دون التطرق لها من ناحية دينية[4].

ثانياً: القوانين الاجتماعية التي فرضت على النصارى في عهد الحاكم بأمر الله:

تمتع النصارى في عصر الفاطميين بمميزات كثيرة، فقد عاشوا عصراً ذهبياً لم يتوقعوه في ظل حكم الفاطميين على حد تعبير جاك تاجر[5]، ولكن عهد الحاكم بأمر الله كان مختلفاً عما سبقه فقد عاش النصارى في مصر أسوء أيامهم في عهده، فاشتد البلاء عليهم، رغم تقلد بعض النصارى مناصب رفيعة في عهده فأصبح منهم الوزراء والوسطاء والكتاب، وتلك المراكز التي تقلدوها دفعتهم لظلم المسلمين والافتراء عليهم، فأصابهم الغرور والكبر؛ بسبب مكانتهم من الحكام وازدياد ثروتهم فأصبحوا يتربصون بالمسلمين، فسخط عليهم الحاكم بأمر الله فأعدم عيسى بن نسطورس وفهد بن إبراهيم[6].

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق،ج17/2؛ تاريخ الامم والملوك، الطبري، ج449/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 998.

(2) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص/ 148.

(4) أحوال النصارى، موريس فييه، ص142.

(5) أقباط ومسلمون، تاجر، ص102.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007–1009.

الأسباب التي أوردها المقريزي ليست مبرراً للبطش بالنصارى فقد كان الحاكم يبطش بالنصارى والمسلمين واليهود، وقوانينه وقرارته المضطربة وغير المتزنة كانت تشمل جميع أفراد الدولة التي حكمها بلا استثناء، فعانى من ظلمه المسلمون وغيرهم، حتى أقرب المقربين إليه[1].

لكن النصارى واليهود كانوا الأكثر ضرراً من تلك الاجراءات التي اتخذها الحاكم فقد أصدر مجموعة من القوانين التي قيدت حقوق النصارى وحرمتهم من ممارسة حياتهم الاجتماعية بطريقة عادية.

فقد أجبر الحاكم بأمر الله النصارى واليهود في سنة (395هـ/ 1005م)[2]،بشد الزنار على أوساطهم ولبس العمامة السوداء على رؤوسهم[3]، في العام الذي يليه(396هـ/ 1006م) أصدر قرارات جديدة تمثلت بإبطال العادات التي كان يقوم بها النصارى في أعيادهم من تزيين الكنائس بأشجار الزيتون والنخيل وتوزيعها على الناس، ومنع الحاكم كل مظاهر احتفال النصارى بعيد الشعانين[4]، وفي العام نفسه أصدر الحاكم قوانين جديدة فرضها على النصارى تمثلت في منع النصارى من دخول الحمامات إلا والصليب معلق في أعناقهم لكي يفرقوا بينهم وبين المسلمين، لكن ذلك الاجراء لم يطل، فقد استمر فترة قصيرة من الزمن وتم إلغاؤه[5]، كما منع النصارى من شراء العبيد وألزم الرجال النصارى بتعليق الصلبان الخشب التي يزن كل منها خمسة أرطال في أعناقهم، وحرمهم من ركب السفن وشرّط على المسلمين ألا يحملوا معهم يهوديا أو نصرانياً[6].

وأمر بهدم كنيسة مريم التي يوجد فيها مقابر خاصة للنصارى ومدافن؛ فقام العبيد والسودان والعامة بنبش تلك المقابر وإخراج ما فيها من جثث، وتم إلقاء عظامهم خارج المقبرة، ومن كان حديث العهد بالموت التهمته الكلاب[7].

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/187-188.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/187؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص256.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/187؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص256؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007-1009.

(4) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/194؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007-1009.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/195.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1009،1007.

(7) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/195.

في سنة (399هـ/ 1009م) أصدر الحاكم مرةً أخرى قراراً أجبر فيه النصارى بتعليق الصليب على صدورهم إذا دخلوا إلى الحمامات؛ لتميزهم عن المسلمين[1].

في سنة(401هـ/ 1011م) أصدر الحاكم قانوناً بإلزام النصارى بلبس الزنانير السود، ومنع الزنار الملون، ومنعهم من صنع الخمر أو شربه واتخذ اجراءات حاسمة لتطبيق تلك القرارات[2]، وفي(402هـ/ 1012م) أصدر قراراً باختفاء الصليب من الكنائس وألا يضرب النصارى الناقوس[3].

في سنة(403هـ/ 1012م) استمرت سياسة الحاكم التعسفية تجاه النصارى فأصدر قوانيناً جديدة بحق النصارى فألزم النصارى بارتداء الطيالس السود والزنار الأسود والعمامة السوداء وتعليق الصلبان الخشب في رقابهم[4]، وحظر عليهم أن يركبوا الخيول[5]، وسمح لهم بركوب البغال والحمير بركب خشب، وسرج جلد أسود خالٍ من الفضة أو الذهب وأن لا يعمل عندهم مسلم[6].

في سنة (403هـ/ 1012م) أصدر الحاكم مواصفات جديدة للصليب الذي يجب أن يعلق في أعناق النصارى فاشترط أن يكون طولها وعرضها ذراع، وأن يكون فتحه ثلث شبر والسمك أصبع[7]، ووزنه يصل إلى رطل وربع[8]، وأن يكون الصليب من حديد، وأن لا يستخدموا البهائم كوسيلة مواصلات لهم في الأسواق[9].

كما أنه منع النصارى من دخول حمامات المسلمين، وجعل لهم حمامات خاصة بهم وعلق على مداخل حماماتهم الصلبان[10].

---

(1) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص278؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007–1009.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج200/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص289.

(3) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص296.

(4) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج202/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص295؛ مورد اللطافة، ابن تغري، ج274/1.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج202/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص295.

(6) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج202/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص295؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1007–1009.

(7) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج203/2؛ تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص296.

(8) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج174/15.

(9) بدائع الزهور، ابن إياس، ج200/1.

(10) كنز الدرر، الداوردي، ج260/6؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج174/15.

تلك الاجراءات الصارمة التي تعد انتهاكا لحقوق النصارى أجبرت بعض النصارى على اعتناق الإسلام؛ كي ينفذوا من العقاب والقتل حيث عفا الحاكم عن بعض الكتاب بعد دخولهم الإسلام[1]؛ ومن لم يسلم قتل وأُحل دمه وماله ونساؤه للجميع، ومن احتج منهم أو اعترض على قرارات الحاكم نهبت داره وصودرت أملاكه، وتم ملاحقتهم والقبض عليهم[2]، وترتب على اضطهاد النصارى المتكرر في عهد الحاكم أنَّ كثيرا من النصارى قرر الهرب من مصر إلى بلاد الروم وقاموا في سبيل تحقيق ذلك بتقديم الرشاوي للمتنفذين بالدولة لتسهيل عملية هروبهم، مما دفع الحاكم في سنة(404هـ/ 1013م) بالسماح للنصارى بالهروب إلى بلاد الروم حاملين معهم أموالهم وأسرهم وكل ما يرغبون بحمله، وتعهد لهم بعدم التعرض لهم[3].

لا شك بأن أسوء عصر مر بالنصارى كان عهد الحاكم بأمر الله الذي مارس أشكال الاضطهاد والتمييز العنصري كافة ضد النصارى، كما كانت قراراته المضطربة والمتناقضة لها أسوء الأثر على النصارى والمسلمين واليهود، ويتضح من ذلك أن النصارى في مصر تعرضوا للكثير من القيود الاجتماعية التي حدت من ممارسة حياتهم بشكل طبيعي، وذلك يرجع لطبيعة الحاكم بأمر الله، لكن ما فعله لا يمثل تعاليم ومبادئ الإسلام في التعامل مع النصارى.

ثالثاً: القيود الاجتماعية التي فرضت على النصارى في عصر المماليك:

لم تختلف الشروط التي فرضها السلاطين المماليك على النصارى كثيرا عن سابقتها في العصر العباسي والفاطمي فالملك المنصور قلاوون اشتد على النصارى وألزمهم بشد الزنار وركب الحمير ومنع ارتداء الأثواب المصقولة، وعدم التحدث مع المسلمين وهم راكبين[4].

أما زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون فقد تمكن النصارى من أمور الدولة وتولوا المناصب العليا وزاد ثراؤهم الذي ظهر جلياً عليهم؛ فازداد بطشهم وظلمهم للمسلمين، وقد لاحظ وزير ملك المغرب الذي جاء إلى مصر سنة (700هـ/ 1301م)؛ لأداء فريضة الحج ولزيارة الأمراء والسلطان، تسلطَ النصارى وإذلالهم للمسلمين، فأثناء مروره بإحدى الطرق لاحظ رجلا نصرانياً يمعن في إهانة المسلمين وإذلالهم وهم يقبلون قدميه وهو يعاملهم بكل غرور وتكبر، وقد أثارت تلك الحادثة حزن وغضب الوزير المغربي فاجتمع مع الأمراء وبكى بكاء

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج194/2؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج175/15.

(2) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج203/2–204.

(3) المصدر السابق، ج207/2.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 1014.

شديداً على حال المسلمين وقال للأمراء: "كيف ترجون النصر والنصارى تركب عندكم الخيول وتلبس العمائم البيض وتذل المسلمين وتشبههم في خدمتكم؟"[1]؛ ففرض عليهم سنة 700هـ/1301م الملك الناصر محمد بن قلاوون لبس العمائم الزرق[2]، وشد الزنانير على أوساطهم، ومنعهم عن ركوب الخيل والبغال[3]، ومن لم يلتزم بتلك الشروط أباح ماله ودمه؛ لكن بعض النصارى تكبروا عن لبس العمامة الزرقاء فاضطروا إلى الدخول في الإسلام عوضاً عن لبس العمامة الزرقاء وركوب الحمير[4].

ويتضح مما سبق ومما كتبه المقريزي أن معظم القيود الاجتماعية التي فرضت على النصارى تعود أسبابها إلى تمكن النصارى من الوظائف العليا في الدولة، وإسائتهم لاستخدام مناصبهم ونفوذهم، وتوظيفها لتحقيق مصالحهم الشخصية ولإهانة المسلمين والانتقام منهم والإمعان في إذلالهم؛ لذلك كانت أعمالهم السيئة بحق المسلمين ترتد عليهم بعد اكتشاف وتعاظم أمرهم، فتنقلب النعمةُ نقمةً ويعيشون في جحيم بعد النعيم؛ بسبب سوء فعلهم، وإن كانت الباحثة لا تؤيد مثل تلك الاجراءات التي لا أساس لها في الشريعة الإسلامية؛ لأنها تعد انتهاكاً لحقوقهم وتخالف العهد الذي تم مصالحتهم عليه زمن عمرو بن العاص، فكان الأجدر بالسلاطين والملوك محاسبة من يرتكب تلك الأخطاء من النصارى لا أن تعمم على جميع النصارى.

---

(1) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج2/ 337.

(2) تاريخ ابن الوردي، ابن الوردي، ج2/241؛ مسالك الأبصار، ابن فضل الله العمري، ج27/489؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 1017؛ الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج5/406؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج2/337-338؛ تاريخ الخميس، الديار البكري، ج2/381؛ أشرف الوسائل، ابن حجر الهيتمي، ص501.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3،1017.

(4) المصدر السابق، م4، 1017-1018.

المبحث الرابع:

الأحوال العمرانية للنصارى في مصر

أبدع المصريون القدماء في فن العمارة واشتهروا به منذ القدم وخير شاهد على ذلك الأهرامات الكثيرة في مصر التي بنيت من الطين واللبن والحجر، ومدرجاتها الرائعة دليل على الإبداع العمراني في مصر[1]، ومدن مصر القديمة، وأعمدة مدينة الإسكندرية التي بنيت من الرخام وعمود السواري[2]، حيث قدر عدد أعمدة الإسكندرية حوالي أربعمئة عمود من الرخام وتلك الأعمدة تدل على عظمة الفن المعماري في مصر منذ القدم[3]، ولم يقتصر الفن المعماري في مصر على القصور والأهرامات، فقد ذكر المقريزي أن أول بناء للبيمارستانات والميادين الرياضية كان بمصر[4].

أولاً: دور النصارى في النهضة العمرانية في مصر الإسلامية:

أثار الفن المعماري في الإسكندرية إعجاب المسلمين الفاتحين الأوائل وقائدهم عمرو بن العاص فعندما فتح الإسكندرية كتب للخليفة عمر بن الخطاب كتاباً يصف فيه روعة الفن المعماري فيها فقال: "فإني فتحت مدينة الإسكندرية، وهي مدينة لا أقدر أن أصف لك ما فيها، وهي ثلاث مدائن بعضها فوق بعض، تخطف الأبصار من شدة بياض حيطانها، وفيها من الأعمدة الرخام ما لا يحصى عددها، وبها منار في وسط البحر طوله نحو أربعمائة ذراع، ... وهذا المنار من جملة عجائب الدنيا، ليس في سائر الدنيا أعجوبة تشاكله، وبها عمود يقال له عمود السواري،... ووجدت بالمدينة أربعة آلاف دار محكمة البناء مفروشة بالرخام الملون، وفي كل دار منها حمام تختص بها، ووجدت بها أربعة آلاف ملهى برسم الملوك، ... ووجدت على هذه المدينة ثلاث أسوار مانعة"[5]، كما قال: "إنني افتتحت لك مدينة فيها اثني عشر ألف حانوت تبيع البقل[6].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 301.

(2) مروج الذهب، المسعودي، ج388/1.

(3) مروج الذهب، المسعودي، ج388/1-389؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 432-433.

(4) المواعظ والاعتبار (مج376/1).

(5) بدائع الزهور، ابن إياس،ج101/1-102.

(6) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص95؛ نهاية الأرب، النويري، ج308/19؛ الانتصار ، ابن دقماق، ج2/ 119؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 449؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج122/1.

كما وصف عمرو بن العاص حمامات الروم في الإسكندرية حيث تحدث عن عددها _اثنى عشر ألف حمام_ أصغر حمام يتسع لألف مجلس، كل مجلس يسع مجموعة من الأفراد[1].

ولا شك أن الفن المعماري في مصر أبهر المسلمين، الذين كانت حياتهم حياة بداوة في شبه الجزيرة العربية، بعيدة عن الفن المعماري والحياة المدنية التي كانت موجودة في مصر، فقد ذكر ابن خلدون أن المباني والمصانع في الدولة الإسلامية، ويقصد الحركة المعمارية في الدولة الإسلامية كانت قليلة وضعيفة مقارنة بالفن المعماري للدول السابقة في البلاد التي فتحوها، والتي كانت عامرة بمظاهر العمارة اليونانية والرومانية والفارسية والقبطية[2]، ويرجع ابن خلدون أسباب تأخر تطور الفن المعماري عند العرب؛ إلى طبيعة العرب التي تميل للبداوة، وقلة التواصل والاحتكاك الحضاري بالحضارات الأخرى قبل الإسلام[3].

بداية الفتوحات الإسلامية لم يهتم العرب في مصر كثيراً بالحركة العمرانية؛ بسبب الدافع الديني الذي كان يحظر على المسلمين الزيادة في العمران والتطاول فيه، فقد حظر الخليفة عمر بن الخطاب على المسلمين التطاول في البنيان[4]، وعند الفتح الإسلامي لمصر كانت مصر مليئة بالنصارى الروم والأقباط، وكان الأقباط هم أصحاب الحرف والصناعات والبناء في مصر[5]، وبما أن المسلمين حديثو العهد بمصر، وبحاجة إلى الاستقرار فيها، وتنقصهم المعرفة والخبرة في مجال البناء والعمران التي تمكنهم من بناء مدنهم وبيوتهم للاستقرار فيها فمن الطبيعي أن يستعينوا بالأقباط في بناء مدنهم وبيوتهم؛ بسبب خبرتهم واحترافهم صنعة البناء التي عملوا بها منذ عشرات السنين[6]، فقد اشتهر الأقباط ببراعتهم في فن العمارة وكان يستعان بهم في البناء خارج مصر حيث أن الذي بنى الكعبة في زمن قبيلة قريش رجل من النصارى الأقباط يسمى أبي قرم[7].

---

(1) فضائل مصر، ابن زولاق، ص61؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 449.

(2) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج447/1؛ بدائع السلك، ابن الأزرق، ج282/2.

(3) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج447/1.

(4) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج479/2؛ المسالك والممالك، البكري، ج427/1؛ تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج447/1.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(6) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج447/1.

(7) فضائل مصر، ابن زولاق، ص50.

تمتع النصارى في بداية الفتح الإسلامي بحرية الحركة المعمارية، كما أنهم تمتعوا بحق الملكية العقارية، فقد أصدر الخليفة عمر بن الخطاب في العهد الذي منحه إياهم حقهم في ذلك وحذر المسلمين من الاقتراب أو المساس ببيوتهم أو كنائسهم[1]، وكذلك فعل أول والٍ مسلم لمصر عمر وبن العاص في العهد الذي منحه إيّاهم فقال: "هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ..." [2].

فسمحوا لهم بالبناء والتعمير في المدن التي أسسها المسلمون في بداية الفتح الإسلامي، فأول مدينة بناها المسلمون في مصر: الفسطاط، وقد سمح المسلمون للنصارى بأن يبنوا فيها الكنائس، بينما بني في الفسطاط مسجدٌ واحد فقط [3].

وعندما أصبح عبد العزيز بن مروان والياً على مصر انتشر وباء الطاعون بها فتوجه إلى مدينة حلوان فأعجبته واشتراها من الأقباط فاتخذها مقراً له ولحاشيته[4]، فأمر العديد من القادة والأراخنة النصارى أن يبني كلُ فرد منهم بيتاً خاصاً به في حلوان، حيث بنى بطريرك الإسكندرية اسحق كنيسة للنصارى في حلوان[5]، وكان جلُّ كُتاب الدواوين زمن عبد العزيز بن مروان من النصارى الذين رحلوا معه وابتنوْا بيوتاً لهم فيها[6]، وكان له فراشين من النصارى الملكية يعملون في بيته فطلبوا منه بناء كنيسة فسمح لهم[7].

كما أنشأ بطاركة الاسكندرية الكنائس في مصر في ولاية القائد عمرو بن العاص، فبنى أغانو بطريرك الإسكندرية كنيسة مرقص في الإسكندرية[8]، ويبدو أن النصارى تمكنوا من بناء العديد من الكنائس والأديرة بكل حرية منذ الفتح الإسلامي وحتى الدولة الفاطمية، باستثناء حالات قليلة تعرضت فيها الكنائس للهدم والتدمير، وقد ذكر المقريزي أنه جرى تدمير أكثر من

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 998.

(2) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص 148.

(4) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج173/1.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج109/1.

(6) المصدر السابق، ج120/1.

(7) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج41/2.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 998.

ثلاثين ألف بيعة في زمن الحاكم بآمر الله، كان من ضمنها أعمدة ضخمة بناها الرومان وقد أثارت تلك المباني إعجاب المقريزي، ووصفها بالمبان العجيبة[1].

ويبدو أن النصارى في ظل الدولة الإسلامية كانت لهم الحرية المطلقة في بناء منازلهم ولم يتم تحديد مناطق معينة لهم للبناء فيها، فقد قام الطبيب أبو السعيد ابن قرقة النصراني ببناء دار مستقلة له، كما قام ببناء حمام له وعرفت تلك الدار بدار ابن قرقة[2].

وعندما بدأ عمرو بن العاص في بناء مدينته الفسطاط كان الأقباط أهم العمال والصناع الذين ساهموا في بنائها، فبنوا فيها القصور والبيوت الواسعة والكنائس وبنوا فيها المتنزهات والحدائق، وبذلوا كل ما بوسعهم لتصبح الفسطاط مدينة تضاهي مدن مصر الزاهية[3].

فالأقباط لم تكتف بمساعدة عمرو بن العاص ببناء الفسطاط، بل بنوا له الأسواق والجسور التي ساعدته في قتال الروم[4]؛ لذلك من الطبيعي أن يتأثر الفن المعماري الإسلامي في بدايته في مصر بالفن القبطي، فقد نقل المسلمون من المعابد والكنائس الكثير من التيجان والأعمدة واستخدموها في بناء جوامعهم ومنازلهم، فقد استخدمت الأعمدة القبطية في بناء جامع عمرو بن العاص[5]، بالإضافة أن المنبر الموجود في مسجد عمرو بن العاص نقل إليه من كنائس مصر، مما يدل على التأثر الكبير في الفن المعماري القبطي في مصر[6].

ولم يقف التأثير المعماري القبطي والروماني على المساجد والمدن بل على الحمامات أيضاً، تلك الحمامات التي استخدمها المسلمون بعد فتحهم لمصر، فقد اشتهرت حمامات النصارى بكبر حجمها واتساعها، حيث استخدم الروم في بنائها الرخام، وعندما فتح المسلمون مصر بنوا فيها حماماً صغيراً فعندما رأوا ذلك الحمام صغير المساحة مقارنة بحمامات الروم أطلقوا عليه اسم (حمام الفار) لصغر مساحته[7]، وكانت معظم أبنية النصارى في مصر من الرخام، وخاصة الحمامات التي بنيت جميعها من الرخام؛ وذلك بسبب توفره في مصر فبنوا منه الحمامات وأفنية بيوتهم وكذلك كانت توجد حجارة تسمى الكذان والتي تستخدم في تبليط

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 1008.

(2) المصدر السابق، م4، 204.

(3) تاريخ الأمة القبطية، روفيله، ص50.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص304؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 442.

(5) بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية، حسن.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 15.

(7) المصدر السابق، م30/2.

الأرضيات وتصميم الأدراج[1]، وقد امتدح الرحالة المقدسي مدينة تنيس التي معظم سكانها من النصارى حيث وصف بناء الحمامات في تنيس بأنه من أجود الأبنية التي شاهدها وأكثرها قوة ومتانة[2].

وفي زمن الخليفة العباسي المأمون الذي تمكن من القضاء على آخر انتفاضات الأقباط في مصر، انتشر المسلمون في القرى فحولوا العديد من الكنائس إلى مساجد وحولوا أبواب تلك الكنائس إلى محاريب؛ بسبب اختلاف جهة القبلة في تصميمها[3]، وذلك لا يدل على اضطهاد النصارى، وسلبهم حقوقهم بل أخذت تلك الكنائس بعد أن انتشر الإسلام بين النصارى في القرى واعتنقوا الإسلام فتحولت كنائسهم إلى مساجد[4].

تفوق النصارى في الهندسة المعمارية في الدولة الإسلامية، فكان أثرهم المعماري فريداً من نوعه ساهم في ازدهار الحركة المعمارية في الدولة الإسلامية، وظهر ذلك الدور النصراني جلياً في ولاية أحمد بن طولون على مصر، فكان ابن طولون شديد الرغبة في بناء جامع، خاصة بعد كثرة الشكاوى من قبل المسلمين؛ بسبب ضيق الجامع العتيق، فأراد بناء جامع يكون مختلفاً عن بقية جوامع مصر فقد قال أحمد بن طولون: "أريد أن أبني بناءً إن احترقت مصر بقي، وإن غرقت بقي"[5].

فبدأ ابن طولون بتطبيق فكرة بناء الجامع عام مائتين وثلاثة وستين للهجرة، وأراد بناءه فوق جبل يشكر فعندما بدأ بوضع مخطط الجامع احتاج إلى ثلاث مائة عمود، فأشار عليه مستشاروه بأنه لا يمكن أن يجدها إلا في أعمدة الكنائس المهجورة في الأرياف وفي القرى الخربة والأديرة، فرفض أحمد بن طولون فهو رفض أن يبني مسجدا يقوم على سلب حقوق الآخرين.

وبدأ ابن طولون يفكر في طريقة يبني فيها جامعه وقد أرهقه التفكير، فسمع مهندسٌ نصرانيٌ بقصة ابن طولون فعرض عليه أن يبني له جامعاً بعمودين فقط، دون الحاجة إلى ثلاثمائة عمود، فقبل ابن طولون فكرته وأعطاه مئة ألف دينار، وأطلق له الحرية في بناء الجامع بعد أن رسم مخططاً توضيحياً للجامع، فبدأ المهندس النصراني ببناء الجامع على جبل

---

(1) حسن المحاضرة، السيوطي، ج326/2.

(2) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج202/1.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 51.

(4) المصدر السابق، م4، 51.

(5) المصدر نفسه، م4، 64.

يشكر، وكان يقطع الحجارة من الجبل ويصنع منها الجير ثم يقوم ببناء الجامع إلى أن انتهى من بنائه، فقام بعد ذلك بتسوية جدرانه ودهنه باللون الأبيض وفرش فيه الحصر وزينه بالقناديل والسلاسل، فكافأه أحمد بن طولون بعشرة ألاف دينار، ومنحه هدايا كثيرة وراتباً شهريً حتى وفاته[1]، وقد أثار هذا الجامع إعجاب الكثير من الرحالة الذين عبّروا في كتاباتهم بأنهم لم يروا مثله[2]، كما بنى له المهندسُ النصرانيُ القناطرَ التي لم يُبنَ مثلُها في أي بلد إسلامي، وحاول البعض أن يقلدها لكنهم فشلوا في ذلك[3].

لا شك أن بعض المظاهر العمرانية للنصارى تعرضت للتدمير من قبل المسلمين في مصر كما ذكر المقريزي وخاصة الكنائس، وكذلك تعرضت منازل النصارى عام سبعمائة وخمس وخمسين للهدم، حيث كانت بيوت النصارى أكثر ارتفاعاً من بيوت المسلمين فأخذ بعض العوام الناقمين على النصارى؛ بسبب ظلم النصارى وتكبرهم على المسلمين، فتمكن بعض النصارى في الدولة من تقلد بعض المناصب العليا وأقاموا علاقات جيدة مع كبار الرجال السياسيين في الدولة الإسلامية، وتلك العلاقات استغلوها في ظلم المسلمين واضطهادهم فغضب منهم العامة فهاجموا بيوتهم وكنائسهم وهدموا ما علا من بيوتهم على بناء المسلمين[4].

وترى الباحثة بأن ما فعله العامة من هدم بيوت النصارى التي علا بناؤها على بنيان المسلمين حادثاً مؤسفاً لا أساس له في مبادئ الإسلام[5]، وعلى الرغم من أن الماوردي ذكر في كتابه أن من شروط الجزية المستحبة ألا يعلو النصارى في بيوتهم ومبانيهم على بيوت المسلمين، فيكونوا متساويين في البناء أو أقل علواً منهم[6]، فتلك الشروط لم ترد في العهد الذي صالحه عمر مع النصارى، بل بالعكس نص العهد على ألا تمس بيوتهم وألا تتعرض للأذى، ويؤيد بتلر ذلك فيرى أن الكثير من القيود التي فرضت على النصارى في دولة الإسلام لا

---

(1) سيرة أحمد بن طولون، البلوي، ص180-182؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 60-62. (62).

(2) سفر نامه، ناصر خسرو، ص100.

(3) سيرة أحمد بن طولون، البلوي، ص180-182.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1019-1020.

(5) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

(6) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص225.

أساس لها في العهود الإسلامية، بل أصبحت عادة متداولة وتلك العادة أصبحت قانوناً يطبقه الولاة في مراحل مختلفة، فبات الناس يتعاملون مع تلك القيود وكأنها جزء من الدين(1).

ثانياً: دور نصارى مصر في تطور العمارة في البلاد الإسلامية:

يبدو أن شهرة الأقباط النصارى في الهندسة المعمارية ذاع صيتها خارج مصر فاستعان بهم الخلفاء الامويون والعباسيون؛ ليساهموا في نهضة الحركة العمرانية في أرجاء الدولة الإسلامية، حيث أمر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك واليه على المدينة عمر بن عبدالعزيز بهدم المسجد النبوي وإعادة بنائه، مستعيناً بعمال البناء والمهندسين الأقباط والروم في مصر والشام والبالغ عددهم ثمانين، وأرسل معهم المال والفسيفساء والرخام فأعادوا بناءه بشكل أفضل مما قبل(2).

ذكرت بعض المصادر التاريخية بأن الوليد بن عبد الملك هو من طلب من ملك الروم بأن يبعث إليه خيرة البنائين والصناع ذوي الخبرة لبناء المسجد النبوي؛ فأرسل إليه ملك الروم أربعين من الأقباط وأربعين من الروم محملين بالفسيفساء(3)، فتولى الأقباط عمارة المسجد من الأمام أي مقدمة المسجد، أما الروم فكانت مهمتها عمارة سطح المسجد وجدرانه، وكان عمر بن عبد العزيز يباشر بنفسه عملية البناء ويتابعها، وأثناء مباشرته الإشراف على بناء المسجد وجد أحد أولئك النصارى قد رسم صورة للخنزير في صحن المسجد فقام بقتله(4)، فكان عمل الأقباط أدق واتقن وذلك بشهادة سعيد بن المسيب(5).

واستمر خلفاء الدولة الإسلامية في الاستعانة بالنصارى المصريين في عمليات البناء والعمران، فاستعان الخليفة العباسي المهدي بالبنائين في مصر وحملهم عبر البحر إلى مكة لإعمار المسجد الحرام، حيث قام بنقل ثلاثة من أعمدة الرخام بالإسكندرية عبر البحر إلى جدة إلى المسجد الحرام وساهم الصناع الأقباط في إعادة بناء المسجد الحرام، ويبدو أن إعادة بناء المسجد الحرام كانت تقع على كاهل المصريين، حيث تم تزيين أروقته وممراته بالفسيفساء، حيث دوّن هؤلاء البناؤون أسماءهم على جداران المسجد(6)، وقد ذكر أحد الرحالة أن منارة

(1) فتح العرب لمصر، بتلر، ص464.

(2) فتوح البلدان، البلاذري، ص17.

(3) آثار البلاد، القزويني، (ص108)؛ وفاء الوفاء، السمهودي، ج2/94.

(4) وفاء الوفاء، السمهودي، ج2/94.

(5) المصدر السابق، ج2/97.

(6) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج1/73.

مسجد مدينة سامراء تشبه منارة جامع ابن طولون مما يدل على عظمة بنائه الهندسية[1]، فأصبح يضرب به المثل بسبب روعة بنائه.

ذكر أحد المؤرخين المعاصرين بأن الكثير من أوراق البردي التي عثر عليها تبرز دور الأقباط والنصارى في مصر في تطور الحركة العمرانية في البلاد الإسلامية، حيث وضحت أوراق البردي العديد من الرسائل التي أرسلها قرة ابن شريك لزعماء المناطق يطلب منهم عمال بناء للعمل في بناء المسجد الأموي وبناء قصور الخلفاء الأمويين، وتوضح تلك الأوراق مدة عمل العمال وأجرتهم[2].

ومما سبق يتبين أن النصارى لهم دور بارز في نهضة الحركة العمرانية الإسلامية في مصر، تلك الحركة التي تطورت فيما بعد وأصبحت العمارة الإسلامية لها طراز خاص يميزها عن غيرها.

---

(1) الاشارات إلى معرفة الزيارات، الهروي، ص65.

(2) الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، أبو سيدرة، ص268.

المبحث الخامس:
الأحوال العلمية للنصارى في مصر

تحتل مصر مكانة علمية مرموقة منذ القدم، فهي تعد مركز معظم العلوم المختلفة، فتاريخ مصر وآثارها العمرانية دليل واضح على مدى تطور العلوم في مصر منذ القدم[1]، فقد ذكر ابن صاعد الأندلسي والذي نقل عنه المؤرخ المقريزي أن النبي إدريس الذي سكن صعيد مصر الأعلى يعد أبو العلوم كلها، وأن كل العلوم التي صدرت قبل الطوفان صدرت عنه، فهو أول من تحدث عن حركات النجوم، وأول من ابتنى الهياكل، وأول من أبدع في مجال الطب[2]، ثم ظهر بمصر بعد الطوفان مجموعة من العلماء البارعين في الطب والفلسفة والرياضيات والطبيعة والكيمياء، فكانت مصر بيت العلم ومدينة منف خاصة، ثم تحولت دار العلم إلى الإسكندرية فكانت بمثابة بيت الحكمة، وعدّدَ ابن صاعد بعض علماء مصر الأوائل الذين برعوا في العلوم المختلفة[3].

لم يكن ابن صاعد أول من يتحدث عن براعة المصريين في مجال العلوم المختلفة فقد وصف ابن زولاق والمقريزي بأن علماء مصر كانوا سبباً في عمارة العلم، وانتشاره في بقاع الأرض، فقد برع علماؤها في مجال الطب والهندسة والكيمياء والنجوم والمساحة والطلسمات، فكانت مصر قديماً محطَ أنظار طلاب العلم، يأتون إليها من مختلف البلدان لتلقي العلم فهي بمثابة مركز لتنمية ذكائهم ولتعلمهم الفطنة وتطوير عقولهم[4].

ويتضح من ماسبق أهمية مصر العلمية منذ القدم وعبر مراحل تاريخها، أما بالنسبة للنصارى الذين كانوا يسكنون مصر سواء الروم أو الأقباط فلا بد أنهم استفادوا من تلك العلوم التي خلفها العلماء السابقون في مصر، فقد ذكر المقريزي أنه في عهد الخلافة الأموية دخل والي مصر الأموي عبد العزيز بن مروان الإسكندرية وتوجه إلى عالم من علماء الروم الموجودين فيها؛ ليخبره عن بعض المعلومات عن الإسكندرية وسكانها، مما يدل على أنه في العصر الإسلامي كانت مصر مليئة بالعلماء النصارى، الذين استعان بهم المسلمون واستفادوا من علومهم[5].

---

(1) طبقات الأمم، ابن صاعد، ص38.

(2) المصدر السابق، ص39؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 75.

(3) طبقات الأمم، ابن صاعد، ص39.

(4) فضائل مصر، ابن زولاق، ص19–20؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 74.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 439.

أولاً: العلوم التي برع فيها النصارى:

ذكر المقريزي بشكل غير مباشر بعض العلوم التي برع فيها النصارى في مصر ولعل أبرز تلك العلوم الطب والهندسة والتي سنتناولها بالتفصيل في هذا المبحث.

1- الطب

برع النصارى في علم الطب في مصر وظهر منهم العديد من الأطباء الحاذقين في مهنتهم، ذوو الخبرة والكفاءة في هذا المجال، فاستعملهم الخلفاء المسلمون والسلاطين وقربوهم منهم حتى أصبحوا من خواصهم، ومن أبرز أولئك الأطباء الذين ذكرهم المقريزي في كتابه:

أ- الطبيب بلطيان بطريرك الإسكندرية:

كان بلطيان من أعلام الطب في مصر وأشهر أطبائها زمن الخلافة العباسية، ومن القصص التي تدل على مهارته في الطب أن الخليفة هارون الرشيد تلقى هدية من قبل واليه على مصر[1]، عبيد الله بن المهدي سنة مئة وتسع وسبعين[2]، والهدية كانت عبارة عن جارية من اليمن جاء بها من أسفل الأرض بمصر وكانت تلك الجارية شديدة الجمال، فأحبها هارون الرشيد كثيراً وأصبحت من أقرب مَحظِياته، إلى أنْ أصابها مرض عجز أطباء العراق عن معالجته، فعرض عليه مستشاروه أن يرسل إلى والي مصر عبيد الله ليبعث إليه بأحد أطباء مصر فإنهم أكفأ وأقدر على علاج تلك الجارية، فأرسل هارون الرشيد إلى واليه بأن يختار له أمهر الأطباء بمصر فاستدعى عبيدالله الطبيب بلطيان وأخبره بأمر الجارية وما أصابها من مرض، وكان بلطيان عبقرياً في الطب[3].

ويبدو أن بلطيان شخّصَ حالتها من مصر، فتوجه إلى العراق حاملاً معه كعك مصر الخشن والصير، فلما وصل إلى بغداد ودخل على الجارية أطعمها الكعك الريفي الخشن والصير، فشفيت تماماً من علتها وذهبت ما بها من أوجاع، فقد علم أن سبب مرضها هو حنينها لوطنها، ومنذ ذلك الوقت أصبح يصدر ذلك الكعك المصري والصير إلى بغداد ويدخل إلى خزائن الخليفة، فكافأه هارون الرشيد الكثير من الأموال[4]، وكتب هارون الرشيد لبطريرك الإسكندرية كتاباً يتضمن استرجاع الملكانية جميع كنائسهم التي أخذها منهم اليعاقبة، فعادت

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 205.

(2) كتاب الولاة، الكندي، ص106.

(3) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/51-52؛ عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص540.

(4) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/51-52؛ عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص540.

جميع كنائس الملكية إليهم، واستمر بلطيان بطريركاً للإسكندرية أربعين عاماً في منصبه، ويبدو أن الأطباء في عهد الدولة الإسلامية كان لهم نفوذ كبير جداً، فالأطباء كما سبق يبدو أنهم استغلوا مهارتهم بالطب لتحقيق أغراض ومنافع لهم، فبطريرك الإسكندرية تمكن بفعل مهاراته في الطب من استغلال الموقف واسترجاع كنائس الملكية من اليعاقبة[1].

ب- أبو سعيد بن قرقة الحكيم:

من جملة الذين ذكرهم المقريزي طبيب نصراني كان حاذقاً بالطب، ولم يكن بارعاً بالطب فقط بل برع في الطب والهندسة والصيدلة وغيرها من العلوم الأخرى[2]، تولى إدارة دار الديباج زمن الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله، وتلك الدار كانت بمثابة مصنع للحرير والديباج للخلفاء الفاطميين ولا يتولى أمرها إلا أفضل الناس والشخصيات البارزة في الدولة، بالإضافة إلى أنه كان مسئولاً عن مخازن الأسلحة ومخازن السروج، والمصانع[3].

يعد ابن قرقة من الأطباء المقربين إلى الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله، فعندما قامت ثورة الجنود والأمراء على الحافظ وطالبوه بقتل ابنه الحسن ولي عهده الذي كان على عداوة مع الأمراء والجنود، والذي فرّ إلى أبيه بعدما ضاق الحال به وتفرق عنه جنوده، فأرسل الحافظ إلى الجنود والأمراء الثائرين بأنه قام باعتقال ابنه، لكنهم رفضوا إجراءات الحافظ وأصروا على قتل ابنه الحسن، وهددوا الحافظ بحرق القصر ومن فيه.

وعلى الرغم من إغراءات الحافظ لجنوده بالأموال والهدايا وتعهده بأن الحسن لن يضرهم بعد ذلك، إلا أنهم أصروا على قتله، فما كان من الحافظ إلا أن استعان بأطبائه المقربين ليعينوه على قتل ابنه بطريقة سهلة وسريعة، فاستعان بالطبيب اليهودي أبي منصور لعمل مشروب لابنه لقتله، فرفض أبو منصور وادّعى أنه لا يعرف صناعة السم، فتركه وطلب من أبي قرقة فأحضر له سما قاتلاً، فأجبر الحافظُ ابنه الحسن على شرب السم فشربه فقتل[4]، لكن بعد أن هدأت الثورة ومضى على قتل الحسن بعض الوقت لم ينس الحافظ ما فعله ابن قرقة فقام بأسره

---

(1) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج2/51-52؛ عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص540؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1002.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 205.

(3) المصدر السابق، م2، 519.

(4) اتعاظ الحنفاء، المقريزي، ج3/154؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج5/242-243.

بخزانة البنود وقتله عام خمسمائة وتسعة وعشرين[1]، كما قام الحافظ بمصادرة جميع أملاك ابن قرقة وأمواله وأمر بإعادتها إلى الديوان[2].

ت- الرشيد أبو الوحش بن أبي حليقة:

هو قسٌ وطبيبٌ نصرانيٌ بارعٌ في علم وصناعة الطب، وهو والد رئيس الأطباء علم الدين وتوفي هذا الطبيب سنة ستمائة وست وسبعين للهجرة[3]، اشتهر بأبي حليقة وسبب شهرته أن الملك الأيوبي الكامل محمد بن العادل طلب من أحد خدمه أن يستدعيَ أحد الأطباء الموجودين بالباب، فالتبس على الخادم الأمر وسأل الكامل أي طبيب منهم، فقال له: أبو حليقة، فخرج الخادم وناداه بذلك اللقب فاشتهر به، وتوفي الطبيب الرشيد سنة ستمائة وست وسبعين[4]، وعمره خمس وثمانون سنة [5].

ث- الطبيب علم الدين أبو النصر جرجس بن أبي حليقة:

هو إبراهيم بن أبي الوحش بن أبي حليقة علم الدين ابن الرشيد، مسئول أطباء مصر والشام، كان إبراهيم نصرانياً متدينا لدرجة أنه رشح نفسه للبطريركية لكنه لم يحصل عليها فاعتنق الدين الإسلامي، وترقّى إلى أن أصبح رئيس الأطباء، وهو أول من جعل شراب الورد الطري وقام بمعالجة السلطان الظاهر بيبرس فشفي من مرض أصابه على يد علم الدين؛ فمنحه الكثير من الأموال[6]، توفي مسئول الأطباء في مصر والشام سنة سبعمائة وثمان[7]، وترك خلفة ثروة تقدر بحوالي ثلاثمائة ألف دينار[8].

ج- الطبيب مهذب الدين أبوسعيد محمد بن علم الدين بن أبي الوحش بن أبي حليقة:

ولد المهذب في مدينة القاهرة سنة ستمائة وعشرين للهجرة، كان نصرانيا وأسلم في زمن السلطان المملوكي بيبرس، سمى نفسه باسم محمد، قد وصفه ابن أبي أصيبعة بأنه أوحد

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 205؛ اتعاظ الحنفا، المقريزي، ج155/3؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج242/5-243.

(2) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج243/5.

(3) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج258/50.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م471،4.

(5) تاريخ الإسلام، الذهبي، ج258/50.

(6) الدرر الكامنة، ابن حجر العسقلاني، ج85/1.

(7) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، ج427/2.

(8) العبر، الذهبي، ج18/4.

العلماء وأكمل الحكماء؛ بسبب ذكائه الفريد وفطنته وبراعته في علم الطب ومعرفته بفروع الطب بشكل لا يستطيع أحد أن ينافسه من أطباء عصره، كما اتصف بخلقه النبيل وحسن تعامله وتواضعه، وكان طبيب السلطان بيبرس، وبيبرس يحترمه ويقدره ويجزل له العطاء، وكان لمهذب أخوان طبيبان، وهما: موفق الدين أبو الخير الذي برع في صناعة الكحل وألّف للسلطان الأيوبي نجم الدين أيوب كتاباً في الكحل قبل أن يُتم العشرين عاماً، وأخوه الثاني علم الدين أبو النصر وهو الأصغر سناً، كان ذا ذكاء فريد بارعاً في علم الطب، وكان مهذبُ الدين قد ألّف كتابا في الطب لم يذكر ابن أبي أصيبعة اسمه[1]، برع في علم الطب ، وتولى رئاسة الأطباء في مصر سنة ست مائة وأربع وثمانين، كان يدرس الطب في البيمارستان المنصوري، كما أنه قام ببناء المدرسة المهذبية خارج مدينة القاهرة[2].

الأطباء الذين سبق ذكرهم هم من ذكرهم المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار)، وذلك لا يعني أن الأطباء النصارى في الدولة الإسلامية مقتصرون على أولئك؛ بل يوجد الكثير من الأطباء النصارى في مصر لم يشر إليهم المقريزي في كتابه، بل أشارت إليهم الكتب الأخرى مثل: كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، الذي ذكر في كتابه أسماء أكثر من أربعة عشر طبيباً نصرانياً في مصر، كلهم كانوا حاذقين بالطب لهم مكانتهم وقدرهم واحترامهم عند الخلفاء والسلاطين المسلمين.

ومن أشهر الأطباء النصارى الذين أشارت إليهم تلك الكتب، سعيد بن توفيل طبيب نصراني، كان الطبيب الخاص لأحمد بن طولون، يرافقه في أسفاره، حدث بينه وبين أحمد بن طولون خلافٌ قبل وفاته، وتوفي سعيد سنة مائتين وتسع وتسعين[3]، وكذلك اشتهر الطبيب النصراني نسطاس بن جريح في الدولة الإخشيدية زمن إخشيد بن طغج، وكان من علماء الطب، له مؤلفات في علم الطب مثل: كناش، وله رسالة في البول[4]، كذلك سعيد ابن البطريق فهو طبيبٌ نصرانيٌ ذو شهرة كبيرة، ولم يقتصر علمه على الطب بل كان عالماً في طوائف ومذاهب ودين النصارى[5]، ولد سنة مئتين وثلاث وستين للهجرة في عهد الخليفة العباسي

(1) عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص395-396.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 598.

(3) سيرة ابن طولون، البلوي، ص319 -320؛ عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص541-544؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج127/15.

(4) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، ص251؛ عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص544.

(5) عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص545؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج127/15؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج539/1.

القاهر بالله أحمد بن محمد المعتضد بالله، كان بطريرك الإسكندرية لحوالي سبع سنوات، وله مؤلفاتٌ كثيرة منها: كتاب في الطب (علم وعمل)، و(كناش) توفي عام ثلاثمائة وثمان وعشرين؛ بسبب مرض سبب له إسهالاً، كما كان لسعيد بن البطريق أخ عالم في الطب والصيدلية اسمه عيسى بن البطريق كان مقر اقامته مدينة مصر[1].

وكذلك اشتهر الطبيب يوسف النصراني زمن الخليفة الفاطمي العزيز بالله بعلم الطب وعلوم أخرى، فأرسله العزيز ليصبح بطريركاً في بيت المقدس ثم توفي ودفن في مصر[2]، واشتهر زمن العزيز الطبيب سهلان بن عثمان بن كيسان النصراني، وكان طبيباً وصيدلانياً بارعاً للخلفاء الفاطميين، فعمل طبيباً خاصاً للمعز لدين الله و العزيز بالله[3]، الذي أجزل له العطاء ومنحه أموالاً كثيرةً وأكرمه حتى في وفاته[4]، توفي سنة ثلاثمائة وثمان وسبعين[5]،

وكذلك اشتهر الطبيب أبو الفتح بن سهلان بن مقشر زمن العزيز بالله والحاكم بأمر الله فقد كان عالماً بالطب[6].

من الأطباء النصارى الذين كانت لهم مكانة مرموقة في مصر الطبيب اسحق ابن إبراهيم بن نسطاس الذي لمع في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، وكان ذلك الطبيب النصراني الطبيب الخاص للحاكم[7]، كذلك اشتهر العديد من الأطباء النصارى في زمن الدولة الأيوبية بمصر[8]، مثلما استعان بعض السلاطين الأيوبيين بالرهبان لمعالجتهم ومداوتهم، فقد استعان السلطان الكامل أثناء قيامه بجولة في مصر براهب متعبد في صومعة؛ لمعالجته من مرض أصابه فعالجه الراهب فشفي منه[9].

---

(1) عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص545-546؛ الوافي بالوفيات، الصفدي، ج127/15.

(2) عيون الأنباء، ابن ابي أصيبعة، ص545.

(3) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، ص202.

(4) عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص549.

(5) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، ص202.

(6) عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص549.

(7) المصدر السابق،ص544.

(8) المصدر نفسه، ص587.

(9) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج99/2.

2- الهندسة:

من العلوم التي برع فيها النصارى في مصر علم الهندسة، فقد وصف ابن زولاق والمقريزي مصر بأنها موطن العلوم، فقد خرجت منها العلوم التي عمرت الدنيا، لذلك وفد إليها طلاب العلم من جميع أصقاع الأرض، ومن تلك العلوم التي برع فيها المصريون القدماء علم الهندسة [1].

لم يتطرق المقريزي في كتابه إلى ذكر أسماء مهندسين نصارى لكنه اكتفى بالإشارة إلى مهندس نصراني بارع، وصفه بأنه مهندس حاذق، وهو سعيد بن كاتب الفرغاني، الذي بنى مسجد ابن طولون، فقد كان مهندساً بارعاً بنى لابن طولون عينَ ماءٍ تصل مياهُها إلى جميع القطائع التي بناها ابن طولون، وكانت تلك العين بمثابة معجزة هندسة فريدة من نوعها، فقد حاول الماذرائيون أن يقلدوا تلك العين ويبنوا مثلها وأنفقوا على ذلك أموالاً طائلةً لكنهم عجزوا أن يبنوا مثلها[2]، وإن دلّ ذلك فإنه يدل على عبقرية المهندس الفرغاني الذي بناها رغم أن بناءه لها كان سببا في سوء ظن ابن طولون به مما أدخله السجن، ولكنه خرج من السجن بعدما عرض على ابن طولون أن يقوم ببناء جامعه بطريقة فريدة عجز عنها مهندسو عصره، وقبل أن يبنيه عرض خارطة ذلك الجامع على ابن طولون حيث صوره لابن طولون على الجلود، فأعجب به ابن طولون فبناه كما ذكرنا قصته من قبل[3]، وآثار ذلك الجامع إعجاب الرحالة حيث وصفه ابن جبير بأنه: "من الجوامع العتيقة الأنيقة الصنعة الواسعة"[4]، فأعجبوا بجدرانه وبراعة بنيانه التي لم يروا مثلها[5]، كذلك أصبحت منارته من أروع التصاميم الهندسية حيث من عظمتها شبهت بها منارة جامع مدينة سامراء[6].

3- التاريخ والعلوم الفلسفية والدينية:

ظهر العديد من المؤرخين النصارى في الدولة الإسلامية في مصر الذين أصدروا العديد من المؤلفات التاريخية التي تتعلق بتاريخ النصارى، بالإضافة إلى العديد من المؤلفات التي تتعلق بالديانة النصرانية، لم يشر إليهم المقريزي في كتابه لكنه نقل عنهم بعض الأحداث

---

(1) فضائل مصر، ابن زولاق، ص19-20؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 74.

(2) سيرة ابن طولون، البلوي، ص181.

(3) المصدر السابق، ص182.

(4) رحلة ابن جبير، ج25/1.

(5) سفر نامه، ناصر خسرو، ص100.

(6) الإشارات إلى معرفة الزيارات، الهروي، ص65.

التاريخية في مصر، ووجدت الباحثة أثناء بحثها بعض المعلومات عن أولئك المؤرخين والفلاسفة، ومن هؤلاء المؤرخين يوحنا النقيوسي الذي يعد شاهداً على الفتح الإسلامي لمصر وهو أول من أرخ لها من النصارى فكان كتابه يحمل وجهة نظر نصرانية تجاه الفتح الإسلامي[1].

ومن أشهر المؤرخين النصارى في مصر سعيد بن البطريق الذي برع في علم التاريخ وألف كتابَ التاريخ المجموع وقد التقى بالمسعودي بالفسطاط[2]، كما كان عالماً بعلوم النصارى الدينية وفرقهم ومذاهبهم، ومن مؤلفاته: كناش، كتابُ الجدل بين المخالف والنصراني، وكتاب (نظم الجوهر) وألّف ثلاث مقالات إلى أخيه عيسى في أحكام صوم النصارى وأعيادهم وتاريخهم[3]، فقد وصفه ابن فضل الله العمري بأنه عالم بشريعته[4]، وقد ألّف كتابه التاريخ المجموع الذي عرض الأحداث التاريخية منذ تاريخ آدم إلى ما بعد الخلافة العباسية[5].

وضمن المؤرخين والعلماء النصارى أيضا ساويرس بن المقفع مؤلف كتاب: تاريخ البطاركة، وقد نقل عنه المقريزي الكثير من الأحداث التاريخية، وكان من الكُتاب المعروفين في الدولة الإخشيدية وعاصر الدولة الفاطمية، وهو أحد علماء الكنيسة، ألّف أكثر من عشرين كتاباً بقي بعضها وضاع البعض الآخر[6].

ومن مؤرخي النصارى السريان المشهورين في مصر جرجس بن العميد بن إلياس المشهور بابن العميد ويلقب المكين، ولد في القاهرة، كان من الكتاب الذين يعملون في ديوان الجيش تم صرفه عن ذلك الديوان؛ بسبب وشاية وسجن ثم هاجر إلى دمشق، وأشهر مؤلفاته: المجموع المبارك، وهو يتألف من قسمين: القسم الأول يتحدث عن التاريخ القديم وحتى ظهور الدين الإسلامي، أما القسم الثاني يتألف منذ ظهور الإسلام وحتى عصر السلطان المملوكي الظاهر بيبرس[7].

---

(1) تاريخ مصر، حنا النقيوسي، ص3.

(2) التنبيه والاشراف، المسعودي، ج132/1؛ عيون الإنباء، ابن أبي أصيبعة، ص545.

(3) الوافي بالوفيات، الصفدي، ج62/5.

(4) مسالك الأبصار، ابن فضل الله العمري، ج593/9.

(5) التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج3/1–4.

(6) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/المقدمة.

(7) الأعلام، الزركلي، ج116/2.

اهتم بعض الولاة في مصر بالعلماء وقربوهم منهم وأكرموهم، ومن أبرز أولئك الولاة أحمد بن طولون الذي قرب شيخاً قبطياً منه، يبلغ من العمر مئة وثلاثين سنة، وهو على مذهب اليعاقبة، وكان ذلك الشيخ غزير العلم والمعرفة على اطلاع واسع بالعلوم والفلسفة والتاريخ، وعلى خبرة ودراية بالدول وملوكها ومذاهبها وخبير بعلم النجوم والفلك، وكان ذلك الشيخ منعزلاً بصومعة بعيداً عن الناس، فسمع به أحمد بن طولون فأرسل إليه أحد قادته ليأتي به إليه معززاً مكرماً، فقربه منه وأكرمه، ورافقه أياماً وليالٍ طوالاً مستفيداً من علمه وخبرته، وكان أحمد بن طولون يسأله عن الأمم السابقة وعن المدن وحاوره طويلاً، كما ناظر ذلك الشيخ جماعة من اليهود وأوضح زيف عقائدهم، ومكث ذلك الشيخ عند ابن طولون سنة وحينما رحل منحه ابن طولون بعض المال وأجزل له العطاء، لكنه رفض أن يأخذ أي مال من أحمد بن طولون[1].

ثانياً: حرق مكتبة الإسكندرية:

أشار المقريزي بشكل موجز في كتابه إلى رواية تداولتها بعض الكتب التاريخية والتي تسيء إلى الفاتحين المسلمين، وتظهرهم بمظهر الجهلة الذين لم يأبهوا بأهمية مصر العلمية، وميراثها الثقافي، لم يذكر المقريزي تفاصيل الرواية ولكنه أشار إلى حرق عمرو بن العاص لخزانة الكتب في الإسكندرية دون التطرق إلى قصة ذلك الحريق[2]، وكذلك أشار ابن اللباد إلى حرق عمرو بن العاص لخزانة الكتب[3]، وأشار ابن عبرى لقصة الحريق، لكنه لم يذكر تفاصيلها في كتابه (تاريخ مختصر الدول)[4].

القصة كما يرويها القفطي أنّ يحيى النحوي النصراني توجه لعمرو بن العاص بعد خلاف ديني بينه وبين الأساقفة في الاسكندرية؛ أدى إلى تجريده من منصبه الكنسي، وكان عمرو بن العاص أعجب بعقليته وفلسفته، فطلب يحيى من عمرو الاطلاعَ على الكتب الموجودة بمكتبة الإسكندرية، فاستشار الخليفة عمر بن الخطاب قبل التصرف بالكتب التي توجد بالمكتبة فأشار عليه الخليفة عمر بن الخطاب بالتخلص من الكتب التي فيها؛ بحجة أن بعض كتبها مخالف للإسلام والبعض الآخر القرآن يغني عنه، ففيه كل العلوم التي يحتاجها

(1) المسالك والممالك، البكري، ج1/509-512.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 432.

(3) الإفادة والاعتبار، ص28.

(4) تاريخ مختصر الدول، ج1/103.

المسلمون، ولا حاجة للمسلمين بغيره من الكتب فقام عمرو بن العاص بتوزيعها على حمامات الاسكندرية وحرقها فأحرقت واستمر حرقها لمدة ستة أشهر [1].

ناقش العديد من المؤرخين المعاصرين والمستشرقين قصة حرق كتب الإسكندرية، وفندوا ذلك الافتراء بالأدلة المنطقية والتاريخية التي تثبت عدم صحة تلك الرواية، فالمؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون أكد أن تلك الرواية لا أساس لها من الصحة، وأن حرق مكتبة الاسكندرية من الأعمال الشنيعة التي ترفضها عادات العرب، ويتعجب كيف اقتنع بعض مؤرخي العرب بتلك القصة ووثقوها في كتبهم[2].

ومن الأدلة التي تثبت بطلان تلك الرواية أن قصة الحرق لم يذكرها المؤرخون المسلمون إلا بعد أكثر من مرور خمسة قرون على فتح الإسكندرية، فلم نجدها في كتب ابن الحكم واليعقوبي والبلاذري، ولو كان أولئك المؤرخون متعصبين للمسلمين وتجاهلوا تلك القصة! فلماذا خلت كتب مؤرخي النصارى منها، مثل: يوحنا النقيوسي، وساويرس بن المقفع، وسعيد بن البطريق التي لم نجد تلك الرواية في كتبهم![3]

أشار بتلر في كتابه إلى كذب تلك الرواية ووصفها بأنها نسج من الخيال، ويفترض أن عمرو بن العاص كان أجدر به أن يعطيها لصدقيه يحيى بدلاً من أن يحمل الناس مشقة حملها إلى الحمامات لحرقها، وكما يتساءل عن سبب مكان حرقها، فلماذا لم يحرقها في مكانها بدلاً من حرقها في الحمامات؟ كما أن معظم كتبها كانت من الرق وهو لا يصلح أن يكون وقوداً[4]، ومن الأدلة التي تبين بطلان تلك الرواية أن يحيى لم يكن على قيد الحياة عام 642م؛ لأنه ألف قبل عام 527م، أي قُدر زمنُ وفاته قبل الفتح بثلاثين أو أربعين عاماً[5].

بالإضافة إلى أن مكتبة الاسكندرية قبيل وصول المسلمين عام 642م كانت لا تحتوى على شيء من كتب البطالمة، فقد أحرقت المكتبة مرتين: مرة منذ زمن يوليوس قيصر عندما وقف مع كليوبترا ضد أخيها سنة 48 ق.م، والمرة الثانية في القرن الرابع الميلادي عندما غلبت

---

(1) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، القفطي، ص265–266.

(2) حضارة العرب، ص225.

(3) سيدة مصر في فجر الإسلام، كاشف، ص332.

(4) فتح العرب لمصر، ص421.

(5) المصدر السابق، ص422.

المسيحية على سكان الإسكندرية[1]، فقام السكان المسيحيون المتعصبون لدينهم بالهجوم على ما تبقى من الوثنية وكانت مكتبة الاسكندرية من جملة ما تبقى من الوثنية[2].

كما يشير الباحث الخربوطلي إلى دليل منطقي يوضح عدم صدق تلك الرواية وهي أن كتب المكتبة باتت وقوداً لأربعة آلاف من حمامات الإسكندرية لمدة ستة أشهر، فليس من المنطقي أن تكون كتب مدينة الإسكندرية بهذا العدد الضخم الذي يستمر وقوداً لمدة ستة أشهر! فلو كانت لديه رغبة في تدمير المكتبة لدمر المكتبة في بضع ساعات[3].

ثالثاً: المراكز العلمية للنصارى في مصر

لم يشر المقريزي في كتابه بوضوح إلى المراكز العلمية للنصارى في مصر أو أماكن تلقي العلم وتعلمها، فالمدارس لم تنشأ في مصر في العهد الإسلامي، بعد الأربعمائة سنة من الهجرة[4]، وأول المدارس التي أنشأت في مصر أنشأت في عصر الخلافة الفاطمية زمن العزيز بالله[5].

ومن خلال اطلاع الباحثة على كتاب (المواعظ والاعتبار) يتبين أن معظم المدارس كانت تُدرس فيها المذاهب الدينية الإسلامية، ولكن هذا لا يعني أن النصارى حرموا من إنشاء المدارس، بل أنشأ بعض النصارى مدارس، مثل: الطبيب مهذب الدين محمد بن أبي الوحش مسئول الأطباء في مصر، والتي خصصها لتدريس الطب للطلاب المسلمين وغير المسلمين[6].

ويبدو أن النصارى في مصر اتخذوا من الكنائس والأديرة مراكز علمية لهم، فكانت تلك الأديرة والكنائس بمثابة مركز للعلوم الدينية النصرانية، ومن أمثلة تلك المراكز دير القلاية بمصر ويعد ذلك الدير بمثابة مركز ومجمع لعلماء النصارى ورهبانهم[7]، كما يعد دير أبو

---

(1) تاريخ المسيحية الشرقية، سوريال، ص103-104.

(2) اضمحلال الإمبراطورية الرومانية، جيبون، ج93/3.

(3) الإسلام وأهل الذمة، ص162.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 451.

(5) المصدر السابق، م4، 451.

(6) المصدر نفسه، م4، 598.

(7) المصدر نفسه، م4، 1025.

هرمينة مركزاً علمياً كبيراً للنصارى، فوجد به الكثير من الكتب وعلوم الحكماء[1]، فكثيراً ما لجأ علماء ورهبان النصارى إلى الأديرة، ليتفرغوا فيها للعبادة والعلم[2].

كما تعد الأديرة مركزا علمياً للكثير من الرهبان العلماء المتعمقين في الدين النصراني والمفسرين للكتب الدينية، كذلك تعد الأديرة مركزاً للنساخ النصارى، ينسخون فيها كتبهم، وكتب الأوائل من النصارى، مثل: دير الحاجر وميكائيل ودير تحرفونة[3].

كما كان الرهبان النصارى يتخذون الأديرة مركزاً للعبادة ومكاناً لتأليف كتبهم، مثل: دير موسى الذي لجأ إليه أبو موسى الأسود وألّف فيه العديد من الكتب[4]، كذلك الكنائس تعد مركزاً للعبادة والعلم حيث صنف فيها العديد من البطاركة والأساقفة مؤلفات دينية كثيرة مثل بطريرك خايال الذي اشتهر بحكمته وخبرته بالكتب الدينية المقدسة وبرع في العلوم الدينية[5]، وشنودة الراهب الذي صنف عدة كتب في كنيسة شنودة[6].

كذلك كانت تعد القلايات مراكز علمية عند النصارى[7]، والقلاية: هي مركز للعبادة عند النصارى مثل الصومعة[8]، أي أنها بيت من بيوت العبادة عندهم[9]، وهي دار الأسقف التي يعيش فيها[10]، فكان رجال الدين يعلمون التلاميذ في القلاية، مثل: قلاية دورودي التي كان يتعلم بها الأطفال مجتمعين حول رجل الدين على شكل حلقة، وكانت تعليمهم في القلايات يتركز على تعلم الأمور الدينية[11]، وكذلك بنوا المدارس الخاصة بهم، فقد ذكر يوساب أن الصبية بالمدارس تعلموا من البطريرك شنودة أن يكتبوا باسم المسيح إلهاً ومخلصاً، مما يدل على أن النصارى كانت لهم مدارس خاصة بهم يتعلمون فيها مبادئ المسيحية[12].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م4، 1034.

(2) المصدر السابق، م4، 1034-1036.

(3) المصدر نفسه، م4، 1043.

(4) المصدر نفسه، م4، 1054.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج1/2.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1063.

(7) تاريخ البطاركة، يوساب، ص148.

(8) النظم المستعذب، بطال، ج305/2.

(9) القاموس الفقهي، سعدي، ص308.

(10) تكملة المعاجم العربية، دوزي، ج375/8.

(11) تاريخ البطاركة، يوساب، ص148.

(12) تاريخ البطاركة، يوساب، ص142.

كما كان يتعلم أبناء النصارى في دور العلم التابعة للمسلمين، والدليل على ذلك أن الخليفة المتوكل عندما فرض قيودا على النصارى كان من ضمن تلك القيود أن لا يتعلم أولادهم عند المسلمين[1]، وذلك دليل على أن النصارى كانوا يتعلمون عند المسلمين.

(1) تاريخ الامم والملوك، الطبري، ج304/5؛ التاريخ المجموع، سعيد بن البطريق، ج63/2؛ تجارب الأمم، ابن مسكويه، ج287/4-298؛ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج126/6-127؛ سير أعلام النبلاء، الذهبي،ج34/12؛ نهاية الأرب، النويري، ج203/22.

الفصل السادس:

الأحوال الاقتصادية للنصارى في مصر

المبحث الأول:

الزراعة

فتح المسلمون مصر وكان السواد الأعظم من سكانها من النصارى، وهم منقسمون إلى قسمين: فكان القسم الأول: الروم الذين يتحكمون في شؤون مصر السياسية والإدارية ويتبعون إدارياً لإمبراطور الروم في القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية، وكان سكان مصر ينظرون إليهم كمحتلين، وهم على المذهب الملكاني، والقسم الثاني عامة سكان مصر النصارى ويطلق عليهم الأقباط، وكانوا يعاقبة وكانت أنشطتهم الاقتصادية متنوعة ما بين تجارة وصناعة وزراعة وكتابة ومهن وحرف، وأثر ذلك الانقسام على الحياة الاقتصادية في مصر[1].

ستتناول الباحثة في هذا المبحث حرفة الزراعة التي مارسها النصارى داخل مصر في العصر الإسلامي كما يصورها المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار)، ولكن قبل الحديث عنها لا بد من إعطاء صورة عن أرض مصر ومكانتها في الإسلام.

أولاً: مكانة وأهمية أرض مصر في الإسلام

قدم المسلمون إلى مصر ولم يكونوا على جهل بها، بل كانت لديهم المعرفة عن مصر وأهلها وخيراتها، وتلك الخبرة التي كانت لديهم اكتسبها العرب من علاقاتهم التجارية قبل الإسلام، ومن الدين الإسلامي من خلال القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد ذكرت مصر في القرآن في أربعة وعشرين موضعاً[2]، وقيل في ثمانية وعشرين موضعا[3]، إما بذكر اسم مصر بشكل واضح في القرآن أو بالتلميح[4]، وذلك يدل على فضل مصر وأهميتها عند المسلمين، ومن المواضع التي ذكرت فيها مصر في القرآن، قال تعالى: ﴿**اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ**﴾[5]، كما ورد ذكر مصر في القرآن متحدثا عن فرعون حينما قال: ﴿**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي**﴾[6]، فكانت مصر في ذلك الوقت أعظم ممالك الأرض وأكثرها ازدهاراً، وجميع الممالك في ذلك الوقت يحتاجون إلى مصر اقتصادياً، وأما نهر

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(2) نهاية الأرب، النويري، ج/319.

(3) الفضائل الباهرة، ابن ظهير، ص71.

(4) نهاية الأرب، النويري، ج/319؛ الفضائل الباهرة، ابن ظهير، ص71.

(5) البقرة: 6.

(6) الزخرف: 51.

النيل فبني عليه القناطر والجسور بدقة وهندسة عالية، حتى إن الماء يجرى من تحت منازلها وأفنيتها، فيحبسونه كلما أرادو ذلك[1].

كما كانت مصر هي المقصودة في بعض آيات القرآن فقال تعالي:﴿**فَأَخْرَجْناهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ**﴾[2]، ويقصد بالجنات في قوله تعالى: الأراضي التي توجد على جوانب نهر النيل منذ بداية منبعه في مصر حتى مصبه، أي من أسوان إلى رشيد، والمحاصيل الزراعية التي توجد في مصر، والتي كانت ممتدة على جانبي نهر النيل[3]، ورجح بعض المفسرين أن المقام الكريم هي الفيوم[4]، وكما ورد على لسان يوسف عليه السلام: "**اجْعَلْنِي عَلى خَزائِنِ الْأَرْضِ**"[5]، فقد ذكر أبو ذر الغفاري أن في مصر خزائن الأرض كلها وأن لسلطانها ملك الأرض جميعها، فقد أنقذت مصر كل من على الأرض بخزائنها وخيراتها، في وقت المجاعات والأزمات الغذائية[6]، كما ورد ذكر فضل مصر على لسان بعض الصحابة فقال عمرو بن العاص :"ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة"[7].

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: "من أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها في الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين تخضر زروعها وتثمر ثمارها"[8]، وقال كعب الأحبار: "من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة، فلينظر إلى مصر إذا أخرفت وإذا أزهرت، وإذا اطردت أنهارها، وتدلت ثمارها، وفاض خيرها، وغنت طيرها"[9]، كما ورد ذكر مصر في كثير من الأحاديث النبوية وعلى لسان كبار الصحابة والتابعين التي تُبين فضل مصر وكثرة خيراتها ونعيمها.

---

(1) تاريخ ابن يونس، ابن يونس، ج520/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 61.

(2) الشعراء: 57–58.

(3) تاريخ ابن يونس، ابن يونس، ج520/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 61.

(4) الفضائل الباهرة، ابن ظهيرة، ص72.

(5) يوسف: 55.

(6) المصري، تاريخ ابن يونس، ابن يونس، ج518/1.

(7) فضائل مصر، ابن ظهيرة، ص81.

(8) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص5 ؛ فضائل مصر، ابن زولاق، ص11؛ فضائل مصر المحروسة، الكندي، ص39؛ الدر المنثور، السيوطي، ج533/6.

(9) فضائل مصر المحروسة، الكندي، ص39.

ثانياً: أهمية الزراعة في مصر

تعد حرفة الزراعة في مصر من الحرف الأساسية منذ القدم، فالزراعة كانت مصدر قوتها وثروتها وخيراتها، تلك الحرفة بقيت تتربع على عرش الحرف في مصر منذ القدم وحتى الفتح الإسلامي وبعده، فكانت الحرفة الأكثر ممارسة من قبل عامة سكان مصر والذين كان معظمهم من النصارى إبان الفتح الإسلامي لها[1]، وقد ساعد نهر النيل على أن تكون الزراعة هي الحرفة الأولى للنصارى في مصر فقد اعتمدت حرفة الزراعة على مياه ذلك النهر [2].

الزراعة في مصر لم تتأثر كثيراً عند فتح المسلمين لها بقيادة عمرو بن العاص، فعندما صالح عمرو بن العاص الأقباط على دفع الجزية لم يقم بمصادرة أرضهم أو سلبها أو منحها للمسلمين؛ لاستغلالها بل سمح لهم بالبقاء في أرضهم وأقرهم بها، وحفظ لهم حقهم في ملكيتها وحرية التصرف فيها[3]، فكانت ملكية قرى مصر لأصحابها من الأقباط النصارى ولم يسكن أحد من المسلمين تلك القرى، ولم يحاول أحد من المسلمين إبان الفتح الإسلامي أن يتملك تلك القرى أو يجعلها من ضمن ممتلكاته، فاقتصر استقرار المسلمين في مدينة الفسطاط والإسكندرية[4].

كما أن الخليفة عمر بن الخطاب نهى المسلمين والجنود عن ممارسة الزراعة أو أي نشاط اقتصادي في البلاد المفتوحة حيث قال: "لا يزرعون ولا يتزارعون"[5]، وتعهد لهم بدفع مرتباتهم والإنفاق على أسرهم، وتوعد وهدد كل من خالف أوامره[6]، وذلك ما أكده الجاحظ فقد قال: " كذلك العرب لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً، ولا أطباء ولا حساباً ولا أصحاب فلاحة، فيكونوا مهنة، ولا أصحاب زرع، لخوفهم صغار الجزية"[7].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(2) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج/191.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(4) المصدر السابق، م4، 44.

(5) فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم، ج177/1؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج/155؛ جامع الأحاديث، السيوطي، ج72/26؛ كنز العمال، المتقي الهندي، 571/4؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 44.

(6) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ج177/1؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج/155؛ جامع الأحاديث، السيوطي، ج72/26؛ كنز العمال، المتقي الهندي، 571/4؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 44.

(7) رسائل الجاحظ، الجاحظ، ج69/1؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، ج245/1.

ويرى الباحث فؤاد العمر أن عدم اهتمام المسلمين بالزراعة في بداية فتوحاتهم يعود إلى ضعف خبرتهم الزراعية وقلة معرفتهم بشؤون الزراعة؛ لذلك اعتمدوا على الفلاحين من سكان البلاد المفتوحة[1]، وترى الباحثة أن هناك أسباباً أخرى تتمثل في تركيز المسلمين على الفتوحات وتثبيت سلطانهم في مصر؛ لأن المسلمين لو مارسوا مهنة الزراعة سوف ينشغلون بها عن الجهاد، ويتضح من ذلك بأن حرفة الزراعة في مصر عند الفتح الإسلامي وبعده بسنوات كثيرة كانت مقتصرة على الأقباط النصارى والروم فهم أصحاب القرى والأرض الزراعية وهم من يزرعونها ويتولون أمرها، فبقيت جميع قرى مصر بأيدي الأقباط والروم النصارى لفترة طويلة من الزمن حتى بعد الفتح الإسلامي بحوالي مئة عام، ويقدر المقريزي بأن الأقباط في قرى مصر كان عددهم كبيراً جداً وعلى قدر كبير من القوة، ويتضح ذلك من خلال انتفاضتهم وقتالهم المسلمين[2]، حيث لم ينتشر الإسلام في قرى مصر إلا بعد مئة عام من دخول الإسلام مصر[3].

أبقى المسلمون على التنظيمات الإدارية الخاصة بالأرض الزراعية وخراجها كما كان معمول به قبل الفتح الإسلامي، وتقدر مساحة الأرض في مصر في العصر الإسلامي حوالي مئة ألف ألف وثمانين ألف ألف فدان كما ذكرها المقريزي، أما مساحة الأراضي المزروعة فعلياً منها هي أربعة وعشرون ألف ألف فدان[4].

ثالثاً: أنواع الأراضي الزراعية في مصر

تختلف أراضي مصر من حيث أهميتها ونوع محصولها وكميتها وجودتها وثمنها، لذلك صنفها ابن مماتي إلى ثلاثة عشر نوعاً وهي:

1- الباق: هي أفضل الأراضي الزراعية، وأغلاها سعراً، لأنها مناسبة لزراعة القمح والكتان[5].

---

(1) مقدمة في تاريخ الاقتصاد الإسلامي، فؤاد، ص147.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 51.

(3) المصدر السابق، م4، 49.

(4) المصدر نفسه، م4، 20.

(5) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص201؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج517/3؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 270.

2- ري الشراقي: وهي تشبه أراضي الباق في نوعيتها وجودتها، لكنها تعرضت للظمأ وقلة الماء فإن جرى ريها تنتج محصول[1].

3- والبروييه: وهي أرض تقل جودتها بعد زراعة القمح والشعير؛ لذلك سعر محاصيلها أقل من بقية الأراضي، ولكي تستريح الأرض ويصبح إنتاجها مثل الباق لا بد أن تزرع قرط أو قطن أو قطاني[2].

4- البقماهة: وهي الأرض إذا زرع فيها القمح لا ينجح بل يخرج رقيق الحب[3].

5- الشتونية: هي الأرض التي رويت وبارت.

6- السلايح: أرض تم ريها ولم تنتج رغم أنه تم حرثها.

7- النقا: كل أرض خالية من آثار الزرع ولا تستوعب زراعة زرع جديد.

8- الوسخ: كل أرض تمكن فيها وسخها ولم يستطع المزارعون إزاحته، فقام المزارعون بحرثها وزرعها، فأصبحت محاصيلها مختلطة بوسخها.

9- الغالب: كل أرض نبت فيها نبات كثير حال دون الزراعة فيها فأصبحت مراعي.

10- الحرس: وهي كل أرض لا تصلح للزراعة؛ بسبب كثرة العوامل التي تمنع الزراعة فيها، لكن إذا تم الاهتمام بها تصلح للزراعة.

11- الشراقي: الأرض التي لم يصل إليها الماء لأسباب مختلفة[4].

12- المستبحر: الأرض المنخفضة التي تجمع فيها الماء، ولم يتم تصريفه حتى انتهى موسم الزرع وهو متبقٍ في الأرض.

13- السباخ: وهي الأرض التي ترتفع فيها نسبة الأملاح ولا تصلح لزراعة بعض المحاصيل[5].

---

(1) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص201؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج517/3؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 270.

(2) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص201.

(3) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص202؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج517/3.

(4) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص203؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج518/3؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 271.

(5) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص203؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج518/3؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 271.

رابعاً: أنواع المحاصيل التي كان يزرعها النصارى في مصر

تتميز مصر بتنوع محاصيلها الزراعية، ففي كل شهر من أشهر السنة عند الأقباط تنتج محصولاً معين لا ينبت ببقية الأشهر، وكان التقويم القبطي هو المتبع في زراعة المحاصيل وحصادها، والأشهر القبطية هي المعتمدة، وذلك من خلال ملاحظة الباحثة في كتب التاريخ لاسيما كتب المؤرخين المسلمين[1]، وتتنوع المحاصيل الزراعية في مصر وتثمر في كل فصول السنة، ويتصف صيفها بأنه خريف؛ بسبب تنوع الفواكه فيه، ويتصف شتاؤها بأنه ربيع بسبب كثرة القرط والكتان[2]، ففي صعيد مصر يزرع الأقباط النخل والأراك والقرط والدوم والعشر، وفي مناطق الدلتا تزرع الكروم والزيتون واللوز والتين والفواكه والبقول والرياحين، وفي الإسكندرية ينمو العنب والزيتون، وكل مدينة من مدن مصر ينبت فيها نوع معين من الفواكه والمحاصيل الزراعية[3]، كما يوجد بها الخشخاش واللبخ واللوز الأخضر[4].

أما بالنسبة لمواعيد الزراعة في مصر عند الأقباط فكانت في أشهر محددة من السنة القبطية، وهي تشرين الأول وتشرين الثاني وكانون الأول، وللحصاد أشهر محددة فكان يجري حصادها في أشهر آذار وآيار ونيسان وحزيران[5]، ومن مميزات مصر أنه يوجد بها أصناف من المحاصيل توجد في كل شهر من شهور السنة دون غيره، تلك المحاصيل باتت تعرف بأسماء شهورها، مثل: التين والرطب والرومان والورد والعنب[6]، ويعد القمح أهم محصول في مصر يزرع في شهري تشرين الأول والثاني[7]، ويزرع الشعير في آذار ونيسان[8]، وتختلف حاجة الأرض من البذور حسب طبيعتها وكمية المياه فيها وخصوبتها[9]، ويزرع الحمص والجلبان والعدس في تشرين الأول والثاني[10].

---

(1) نهاية الأرب، النويري، ج1/365.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 69.

(3) المصدر السابق، م1، 69.

(4) المصدر نفسه، م1، 75.

(5) المصدر نفسه، م1، 70.

(6) المصدر نفسه، م1، 76.

(7) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص258.

(8) المصدر السابق، ص259.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 273.

(10) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص260.

ويزرع الكتان في شهر تشرين الأول والثاني، والقرط في شهر تشرين الأول، والبصل، والثوم، والترمس، والكمون، والكراويا، والجلسم والبطيخ الأصفر والأخضر واللوبيا والسمسم والقطن وقصب السكر والقلقاس الباذنجان والفجل واللفت والخس والكرنب[1].

ومن الأشجار البستانية التي زرعت في مصر: الكرم والتوت واللوز والخوخ والمشمش والنخل والموز، ومن الرياحين والورود: النرجس والورد والياسمين والمرسين والمنتور والخيار[2].

ومن المحاصيل الزراعية الصيفية التي كان يهتم بها أهل الزراعة في مصر: البطيخ واللوبيا، والسمسم، والقطن، وقصب السكر، والقلقاس[3]، ومن المحاصيل الشتوية: القمحُ، والشعيرُ، والفولُ، والحمصُ، والعدس، والخرس، والكتان والقرط[4].

يزرع النصارى في مصر نبات كالقضبان يسمى: البلسم ويقتصر وجوده في مدينة عين شمس، ولا يوجد في مكان آخر سواها وهو نبات مقدس عند النصارى[5]، ويصف الأنطاكي (البلسم) بأنه عبارة عن شجر كبير يؤذيه ما يؤذي الإنسان من ارتفاع درجة الحرارة أو انخفاضها، ومن قلة المياه أو كثرتها وهو يحتاج إلى رعاية واهتمام[6]، ويتم ريه من بئر مقدسة عند النصارى يقال أن مريم العذراء شربت منها هي وابنها المسيح[7].

وهي التي تزورها النصارى وتستحم بمائها وتتعالج به[8] ، ويرجع سبب تقديس النصارى لدهن البلسان الذي يستخرج من شجر البلسم؛ أن المسيح عندما هاجرت به أمه إلى مصر ووصل بها الأمر إلى مدينة عين شمس استراحت عند بئر فغسلت مريم ثياب المسيح وسكبت الماء على الأرض فأنبت الله البلسان؛ لذلك يقدسه النصارى، وفي معتقداتهم لا يدخل أي شخص الديانة النصرانية ولا يكون نصراني إلا إذا انغمس في ماء المعمودية الذي يتواجد فيه دهن البلسان[9]، وتشتريه النصارى بأضعاف وزنه من الذهب، كما أن البلسان يستخدم في علاج الكثير من الأمراض كالصداع والحكة وأوجاع الحلق والأسنان والربو وضيق التنفس

(1) قوانين الدواوين، ابن مماتي ، ص260 – 270.

(2) المصدر نفسه، ص270–272.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 275.

(4) قوانين الدواوين، ابن مماتي، 258 – 264.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 624.

(6) تذكرة داود الأنطاكي، داوود الأنطاكي، ص123.

(7) تاريخ أبي المكارم، أبي المكارم، ص14.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 624. (مج624/1).

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 624–626.

والسعال وقروح الرئة وضعف الكلى والكبد وأمراض العصب والمفاصل والنقرس والنسا وغيرها الكثير من الأمراض[1].

خامساً: طرق الاهتمام بالأرض الزراعية

تقاس الأراضي الزراعية في مصر بالفدان، والفدان عبارة عن أربعمائة قصبة حاكمية والقصبة ستة أذرع وثلثا ذراع[2]، ومساحة الفدان تبلغ خمسة آلاف وتسعمائة وتسع وثلاثين مترا[3].

اهتم النصارى بالأراضي الزراعية بمصر ومن طرق اهتمامهم بها: تقليم المحاصيل الزراعية والأشجار، ولتقليم الكروم موسم معين، فكانوا يقلمون الأشجار في شهر شباط حتى أذار[4]، والأشجار تقلم في الفترة الزمنية الممتدة من كانون الأول حتى شباط، ويشمل التقليم التخلص من أوراق الأشجار الجافة وتنظيفها مما يبس بها وتهذيب أغصانها وتنسيقها[5].

ومن مظاهر اهتمامهم بالأرض الزراعية قبل زراعتها هي تنظيف الأرض، والتخلص من النباتات الضارة قبل زراعتها، ثم يتم حرثها بواسطة محاريث ضخمة يطلق عليها المقلقلات، ونكشها حتى تصبح الأرض ممهدة، ثم يتم جرفها حتى تتساوى في شكلها وتصبح ناعمة، ثم يتم تقسيم الأرض إلى أحواض متعددة، وطريقة الري المتبعة هي التي يستخدمها الأقباط فكانت عن طريق تصميم جداول من بين الأحواض الزراعية؛ لكي يصل الماء إليها وبعد ذلك يلقى فيها البذور الزراعية، وأحياناً يجري سقي بعض المحاصيل بالقادوس[6]، مثل: قصب السكر[7].

أما مصدر الري الأساسي للأرض الزراعية والأشجار في مصر فهو مياه نهر النيل، فهو المصدر الرئيسي للمياه، وكان يجري ريها في شهر كانون الأول مرة، وكانون الثاني مرة، وفي شباط مرتين، وفي آيار ثلاث مرات وفي حزيران أربع مرات في كل أسبوع مرة، وكذلك في تموز وآب، وفي شهر أيلول وتشرين الأول تسقى مرة واحدة من كل شهر من ماء النيل[8]،

---

(1) تذكرة داوود الأنطاكي، داود الأنطاكي، ج83/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 277.

(3) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص261.

(4) المصدر السابق، ص272.

(5) المصدر نفسه، ص232.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 275–276.

(7) المصدر السابق، م1، 275–276.

(8) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص273.

وكان من طرق سقاية الأشجار تغريق الأشجار في أشهر معينة ويجري تغريقها ثلاث مرات، وأفضل شهر لإغراق الأشجار كان في شهر كانون الأول والثاني[1].

يتم حرث الأرض باستخدام الأبقار، ومدة حراثة الأرض في مصر تتراوح ما بين خمسين إلى ستين يوما[2]، فالحرّاثُ الواحد كان يحرث خمسين فداناً، وكانت أرض مصر الزراعية تساوي زمن هشام بن عبد الملك أربعاً وعشرين ألف ألف فدان، فكانت تحتاج لأربعمائة ألف وثمانين ألف حرّاث[3]، وحرث الأرض يحتاج إلى شخص مختص بالأراضي الزراعية وأنواعها وأنواع محاصيلها[4].

اهتم سكان مصر ببناء الجسور وكان الأقباط على خبرة عالية في بناء الجسور فقد استعان بهم المسلمون عند الفتح الإسلامي لمصر؛ لإقامة الجسور لهم أثناء قتالهم مع الروم مما يدل على أن الجسور في مصر كانت من صنع أيدي الأقباط النصارى[5]، وكانت تنقسم الجسور إلى نوعين: جسور سلطانية وجسور بلدية[6]، أما الجسور السلطانية فهي: الجسور الرئيسية العامة التي تعود منفعتها على كل البلاد، ويجب على السلطان الاهتمام بها كاهتمامه بسور المدينة، من حيث تعميره وإصلاحه وتشيده وكفاية الناس أمره[7]، ولها أموال مخصصة للإنفاق عليها وإعمارها[8]، حيث يفرض على كل منطقة مال محدد لتعمير الجسور والاهتمام بها[9]، ثم أصبح يتولى أمرها بعد ذلك موظفو الديوان السلطاني[10]، وذكر المقريزي أن الإشراف عليها بعد ذلك بات من قبل أمراء الدولة، ثم حدث تغيير في عهد السلطان المملوكي

---

(1) قوانين الدواوين، ابن مماتي ، ص277 –278.

(2) المصدر السابق، ص273.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،201.

(4) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص273.

(5) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص96؛ الاكتفاء، الكلاعي، ج337/2؛ نهاية الأرب، النويري، ج192/19؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج119/1.

(6) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص232؛ زبدة كشف الممالك، ابن شاهين، ص129؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 271.

(7) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص232؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 272.

(8) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص232.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1 ،272.

(10) صبح الأعشى، القلقشندي، ج515/3؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،272

الناصر فرج الذي أصبحت ضرائب الدولة كلها ترسل إليه وهو يتولى توزيعها على الأعيان وأصبح أهل مصر هم من يقوموا بعمل تلك الجسور[1].

وأما الجسور البلدية هي: التي تعود منفعتها على منطقة معينة دون سواها[2]، ويتولى إنشاءها وإعمارها والإشراف عليها الفلاحون والمقطعون[3]، فهي تشبه البيوت داخل سور المدينة يجب على صاحب كل بيت أن يتولى أمرها ويعمرها[4].

كما اهتم المسلمون عند الفتح الإسلامي ببناء مقايس لنهر النيل، وترى الباحثة سيدة كاشف أسباب اهتمام المسلمين بإنشاء مقاييس لنهر النيل؛ لتكون بمثابة مقياس صحيحاً للري والزراعة وفرض الضرائب[5].

والمقياس: عبارة عن عمود رخام أبيض يتم إنشائه في مكان ينحسر فيه الماء؛ لمعرفة الزيادة والنقصان في مياه نهر النيل، ويكون طوله اثنين وعشرين ذراعاً، كل ذراع ينقسم إلى أربعةٍ وعشرين إصبعاً باستثناء الاثني عشر قسما الأولى، فإن قياسها يبلغ ثمانية وعشرين أصبعاً لكل ذراع[6]، وأول من بنى مقياساً بعد الفتح الإسلامي لنهر النيل عمرو بن العاص بناه في أسوان، ثم في دندرة، ثم جرى بناء مقياس آخر زمن معاوية بن أبي سفيان في أنصنا، ثم بنى عبد العزيز بن مروان مقياس في حلوان، ثم في عهد سليمان بن عبد الملك مقياساً في الجزيرة، ومنذ الفتح الإسلامي وحتى زمن الخليفة المتوكل عام مائتين وسبع وأربعين كان النصارى هم المسئولين عن قياس النيل إلى أن جاء المتوكل وأصدر أمرا باستبعاد النصارى عن قياسه[7].

ومن مظاهر اهتمام الأقباط النصارى بالأرض الزراعية هو أنهم يقومون بحفر الترع وبناء القناطر وحفر الخلجان وتلك هي عادتهم قبل الفتح الإسلامي[8].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 272.

(2) زبدة كشف الممالك، ابن شاهين، ص129.

(3) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص232؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 272.

(4) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص232؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 272.

(5) فتح مصر، كاشف، ص268.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،157؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج154/1.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 151-152؛ بدائع الزهور، ابن إياس، ج156/1.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 200.

عندما فتح المسلمون مصر لم تكن لديهم الخبرة في الزراعة وكيفية تحصيل وتوزيع عائداتها؛ لذلك طلب الخليفة عمر بن الخطاب من عمرو بن العاص ﷺ أن يستعين بالمقوقس حاكم مصر النصراني ليستفسر منه حول إعمار مصر، فنصحه بأن أساس عمارتها حفر الخلجان والترع، وإقامة الجسور، وأن يأخذ خراجها في وقت واحد عندما ينتهي أهلها من حصاد محاصيلهم الزراعية[1].

وذلك ما قام به عمرو بن العاص حيث كان يحتجز من أموال الجزية ما تحتاجه الأرض الزراعية من بناء الجسور والقناطر وحفر الترع التي كان يتولى أمرها النصارى من سكان مصر[2]، كما كان يخصص من ايراد المحاصيل الزراعية أموالاً للمسّاحين الذين يقيسون الأرض[3]، وكان النصارى هم من يتولون قياس مساحة الأراضي الزراعية في مصر إبان الفتح الإسلامي وبعده[4]، وكان جلهم من الكتاب النصارى، لأن العرب لم يكونوا على خبرة بالزراعة[5]، وكانت مهمتهم تسجيل مساحة الأراضي التي اشتملها الري وتكتب في أوراق وترسل للدواوين[6]، كما كانت مهمة الكتاب النصارى القيام أيضا بجباية وتحصيل ما على الفلاحين من رسوم وضرائب عليهم[7]، كما أن للنصارى الحق في ضمان الأراضي والاستفادة منها مثلهم مثل المسلمين[8]، وكانت مدة تضمين الأرض أربع سنوات وكان يشترط على المتضمن أن يقوم بعملية استصلاح الأرض الزراعية وتعميرها من حفر الترع وإقامة الجسور ويسمح له أن يدفع خراج الأرض الزراعية على أقساط[9].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م1، 200.

(2) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص166؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،205؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج150/1؛ كنز العمال، المتقي الهندي، ج702/5.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي،م1،205.

(4) المصدر السابق، م1، 205.

(5) رسائل الجاحظ، الجاحظ، ج69/1؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، ج245/1.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،230.

(7) المصدر السابق، م1، 230.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م1، 230.

(9) المصدر السابق، م1، 219.

المبحث الثاني:

الصناعة

بداية الفتح الإسلامي لمصر لم يمارس المسلمون أي نشاط اقتصادي بل كانت كل جهودهم تركز على الفتوحات الإسلامية ونشر الإسلام، كما أن طبيعة العرب ومعيشتهم بالصحراء أثرت على نوع الحرفة التي يمارسونها، فهم لم يمارسوا الزراعة في بداية عهدهم بمصر كذلك لم يمارسوا الصناعة كما ذكر الجاحظ من قبل: "كذلك العرب لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً، ولا أطباء ولا حساباً ولا أصحاب فلاحة، فيكونوا مهنة، ولا أصحاب زرع، لخوفهم صغار الجزية"[1]، فكان النصارى هم أصحاب الحرف والصناعات وخاصة الأقباط الذين تنوعت أنشطتهم الاقتصادية ما بين تجارة وصناعة وزراعة ومهن وحرف مختلفة، ويعدون عماد الصناعة في مصر [2].

وقد اشتهرت مصر بعدة صناعات منذ القدم منذ زمن الفراعنة فقد بنى فيها الفراعنة المصانع المختلفة[3]، واستمر سكان مصر يمارسون حرفة الصناعة منذ ذلك الزمن وحتى الفتح الإسلامي وبعده، وكان غالبية الصُناع من المصريين أنفسهم ومن بين الصناعات التي اشتهر بها النصارى:

أولاً: صناعة المنسوجات

اشتهر النصارى في مصر بصناعة المنسوجات بأشكالها وأنواعها كافة[4]، فقد برع النصارى الأقباط في صناعتها حتى أن بعض المنسوجات سميت على اسمهم قباطي، وتركزت صناعة النسيج في مناطق معينة في مصر كان الأقباط يشكلون السواد الأعظم فيها[5]، ومن المدن التي اشتهرت بصناعة المنسوجات مدينة شطا أو طحا[6] وبهنسة[7]، وتنيس[8]،

(1) رسائل الجاحظ، الجاحظ، ج69/1؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، ج245/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(3) المصدر السابق، م2،401.

(4) فضائل مصر، ابن زولاق، ص56.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،480؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 611.

(6) شطا: بلدة توجد في مصر على بعد ثلاث أميال من دمياط، تنسب إليها الثياب الشوطية، معجم البلدان ، ياقوت الحموي، ج343/3.

(7) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج202/1.

(8) تنيس: جزيرة في البحر تقع ما بين الفرما ودمياط، اشتهرت بصناعة أنواع مختلفة من الثياب، معجم البلدان، ياقوت الحموي،ج51/2.

وديبق[1]، واخميم التي كثر فيها المصانع التي بنيت على أيدي الأقباط النصارى[2]، والأشمونين[3]، وشطا التي كان يوجد بها مصانع تصنع بها كسوة الكعبة، وبها طرّاز الذي يصنع بدور الطراز بشطا والتي أرسل منها الخليفة العباسي هارون الرشيد كسوةً للكعبة مكتوب عليها "بسم الله بركة من الله لعبد الله هارون أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، مما أمر الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعته في طراز شطا، كسوة الكعبة سنة إحدى وتسعين ومائة"[4].

وتنيس التي تعد أهم مركز لصناعة المنسوجات في مصر وفي الشرق، وفي ذلك الوقت كان معظم سكانها من النصارى الذمة، واشتهر سكانها بحرفة صناعة المنسوجات وأغلبهم نساجون يصنعون الثياب[5]، حيث يتم في مدينة تنيس صنع ثياب الشروب[6]، التي لا يوجد مثلها في أي بلد في العالم غير مصر[7]، كما تشتهر تنيس بالثياب الدبيقي[8]، وسميت بالثياب الدبيقي نسبة إلى (دبيق) وهي قرية بين الفرما وتنيس في مصر[9]، كما اشتهرت تنيس بالثياب الرقيقة الرفيعة الصفاق من القصب والمخمل والبرود وأصناف الثياب[10]، كما اشتهرت بالثياب الشفافة وهو نوع رقيق من الثياب، بالإضافة إلى الأردية وأنواع المناديل والمناشف الراقية والغالية التي تستخدم للجسم والمخاد والفرش القلموني المعلم، ويبلغ سعر الثوب منه مئة دينار وأكثر، كما يوجد بها أنواع مختلفة من ثياب النساء لا يوجد مثلها في أي بلد آخر[11].

وكانت المنسوجات في مدينة تنيس وخاصة في قرية تسمى تونة في تنيس تصنع منها كسوة الكعبة فكان الخلفاء العباسيون مثل المأمون والمهدي يكسون الكعبة من منسوجات مدينة

(1) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج201/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 480.
(2) رحلة ابن جبير، ابن جبير، ج33/1.
(3) صورة الأرض، ابن حوقل، ج158/1.
(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 612.
(5) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج201/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 480.
(6) البلدان، اليعقوبي، ص175؛ المسالك والممالك، البكري، ج622/2.
(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 480.
(8) فضائل مصر، ابن زولاق، ص56.
(9) مجم البلدان، ياقوت الحموي، ج438/2؛ مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق، ج513/2.
(10) البلدان، اليعقوبي، ص175.
(11) فضائل مصر، ابن زولاق، ص56-57.

تنيس بمصر، كما اشتهرت الأقمشة والملابس التي كانت تصنع في تنيس، لدرجة جعلت الأمراء يتخذوها كهدايا لبعضهم البعض[1].

كما صمم الخليفة العباسي هارون الرشيد كسوة للكعبة من قباطي مصر[2]، والقباطي هي: ثياب رقيقة بيضاء من كتان مصر[3]، سميت قباطي لأنها تنسب إلى أقباط مصر فهم من يصنعوها[4]، كما تشتهر مصر بالثياب القسية، والقس قرية في مصر[5]، والثياب القسية هي ثياب مصنوعة من مزيج من الكتان والحرير[6]، واشتهرت الفيوم بصناعة الخيش[7]، كما اشتهرت مدينة دمياط بالمنسوجات وكان أغلب سكان دمياط من النصارى[8].

ومن أنواع المنسوجات التي اشتهرت بها مصر وكان الأقباط النصارى هم القائمين عليها:

1- الشرب:

وهو نوع من أنواع المنسوجات[9]، وهي منسوجات دقيقة ورقيقة[10]، تصنع من الكتان، إذا جرى تصميمها على شكل أثواب يزداد سعرها، ويبلغ وزن كل درهم منها بدرهم فضة، وإذا تم تدخيل تطريز في تلك الثياب فإن أسعارها تزيد عدة مرات، وتشتهر مدينة الإسكندرية بهذا النوع من الثياب، وتلك الثياب لا توجد مثلها في أي مدينة من مدن العالم؛ لذلك يتم تصديرها إلى كل دول العالم[11]، كما تشتهر بها مدينة تنيس[12]، وديبق[13]، وشطا[14]، ودمياط التي تصنع

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 489-490.

(2) المصدر السابق، م1، 491.

(3) العين، الفراهيدي، ج109/5؛ جمهرة اللغة، الأزدي، ج351/1؛ الصحاح تاج اللغة، الفارابي، ج1153/3؛ مجمل اللغة، ابن فارس، ص741؛ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج79/4.

(4) مشارق الأنوار، القاضي العياض، ج170/2؛ لسان العرب، ابن منظور، ج373/7.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 491.

(6) مشارق الأنوار، القاضي العياض، ج1943/2؛ تاج العروس، مرتضى الزبيدي، ج16/ 372.

(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م668،1.

(8) المصدر السابق، م1، 480.

(9) شمس العلوم، الحميري، ج3/ 3411.

(10) صورة الأرض، ابن حوقل، ج1/ 114.

(11) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م441،1.

(12) مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق، ج536/2.

(13) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 612.

(14) البلدان، اليعقوبي، ج175/1.

فيها ثياب الشرب فائقة الجودة[1]، حيث يبلغ سعر ثوب الشراب في دمياط ثلاثمائة درهم[2]، وكان مصممو ثياب الشرب يستأجرون مصانع خاصة؛ لصنع ثياب الشرب في دمياط تعرف بالمعامل حيث تصنع معظم منسوجات الشرب بها ويتم تحويلها إلى أثواب[3]، وكان الحاكة إذا صمموا الثياب في تلك المعامل ولم يكملوا تصميمها وأرسلوها لمعامل أخرى يقوم تجار الثياب بالانتقاص من سعرها؛ لاختلاف المعامل التي عملت بها[4]، كما صنع في ديبق _وهي إحدى قرى دمياط_ عمائمُ الشرب الملونة وهي عمائم يتم نسجها بالذهب الشرب، طول كل عمامة مئة ذراع، ويبلغ سعر العمامة المذهبة خمسمائة دينار، وظهرت تلك العمائم في زمن الخليفة الفاطمي العزيز بالله بن المعز سنة 365هـ/976م[5].

2- القباطي:

والقباطي هي: ثياب رقيقة بيضاء صنعت من نسيج الكتان في مصر[6]، سميت قباطي؛ لأنها تنسب إلى أقباط مصر النصارى فهم من يصنعوها ولديهم المهارة في صنعها[7]، وهي: ثياب مصنوعة من النسيج الناعم الدقيق الشفاف الذي يلتصق بالجسد[8]، ومن المدن التي تشتهر بهذا النوع من المنسوجات مدينة تنيس[9]، وتلك المنسوجات هي التي أهدى منها المقوقس النبي محمد ﷺ عشرين ثوباً من قباطي مصر[10].

كان الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ قد كسا الكعبة من نسيج القباطي بمصر[11]، كما قام الخليفة هارون الرشيد بكسوة الكعبة من قباطي مصر سنة مئة وتسعين للهجرة[12]، وكانت الكعبة يتم كسوتها كل عام من منسوجات قباطي مصر في عيد الفطر[13].

---

(1) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج2/ 472.
(2) آثار البلاد، القزويني، ص 209.
(3) المسالك والممالك، المهلبي، ص 33.
(4) المصدر السابق، ص 33.
(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 612-613.
(6) الفراهيدي، العين، ج109/5؛ جمهرة اللغة، الأزدي، ج351/1؛ الصحاح، الفارابي، ج1153/3)؛ مجمل اللغة، ابن فارس، ص741؛ تهذيب الأسماء واللغات، النووي، ج79/4.
(7) مشارق الأنوار، القاضي العياض، ج170/2؛ لسان العرب، ابن منظور، ج373/7.
(8) تهذيب اللغة، الهروي، ج94/11.
(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 489.
(10) المصدر السابق، م1، 79.
(11) مثير الغرام، ابن الجوزي، ص256.
(12) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 491.
(13) أخبار مكة، الأزرقي، ج255/1.

3- القصب:

هو عبارة عن ملابس مصنوعة من كتان، وهي تتميز بأنها رقيقة وناعمة وغالية الثمن[1]، اشتهر النصارى بصنع الملابس المصنوعة من نسيج القصب الذي يصنع في مدينة تنيس[2]، مدينة شطا بمصر[3]، وكذلك صنع في دمياط ، وقد ذاع صيت تلك المنسوجات لدرجة أن الفرس أطلقوا على مدينة كازرون دمياط العجم؛ لأنها تنسج فيها ثياب الكتان المصنوعة من القصب[4]، وكانت مصر تصدره إلى بلاد فارس[5].

في مدينة تنيس صنع ونسج القصب الملون وتنوعت استخداماته من عمامات ووقايات، وملابس للنساء، ولا يصنع القصب في أي مدينة في العالم سوى بمدينة تنيس، أما القصب الأبيض فإنه يصنع في دمياط، وما تتم صناعته في مصانع السلطان لا يتم بيعه ولا يهدى لأي شخص، وقد أرسل ملك فارس رسله إلى تنيس بعشرين ألف دينار ؛ ليشتروا له ثوبين من كسوة السلطان وبقوا رسله عدة سنين ولم يستطيعوا شراء تلك الأثواب، وقيل أن أحد عمال النسيج صنع للسلطان عمامة من القصب بلغ سعرها خمسمائة دينار ذهب[6].

4- البوقلمون:

هو عبارة عن قماش ذهبي يختلف لونه حسب إضاءة الشمس في النهار ويتغير بتغير ساعات النهار[7]، وصنع في تنيس حيث توجد مصانع خاصة به[8]، ولا يوجد بأي مدينة في العالم إلا في مدينة تنيس في مصر، ويصدر من مصر إلى جميع أنحاء الأرض، وقد ذكر ناصر خسرو أن إمبراطور الروم أرسل وفداً دبلوماسياً إلى سلطان الروم يعرض عليه أن يمنحه مئة مدينة من مدن الروم مقابل مدينة تنيس رغبة منه في الحصول على منسوجاتها النادرة

---

(1) شمس العلوم، الحميري، ج5507/8؛ مشارق الأنوار، القاضي العياض، ج187/2.

(2) سفر نامه، ناصر خسرو، ج442/1.

(3) الأماكن، الحازمي، ص876.

(4) آثار البلاد، القزويني، ص244.

(5) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج442/1.

(6) سفر نامه، ناصر خسرو، ص77.

(7) المصدر السابق، ص77.

(8) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج51/2.

مثل: القصب والبوقلمون، لكن السلطان رفض[1]، كما استخدم قماش البوقلمون في صناعة سروج الخيول وهوادج الجمال الخاصة بالسلطان والستائر التي توضع عليها[2].

5- الشطوية:

هو نوع من القماش الذي يصنع من الكتان[3]، وهو ينسب إلى مدينة بمصر تسمى شطا[4]، وهي مدينة تقع بين تنيس ودمياط[5]، وهي إحدى البلدات التابعة لمدينة تنيس[6]، ومعظم سكانها من الأقباط النصارى[7]، اشتهرت بصناعة الثياب الشطوية[8]، وقد كانت صناعة الثياب الشطوية تخضع لأوامر صارمة حيث لا يستطيع أي قبطي أن يقوم بصناعتها وتفصيلها إلا بعد أن يوافق عليها السلطان وتختم بختمه، ولا يستطيع الحاكة بيعها أو التجار أن يتجاورا بها فلا تباع إلا عن طريق السماسرة الذين وقعوا عقداً مع المسئولين في الدولة، ويتم تسجيل ما يباع منها في سجل خاص[9].

6- الديبقي:

هي منسوجات تنسب إلى قرية من قرى دمياط تسمى ديبق، حيث يعمل سكانها في صناعة الكتان[10]، ويتم فيها صناعة الثياب وعمائم الشرب الملونة[11]، وهي من الثياب الدقيقة التي تصنع بمصر[12]، وتصنع منسوجات الديبقي في تنيس أيضا، وهي من المنسوجات النادرة التي لا يوجد مثلها في أي مدينة من مدن العالم، فهي غاية في الجمال وذلك أثّر على سعرها فهي مرتفعة الثمن، وتصنع من الكتان ويبلغ سعر الثوب منها ألف دينار ويزيد عن ذلك[13]،

---

(1) سفر نامه، ناصر خسرو، ص77.

(2) المصدر السابق، ص79.

(3) المنتقى في شرح الموطأ، القرطبي، ج30/5.

(4) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج342/3؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 611.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 611.

(6) المصدر السابق، م1، 491.

(7) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج202/1.

(8) البلدان، اليعقوبي، ج175/1.

(9) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج213/1.

(10) تاريخ الكنائس والأديرة، أبو المكارم، ج77/1.

(11) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 612.

(12) تهذيب اللغة، الهروي، ج54/9.

(13) نزهة المشتاق، الإدريسي، ج338/1.

والديبقي هو العلم المذهب تصنع منه عمائم مذهبة طول كل عمامة منها مئة ذراع وفيها رقمات منسوجة من الذهب، فيبلغ سعر العمامة خمسمائة دينار إن لم يكن فيها حرير[1]، كما للدبيقي مناسج مخصصة لصناعته توجد في مدينة أسيوط التي يعد جل سكانها من النصارى[2].

7- القسية:

تنسب إلى قرية في مصر وسميت الثياب القسية بهذا الاسم نسبة إليها[3]، وهي ثياب تصنع من الكتان في قرى مصر[4]، يدخل في صناعتها الحرير[5].

لم يقتصر صناعة تلك المنسوجات على قرية قس فكانت بعض المدن المصرية تعد بمثابة مراكز لصناعة النسيج مثل دمياط وتنيس[6]، ودميرة[7]، كان يوجد بها مصانع خاصة بالنسيج وتلك المصانع تصدر أنواعاً مختلفةً من الثياب إلى بقية دول العالم[8]، ولم يشر المقريزي في كتابه إلى تفاصيل صناعة المنسوجات لكنه اكتفى بالقول بأن النصارى الأقباط كانوا أصحاب حرفة وصنعة[9].

وبرع الأقباط في تلك المناسج فصمموا نماذج فريدة من الزخارف النباتية والهندسية على المنسوجات وبقيت تلك الزخارف التقليدية والقبطية حتى العهد الطولوني، ويرجع إليهم الفضل في اختراع النول اليدوي واستخدامه في مصانعهم، كما اشتغل الراهبات والرهبان في الأديرة في حرفة النسيج[10]، ويذكر لينيول أن الرهبان الايرلنديين مدينين لرهبان مصر الذين علموهم العديد من الحرف والصناعات التي برعوا فيها من ضمنها صناعة النسيج ، كما ذكر أنه يجب على

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 612-613.

(2) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج193/1.

(3) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج344/4؛ مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق، ج1090/3؛ الروض المعطار، الحميري، 480.

(4) تفسير الموطأ، القنازعي، ج1/ 466.

(5) المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، ج 105/6؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج346/4.

(6) سفر نامه، ناصر خسرو، ص77.

(7) نزهة المشتاق، الإدريسي، ج340/1.

(8) سفر نامه، ناصر خسرو، ص77.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(10) الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، أبو سديرة، ص19.

الايرلنديين أن يشكروا الأقباط شكراً لا حد له فهم أصحاب فضل عليهم في تعليمهم الحرف وفنون العمارة[1].

أما بالنسبة لمراكز صناعة النسيج فكانت أسيوط أحد أهم مراكز صناعة النسيج، والتي كان جل سكانها من النصارى، فكان بها مناسج الأرمني والديبقي[2]، وكان بها ثياب لطيفة ناعمة لا يصنع في أي دولة في العالم مثلها[3]، كما يصنع فيها الفرش القرمزي الذي يشبه الأرمني[4]، وتُصمم فيها العمائمُ المصنوعة من أصواف الخراف التي لا شبيه لها في العالم، والصوف الدقيق الذي يصدر لبلاد العجم المسمى بالصوف المصري من الصعيد الأعلى فقد اشتهرت أسيوط بصناعة الصوف الرقيق من أصواف الغنم[5].

كما تكثر في أسيوط الأسواق[6]، ويبدوا أن هناك عوامل ساعدت مدينة أسيوط لتكون مركزاً لصناعة المنسوجات من ضمن تلك العوامل أنها مدينة زراعية تكثر فيها زراعة الكتان[7]، ذات أرض منبسطة فسطحها مستوٍ وتتوافر بها الماء[8].

تطورت صناعة النسيج في العصر الأموي؛ بسبب ميل الخلفاء الأمويين إلى اقتناء الثياب والإكثار من انتقاء الملابس الراقية منها؛ بسبب تدفق الثروة التي ازدادت بسبب الفتوحات الإسلامية[9]، أما بالنسبة لدور الطرز والطراز، وهي المكان الذي تنسج فيه الثياب الجياد[10].

وقد كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي، وبعد الفتح الإسلامي سيطر عليها المسلمون وأصبحت تابعة لهم[11].

---

(1) سيرة القاهرة، لينبول، ص72.

(2) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج193/1.

(3) آثار البلاد، القزويني، ص147.

(4) اليعقوبي، البلدان، ج170/1.

(5) سفر نامه، ناصر خسرو، ص116.

(6) رحلة ابن جبير، ابن جبير، ج33/1.

(7) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج126/1.

(8) المصدر السابق، ج194/1.

(9) الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، أبو سديرة، ص20.

(10) العين، الفراهيدي، ج356/7؛ صبح الأعشى، القلقشندي،ج60/6.

(11) حياة الحيوان الكبرى، الدميري، ج96/1.

بقيت المطرزات تصنع باللغة القبطية؛ لأن معظم سكان مصر كانوا من النصارى واستمرت باللغة القبطية حتى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي أمر بتحويلها إلى اللغة العربية بعد أن وجد أن بعض المطرزات يطرز عليها كتابات مخالفة للشريعة الإسلامية وفيها كتابات تتعلق بالديانة النصرانية مثل: الابن الأب وروح القدس، فأمر عبد العزيز بن مروان واليه على مصر بإبطال ما كان يطرز باللغة القبطية وأن يستبدل ذلك بكلمة التوحيد (أشهد الله أن لا إله إلا هو)[1]، وفي العصر العباسي خضعت المصانع ودور الطراز لسيطرة الحكومة، فأصبحت هي المسئولة عنها وكان يفرض على تلك المصانع أن تصنع شريطاً من النسج يكتب عليه اسم الخليفة ومكان الطراز [2].

ثانيا: صناعة السفن التجارية والحربية

اشتهرت مصر ببناء الأساطيل والمراكب البحرية منذ القدم فقد أشار المقريزي بأن أول من قام ببناء الأساطيل في مصر هو دواييل بن عرياب بن آدم عليه السلام[3].

ويشير بتلر أن مدينة الإسكندرية كانت أكبر المدن في صناعة السفن؛ ويعود ذلك إلى أنها كانت أكبر الأسواق بسبب نشاط الحركة التجارية من تصدير واستيراد فقد كانت تصدر القمح والكتان والزجاج والورق وتستورد الذهب والعاج من بلاد النوبة وأثيوبيا، والبهار والحرير والفضة من الهند والصين، فمثل هذه الحركة النشطة بالتجارة لابد لها من ميناء به سفن ضخمة مثل الإسكندرية، وكان للكنائس سفن تجارية خاصة بها تحمل إليها الغلال[4]، وأوضح ناصر خسرو أنه في مدينة تنيس لوحدها حوالي ألف سفينة يستخدم التجار جزءاً منها، فتلك المدينة أغلب معاملاتها التجارية وتجارتها يتم عن طريق السفن[5].

بعد الفتح الإسلامي لمصر رفض الخليفة عمر بن الخطاب دخول المسلمين البحر أو الغزو فيه خوفا عليهم، مقتديا بالرسول ﷺ وأبي بكر، لكن الخليفة عثمان بن عفان أذن للمسلمين بركوب البحر بعد أن أقنعه معاوية بن أبي سفيان، فكان معاوية أول من ركب البحر للغزو فيه[6]، وبما أن المسلمين لم يكونوا أهل خبرة في صناعة الأخشاب والمراكب لأنهم لم

---

(1) حياة الحيوان الكبرى، الدميري ، ج96/1.

(2) الحرف والصناعات في مصر الإسلامية، أبو سديرة، ص28.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 350.

(4) فتح العرب لمصر، بتلر، ص149.

(5) سفر نامة، ناصرو خسرو، ص79.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 603.

يدخلوا البحر من قبل ولم يغزو فيه؛ وذلك يعود إلى أن العرب عاشوا معظم حياتهم في البادية فلم يكونوا متمرسين في القتال فيه أو بناء السفن او استخدامه في التجارة مقارنة بالنصارى من الروم والأقباط في مصر الذين كانوا على درجة عالية من الحرفية في ركوبه وصناعة السفن[1].

وقد كان أغلب الحرفيين والصناع من النصارى وخاصة الأقباط منهم[2]، فكان لا بد لهم من الاستعانة بالخبراء من سكان البلاد المفتوحة، وكان الأقباط هم أهل الخبرة في بناء السفن والأساطيل الحربية، فتقربوا من المسلمين عندما استقر حكمهم لمصر وعرضوا عليهم خدماتهم، فاستخدمهم المسلمون في صناعة الأسطول والمراكب الحربية الكبيرة، هذا ويعود الفضل للأقباط في إنشاء أول أسطول إسلامي للمسلمين[3].

ويبدو أن الأقباط لعبوا دوراً مهماً في انتصار المسلمين في معركة ذات الصواري عام أربع وثلاثين للهجرة، حيث يعود لهم الفضل في تقديم خدماتهم للمسلمين، وصناعة مائتي مركب لمواجهة أسطول الروم الذي كان تعدادها ألف مركب[4].

في بداية الفتح الإسلامي لمصر أنشأ المسلمون في الجزيرة داراً لصناعة السفن سنة أربع وخمسين للهجرة، ودار الصناعة: هي المكان الذي يتم فيه صنع السفن البحرية[5]، وكان بدار الصناعة خمسمائة من العمال والصناع النصارى يبدو أنه كان لهم دور كبير في بناء المراكب في دار الصناعة في الجزيرة[6]، وكانت الأخشاب اللازمة لصناعة المراكب والسفن التي تحتاجها دار الصناعة يجري شراؤها من النصارى حيث يقوم الولاة بجمعها منهم ودفع أثمانها، وخير دليل على ذلك ما كتبه حيان بن شريح للخليفة عمر بن عبد العزيز أنه احتاج أخشاباً لصناعة المراكب ولم يجدها إلا عند أهل الذمة فأمر عمرُ بشرائها من النصارى بأسعارها الحقيقية وبعدل[7]، وبقيت دار الصناعة يصنع فيها المراكب البحرية حتى عام

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 606.

(2) المصدر نفسه، م4، 997.

(3) تاريخ ابن خلدون، ابن خلدون، ج313/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 606.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م42،2.

(5) المصدر السابق، م3، 602.

(6) المصدر نفسه، م3، 709.

(7) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص103؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 27.

(323هـ/ 935م) حيث أرسل محمد بن طغج الإخشيد صاعد بن كلكم وقاموا بحرق دار الصناعة[1].

استمرت شهرة الأقباط بمهاراتهم واحترافهم في صناعة المراكب والسفن، ولم يشر المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار) إلى دور الأقباط في إنشاء دار الصناعة في تونس لكنه أشار أن عبد الملك بن مروان أمر واليه على تونس بإنشاء دار لصناعة السفن في تونس[2].

ولكن البكري وضح دور الأقباط في بناء تلك الدار، وكيف استعان الخلفاء الأمويون بالأقباط النصارى في مصر من أجل صناعة أسطول بحري في تونس؛ بسبب خبرتهم العالية في بناء الأسطول، حيث ذكر البكري في كتابه (المسالك والممالك) أن الخليفة عبد الملك بن مروان أمر أخيه عبد العزيز بن مروان والي مصر بأن يرسل ألفاً من الأقباط المتخصصين في صناعة المراكب والسفن مع عائلاتهم وذويهم إلى تونس، وأن يحسن تجهيزهم ويمدهم بما يحتاجونه في سفرهم إلى تونس من أجل إنشاء دار لصناعة الأسطول في تونس، وأوصى حسان بن النعمان بالأقباط وأن يتولى الأقباط بناء دار الصناعة، وأن تكون مهمة البربر مقتصرة على حمل الأخشاب إليهم، وبالفعل وصل الأقباط من مصر إلى تونس وأنشؤوا داراً لصناعة الأسطول في تونس بها مراكب كثيرة، وبقي الأقباط في تونس من أجل إعمارها مما يدل على أن الأقباط كانوا ذوي مهارة عالية في بناء المراكب البحرية[3].

وفي العصر العباسي لم يظهر العباسيون اهتماماً بصناعة السفن في مصر إلا في عصر الخليفة العباسي المتوكل على الله سنة مائتين وثمان ثلاثين هجرية، حيث أشار المقريزي بأنه هو أول من أنشأ الأسطول في مصر، وذلك يدل على عدم الاهتمام بالأسطول من قبل الخلفاء العباسيين الذين سبقوه[4].

كانت صناعة السفن في مصر تنقسم إلى نوعين: سفن نيلية وسفن حربية، فالسفن الحربية هي التي يتم صناعتها لمحاربة الأعداء أو للهجوم والغزو على مناطق أخرى، وتركزَ إنشاء هذا النوع من السفن في الإسكندرية ودمياط وتنيس والفرما، بحيث يتم تجهيزها بالسلاح وآلات الحرب والمعدات اللازمة للجنود وكان يطلق عليها اسم: الأسطول[5]، أما السفن النيلية

(1) كتاب الولاة، الكندي، ص207؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 577.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 605.

(3) المسالك والممالك، البكري، ج695/2.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 606.

(5) المصدر نفسه، م3، 602.

فهي التي تسير في النيل وغالباً ما يكون الهدف منها هي التجارة الداخلية والخارجية حيث كانت تنقل البضائع والسلع في جميع أنحاء مصر[1].

تعد مدينة الإسكندرية أهم ميناء في عهد البيزنطيين، فقد كان بها إبان الفتح الإسلامي حوالي مئةُ سفينة من السفن الكبار والتي تسع لثلاثين ألفاً من الأشخاص، ويبدو أن مدينة الإسكندرية استمرت كمدينة تتمتع بأهمية كبيرة حتى بعد الفتح الإسلامي[2].

ومن العوامل التي ساعدت المصريين على بناء الأسطول هو توفر الأخشاب الجيدة التي تصنع منها المراكب، حيث كانت توجد أشجار السنط في مناطق كثيرة من مصر، مثل: أسيوط واخميم وقوص والأشمون، وتلك المدن يتواجد بها أشجار السنط بشكل كبير جداً، ويبدو أن تلك الأشجار كانت تخضع لحماية ورقابة الدولة التي خصصت لها حراساً مهمتهم حمايتها، حيث كان يمنع أن تقطع تلك الأشجار ويمنع الاقتراب منها، ليتمكنوا من الاستفادة من أخشابها التي تصنع منها المراكب والأسطول، ويبدو أن أخشاب السنط كانت غالية الثمن فقد أورد المقريزي أن أخشاب السنط في مدينة البهنسا غالية الثمن حيث يبلغ ثمن العود الواحد منها مائة دينار[3]، لذلك فرضت ضريبة على أشجار السنط عرفت بمقرر السنط، ويتم صرف المقرر على شكل أجرة للعمال الذين يقطعون أخشاب السنط، فكل عامل يحمل مائة من أشجار السنط تكون أجرته دينار، ولذلك كانت الحكومة تشدد من الاجراءات التي تضمن عدم الاقتراب من تلك الأشجار أو قطع جزء منها، ولكنها تسمح لهم بقطع الأطراف البعيدة عن الجذع؛ ليستخدموها كوقود، وكان يتم بيعها على التجار، بحيث كل مائة حمل منها أربعة دنانير وكان بيعها يتم تحت رقابة شديدة من قبل الدولة[4].

في عصر الدولة الفاطمية اهتم الخلفاء الفاطميون ببناء الأسطول، وأبدى الخليفة الفاطمي المعز لدين الله اهتماماً كبيراً في تجهيز وصناعة المراكب البحرية[5]، واتخذوا من مدينة مصر والاسكندرية ودمياط مراكز لصناعة الأسطول فأنشؤوا: الشواني، والمراكب المسقوفة والمسطحة[6]، واستعانوا بالنصارى من أجل تجهيز أسطول؛ لخبرتهم في هذه الصناعة فقد أمر

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 602.

(2) المصدر نفسه، م1، 449.

(3) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص344– 346؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 298.

(4) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص344– 346؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 298

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 611.

(6) المصدر السابق، م3، 612.

الخليفة الفاطمي العزيز بالله بإنشاء أسطول ليتوجه به إلى طرابلس، وأمر كبار موظفيه عيسى بن نسطورس النصراني بإنشاء أسطول يتوجه معه في البحر إلى طرابلس، فجهز عيسى بن نسطورس وجمع الأخشاب من المناطق كافة، وأنشأ أسطولاً في دار الصناعة بمصر، وجهزه بأشكال الأسلحة والآلات والعدة كافة[1]، واستمر الاهتمام بالأسطول في العصر الفاطمي حتى جاء شاور وزير الدولة الفاطمية الذي أمر بإحراق الأسطول حتى لا ينتفع به الصليبيون[2].

ثالثاً: صناعة الورق

عرفت مصر منذ القدم بصناعة الورق فكانت تصدر إلى بلاد الروم ما تحتاجه من الورق[3]، وتتميز القراطيس أو الورق في مصر بأنه لا يوجد مثله في أي بلد آخر؛ وذلك لجودتها حيث تعد من أفضل الأوراق التي يكتب بها[4]، ويبدو أن مدينة الفسطاط كانت تحتوي على مصانع للورق حيث ذكر ابن عبد الحكم أن بعض القبائل العربية مثل الليثيين بنوا بيوتهم عند أصحاب القراطيس[5].

وكان أغلب من يعملون بحرفة صناعة الورق في مصر من النصارى، واستمر النصارى في عملهم في صناعة الورق بعد الفتح الإسلامي وحتى عصر الخلافة الأموية[6].

وكانت القراطيس يطرز عليها بلغة الروم ويكتب عليها: أب وابن وزوجة وبنتا، وبقيت على حالها حتى زمن الخليفة عبد الملك بن مروان، وكان عبد الملك خليفة ذكياً وفطناً انتبه إلى طراز القراطيس فأمر بأن تتم ترجمته إلى العربية، وعند ترجمته وجد عبارات ترمز إلى الديانة النصرانية، فغضب عندما وجد طرازها عليه كلماتٍ منافية للشريعة الإسلامية وأمر واليه على مصر عمر بن عبد العزيز بتغير طرازها ليستبدل بسورة التوحيد[7].

ويتضح مما سبق بأن صناعة الورق كانت حكراً على النصارى في مصر، فقد كان الروم والمسلمون يستوردون الورق من مصر، والدليل على ذلك هو بقاء رموز الديانة النصرانية على الورق حتى بعد الفتح الإسلامي، ويبدو أن النصارى استمروا في صناعة الورق حتى بعد

(1) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص233.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي،م3، 612.

(3) فتوح البلدان، البلاذري، ص2379.

(4) فضائل مصر، الكندي، ص12؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج328/2.

(5) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص130.

(6) نوادر الخلفاء، دياب الإتليدي، ص280.

(7) المصدر السابق، ص280.

زمن الخليفة عبد الملك بن مروان؛ لأنه أمر بتغيير ما يكتب على الورق ولم يأمر بتغيير الصناع الذين يصنعونه[1]، وذكر اليعقوبي بعض مراكز صناعة الورق في مصر ومن ضمنها مدينة تسمى وسيمة كان يصنع بها المصريون الورق[2].

يتميز الورق المصري بالجودة حتى ذاع صيته، حيث أن الخليفة العباسي المعتصم قام بالاستعانة بالنصارى في مصر؛ ليصنعوا له القراطيس في مدينته الجديدة سامراء التي بناها فصنعوها، ولكنها لم تكن بجودة الورق المصري[3]، ويدل ذلك على براعة وخبرة الصناع المصريين ولا سيما النصارى منهم في صناعة الورق وجودة ما يصنعوه، وذكر المقريزي أن المسلمين عندما فتحوا مصر فرضوا على صناع الورق في مصر جزية مقدارها أربعة دراهم[4].

ويبدو أن الرهبان النصارى عملوا في مهنة نسخ الورق حيث ذكر المقريزي بأن دير أرض الحاجر الذي كان يسكن فيه الرهبان عملوا في نسخ علوم النصارى[5].

رابعاً: صناعة المعادن:

ذكر المقريزي أن مصر غنية بالمعادن، حيث يتواجد فيها أكثر من ثلاثين معدناً من ضمنها: معدن الزمرد والشب والبرام ومقاطع الرخام والنفط[6]، لكنه لم يذكر تفاصيل عن صناعة تلك المعان وتطورها، وذكرت الباحثة سيدة كاشف بأن الاقباط برعوا بصناعة المعادن واحتفظوا بها بعد أن ورثوها عن الفراعنة وعلموها لتلاميذهم العرب، ولكن الباحثة لم تذكر نوع تلك المعادن أو تتحدث عن دليل يثبت أن الأقباط برعوا في تلك الصناعة رغم اقرارها بأنه لا توجد آثار معدنية للأقباط في ذلك العصر[7]، ويفسر الباحث سميكة أسباب غياب آثار تلك المعادن عند الأقباط إلى صهر تلك المعادن التي يمتلكها الأفراد أو الكنائس كلما قدمت فيعاد تصنيعها لتستبدل بأوان جديدة؛ لذلك كان من الصعب الحصول على آثار قبطية من المعادن وخاصة الذهب والفضة[8].

---

(1) نوادر الخلفاء، دياب الإتليدي ، ص280.

(2) البلدان، اليعقوبي، ج176/1.

(3) البلدان، البلدان، ج/65؛ البلدان، ابن فقيه الهمذاني، 514.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.

(5) المصدر السابق، م4، 430.

(6) المصدر نفسه، م1، 75.

(7) مصر في فجر الإسلام، كاشف، ص 295 – 296.

(8) دليل المتحف القبطي، سميكة، ج89/1.

كانت بعض مدن الأقباط في مصر تشتهر بصناعة الذهب، مثل مدينة أسوان التي تقع في صعيد مصر[1]، وقد أشار الباحث مرقص سميكة على أن الأقباط النصارى ورثوا حرفة استخراج المعادن وسبكها من أجدادهم، وقد ازدهرت تلك الحرفة على أيديهم في العصر الإسلامي وخير دليل على ذلك ما وُجد من أواني مصنوعة من الذهب في الكنائس المسيحية[2]، ويرى بتلر أن مدرسة الإسكندرية قد أبدعت في صناعة الذهب على أيدي المصريين الأقباط[3].

وأما عن طريقة استخراج الأقباط للذهب فقد ذكر الإدريسي بأن العاملين في مجال الذهب كانوا يذهبون في وقت معين في بداية الشهر العربي إلى منطقة وادي العلاقي فإذا رأوا شيئاً يلمع في الليل وضعوا علامة عليه، فإذا أصبحوا ذهبوا إلى مكان العلامة وأخذوا الرمل ثم يقوموا بغسله بالماء ثم سبكه بالزئبق وبعد ذلك يسبكوه ثم يبعونه للتجار [4].

كما برع النصارى أيضاً في صناعة الحديد فمدينة تنيس التي معظم سكانها من النصارى[5]، كان يصنع فيها السكين والمقراض وغيرها الكثير من الأدوات والآلات الحديدية[6].

ويبدو أن الأقباط النصارى قد برعوا في الصناعات الذهبية واستخدموها كثيراً في كنائسهم، فقذ ذكر الأنطاكي أنه في زمن محمد بن طغج الإخشيد تم مصادرة كنيسة في تنيس والسيطرة على كل ما فيها، وكان فيها كنوز كثيرة مصنوعة من الذهب والفضة والنحاس ومن كثرة ما بها من كنوز تم وزنها بقبان، ويبدو أن تلك الكنوز كانت كثيرة وعظيمة لدرجة أنها أثارت دهشة من كان حاضراً من المسلمين وغيرهم[7]، وأشار أبو المكارم حيث إلى أن بعض النصارى استخدموا العاج لتدخيله في بعض صناعاتهم[8]، كما استخدموا الأدوات المصنوعة من فضة مثل: الصلبان والمباخر وغيرها[9].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 536.

(2) دليل المتحف القبطي، سميكة، ج89/1.

(3) فتح العرب لمصر، بتلر، ص143.

(4) نزهة المشتاق، الإدريسي، ج46/1؛ الروض المعطار، الحميري، ص606.

(5) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج120/1.

(6) سفر نامة، ناصر خسرو،ص80.

(7) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص25-26.

(8) تاريخ الكنائس والأديرة، أبو المكارم، ص5.

(9) المصدر السابق، ص6.

وذكر المقريزي في كتابه عن إحدى مناطق مصر تسمى المناخ السعيد حيث أشار أن أغلب سكان هذه المنطقة من المغتربين وخاصة الفرنج الذين برعوا في صناعة الأدوات المصنوعة من الحديد من أسلحة ومنجنيق وآلات الأسطول[1].

خامساً: صناعة الخمر

تعد صناعة الخمر من الصناعات التي اشتهر بها النصارى في مصر، ويبدو أن تلك الصناعة كانت من الصناعات المهمة التي تجلب لهم الكثير من الربح، فكانت لها مصانع مخصصة يتم فيها عصر الخمر، ومن الأماكن التي اشتهرت بصنع الخمر في مصر مدينة تنيس التي أغلب سكانها من النصارى فكان بها معاصر خاصة للخمر؛ وربما يعود ذلك إلى كثرة كروم العنب فيها والتي اشتهرت بها مدينة تنيس[2]، ومن أماكن صناعة الخمر أيضاً حارة الروم والتي غالبية سكانها من النصارى[3]، وقرية تسمى منية الأمراء والتي غالبية سكانها من النصارى فكانت مركزاً لعصر الخمور والتجارة فيه، وخير دليل على شهرة منية الأمراء بصناعة الخمر حجم وعدد جرار الخمر التي غرقت في النيل، فقد غرق في يوم واحد في منية الأمراء ثمانين ألف جرة خمر؛ بسبب فيضان النيل[4]، وحجم الجرار التي دمرها الأمير يلبغا السالمي في سنة ثمانمائة وثلاث حيث دمر أربعين ألف جرة من الخمر، مما يدل على الكم الكبير من إنتاج الخمر الذي يتم في تلك القرية النصرانية[5].

كما ذكرت المصادر التاريخية أن زوجة المقوقس كان لها كروم كثيرة من العنب في بحيرة الإسكندرية، كانت لا تأخذ خراجها أموالاً بل طلبت أن يكون خراجها خمراً، فازداد انتاج الخمر لدرجة أنها ملّت منه وطالبت بأن يكون خراجها دنانيراً عوضا عنه[6].

ويبدو أن للخمر مواسم معينة يتم فيها عصر العنب لتحويله لخمر وكان وقت عصر العنب في شهر آب وهو عند الأقباط شهر مسرى آخر شهور السنة القبطية[7].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 456.
(2) الانتصار، ابن دقماق، ج78/2.
(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 500.
(4) المصدر السابق، م3، 429.
(5) المصدر نفسه، م3، 429.
(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 458؛ تاريخ الكنائس والأديرة، أبو المكارم، ص84.
(7) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 739.

شاع استخدام الخمر في احتفالات النصارى وأعيادهم من كل عام وكان من مظاهر الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم المختلفة هو احتساؤهم الخمور والتراشق بها، فكانت تلك الأعياد مناخاً خصباً لصناعة الخمور التي كان يتولاها النصارى في مصر، فقذ ذكر المقريزي بأنه في عيد الشهيد باع نصراني خمراً بمبلغ اثني عشر ألف درهم فضة، كما كان الفلاحون النصارى في شبرا يعتمدون على صناعة الخمر وأرباحها في دفع الخراج المستحق عليهم[1].

وكان بعض المسئولين النصارى في الدولة الإسلامية يشربون الخمر في العلن في أعيادهم، فكان الرئيس فهد ابن إبراهيم النصراني يجتمع في عيد الغطاس ويشرب مع عائلته الخمر[2]، وبعض النصارى كانوا يشربون الخمر في الأديرة أو بالقرب منها، ففي مصر كان يجتمع النصارى بالقرب من دير مرحنا ويشربون الخمر بالقرب منه[3]، ويجري تضمين بيع الخمر كل يوم بألف دينار[4].

يبدو أن الخلفاء الراشدين وولاتهم لم يتدخلوا في شئون النصارى الخاصة بهم من حيث المأكل والمشرب فكان النصارى يشربون الخمور، بل كانت لهم حانات خاصة يتم فيها شرب الخمر ولم تعطل تلك الحانات إلى في زمن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الذي منع شرب الخمر[5].

واجه النصارى بعض الصعوبات في صناعة الخمر والتجارة فيه، حيث منع بعض الولاة والسلاطين بيعها أو صناعتها، وتوعدوا من يقوم ببيعها أو التجارة فيها بأشد العقوبات، فقد أمر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام ثلاثمائة وخمسة وتسعين بمنع الخمور؛ فكسر الآلاف من أواني الخمور وتم إراقتها في كل المناطق[6]، ثم خالف النصارى أوامر الحاكم وعادوا إلى شرب الخمر وصناعته وبيعه عام ثلاثمائة وستة وتسعين مستغلين انشغال الحاكم بأمر الله بقتال أبي ركوة وهو: الوليد بن هشام الذي ظهر في برقة وتوجه لمصر لقتال الحاكم ونشر دعوته[7]، ولكن وفي عام ثلاثمائة وسبعة وتسعين تغير موقف الحاكم من شرب الخمر بعد أن اتخذ الحاكم بأمر الله أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن أنسطاس طبيباً له _وهو طبيب

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م1، 183.

(2) المصدر السابق، م1، 718.

(3) الديارات، الشابشتي، ص325.

(4) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص259–268.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي،م2، 50.

(6) المصدر السابق، م4، 140.

(7) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص259–268.

نصراني_[1]، شجع الحاكم على شرب الخمر موضحاً له فوائد شرب الخمر ومميزاته، فاستمع الحاكم إلى مشورته و شرب الخمر وعاد سكان مصر لشرب الخمر والمتاجرة به من جديد[2].

وفي سنة أربعمائة نهى الحاكم عن شرب الخمر وعن بيع كل ما يصنع منه الخمر كالعسل والزبيب[3]، وفي عام أربعمائة وثلاث للهجرة قُطعت كل كروم العنب بمصر بأمر من الحاكم ولم يتبق منها كرم واحد وحظر على الناس بيع العنب[4]، وتم جمعها وتقديمها كالطعام للأبقار، وجمعَ الخمرَ الموجود بالمخازن وأراقه في البحر[5]، كما تم إلقاء خمسة آلاف جرّة من العسل في البحر خوفا من أن تعمل خمراً[6].

ويرى الباحث سلام الشافعي أن ما قام به الحاكم من الرقابة الشديدة على حظر بيع الخمور تعود أسبابه إلى غيرة الحاكم وحرصه على الحفاظ على الأخلاق والحد من انتشار الفساد الذي استشرى في مصر، وأن هدفه من ذلك القيام بعملية الاصلاح وتحسين المستوى الخُلقي للناس[7]، وترى الباحثة أن الأسباب التي ذكرها الباحث الشافعي حول منع الحاكم الخمور غير مقنعة فلم يكن الحاكم حريصاً على الأخلاق، وكيف يكون حريصاً؟ وهو من أمر الناس بسب الصحابة ولعنهم وقتل الناس بأبشع الطرق[8]، بل ما فعله الحاكم من منع الخمر يعود إلى طبيعة شخصية الحاكم المضطربة وغير المتزنة والتي تميل للظلم والتجبر وسفك الدماء كما وصفها الذهبي[9]، وبعد وفاة الحاكم عاد الناس لشرب الخمر وصناعتها وبيعها في خلافة الظاهر لإعزاز دين الله حتى أن الظاهر نفسه شرب الخمور[10].

---

(1) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي ، ص259–269؛ عيون الأنباء، ابن أبي أصيبعة، ص544.

(2) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص259–269.

(3) نهاية الأرب، النويري، ج28/ 191.

(4) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج15/ 174؛ نهاية الأرب، النويري، ج28/ 190؛ مورد اللطافة، ابن تغري، ج275/1؛ النجوم الزاهرة، السيوطي، ج178/4.

(5) نهاية الأرب، النويري، ج28/ 190.

(6) النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج4/ 177.

(7) أهل الذمة في مصر، الشافعي، ص 138.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 138.

(9) سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج174/15.

(10) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص374.

في العصر المملوكي منع السلطان الظاهر بيبرس الناس من شرب الخمر وأبطل بيع الخمور وأمر بإغلاق بيوت الخمر وأمر بسكبها، وذلك في سنة ستمائة وخمس وستين[1]، وتم حظر الخمور أيضا زمن السلطان الناصر فرج بن برقوق فقد قام يلبغا السالمي أحد موظفي الدولة الكبار في عهده بالهجوم على شبرا الخيمة والمنية وهي إحدى ضواحي القاهرة التي تشتهر بصناعة الخمر فحطم ما يزيد عن أربعين ألف جرة خمر، ومنع النصارى من صناعة الخمر وحطم ما تبقى منها على باب زويلة وتحت قلعة الجبل وذلك في عام ثمان مائة وثلاثة[2].

سادساً: صناعة الفخار والزجاج

لم يرد في كتاب المقريزي معلومات عن طرق أو مراكز صناعة الأواني الزجاجية والخزفية عند النصارى في مصر، لكن المقريزي ذكر أن النصارى هم أصحاب الحرف والصناعات وخاصة الأقباط الذين تنوعت أنشطتهم الاقتصادية ما بين تجارة وصناعة وزراعة ومهن وحرف مختلفة وهم يعدون عماد الصناعة في مصر[3]، وقد أورد المقريزي في كتابه معلومات قليلة عن الأواني الخزفية والفخارية حيث أنه ذكر وسائل تصفية مياه نهر النيل، وذلك عن طريق وضعه في إناء مصنوع من الفخار أو الخزف، ووسائل تبريد الماء في فصل الصيف عن طريق وضعه في أواني مصنوعة من الخزف أو الفخار، وذلك يدل على اهتمام المصريين منذ القدم بصناعة الخزف والفخار؛ بسبب استخداماتها اليومية والضرورية في حياتهم، وكانت تصنع تلك الأواني في فصل الصيف[4]، فكان شهر أمشير أي شباط هو أفضل الشهور عند الأقباط لصنع الأواني الخزفية والتي يتم استعملها طوال العام ويبرد فيها الماء[5]، واشتهرت مصر بصناعة الزجاج منذ القدم وصنعت من الزجاج المجالس[6]، وذكر بتلر أن الزجاج كان من ضمن الضرائب التي فرضها أغسطس على مصر والتي يتوجب على مصر أن ترسلها عيناً مع الجزية[7].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 285–286.

(2) المصدر السابق، م4، 160.

(3) المصدر نفسه، م4، 997.

(4) المصدر نفسه، م1، 172.

(5) المصدر نفسه، م1، 735.

(6) المسالك والممالك، البكري، ج585/2.

(7) فتح العرب لمصر، بتلر، ص144.

وكانت صناعة الزجاج عند الأقباط لها أسرار خاصة تظهر في صناعتهم وكانوا يصنعون بالزجاج بعض المصنوعات التي تشبه الجواهر، وقد توارث الأقباط تلك الصناعة عن بعضهم البعض فانتقلت براعتهم فيها بالوراثة فصنعوا من الزجاج المصابيح الفاخرة التي علقت في الكنائس والمساجد[1]، فكانت تضاء تلك المصابيح في أعياد النصارى التي يحتفلون بها[2].

وذكر الباحث النصراني سميكة أن الآثار التي خلفها الأقباط والتي تشير إلى دورهم في صناعة الأواني الزجاجية والخزفية قليلة جداً لا تحتوي سوى على بعض الأطباق والقدور عليها صور أشخاص وطيور، لكنه يعترف بأن صناعة الأواني الزجاجية والخزفية تطورت في العصر الإسلامي، وخاصة القرنيين الثالث عشر والرابع عشر لدرجة أنها أصبحت تنافس الأواني المستوردة من بلاد الصين وأوروبا، وعثر على بعض الأفران التي كانت تصنع منها تلك الأواني والتي تركزت في مدينة الفسطاط[3]، ويرجح الباحث راشد البراوي أسباب نشاط الصناعة الزجاجية والخزفية إلى نشاط الحركة العمرانية فقد كانت تضاء القناديل في المباني الدينية بالإضافة إلى حالة الغناء والثراء التي كانت سائدة[4].

وتحدث ناصر خسرو عن براعة المصريين في صناعة الأواني الفخارية وعن جودتها، فقد قال: "ويصنعون بِمصْر الفخار من كل نوع وَهُوَ لطيف وشفاف بِحَيْثُ إذا وضعت يدك عَلَيْهِ من الْخَارِج ظَهرت من الدَّاخِل"[5]، كما صنع المصريون من الفخار الكؤوس والأقداح والصحون، وقاموا بتلوين تلك الأواني بألوان متعددة فأصبحت تشبه البوقلمون بحيث تظهر كل جهة من تلك الأواني بشكل مختلف، كما يصنعون منها قوارير شديدة الصفاء والرقة تباع بالوزن[6].

كان المصريون يستخدمون الأواني الفخارية لتخزين بعض الأطعمة والسلع فقد ذكر بأنه تم تدمير خمسة آلاف من جرار العسل وإلقائها في النيل زمن الحاكم بآمر الله[7]، ويرى الباحث أن تلك الصناعات الزجاجية والفخارية وغيرها من الصناعات ازدهرت في العصر الفاطمي تعود

---

(1) فتح العرب لمصر، بتلر ص144.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 719.

(3) دليل المتحف القبطي، سميكة، ص135.

(4) راشد، الحرية في الاقتصاد الإسلامي، البراوي، ص78.

(5) سفر نامه، ناصر خسرو ص103.

(6) سفر نامه، ناصر خسرو ، ص103-104.

(7) وفيات الأعيان، ابن خلكان، ج5/293.

أسباب ازدهارها إلى سياسة الفاطميين في مجال الاقتصاد؛ حيث أطلقت الحرية للجميع القيام بالمشاريع الاقتصادية دون تمييز، فكان من ضمنهم الأقباط الذين هم أساس الصناعة، و الذين شعروا بالأمان في العصر الفاطمي بالإضافة إلى رغبة الفاطميين في استغلال مهارات الأقباط في الصناعات المختلفة[1].

---

(1) الدولة الفاطمية في مصر، السيد، ص296.

المبحث الثالث:

التجارة

نقل العديد من المؤرخين ومن ضمنهم المقريزي على لسان الجاحظ أن الأمصار عشرة، وكلٌّ مِصرٍ من هذه الأمصار يتميز ويتفوق بصفات تميزه عن غيره من الأمصار، وقد تميز مصرُ عن غيرها من الأمصار بالتجارة[1]، وقد وصف الرحالة المقدسي مصرَ بأنها بلد التجارات[2].

تميزت مصر عبر التاريخ بنشاط الحركة التجارية فيها؛ وذلك يعود إلى نشاط وازدهار الحركة الصناعية والزراعية في مصر، فتوفرُ السلع الصناعية والغذائية في مصر أدى إلى ازدهار التجارة الداخلية والخارجية في مصر عن طريق نقل البضائع التجارية من مصر وإليها[3]، وليس ذلك فحسب بل نشاط الحركة التجارية يرجع إلى موقع مصر الجغرافي والاستراتيجي، فهي تشرف على بحرين: بحرُ الروم، وبحر القلزم[4]، واللذان ساهما في ازدهار التجارة في مصر وسهلا من عملية التصدير إلى جميع البلدان، فبحر الروم ويقصد به: البحر المتوسط الذي يقع على سواحله مدينة دمياط وتنيس والفرما ساهم في نشاط حركة التجارة الخارجية في مصر، فصدرت مصر بضائعها إلى بلاد الشام، وبلاد الروم والإفرنج والعراق، وبحر القلزم وهو: البحر الأحمر الذي يصلها بالمحيط الهندي ساعد على نشاط التبادل التجاري بين مصر وبلاد الحجاز واليمن وعمان والسند والصين والهند[5]، كما أن موقع مصر الاستراتيجي سهل من عملية التبادل التجاري، فكانت مدينة الإسكندرية ترسل البضائع التجارية إلى جزيرة صقلية، واقر يطش والمغرب العربي، كذلك مدن الصعيد التي نشطت الحركة التجارية فيها وحملت منها البضائع إلى بلاد النوبة والبجة والحبشة والحجاز واليمن[6].

---

(1) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص79؛ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج352/1؛ تاريخ دمشق، ابن عساكر، ج441/45؛ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، ج71/8؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 68.

(2) أحسن التقاسيم، المقدسي، ص185.

(3) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج19/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،74.

(4) سفر نامه، ناصر خسرو، ص80 –85؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 74.

(5) التنبيه والإشراف، المسعودي، ج19/1.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 74.

إضافة إلى وجود نهر النيل فيها والذي وصفه المقريزي بأنه عجب[1]، والذي زاد من حركة التجارية النهرية مع دول حوض نهل النيل[2].

فقد ذكر ابن ظهيرة بأن مصر من أعظم الدول؛ لذلك يقطنها ويأتي إليها التجار من مختلف الجنسيات[3].

اقتصرت الأنشطة الاقتصادية في بداية الفتح الإسلامي لمصر على النصارى، فالعرب لم يعملوا في حرفة التجارة كما ذكر الجاحظ من قبل فقد قال: "كذلك العرب لم يكونوا تجاراً ولا صناعاً، ولا أطباء ولا حساباً ولا أصحاب فلاحة، فيكونوا مهنة، ولا أصحاب زرع، لخوفهم صغار الجزية"[4].

فتنوعت الأنشطة الاقتصادية للنصارى والتي كان أبرزها التجارة[5]، فنشطت حركة التجارة الداخلية والخارجية في مصر وخاصة في المناطق التي يعد أغلب سكانها من النصارى مثل تنيس[6]، فمدينة تنيس كانت مدينة مليئة بالأسواق وتميزت أسواقها بالفخامة والرقي والتنظيم، فقد بلغ عدد الدكاكين في تنيس لوحدها عشرة آلاف دكان، منها مائة دكان للعطارة[7]، وكذلك يوجد على ساحل تنيس أكثر من ألف مركب، جزء كبير منها مخصص للتجار حيث يتم نقل البضائع منها وإليها عن طريق السفن؛ لأنها عبارة عن جزيرة، وتلك الأسواق والمراكب تدل على نشاط الحركة التجارية الداخلية وتنوعها وازدهارها في المدينة، والدليل على ذلك حجم الدخل الذي يعود على الدولة من مدينة تنيس حيث كان يدخل إلى خزانة الدولة من تنيس لوحدها ألف دينار يومياً[8]، وأطلق عليها المقدسي متجر الشرق والغرب؛ وذلك بسبب أسواقها الغنية والمليئة بالسلع والبضائع والأسماك رخيصة الثمن[9].

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 70.

(2) سفر نامه، ناصر خسرو، ص80 –85.

(3) الفضائل الباهرة، ابن ظهيرة، ص185.

(4) رسائل الجاحظ، الجاحظ، ج69/1؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، ج245/1.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(6) آكام المرجان، إسحق بن الحسين ص88؛ أحسن التقاسيم، المقدسي، ج201/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 480.

(7) سفر نامة، ناصر خسرو، ص77.

(8) المصدر السابق، ص77.

(9) أحسن التقاسيم، ج201/1.

كما اشتهرت تنيس بصناعة الملابس الخاصة بالنساء والملابس الخاصة بالرجال والتي يمنع على التجار تصديرها فهي خاصة بمصرَ لوحدها، كما يوجد بها نسيج يسمى البوقلمون الذي لا يوجد في أي مكان بالعالم إلا بالتنيس ومنها يتم تصديره إلى مختلف أنحاء العالم في الشرق والغرب[1]، وبسبب اشتهار تنيس بالتجارة وخاصة المنسوجات عرض ملك الروم على سلطان مصر أن يمنحه مئة مدينة مقابل أن يأخذ تنيس فرفض سلطان مصر[2]، ويعود نشاط حركة التجارة في تنيس إلى كثرة المصانع الموجودة فيها، وتنوع الأسواق، وخبرة حرفيها[3]، كما اشتهرت بلدة منية الأمراء التي معظم سكانها من النصارى بالتجارة الداخلية وكثرة الأسواق فيها وكان من أشهر أسواقها سوق الأحد والذي يعقد في كل يوم أحد، ويشتهر ذلك السوق ببيع البقر والأغنام والغلال اللازمة للحيوانات[4].

كما اشتهرت بمعاصر الخمر والتجارة فيها وكانت مقصداً للناس كل يوم أحد وجمعة، فيتسوق منها الناس ويدخل إليها الكثير من المال، وكان فيها أكثر من ثلاثين طاحونة للقمح، وبقيت عامرة حتى عام ثمانمائة وستة للهجرة، فخربت وهاجر منها السكان[5]، كذلك مدينة دمياط التي تكثر فيها الأسواق[6]، حيث اشتهرت دمياط التي غالبية سكانها من النصارى[7]، بصناعة الملابس التي لا مثيل لها في أي بلد آخر، حيث جنت دمياط من تلك التجارة أموالاً طائلة[8]، وكان لدمياط معامل خاصة بها لصناعة الملابس فإذا صنعت ملابسها في غير تلك المصانع يتغير سعرها وينخفض[9]، فدمياط تعد مركزاً للتجار الذين كانوا كثيرا ما يترددون عليها، فقد ذكر بعض التجار أنه في عام ثلاثمائة وثمان وتسعين بيع في دمياط حلتان ثمنهما ثلاث آلاف دينار؛ وذلك يدل على أن سلع دمياط ذائعة الصيت، فقد اشتهرت دمياط بالفرش القلموني وغيرها من الأقمشة التي كانت تصدر لملوك الأرض[10]، وجميع الملابس الغالية

---

(1) سفر نامة، ناصر خسرو، ص77.

(2) المصدر السابق، ص77.

(3) المصدر نفسه، ص78.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 428. .

(5) المصدر السابق، م3، 430.

(6) المصدر نفسه، م1، 608.

(7) المسالك والممالك، المهبلي، ص33؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 68.

(8) آكام المرجان، إسحق بن حسين، ص87.

(9) المسالك والممالك، المهبلي، ص33.

(10) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج473/2.

الثمن كان مصدرها دمياط وتنيس ويصدر منها لدول العالم[1]؛ لذلك كانت لا تدخل السفن التجارية إلى دمياط ولا تخرج منها إلا بإذن[2].

كما كان يشحن من سواحل دمياط الدقيق والفواكه إلى جزيرة قبرص واقريطش[3]، بالإضافة إلى شهرة دمياط بأشجار الموز التي يتم بيعها من دمياط لبقية مدن مصر[4].

ومن مدن النصارى التجارية مدينة أسيوط التي يشكل النصارى وخاصة الأقباط منهم غالبية سكانها[5]، وهي مدينة تجارية اشتهرت بنشاط التجارة الداخلية والخارجية فقد كثرت فيها الأسواق الفخمة[6]، فاشتهرت بصناعة المنسوجات: الأرمني والديبقي، ويوجد لتلك المنسوجات مصانع خاصة بها[7]، وكان يصنع في أسيوط عمائم من صوف الخراف والصوف الرقيق الذي لا يوجد مثله في العالم لذلك كان يصدر إلى أوروبا[8]، كما يصنع فيها جميع أنواع السكر والسفرجل الذي يتم تصديره لجميع البلاد الإسلامية وغيرها، ويصنع فيها الأفيون الذي يتم عصره من ورق الخشخاش الأسود والخس ويصدر لكل دول العالم[9].

كما اشتهرت قرية صنبو التي يشكل النصارى غالبية سكانها[10]، بتجارة الكنابيش والأكسية الصنبوية[11].

ومن مراكز التجارة في مصر الفرما، أهلها نصارى من الأقباط[12]، اشتهرت بتجارة العلف والشعير والنوى؛ لكثرة عبور القوافل التجارية فيها، بالإضافة إلى أنها اشتهرت بتجارة التمر الذي يصدر منها إلى كل البلدان؛ بسبب كثرة النخيل الموجود فيها[13]، والذي يعد من

---

(1) حدود العالم، مجهول، ص 31.

(2) مراصد الاطلاع، ابن عبد الحق، ج536/2.

(3) آكام المرجان، إسحق بن الحسين، ص87.

(4) مسالك الأبصار، ابن فضل الله، ج496/3.

(5) رحلة ابن جبير، ابن جبير، ص36؛ معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج193/1.

(6) رحلة ابن جبير، ابن جبير، ص36؛ رحلة ابن بطوطة، ابن بطوطة، ج226/1..

(7) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج194/1.

(8) سفر نامة، ناصر خسرو، ص117.

(9) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج194/1.

(10) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1082.

(11) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج3/ 425.

(12) المسالك والممالك، المهبلي، ص36.

(13) المسالك والممالك، المهبلي، ص36؛ المواعظ والاعتبار، المهبلي، م1، 576.

العجائب فلا يوجد في أي بلد نخيل مثله فهو يثمر حينما ينقطع الرطب من البلاد[1]، في شهر كانون الأول ولا ينقطع لمدة أربعة أشهر[2].

كذلك قرية شطا التي يقطنها الأقباط[3]، فاشتهرت بتجارة المنسوجات الشطوية التي سميت على اسمها الثياب الشوطي[4]، الذي يبلغ سعر الثوب منها ألف درهم[5].

ومن المدن التجارية الضخمة في مصر مدينة الاسكندرية التي كان أغلب سكانها من الروم فعندما فتح المسلمون الإسكندرية كان فيها مائتي ألف من الروم غير الأقباط[6]، ووجد فيها عمرو بن العاص أكثر من اثني عشر ألف بقّالٍ يبعون البقلَ ويُصدرُ من الإسكندرية لبقية المدن[7]، وأثارت الإسكندرية دهشة الرحالة ابن جبير الذي تعجب من أسواقها.

وعندما بنى المسلمون الفسطاط أنشأوا حولها أسواقاً متنوعةً وكثيرة[8]، ويلاحظ أن تلك الأسواق كان يتولى أمرها التجار من أهل الذمة وخاصة النصارى الذين كانوا يشكلون غالبية سكان مصر عند الفتح الإسلامي، والذين كانوا على خبرة بحرفة التجارة التي كانت من أبرز الأنشطة الاقتصادية التي يمارسونها[9]، كما أن العرب في بداية فتوحاتهم لم يمارسوا أي نشاط اقتصادي[10].

فقد قدر ناصر خسرو بأن في القاهرة لوحدها أكثر من عشرين ألف دكان وهي ملك للسلطان، يستأجرها التجار بعشرة دنانير مغربية في الشهر ومنها ما يتم تأجيره بما لا يقل عن دينارين في الشهر[11].

---

(1) المسالك والممالك، البكري، ج625/2؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 576.

(2) الاستبصار، كاتب مراكشي، ج89/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 576.

(3) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج202/1.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 611.

(5) معجم البلدان، ياقوت الحموي، ج342/3.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 499.

(7) المصدر السابق، م1، 449.

(8) البلدان، اليعقوبي، ج169/1.

(9) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 997.

(10) رسائل الجاحظ ، الجاحظ، ج69/1؛ المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي، ج245/1.

(11) سفر نامه، ص88.

ويبدو أن النصارى كانوا يعملون بتجارة العبيد وكانوا يجنون منها أرباحا طائلة؛ لذلك قام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله سنة أربعمائة وثلاث بإصدار قوانين مشددة ضد النصارى حيث منع النصارى من التجارة بالعبيد والإماء، ومنع المسلمين من التعامل معهم أو العمل معهم[1]، وحظر على النصارى ركوب السفن ومنع المسلمين من حملهم في سفنهم، وذلك أدى إلى ضعف حركة التجارة للنصارى في مصر بسبب القيود التي فرضها الحاكم بأمر الله[2].

وعلى الرغم من الفترة القصيرة التي فرض فيها الحاكم بأمر الله القيود على حركة النصارى، إلا أن ذلك لا يعني أن النصارى عانوا من تلك الأوضاع في جميع مراحل الدولة الإسلامية، فقد تمتع التجار النصارى بحرية ممارسة حرفة التجارة، فكان النصارى ذوي ثراء وغنى، فقد ذكر ناصر خسرو أن رجلاً من أثرياء النصارى كان يمتلك أموالاً طائلة لا يمكن عد أمواله أو سفنه لكثرتها، وفي زمانه حدثت سنة من القحط ونقص في الغلال في مصر؛ بسبب نقص مياه النيل فطلب وزير الدولة من ذلك النصراني بأن يوفر لهم الغلال؛ لسد العجز الحاصل في مصر مقابل مبلغ من المال، يُدفع إما نقدا أو بالتقسيط، ففاجأهم بأن عنده من الغلة والخبز ما يكفي لإطعام سكان مصر ست سنوات على الرغم من كثرة سكان مصر زمن الدولة الفاطمية، وذلك يدل على الغنى والثراء الذي كان يتمتع به تجار النصارى في الدولة الإسلامية، مما يدلل على أن النصارى كانوا في تلك الفترة يتمتعوا بالحرية الدينية والاقتصادية والعدالة الاجتماعية[3].

كما كانت مصر سوقاً تجاريةً للتجار، يقصدها التجار من جميع أنحاء العالم، ومن التجار الذين توجهوا للتجارة في مصر بطريرك الإسكندرية الثاني والستين واسمه إبراهيم بن زرعة السرياني، وكان يعمل تاجراً بمصر وهو من كبار التجار وله علاقات تجارية وطيدة مع الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وكبار رجال دولته فقد جلب لمصر العديد من السلع والبضائع وتردد كثيراً على مصر، لدرجة أنه اتخذها مقراً ليقيم فيها بعد أن أصبح بطريرك الإسكندرية، وكانت علاقته مع المعز علاقة قوية فكثيرا ما كان يطلب المعز منه أن يستقر بمصر، ويأخذ رأيه في الكثير من المواضيع[4]، وذلك يدل على الاستقرار الأمني والسياسي وسياسة التسامح التي أدت إلى ازدهار حركة التجارة عند النصارى في مصر.

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 142.

(2) المصدر السابق، م4، 1008.

(3) سفر نامه، ناصر خسرو، ص06.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج76/2.

ومن الأثرياء النصارى الذين كانوا بالإسكندرية إبراهيم بن بشر، وهو تاجرٌ مشهورٌ في كل أنحاء مصر وكان له علاقات قوية مع كبار رجال الدولة في مصر، فكثيراً ما كان يقدم لهم الهدايا والأعطيات، فكان لا يُرد له طلب، وكل من في الاسكندرية يطيعه فعرض على الأساقفة أن يكون بطريرك الإسكندرية، فرفضوا، فصدم من ردة فعلهم.

ويبدو أن التجار النصارى كان لهم علاقات متنفذة مع كبار رجال الدولة الإسلامية ويحظون باحترام وتقدير كبير لدرجة أن القساوسة خشوا من غضب السلطان عليهم عندما رفضوا أن يولوا إبراهيم البطريركية، وكان في ذلك الوقت السلطان الذي يحكم مصر هو الحاكم بأمر الله، فأرضوه بمنصب أقل وأصبح فيما بعد أسقفاً منوف العليا، خوفا من غضب السلطان بسبب علاقته الجيدة معه[1].

تأثرت التجارة بمصر بالأحوال السياسية في البلاد ففي عام ثلاثمائة وست وثمانين تعرض أسطول المسلمين للحريق، ولم يتبق منه إلا ستة مراكب، واتهم المسلمون التجار الروم الوافدين إلى مصر المحملين بالبضائع بأنهم وراء ذلك الحريق[2]، وكان أولئك التجار يقيمون بدار مانك فهجم عليهم المسلمون والمغاربة وقتلوا منهم مئة وستين رجلاً وقاموا بسرقة أموالهم التي كانت موجودة بدار مانك بالإضافة إلى سرقة أمتعتهم والذهب والفضة التي كانت معهم[3]، وقدر المبلغ الذي سلب من تجار الروم بتسعين ألف دينار، فتوجه عيسى بن نسطورس متولى الوساطة للخليفة العزيز بالله وأحضر الروم الذين اعترفوا بأنهم هم من حرقوا الأسطول، ونودي في البلاد بأن يرد النهابةُ ما نهبوه من الروم من دار مانك وتوعد من لم يردَه بالقتل والسجن، فأوقف الهجوم على تجار الروم وأعاد ما نهبه الناس منهم، وكتب إلى العزيز بما فعله المسلمون بتجار الروم؛ فأملى بقتل ثلثهم وضرب ثلثهم وبإطلاق سراح ثلثهم[4]، ومن خلال تلك الحادثة التاريخية يتبين حجم النشاط التجاري في مصر فأولئك التجار يبدو أن عددهم ضخم، فقد قتل منهم مئة وستين وبقي عدد منهم على قيد الحياة، مما يدل على أن التجارة في مزدهرة، وكان النصارى لهم دور كبير في عملية الاستيراد والتصدير من وإلى مصر وليس أدل على ذلك من حجم المبلغ الذي نهب فقط وقدر بتسعين ألف دينار[5].

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج2/97–98.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 619.

(3) تاريخ الأنطاكي، الأنطاكي، ص234.

(4) المصدر السابق، ص235؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 619– 620.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م3، 619.

وصف الرحالة تجار مصر عامة بالصدق والأمانة في عمليتي البيع والشراء، فكان جزاء من يكذب من التجار على الناس، يوضع على جمل وبيده جرس ويطوف حول المدينة والجرس بيده ويعترف بأنه كذب على الناس أمام الناس وأن ما فيه جزاء لكذبه على الناس، ومن عادات تجار مصر في عملية البيع أنهم كانوا يمنحون المشتري الأوعية والأواني المصنوعة من الخزف والزجاج أو من ورق؛ ليضع بها مشترياته دون الحاجة لأن يحضر وعاء معه إلى السوق[1].

وكان التجار لهم وسيلة موصلات خاصة بهم أثناء توجههم إلى متاجرهم في الأسواق فكانت الحمير وعليها برادع مزينة بزينة جميلة، وكان التجار والعامة لا يركبون الخيول؛ لأنها مخصصة للجند والعساكر، فقدر عدد الحمير في مصر خمسين ألف حمار[2].

أما بالنسبة للضرائب فقد فرض الخليفة عمر بن الخطاب على التجار النصارى واليهود الذين يمرون بأرض المسلمين ويتاجرون فيها كل عشرين درهم درهما واحدا[3].

وفي عصر الأيوبيين زمن السلطان الكامل ناصر الدين محمد بن العادل كان يفرض على تجار الروم الوافدين إلى مصر عن طريق البحر الخُمسَ[4]، ولكن هناك ضرائب كثيرة تفرض على المناطق التي تزدهر فيها التجارة؛ بسبب نشاط الحركة التجارية فيها وكثرة المصانع والبضائع الصادرة منها مثل: تنيس ودمياط، وخصص في بعض مناطق مصر التجارية شخص يسمى ضرائبياً لجباية الضرائب الصادرة والواردة على ساحل تنيس والإسكندرية والفرما وعلى ساحل البحر الأحمر[5].

والضريبة المقررة في الشريعة الإسلامية ضريبة العشر تفرض كل عام على النصارى، وتتغير نسبة هذه الضريبة وفق ما تقتضيه المصلحة للمسلمين[6].

أما بالنسبة للعملة التي كان يستخدمها التجار فكانت الدنانير والدراهم البيزنطية والتي استمرت منذ الفتح الإسلامي حتى زمن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، حيث قام عبد

---

(1) سفر نامه، ناصر خسرو، ص105.

(2) المصدر السابق، ص105.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 2778.

(4) المصدر السابق، م1، 292.

(5) أحسن التقاسيم، المقدسي، ج213/1.

(6) صبح الأعشى، القلقشندي، ج531/3.

الملك بن مروان بسك عملة خاصة للمسلمين يتم التعامل بها في جميع أنحاء الدولة الإسلامية، ويرجع سبب ذلك أن ملك الروم هدده بكتابة ما يسيء للرسول وللشريعة الإسلامية على الدنانير البيزنطية، فأنشأ عبد الملك بن مروان الدنانير والدراهم التي كتب على وجهها الأول صورة التوحيد ووجهها الثاني ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم[1]، ولم يذكر المقريزي في كتابه (المواعظ والاعتبار) نوع النقود المتداولة في مصر لكنه ذكر ذلك بالتفصيل في كتابه النقود الإسلامية عن استمرار العمل بالدنانير والدراهم الأموية في الخلافة الأموية والعباسية حتى جاء أحمد بن طولون الذي ضرب دنانيراً تسمى بالأحمدية خاصة بولاية مصر واستمرت[2]، إلا أن جاءت الدولة الفاطمية فضرب جوهر الصقلي الدنانير (المعزية)، نسبة إلى المعز لدين الله سنة ثلاث مائة واثنين وستين، ثم أصبحت العملة منذ الدولة الفاطمة والدول التي تلتها عملة تضرب في مصر حسب الدولة التي تخضع لسيطرتها فالأيوبيون سكوا عملة خاصة، بهم وكذلك المماليك سكوا عملة خاصة بهم[3].

ويتضح مما سبق أن النصارى لعبوا دوراً هاماً في الحياة التجارية في مصر وتمكنوا من ممارسة تجارتهم خاصة في بداية الفتح الإسلامي لمصر، وتمكن بعض التجار من إقامة علاقات قوية مع رجال الدولة الإسلامية وبعض خلفائها، ولم تزدهر تجارة النصارى في مصر إلا بفضل الأمن والرخاء الذي كان سائدا فيها فقد كانت أكثر البلاد الإسلامية أمناً[4].

---

(1) حياة الحيوان الكبرى، الدميري، ج1/96-97.

(2) النقود الإسلامية، المقريزي، ص12.

(3) المصدر السابق، ص14-15.

(4) سفر نامه، ناصر خسرو، ص106.

المبحث الرابع:

الضرائب التي فرضت على النصارى في مصر

تنوعت الضرائب التي فرضت على النصارى في مصر ولعل أبرز الضرائب التي فرضت عليهم ضريبتا: الجزية، والخراج، إضافة إلى بعض الضرائب التي استحدثت في زمن بعض الولاة والسلاطين والتي لا أصل لها في الشريعة الإسلامية في مراحل مختلفة من عمر الدولة الإسلامية.

أولاً: الجزية

الجزية أو الجوالي[1]، عند الفتح الإسلامي لمصر عرض المسلمون على سكانها ثلاث خيارات إما الإسلام أو الجزية أو الحرب فاختار سكان مصر دفع الجزية[2].

والجزية هي ما يؤخذ من أهل الذمة من أموال، فهي الأموال المستحقة عليهم[3]، وتفرض الجزية على الأشخاص أنفسهم أي: الرؤوس[4]، والجزية ليست ضريبة مستجدة في الدولة الإسلامية، بل كانت تفرضها الدول والإمبراطوريات القديمة على الشعوب التي تخضع لها، فكانت توجد عند الروم الذين فرضوها على القبائل العربية، قبل الإسلام[5]، وكذلك فرضها الإغريق على الشعوب التي كانت تخضع لهم[6]، وكذلك الفرس فقد ذكر الطبري أن زمن ملكهم كسرى أنوشروان فرض الجزية وكانت تؤخذ الجزية في بلاد فارس ثلاث مرات في السنة[7].

أما الجزية في الإسلام فلها ضوابط وأحكام خاصة بها فهي لم تفرض على جميع السكان النصارى في مصر، بل كان يعفى منها النساء والأطفال والشيوخ والمساكين والفقراء وذوي الاحتياجات الخاصة مثل الأعمى والمقعد ولا تؤخذ من الرهبان ولا المتعبدين في الصوامع وهي تسقط عن النصراني إذا أسلم[8].

---

(1) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص317.

(2) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص80؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2 ،20-21.

(3) المطلع على ألفاظ المقنع، البعلي، ص177.

(4) الخراج، أبي يوسف، ص39.

(5) مسالك الأبصار، ابن فضل الله، ج513/3.

(6) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ج251/1.

(7) تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج151/2؛ المنتظم في تاريخ الامم والملوك، ابن الجوزي، ج135/2.

(8) الخراج، أبي يوسف، ص135-136).

يتم تحصيل الجزية من النصارى كل سنة وليس شرطاً على النصارى تقديم الجزية على شكل أموال بل يقبل منهم ما قيمته تعادل تلك الأموال مثل الدواب والأمتعة وغير ذلك، ويمنع أن تقابل أموال الجزية بميتة أو خمر أو لحم خنزير، وشدد عمر بن الخطاب ﷺ على ضرورة أخذ الجزية على شكل أموال وليس قيمةً، أما الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ قبل الأمتعة بدلاً من الأموال[1]، وكان للجزية قلماً مستقلاً فهي تجمع بشكل مستقل بعد المال الهلالي وقبل الخراجي، وتؤخذ حسب التقويم الهجري[2].

ضريبةُ الجزية التي فرضها المسلمون على أهل الذمة يتم تحصيلها مقابل حماية المسلمين لأهل الذمة والدفاع عنهم، فهي تدفع مقابل عهد أخذوه من المسلمين وهو عدم التعرض لأراضي النصارى أو أموالهم فمنحوا الأمان على ممتلكاتهم وأنفسهم، ونسائهم[3]، وذلك موثق في العهد الذي منحهم إياه عمرو بن العاص حيث قال: "هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص ..."[4]، وقد عبر أرنولد عن ذلك فقال "لقد تركهم عمرو أحراراً على أن يدفعوا الجزية"[5].

لكن حينما شعر المسلمون بالعجز عن الدفاع عن أهل الذمة، فلا يحق لهم أخذ الجزية بل ترد إليهم، وهذا ما فعله أبو عبيدة عامر بن الجراح حينما عجز عن الدفاع عن أهل الذمة وصد هجوم الروم الذي أعده هرقل، فأعاد أموال الجزية إليهم[6].

كما ذكرت المصادر التاريخية أن عمرو بن العاص حدد الجزية على النصارى في جميع أنحاء مصر دينارين لكل شخص[7]، فكانت أول جزية يتم جمعها من نصارى مصر زمن والي مصر عمرو بن العاص في عهد الخليفة عمر بن الخطاب مقدارها اثنتي عشر ألف ألف دينار[8].

---

(1) الخراج، أبي يوسف، ص136.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 288.

(3) المصدر السابق، م2، 21.

(4) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

(5) الدعوة إلى الإسلام، أرنولد، ص124.

(6) الخراج، أبي يوسف، ص153.

(7) فتوح مصر، ابن أبي الحكم، ص81؛ المواعظ والاعتبار ، المقريزي، م2، 21.

(8) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 21.

ويبدو أن ما ورد في الروايات التاريخية في كتب التاريخ أمثال كتاب ابن عبد الحكم والمقريزي عن تحديد مبلغ الجزية دينارين[1]، وما ورد عن الفقهاء من تحديد مبلغ الجزية، بحيث تؤخذ من الأغنياء ثمانية وأربعون درهماً، والطبقة المتوسطة أربعة وعشرون درهماً والفقراء اثني عشر درهما[2]، غير دقيق وذلك يتنافى مع روح تعاليم الإسلام القائمة على التسامح[3]، والدليل على ذلك أوراق البردى التي تعود للعصر الأموي أي بعد الفتح الإسلامي بستين سنة فهي سبقت كتب المؤرخين وأحكام الفقهاء التي كتبت بعد الفتح بحوالي قرنين من الزمان، والتي تحمل رسائل قرة بن شريك والي مصر إلى حكام المناطق بأن لا يحملوا النصارى فوق طاقتهم من الأموال ولا أقل منها وحذر عماله من العقاب إذا خالفوا أوامره[4].

كما كشفت أوراق البردي طلب قرة بن شريك من عماله على المناطق أن يقدموا كشفاً يوضح عدد الأشخاص المفروضة عليهم الجزية ومقدار ما يدفعوه، وحرص على عدم ظلم الرعية، وذلك يدل أن الجزية كانت تختلف من شخص لآخر لأنها لو كانت موحدة لم يطلب قرة كشفاً يوضح مقدار ما يدفعه أي شخص[5]، وإن كانت أوراق البردي التي ذكرتها سيدة كاشف تتناقض مع ما ذكره المقريزي حول شخصية قرة بن شريك ومعاملته للنصارى الذي وصفه بأنه كان شديداً على النصارى واستبد بهم وأساء معاملتهم وظلمهم[6].

واحتفظت أوراق البردى بأسماء وكشوفات تعود إلى القرن الثالث هجري كتب فيها أسماء أشخاص مختلفين موضحاً فيها مقدار الجزية المفروض على جميع من دونت أسماؤهم في تلك الأوراق، وأشارت تلك الأوراق إلى اختلاف مقدار الجزية المفروضة على كل شخص، ولا يوجد في تلك الكشوف شخصين متشابهين في مقدار الجزية، فقد يدفع شخص دينارين وشخص آخر قد يدفع دينارا، وآخر نصف دينار أو ربع، فالجزية لم تكن موحدة لجميع الأشخاص المدونة أسماؤهم بالكشوفات فكيف ستكون موحدة لكل أبناء مصر، فذلك مما يدل على أن الجزية كانت تختلف من شخص لآخر[7].

---

(1) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص81؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 21.

(2) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص221–224.

(3) مصر الإسلامية وأهل الذمة، كاشف، ص65.

(4) المرجع السابق، ص66.

(5) المرجع نفسه، ص67.

(6) المواعظ والاعتبار، المقريزي،م3، 999.

(7)Grohmann, Arabic papyri in the Egyptian library(pp197-201).

كما كانت الجزية زمن الدولة الأيوبية مقسمة إلى ثلاث فئات: الفئة الأعلى وتجبى منها الجزية أربعة دنانير وسدس، والفئة المتوسطة وقدرها دينارين وقراطين، والفئة الدنيا دينار وثلث وربع وحبتين[1]، وذلك يدل على أن الجزية لم يكن لها معيار ثابت أو مبلغ محدد في الدول الإسلامية المتعاقبة على مصر.

وتميل الباحثة إلى رأي سيدة كاشف بشأن مقدار الجزية الذي لم يجري تحديده في الإسلام والدليل على ذلك اختلاف كبار الفقهاء حول تقدير مبلغ الجزية التي يتم جبايتها، فقد حدد الإمام الشافعي وأبو حنيفة مبلغ الجزية، أما الامام مالك فنفى تقديرها وتركها للاجتهاد مما يدل على أن الجزية متروكة للاجتهاد ولم يرد نصّ بتحديدها[2].

الدليل على ذلك ما قاله عمرو بن العاص عندما جاء صاحب إخنا يطلب من عمرو بن العاص تحديد مبلغ معين من الجزية يؤدوه للمسلمين، فقال عمرو بن العاص: "لو أعطيتني من الأرض إلى السقف ما أخبرتك ما عليك، إنما أنتم خزانة لنا، إن كثر علينا كثرنا عليكم، وإن خفف عنا خففنا عنكم[3]، كذلك ما ورد في رواية المقريزي حينما قال: "... وضع على كل رجل حالم دينارين إلا أن يكون فقيراً" [4].

وذكر المقريزي نقلاً عن ابن الحكم بأنه كان يفرض على النصارى في مصر إلى جانب الجزية كميات محددة من الزيت والحنطة وودك وعسل، تكون من نصيب المسلمين وهي تؤدى إليهم في كل شهر، إضافة إلى بعض الملابس التي يقدمها الخليفة للناس، كما يجب على النصارى أن يضيفوا المسلمين إذا زاروهم لمدة ثلاث أيام[5]، حيث فرض على كل رجل من النصارى أردباً حنطة وأقساطاً من الزيت والعسل والخل توضع كلها في دار اسمها دار الرزق، وتقسم بعد ذلك على المسلمين، كما فرض على نصارى في مصر أن يقدم كل رجل منهم برنس وعمامة وسراويل وخفين وجبة صوف أو ثوباً قبطياً بدلاً من الجبة كل سنة [6].

---

(1) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص317.

(2) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص224.

(3) فتوح مصر ، ابن عبد الحكم، ص169؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 206.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 28.

(5) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص167؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205.

(6) فتوح البلدان، البلاذري، ص212؛ الخراج، أبي يوسف، ص337؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 28.

وترى الباحثة فاطمة عامر أن سبب فرض المسلمين تلك المعونة والضيافة على النصارى أن العرب في بداية الفتوحات اقتصرت اقامتهم على الحدود للدفاع عنها، فهم لم يكونوا أصحاب حرفة أو عمل أو صنعة[1].

وتلاحظ الباحثة أن النصارى في بداية الفتح الإسلامي هم من قاموا بعملية الإحصاء الخاصة بالجزية وحصر الأشخاص الذين وجب عليهم تأدية الجزية، وهم من يقومون بعملية تحديد مبلغ الجزية وجبايتها، وتقديم الأموال للمسلمين، حيث كان هناك نوع من الثقة التي منحها المسلمون للنصارى وخاصة الأقباط حيث أورد المقريزي في كتابه: "رفع ذلك عرفائهم بالأيمان المؤكدة"[2]، وذكر ابن مماتي متولى ناظر الدواوين زمن الدولة الأيوبية[3]، أنه يتم جباية الجزية في شهر محرم من كل عام[4].

يتضح من خلال كتاب المقريزي أن المسلمين لم يلتزموا بأحكام الجزية الخاصة بأهل الذمة في مصر والتي أقرت زمن الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، فأجرى بعض الخلفاء والولاة تغيرات على بعض قوانينها رغم عدم وجود أصل شرعي لها في الإسلام ومن تلك التغيرات:

ما قام به والي مصر عبد العزيز بن مروان الذي أمر بأن يتم عمل إحصاء خاص بالرهبان النصارى في مصر، وفرض عليهم جزية مقدارها ديناراً لكل راهب، فكان أول من أخذ الجزية من الرهبان[5]، وتبررُ الباحثة سيدة كاشف ما فرضه عبد العزيز بن مروان على الرهبان وأديرتهم والكنائس من ضرائب، وتنفي أن يكون في تلك الضرائب ظلم للنصارى[6]، مستشهدة بما ذكره المؤرخ النصراني ساويرس في كتابه بأن النصارى أنفسهم هم من دفعوا وحرضوا عبد العزيز على القيام بذلك الإجراء، أي أن تلك الزيادة تمت بتحريض من النصارى أنفسهم وخاصة بنيامين الراهب[7]، كما تضيف بأنه فرض الجزية على الرهبان؛ لحاجته إلى المال للقضاء على ثورة عبد الله بن الزبير بالإضافة إلى رغبة الوالي بتعمير البلاد[8].

---

(1) تاريخ أهل الذمة، عامر، ج29/2.
(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 21.
(3) البداية والنهاية، ابن كثير، ج64/13.
(4) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص318.
(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 999؛ تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج121/1.
(6) مصر الإسلامية وأهل الذمة، كاشف، ص90.
(7) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج121/1.
(8) مصر الإسلامية وأهل الذمة، كاشف، ص90.

وتختلف الباحثة مع سيدة كاشف وترى أن قرار الوالي عبد العزيز بفرض جزية على الرهبان يسيء إلى المسلمين، كما أنه قرار مخالف للعهد الذي منحه عمرو بن العاص للنصارى، حيث نص العهد صراحة على: "هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم وملّتهم وأموالهم وكنائسهم وصلبهم وبرّهم وبحرهم، لا يدخل عليهم شيء من ذلك ولا ينتقص، ..."[1]، ومخالف لما سار عليه الولاة المسلمون على مصر من قبله، فكيف يمكن لوالٍ مسلمٍ أن يتأثرَ بآراء النصارى أكثر من تأثره بآراء الشريعة الإسلامية نفسها!

كما أن الإجراء الذي قام به عبد العزيز إذا كان النصارى هم المحرضون، فالنصارى لم تحرض عبد العزيز حسب رواية ساويرس بل حرضت الأصبع ابنه الذي وصفه ساويرس بالرجل السوء والمبغض للنصارى وسفاك الدماء[2]، وكما أن الراهب بنيامين هو من حرض الأصبغ وذلك الراهب كان منبوذ من النصارى وهو لا يمثل وجهة نظرهم ولا يمثلهم[3]، فكيف تقيس الباحثة رأي أقلية وتسقطه على مجموع النصارى؟

كما أن القضاء على الثورات لا يتطلب ظلم الرعية والجور عليها وخاصة أن النصارى كانوا يدفعوا الجزية لعمرو بن العاص وكان يقاتل الروم دون أن يلجأ إلى فرض ضرائب جديدة على النصارى، كما أن النصارى دفعوا الجزية للعيش بأمان فإن لم يوفر لهم المسلمون الأمان فليرجعوا لهم الجزية بدلاً من فرض ضرائب جديدة عليهم.

بالإضافة إلى أن عمرو بن العاص بنى مدينة الفسطاط ولم يلجأ لفرض الجزية على الرهبان لأجل عمارتها.

وذكر المقريزي أن الأرض الزراعية خربت وتراجعت زمن الأمويين والعباسيين بسبب عدم اهتمامهم بعمارتها[4]، وذلك يتناقض مع ما ذكرته أو بررته الباحثة سيدة كاشف لما فعله عبد العزيز بن مروان من فرض الضرائب على الرهبان لعمارة الأرض.

ما قام به عبد العزيز من فرض الجزية على الرهبان تكرر مرة أخرى في الدولة الإسلامية في زمن الخليفة يزيد بن عبد الملك على يد أسامة بن زيد التنوخي مسئول الخراج في

(1) الأمم والملوك، الطبري، ج514/2؛ صبح الأعشى، القلقشندي، ج324/13؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري، ج24/1.

(2) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج121/1.

(3) المصدر السابق، ج121/1.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 266.

مصر الذي قام بإحصاء الرهبان ووضع في يد كل راهب حلقة من حديد فيها اسمه واسم الدير والتاريخ، ومنع الرهبان من إزالة تلك الحلقة من أيديهم، فمن ينتزعها تقطع رأسه، وضرب أعناق العديد من الرهبان، وضرب بعضهم حتى الموت ويدفع النصراني غرامة إذا لم يكن معه منشورا أو وصل عشرة دنانير، وكتب كتاب إلى عماله في مصر لتطبيق ما أمره بهم[1].

بالإضافة إلى أن بعض الولاة فرضوا الجزية على من أسلم، وكان أول من فرض الجزية على من أسلم من أهل الذمة هو الحجاج بن يوسف ولكن عندما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة أسقطها على من أسلم من النصارى في مصر وكانت قبل عهده تؤخذ من النصراني إذا أسلم[2].

بدأ النصارى في مصر بالدخول إلى الإسلام مما أثر على مبلغ الجزية الذي يجنيه المسلمون من النصارى؛ لذلك كتب أحد ولاة مصر _حيان بن شريح_ إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز يوضح له أن دخول النصارى الإسلام أضر بالجزية، فرد عليه عمر بن العزيز قائلا: "فضع الجزية عن من أسلم قبح الله رأيك فإن الله إنما بعث محمدا صلى الله عليه وسلم هادياً ولم يبعثه جابيا"[3]، كما ذكر المقريزي أنه في زمانه نقص مبلغ الجزية كثيرا؛ بسبب دخول الكثير من النصارى في الإسلام[4].

ويرجع ساويرس ابن المقفع أن بعض النصارى دخلوا في الإسلام خوفاً من بطش المسلمين وبسبب الأعباء الضريبة التي فرضها عليهم المسلمون[5]، وترى الباحثة أن ما قاله ابن المقفع غير دقيق، لأنه لو صدق ساويرس بأن المسلمين بطشوا بالنصارى فهذا ليس مبرراً لأن يتركوا دينهم فقد كان الرومان أشد بطشا من المسلمين ولم يتركوا دينهم بسبب بطشهم، وهذا ما ورد في كتب مؤرخي النصارى أنفسهم حيث قال أحدهم: "إن الله إله النقمة الذي وحده له السلطان على كل شيء هو الذي يغير الملك كما يشاء، ويعطيه لمن يشاء، ويقيم عليه الضعفاء، إذا رأى خيانة الروم الذين كانوا ينهبون كنائسنا وأديرتنا كلما اشتد ساعدهم في الحكم،

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي ، م4، 999–1000.

(2) المصدر السابق، م1، 208.

(3) المصدر نفسه، م1، 209.

(4) المصدر نفسه، م1، 288.

(5) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج121/1.

ويقاضوننا بلا رحمة، جاء من الجنوب بأبناء إسماعيل لكي يكون لنا الخلاص من أيدي الروم بواسطتهم[1]".

كما أن الجزية ليست مبرراً لأن يترك النصارى دينهم لأن مبلغ الجزية كان يفرض على النصارى حسب مقدرتهم على دفعها بل ويعفى منها الفقراء إذا كانوا لا يستطيعون أن يؤدوها[2].

كما فرض الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز الجزية على من يموت من الأقباط فيدفعها عنهم أحياؤهم[3]، وهذا لا يعني أن النصارى لم يتعرضوا للظلم في ظل الحكم الإسلامي بل تعرضوا لبعض الاضطهاد في مراحل الدولة الإسلامية بسبب زيادة الضرائب عليهم، فقاموا بعدة انتفاضات سبق أن ذكرتها الباحثة في الفصل الثالث والتي بدأت من عام مئة وسبعة للهجرة، واستمرت انتفاضتهم بشكل متقطع حتى عام مئتين وستة عشر فكانت آخر انتفاضة لهم، وكانت ثوراتهم خلال تلك الفترات في معظمها احتجاج على ضريبة الخراج وليس على الجزية[4]، وقد شارك العرب في بعض الانتفاضات التي قام بها الأقباط كالانتفاضة التي قامت عام مئتين وستة عشر، مما يدل على أن ضريبة الخراج كانت تفرض على من يملكون الأرض بغض النظر عن ديانة مالكها[5].

ثانياً: الخراج

هي الضريبة السنوية المفروضة على الأراضي الزراعية[6]، والتي فتحت صلحا[7]، وهي ضريبة يتم تقديرها حسب الاجتهاد، وتجبى سنوياً[8]، وهي ليست مستحدثة في الدولة الإسلامية بمصر، بل فرضت على المصريين منذ القدم منذ زمن الملك سوريد، وتتابعت الدول

---

(1) تاريخ مار ميخائيل، ج302/2.

(2) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص318.

(3) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص170؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م27،2.

(4) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 999– 1002.

(5) المصدر السابق، م217،1.

(6) الخراج، أبي يوسف، ص39؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 278.

(7) مفاتيح العلوم، الخوارزمي، ص85.

(8) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص221؛ الأحكام السلطانية، أبي يعلي، ص153.

التي حكمت مصر عبر التاريخ على فرضها على السكان[1]، وتختلف الجزية عن الخراج فالجزية تسقط مع الإسلام أما الخراج فهو يبقى حتى وإن دخل الناس الإسلام[2].

فرض المسلمون في بداية الفتح الإسلامي ضريبة الخراج على سكان مصر النصارى[3]، وكانت مهمة جمع الخراج من مهام النصارى[4]، في بداية الفتح الإسلامي ويجري تحديدها حسب ظروف كل قرية بحيث لا تتعرض أي قرية للظلم فإن كانت القرية عامرة ومحاصيلها جيدة وسكانها كثر تزداد كمية الخراج، وإذا كانت القرية خربة وسكانها قليل يقل عليهم مبلغ الخراج، وكان من يحدد قيمة الخراج النصارى أنفسهم حيث يجتمع عرفاء ورؤساء وأمراء وكبار كل قرية ويتباحثون بأنفسهم ويحصوا ما تم عمارته من القرى والقرى التي تعرضت للخراب[5].

ويتضح من المصادر التاريخية وأهمها ابن عبد الحكم والمقريزي أن ضريبة الخراج التي تؤخذ من المصريين كانت تعتمد على عدة أمور؛ أولهما: كمية المحاصيل التي تنتجها الأرض الزراعية، أي: تتوقف على قدرة الأرض الإنتاجية، وثانيهما: عدد سكان تلك الأرض، فإذا كان إنتاج القرية للمحاصيل وفير وسكانها كثر يزداد الخراج، واذا كان إنتاجها قليل وسكانها قليل يقل الخراج[6]، كما كانت تعتمد ضريبة الخراج على مياه النيل فإذا وصلت مياه النيل إلى ستة عشر ذراعا زاد الخراج وإذا زادت ذراعا زاد الخراج مئة ألف دينار والعكس إذا نقصت المياه نقص الخراج[7].

وذكر المقريزي أن أول من جبى الخراج في الإسلام عمرو بن العاص وقدر باثني عشر ألف ألف دينار، ثم جاء عبد الله بن أبي السرح وجباها فبلغ خراجها أربعة عشر ألف ألف دينار، فكتب الخليفة عثمان بن عفان لعمرو بن العاص كتاباً يقول فيه: "درت اللقحة بأكثر من

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 360.

(2) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص221.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 25.

(4) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص168؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج145/1.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م2، 25.

(6) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص168؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 205؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج145/1.

(7) قوانين الدواوين، ابن مماتي، ص76.

درها الأول" فرد عليه عمرو بن العاص: "أضررتم بولدها"[1]، ويوضح المقريزي أن ما جباه عمرو وعبد الله هي أموال الجماجم أي: الرؤوس دون الخراج[2].

ويتضح مما سبق أن عبد الله بن أبي السرح قد زاد الخراج على سكان مصر مما أضر بسكان مصر وإنتاجية أرضهم، ووضح المقريزي بأن الخراج بعد عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي السرح، أي في زمن الدولة الأموية والعباسية قل وازداد سوء ونقص لعدة أسباب منها: انتشار الفساد بين الولاة، وعدم الاهتمام بالأرض الزراعية وبإصلاحها؛ فأصبحت خراباً، بالإضافة إلى كثرة حروب المسلمين.

وذكر المقريزي أن خراج مصر لم يكن كثيراً إلا في حالتين: الأولى زمن خلافة الأموي هشام بن عبد الملك عندما ولّى الخراج عبيد الله بن الحبحاب، والمرة الثانية زمن أحمد بن طولون، ويعو ذلك إلى اهتمام الولاة بالأرض الزراعية وبإعمارها ومسح الأرض من جديد[3].

ففي زمن الخلافة العباسية تولى أحمد بن محمد بن المدبر خراج مصر بعد عام مئتين وخمسين للهجرة، وأثقل كاهل المسلمين واليهود والنصارى بفرض الضرائب وضاعف الخراج وجعل لكل دينار دينارا، وأرسل إلى جميع الأديرة يطلب الأموال، وأحصى الرهبان وطالبهم بالجزية والخراج عن الأرض وعن الأشجار في بيوتهم وعن النخيل، واشتد أذاه على النصارى مما دفع بعض الرهبان وبطريرك الاسكندرية إلى الهرب[4].

كما استحدثت ضرائب جديدة في الدولة العباسية زمن الخليفة أبو عبد الله محمد المهدي حيث جرى وضع الخراج على الحوانيت والأغنام، وذلك في سنة مئة وسبع وستين على يد صاحب خراج مصر في ذلك الوقت موسى بن مصعب الخثمعي[5]، وترى الباحثة بأن تلك الضرائب لم تفرض على النصارى أو حوانيتهم وأغنامهم فقط، بل فرضت على كل حوانيت مصر بلا استثناء سواء كان يملكها النصارى أو المسلمون[6]، فيبدو أن بعض الولاة قد استبدوا بالسلطة وأحبوا جمع المال وخالفوا الشريعة الإسلامية، فالخثمعي الذي فرض تلك الضريبة وقد

---

(1) فتوح مصر، ابن عبد الحكم، ص188؛ نهاية الأرب، النويري، ج19/ 205؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1،211؛ حسن المحاضرة، السيوطي، ج150/1.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 266.

(3) المصدر السابق، م1، 266-267.

(4) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج20/2.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي،م1، 278.

(6) المصدر السابق، م1، 278.

وصفه الكندي بأنه كان أكثر الولاة بطشاً في جباية الخراج، وكما وصفه بالمرتشي، ولم يكتفِ الخثمعي بتلك الضرائب، بل أصدر العديد من القرارات التعسفية المجحفة بحق السكان، فثار عليه سكان مصر كلها من نصارى ومسلمين في جميع نواحي مصر وتخلى عنه الجند وقتلوه[1].

كما أن الخليفة العباسي المتوكل على الله فرض على النصارى سنة مائتين وخمس وثلاثين هجرية ضريبةً على بيوت النصارى مقدارها العشر من منازلهم[2].

واستحدث أحمد بن محمد بن المدبر صاحب خراج مصر بعد عام مئتين وخمسين للهجرة ضرائب جديدة على سكان مصر بغض النظر عن ديانتهم لا أصل لها في الإسلام، عرفت بعد ذلك بالمال الهلالي أو ضريبة المرافق والمعاون، والتي أرهقت سكان مصر وأصبحت سُنة لمن بعده يفرضها على السكان، ففرض ضرائب على المراعي وعلى المصايد من البحر، وعلى معدن النطرون، فالضرائب كانت تفرض على البهارات والمعادن والبضائع والتجارة والصناعة والثياب وغيرها الكثير ولا تُفرق بين نصراني أو مسلم[3]، وكانت تبلغ تلك الضرائب ما قيمته مئة ألف دينار في السنة وقد وصفه المقريزي بأنه "من دهاة الناس وشياطين الكتاب"[4].

ولكن عندما تولى أحمد بن طولون ولاية مصر أسقطها[5]، ولكن أحمد بن طولون فرض على بطريرك الاسكندرية ميخايل ضريبة إلزامية يجب أن يدفعها النصارى له، قدرها عشرين ألف دينار، ولم يذكر المقريزي سبباً لفرض تلك الضريبة على النصارى[6]، لكن ساويرس ابن المقفع ذكر سبب تلك الضريبة هو أن أحد الرهبان النصارى حرض أحمد بن طولون على البطريرك ميخائيل وأغراه بأن معه الكثير من الذهب والفضة والأموال، وكان أحمد بن طولون بحاجة للأموال في ذلك الوقت لتجنيد العسكر وإرسالهم إلى الشام، مما دفع أحمد بن طولون إلى مطالبته بالأموال؛ فاضطر البطريرك أن يجمع تلك الضريبة من الرهبان والنصارى

---

(1) كتاب الولاة، الكندي، ص95-96.

(2) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م4، 1003.

(3) المصدر السابق، م،1، 279- 282).

(4) المصدر نفسه ،م1، 279.

(5) المصدر نفسه، م1، 282-283.

(6) المصدر نفسه، م4، 1004.

وفرض الديارية عليهم[1]، وضريبة الديارية التي فرضها بطريرك الاسكندرية على النصارى: عبارة عن صدقات تقدر بقيراط ذهب تؤخذ من كل نصراني تدفع كل عام للكنيسة [2].

وعندما قامت الدولة الفاطمية جرى إعادة تلك الضرائب، وسميت بالمكوس ، وعندما وصل صلاح الدين إلى مصر قام بإسقاطها، ولكن السلطان الملك العزيز بن عثمان بن صلاح الدين أعاد تلك الضرائب وزاد عليها، وكانت تلك الضرائب لا أساس لها في الإسلام بل كانت تفرض على ما حرمه الإسلام مثل الخمر وبيوت المزر والحشيش، مما يدل على تردي وضع الدولة الإسلامية وتدهورها في تلك الفترة، حتى أصبحت أموال الجزية الحلال تنفق على المنكرات[3]،

وعندما سقطت الدولة الأيوبية وقامت الدولة المملوكية وأصبح المعز عزالدين أيبك سلطاناً لمصر عيّن وزيراً قبطياً _وقد أسلم_ اسمه شرف الدين هبةالله بن صاعد الفائزي، ففرض ضرائب جديدة على التجار وأصحاب العقارات سميت بحقوق ومعاملات[4].

وعندما تولى قطز سلطان مصر فرض ضرائب جديدة على المصريين، وكان دافعه من وراء ذلك قتال المغول، لكن عندما تولى بيبرس حكم مصر أسقط الكثير من الضرائب وخاصة تلك التي فرضت على البضائع المحرمة في الإسلام، مثل: الخمور والحشيش وبيوت المزر والبغاء، وأزال كل الضرائب التي كانت تفرض على المنكرات[5].

وذكر المقريزي أن السلطان المملوكي المنصور سيف الدين قلاوون أبطل الضريبة التي كانت تفرض على النصارى وكان مقدارها دينارا، وتلك الضريبة غير ضريبة الجزية التي كانت تؤخذ منهم ولم يذكر المقريزي مَن الذي فرض هذا الدينار على النصارى وفي أي زمن وسبب فرضها مما يدل على أن النصارى في بعض فترات الدولة الإسلامية عانوا من كثرة الضرائب[6].

---

(1) تاريخ البطاركة، ابن المقفع، ج2/58-57.

(2) المصدر السابق، ج2/60- 61.

(3) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 282-283.

(4) نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، ابن دقماق، ج212/1؛ المواعظ والاعتبار، المقريزي،م1، 283.

(5) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 284.

(6) المصدر السابق، م1، 286.

كما فرض المسلمون ضريبة الخمس على تجار الروم النصارى زمن السلطان الكامل بن العادل الأيوبي، وفرض على أهل الذمة ومن ضمنهم النصارى ضرائب مستحدثة على ما يستوردونه ويصدرونه من بضائع وخاصة في الإسكندرية واخميم ومصر دون بقية المناطق[1].

كما ذكرت الباحثة فاطمة عامر أن هناك الكثير من الضرائب التي فرضت على النصارى ولم ترد في كتب المؤرخين بل عثر عليها من خلال أوراق البردي مثل: ضريبة الثلاثية تدفع نقدا والمعاتيد تدفع معينة من اللبن والعسل[2].

يتضح مما سبق أن النصارى مثلهم مثل بقية المجتمع المصري، تعرضوا لضغوطات وفرض ضرائب من الدول الإسلامية المتعاقبة على مصر وأن تلك الضرائب تذبذب وضعها حسب وضع الدولة ووضع الولاة والخلفاء والظروف التي تمر بها الدولة.

---

(1) المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1، 293- 298.

(2) تاريخ أهل الذمة، عمر، ص25.

الخاتمة:

بعد الانتهاء من دراسة الأحوال العامة للنصارى في مصر من خلال كتاب المواعظ والاعتبار للمقريزي، توصلت الباحثة إلى العديد من النتائج والتوصيات.

أولاً: النتائـج

- يعد كتاب (المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار) للمقريزي موسوعة تاريخية وجغرافية واقتصادية واجتماعية وسياسية متكاملة، فهو قدم صورة واضحة للباحثين والمهتمين بتاريخ مصر وحضارتها تساعدهم على القيام بالعديد من الأبحاث والدراسات التي تخص مصر في موضوعات مختلفة، وخاصة في الفترة الممتدة منذ الفتح الإسلامي وحتى منتصف القرن التاسع هجري.
- استخدم المقريزي منهجا واضحاً في تصنيف كتابه قائماً على أساس المكان، فهو قدم الأحداث والموضوعات التاريخية طبقاً للترتيب المكاني الذي قام على أساسه كتاب (الخطط)، لذلك يعد كتابه _الخطط_ من أعظم إنجازاته في التاريخ، وخاصة أنه اتبع طريقة تختلف عن معظم مؤرخي عصره، والمؤرخين اللذين سبقوه ممن اتبعوا نظام الحوليات في ذكر الأحداث التاريخية.
- اتسم منهج المقريزي في كتابه (الخطط) بالدقة والشمول والتنظيم والحيادية والموضوعية وتحليل الأحداث ونقدها ومعرفة أسبابها ونتائجا وتصحيح ما بها من أخطاء.
- تميزت مصادر المقريزي في كتابه (الخطط) بالتنوع ما بين النقل من المصادر المكتوبة المختلفة في موضوعاتها، والمشاهدة والمعاينة والرواية الشفوية.
- عانى النصارى في مصر في ظل حكم معظم أباطرة الرومان الصابئين من الظلم والاضطهاد والإبادة؛ بسبب معتقداتهم الدينية، فاستخدم أباطرة الرومان أساليب بشعة لإبادة النصارى والقضاء عليهم وإجبارهم على ترك دينهم.
- تعرض النصارى للاضطهاد الديني والتفرقة العنصرية في العصر البيزنطي؛ بسبب مذهبهم الديني المخالف لمذهب الإمبراطور؛ ودفع ذلك الاضطهاد الكثير من النصارى إلى ترك بمذهبهم الديني واتباع مذهب الإمبراطورية، ومن بقي متمسكاً بمعتقداته الدينية اضطر إلى الفرار إلى الأديرة في الصحارى والأماكن النائية.

- كان الفتح الإسلامي لمصر بمثابة طوق النجاة لنصارى مصر؛ لتخليصهم من نيران الاضطهاد البيزنطي لهم، ولإنقاذهم من الاستعمار الذي أرهقهم بضرائبه، ونهب خيرات بلادهم وسلب أموالهم .

- احترم الإسلام النصارى، وخاصة الأقباط منهم حيث وردت العديد من الأحاديث النبوية التي تحث المسلمين على احترام الأقباط والإحسان إليهم، لذلك أحسن المسلمون أثناء الفتح الإسلامي وبعده للنصارى، ومنحوهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ودور عبادتهم.

- وقف النصارى الأقباط منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي إلى جانب المسلمين ودعموهم بالمال والعتاد ضد الروم، وساهموا وبدور كبير في بناء أول عاصمة للمسلمين في مصر وهي الفسطاط.

- كانت معاملة المسلمين لنصارى مصر في بداية الفتح قائمة على مبدأ العدالة والمساواة فلم يميزوا بين طوائف النصارى، ولم يحاولوا استغلال الخلافات الدينية والمذهبية والاختلافات الاجتماعية بينهم لصالحهم الخاص وتوظيفها لخدمة مصالحهم، بل العكس تماماً منح المسلمين في البداية النصارى حقوقهم كاملة؛ وذلك ساهم في استقرار أوضاع مصر في بداية الفتح الإسلامي.

- ترتب على معاملة المسلمين الحسنة للنصارى في بداية الفتح الإسلامي اعتناق الكثير من النصارى الإسلام وترك ديانتهم النصرانية.

- تقلد النصارى العديد من الوظائف العليا والهامة في مصر في العصر الإسلامي، فعينوا من قبل الخلفاء المسلمين وزراء ووسطاء ورؤساء دواوين، و لعبوا دوراً هاماً في الحياة السياسية في الدولة الإسلامية، وذلك منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي وعبر مراحل تطور الدولة الإسلامية.

- يرجع الفضل للنصارى في إنشاء أول أسطول إسلامي في مصر، كما ساهموا في إنشاء أساطيل بحرية في مناطق متفرقة من العالم الإسلامي وذلك بسبب خبرتهم وبراعتهم في ذلك المجال.

- استغل بعض الوزراء والوسطاء النصارى مناصبهم في الدولة الإسلامية لتحقيق مصالح شخصية لهم، وإحداث الاضطرابات والفتن في مصر من خلال نصب المكائد والدسائس، لتحريض الخلفاء والولاة على المسلمين، وممارسة الظلم والاضطهاد على المسلمين، والاستعلاء عليهم .

- تعرض النصارى للظلم والاضطهاد من قبل بعض الولاة المسلمين في العصر الأموي والعباسي؛ بسبب الضرائب الباهظة التي فرضت عليهم وقسوة الجباة في تحصيلها.
- فرض الضرائب الباهظة على النصارى في ظل الأوضاع الاقتصادية السيئة لمصر في زمن بعض الخلفاء؛ أدى إلى اشتعال الثورات في نواحي متفرقة من مصر، ولم تقتصر تلك الثورات والانتفاضات على النصارى بل اشترك المسلمين معهم في تلك الثورات، والتي غالباً ما انتهت بالقمع.
- تعددت الطوائف الدينية للنصارى في مصر من يعاقبة وملكانية ونسطورية، لكن اليعاقبة شكلوا الغالبية العظمي من مجمل السكان النصارى في مصر، وكانوا على خلاف ديني مع الملكانية، انعكس ذلك الخلاف على المؤسسة الدينية للنصارى فاحدث فيها بعض الفوضى وعرض بطاركتها للمخاطر بسبب وشايات الأساقفة والقساوسة ضدهم عند المسلمين.
- احترم المسلمون بطريرك الإسكندرية ولم يتدخلوا في تعينه أو مهامه، بل تركوا لهم حرية القيام بمهامهم باستثناء بعض التدخلات من قبل عدد قليل من الولاة، و التي كانت في الغالب لصالح النصارى.
- تذبذبت أحوال البطاركة في مصر بعد العهد الراشدي فتارة يحترم البطريرك من قبل الولاة والخلفاء، وتارة يتم إهانته وذلك خضع لعدة عوامل مثل الظروف السياسية التي خضعت لها مصر، وطبيعة الولاة الذين حكموا مصر، بالإضافة إلى أن وشايات النصارى على بعضهم لعبت دوراً هاماً في تردي أحوال البطاركة في بعض الفترات.
- حظيت دور العبادة النصرانية باحترام الفاتحين المسلمين فتركوا الحرية للنصارى في إعادة إعمارها وبناء دور عبادة جديدة لهم، ولكن حدوث بعض الاضطرابات السياسية، وظهور بعض الخلفاء والولاة المتشددين، بالإضافة إلى وشايات النصارى والخلافات الطائفية بينهم وحدوث بعض القلاقل في الدولة الإسلامية، وظلم واستبداد الموظفين النصارى الذين تمكنوا من الاستيلاء على مناصب كبيرة للمسلمين؛ عرض دور العبادة لكثير من السلب والنهب والهدم.
- تمكن النصارى من ممارسة شعائرهم الدينية في مصر بكل حرية دون اعتراض من قبل المسلمين، كما قاموا ببناء العديد من دور العبادة الخاصة بهم.
- كان الفتح الإسلامي لمصر يشكل فارقاً دينياً لنصارى مصر حيث أنقذهم من الاضطهاد الديني البيزنطي الذي كان يمارسه البيزنطيون ضدهم، فعادت دور العبادة التي صادرها

البيزنطيون لهم، وتمكن البطاركة من القيام بمهامهم بكل حرية على عكس ما كانوا يعانوه من النصارى البيزنطيين من قتل ونفي وظلم واضطهاد، وذلك بشهادة المؤرخين النصارى أنفسهم.

- عانت الكنيسة المصرية من الفساد المالي والإداري في بعض الفترات خلال الحكم الإسلامي لمصر، فكثرت وشايات الرهبان والأساقفة على بعضهم عند المسلمين؛ وذلك ساهم في تردي أحوال النصارى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

- لعب البطاركة دورا دبلوماسياً هاماً في العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية في مصر حيث ساهم البطاركة في حل بعض مشكلات مصر مع من يجاورها من الدول النصرانية، فقد تمكنوا من معالجة أزمة المياه التي كادت أن تسبب في حدوث مجاعات في مصر.

- حظيت المرأة النصرانية باحترام المجتمع المصري منذ اللحظة الأولى للفتح الإسلامي، وكان ذلك الاحترام حاضراً بقوة في عهود ومواثيق المسلمين مع النصارى، فقد منح الخليفة عمر بن الخطاب عند فتح بيت المقدس النصارى عهداً كان من أهم بنوده أن تعيش المرأة النصرانية في أمان في مجتمعها، حيث منحهم الأمان على أنفسهم ونسائهم وأموالهم.

- احتفل النصارى بأعيادهم ومناسباتهم الدينية ومارسوا حياتهم الاجتماعية بكل حرية في ظل الحكم الإسلامي، باستثناء بعض الفترات التي تقلد فيها الحكم خلفاء مستبدين فرضوا على النصارى قيوداً اجتماعية صارمة حدت من حريتهم وقيدت حياتهم الاجتماعية.

- ساهمت بعض القيود الاجتماعية التي فرضت على النصارى في هجرة العديد من النصارى من مصر، كما أنها ساهمت في دخول كثير من النصارى في الإسلام للتخلص من تلك القيود خاصة تلك التي فرضت زمن الحاكم.

- ساهم النصارى في إحداث نهضة عمرانية في المجتمع العربي داخل مصر وخارجها، حيث خبرة النصارى وإبداعهم في مجال الهندسة العمارة دفع العديد من الخلفاء والولاة بالاستعانة بهم لبناء وتعمير العديد من المساجد والقصور والمدن .

- برع النصارى في العديد من العلوم وأهم تلك العلوم الطب حيث برز العديد من الأطباء الذين تقربوا من الولاة والخلفاء بسبب براعتهم بالطب.

- مارس النصارى أنشطة اقتصادية متنوعة من تجارة وزراعة وصناعة وبرعوا فيها وتميزوا، فاستعان بهم المسلمون؛ للاستفادة من خبراتهم في مناطق متفرقة من الدولة الإسلامية.

ثانياً: التوصيات:

- أن يجري الباحثون العديد من الدراسات حول المقريزي ومؤلفاته وخاصة كتابه المواعظ والاعتبار؛ لما يحتويه من معلومات تاريخية اقتصادية واجتماعية وسياسية تفيد الباحثين وتساهم في فهم واقع مصر في العصر الوسيط.
- أن يهتم الباحثون بدراسة أحوال النصارى في مصر في العصر الروماني والبيزنطي، وإبراز الاضطهاد الديني والسياسي والتميز العنصري الذي تعرض له النصارى على أيدي الرومان والبيزنطيين.
- الاهتمام بدراسة الأحوال السياسية للنصارى في الدولة الإسلامية، وأثرها على سياسة الدولة الإسلامية الداخلية والخارجية.
- ضرورة إجراء أبحاث حول أسباب انتفاضات وثورات النصارى في مصر على الدولة الإسلامية، وموقف الخلفاء والولاة منها، والنتائج التي ترتبت عليها.
- الاهتمام بإعداد دراسات وأبحاث حول دور العبادة النصرانية وأسباب تطورها وازدهارها وأسباب انهيارها وانحطاطها في العصر الإسلامي.
- تسليط الضوء حول دور البطاركة النصارى في العلاقات الخارجية للدولة الإسلامية وأثرها على الدولة الإسلامية.
- تسلط الضوء على دراسة أحوال المرأة النصرانية في المجتمع الإسلامي، ودورها في المجتمع وأثرها.
- ضرورة الاهتمام بالمصادر التاريخية المتنوعة، وعدم التركيز على كتب التاريخ بل يجب تسليط الضوء والاهتمام بالمراسلات وأوراق البردي كمصدر تاريخي مهم.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الانجيل

ثالثاً: المصادر والمراجع العربية

1- *أبكار الأفكار في أصول الدين*، علي بن محمد التغلبي، سيف الدين الآمدي، تحقيق: أحمد المهدي، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط2، 2004م.

2- *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: جمال الشيال، مصر، وزارة الأوقاف، ط2، 1996م.

3- *آثار البلاد وأخبار العباد*، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، بيروت، دار الصادر، (د. ط).

4- *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، محمد بن أحمد المقدسي البشاري، القاهرة، مطبعة مدبولي، ط3، 1991م.

5- *الأحكام السلطانية*، محمد بن الحسين ابن الفراء اليعلي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2،2000م.

6- *الأحكام السلطانية*، علي بن محمد البغدادي الشهير بالماوردي ، القاهرة، دار الحديث، (د. ط)، 2006م.

7- *أحكام أهل الذمة*، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري، وآخرون، الدمام، رمادى للنشر، ط1، 1997م.

8- *أحوال النصارى في خلافة بني عباس*، جان موريس فييه، بيروت، دار المشرق، ط1، 1990م.

9- *الأخبار الطوال*، أحمد بن داود الدينوري، تحقيق: عبد المنعم عامر، القاهرة، دار إحياء الكتب العربي، ط1، 1960م.

10- *إخبار العلماء بأخبار الحكماء*، علي بن يوسف القفطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2005م.

11- *أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار*، محمد بن عبد الله بن الأزرق الأزرقي، تحقيق: رشدي ملحس، بيروت، دار الأندلس للنشر، (د. ط).

12- *أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم*، محمد بن علي بن حماد أبو عبد الله، تحقيق: التهامي نقرة، وآخرون، القاهرة، دار الصحوة، 1981م.

13- *الأزهر وأثره في النهضة الأدبية الحديثة*، محمد كامل الفقي، القاهرة، المطبعة المنيرية بالأزهر الشريف، ط1، 1956م.

14- *الاستبصار في عجائب الأمصار*، كاتب مراكشي، بغداد، دار الشؤون الثقافية، (د. ط)، 1986م.

15- *الإسلام وأهل الذمة*، علي الخربوطلي، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، (د. ط) 1969م.

16- *الإشارات إلى معرفة الزيارات*، علي بن أبي بكر بن علي الهروي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2003م.

17- *الإشارة إلى من نال الوزارة*، علي بن منجب بن سليمان المشهور بابن الصيرفي، تحقيق: عبد الله مخلص، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي، (د. ط)، 1933م.

18- *أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل*، أحمد بن محمد الهيتمي، تحقيق: المحقق: أحمد المزيدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

19- *اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها*، إدوارد جيبون، ترجمة: محمد سالم، مصر، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1997م.

20- *الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام*، محمد بن أحمد الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تحقيق: أحمد السقا، القاهرة، دار التراث العربي، (د. ط).

21- *الأعلام*، خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.

22- *الأعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ*، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: تحقيق: محمد عثمان الخشت، القاهرة، طبعة مكتبة ابن سينا، د.ط، 1989م.

23- *أعيان العصر وأعوان النصر*، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق : علي أبو زيد، وآخرون، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1998م.

24- *إغاثة الأمة بكشف الغمة*، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: كرم فرحات، مصر، عين للدارسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2007م.

25- *الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر*، عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، مصر، مطبعة وادي النيل، ط1، 1870م.

26- *أقباط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام 1922م*، جاك تاجر، القاهرة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، (د. ط)، 2012م.

27- *آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان*، إسحاق بن الحسين المنجم، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1988م.

28- *الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله – صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء*، سليمان بن موسى الكلاعي الحميري، بيروت، دار الكتب العلمية،ط1، 2000م.

29- *الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب*، علي بن هبة الله بن جعفر بن ماكولا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م.

30- *الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع*، عياض بن موسى اليحصبي السبتي، تحقيق: السيد أحمد صقر، القاهرة، دار التراث، ط1، 1970م.

31- *الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة*، محمد بن موسى الحازمي ، تحقيق: حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1995م.

32- *إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع*، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: محمد النميسي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م.

33- *إنباء الأمراء بأنباء الوزراء*، محمد بن علي بن خمارويه بن طولون الحنفي، تحقيق: مهنّا حمد المهنّا، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1998م.

34- *إنباء الغمر بأبناء العمر*، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، د.ط ، 1969م.

35- *الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها*، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي، المعروف بابن دقماق، بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، (د. ط).

36- *أنساب الأشراف*، أحمد بن يحيى البَلَاذُري، تحقيق: سهيل زكار ، وآخرون، بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م.

37- *الأنساب*، عبد الكريم بن محمد التميمي السمعاني ، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، وآخرون، حيدر آباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1962م.

38- *أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول*، سلام محمود، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1995م.

39- *الأوزان والأكيال الشرعية*، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: سلطان المسمار، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1983م.

40- *البخلاء للخطيب البغدادي*، أحمد بن علي البغدادي، (د. م)، دار ابن حزم، ط1، 2000م.

41- *البدء والتاريخ*، المطهر بن طاهر المقدسي، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، (د. ط).

42- *البداية والنهاية*، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: علي شيري، (د. م)، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1988 م.

43- *بدائع الزهور في وقائع الدهور*، محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، تحقيق: محمد مصطفى، فيسبادن، فرانز شتاينر، ط1، 1975م.

44- *بدائع السلك في طبائع الملك*، محمد بن علي الأصبحي الأندلسي، ابن الأزرق، تحقيق: علي النشار، العراق، وزارة الإعلام، ط1.

45- *البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع*، محمد بن علي الشوكاني اليمني، بيروت، دار المعرفة، د.ط.

46- *بعض التأثيرات القبطية في الفنون الإسلامية*، زكي محمد حسن، تاريخ الاطلاع: 10 فبراير 1937م، الموقع: https://coptic-treasures.com.

47- *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم، بيروت، المكتبة العصرية، د.ط.

48- *البلدان*، أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني المعروف بابن الفقيه، تحقيق: يوسف الهادي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1996م.

49- *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ابن عذاري المراكشي، تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983م.

50- *البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب*، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: فردناد واسطون فيلد، جوتنجن ألمانيا،ط1، 1847 م.

51- *تاج التراجم*، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني، تحقيق: محمد يوسف، دمشق، دار القلم، ط1992،1م.

52- *تاج العروس من جواهر القاموس*، محمّد بن محمّد الحسيني، مرتضى الزَّبيدي، بيروت، دار الفكر، ط1، 1994م.

53- *تاريخ ابن الراهب*، أبي شاكر بطرس بن أبي الكرم بن المهذب، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1903م.

54- *تاريخ ابن الوردي*، عمر بن مظفر ابن أبي الفوارس ابن الوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1996م.

55- *تاريخ ابن يونس المصري*، عبد الرحمن بن أحمد بن يونس الصدفي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2001م.

56- *تاريخ أبو المكارم تاريخ الكنائس والأديرة في القرن 12 بالوجه البحري*، سعد الله بن جرجس بن مسعود أبو المكارم، مصر، النعام للطباعة، (د. ط).

57- *تاريخ الأدب الجغرافي*، أغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي،(ترجمة: صلاح هاشم)، القاهرة، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، د.ط، 1963م.

58- *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: عمر التدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، 1993م.

59- *تاريخ الأمة القبطية وكنيستها*، أ. ل. بتشر، القاهرة، مطبعة مصر، (د. ط)، 1900م.

60- *تاريخ الأمة القبطية*، يعقوب نخلة روفيله، مصر، مؤسسة مار مرقس لدراسات التاريخ القبطي، ط2، 2000م.

61- *تاريخ الأمم والملوك*، محمد بن جرير الطبري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1987م.

62- *تاريخ الأنطاكي*، يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي، تحقيق: عمر تدمري، طرابلس، جروس برس، (د. ط)، 1990م.

63- *تاريخ البطاركة*، أنبا يوساب أسقف فوة، الجيزة، دير الست السيدة أم نور، مكتبة المحبة، 2002م.

64- *تاريخ البطاركة*، ساويرس بن المقفع، القاهرة، دار النعام للطباعة، (د. ط)، (د. ت).

65- *تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس*، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري ، بيروت، دار صادر، (د. ط).

66- *تاريخ الزمان*، جمال الدين ابن عبري ، (ترجمة: إسحق أرملة). بيروت، دار المشرق، (د. ط)، 1986م.

67- *تاريخ الكنيسة القبطية*، باسيليوس المقاري، القاهرة، دار مجلة مرقس، ط1، 2016م.

68- *التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق*، افتيشيوس سعيد ابن البطريق، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين،ط1، 1905م.

69- *تاريخ المسيحية الشرقية*، عزيز سوريال عطية، ترجمة: إسحاق عبيد، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2005م.

70- *تاريخ اليعقوبي*، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي المعروف باليعقوبي، ليدن، مطبعة بريل، 1883م.

71- *تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية منذ الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الفاطمي*، فاطمة مصطفى عامر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 2000م.

72- *تاريخ بغداد*، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار معروف، بيروت، دار الغرب الإسلامي، كط1، 2002م.

73- *تاريخ خليفة بن خياط*، خليفة بن خياط الشيباني العصفري البصري، تحقيق: أكرم ضياء العمري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1977م.

74- *تاريخ دمشق*، حمزة بن أسد بن علي المعروف بابن القلانسي، تحقيق: سهيل زكار، دمشق، دار حسان للطباعة والنشر ، ط1، 1983م.

75- *تاريخ دمشق*، علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر ، تحقيق: رو بن العمروي، بيروت، دار الفكر للطباعة، ط1، 1995م.

76- *تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها*، نوم بك شقير، بيروت، دار الجليل، ط1، 1991م.

77- *تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير*، مار ميخائيل السرياني، (ترجمة: مارغريغوريوس شمعون). حلب، متروبوليت، (د. ط)، 1996م.

78- *تاريخ مختصر الدول*، غريغوريوس ابن أهرون أبو الفرج المعروف بابن العبري، تحقيق أنطون اليسوعي، بيروت، دار الشرق، ط1992،3م.

79- *تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل*، علي بن الحسن ابن هبة الله الشافعي، تحقيق: عمر العمري، بيروت، دار الفكر، (د. ط)، 1995م.

80- *تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي*، رؤية قبطية للفتح الإسلامي، يوحنا النقيوسي، (ترجمة: عمر عبد الجليل)، القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، (د.ط)، 2003م.

81- *التبر المسبوك في ذيل الملوك*، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: نجوى كامل، وآخرون، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، د.ط، 2002م.

82- *التبصرة بالتجارة في وصف ما يستظرف في البلدان من الأمتعة الرفيعة والأعلاق النفيسة والجواهر الثمينة*، عمرو بن بحر الكناني الشهير بالجاحظ ، حسن عبد الوهاب التونسي، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1994م.

83- *تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق*، عثمان بن علي فخر الدين الزيلعي، القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية ، ط1، 1896م.

84- *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*، أحمد بن محمد مسكويه، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، سروش، ط2، 2000م.

85- *تجريد التوحيد المفيد*، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1،2011م.

86- *التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور*، محمد الطاهر بن محمد بن بن عاشور التونسي ، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 2000م.

87- *تذكرة داوود الأنطاكي المعروف تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب*، داوود بن عمر الأنطاكي، تحقيق: أحمد شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ط)، 1971م.

88- *التعريفات*، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م.

89- *تفسير القرآن*، منصور بن محمد المروزى السمعاني، تحقيق: ياسر إبراهيم، وآخرون، ط1، الرياض، 1997م.

90- *تفسير الموطأ*، عبد الرحمن بن مروان القنازعي، تحقيق: عامر صبري، قطر، دار النوادر، ط1، 2008م.

91- *تكملة المعاجم العربية*، رينهارت بيتر آن دُوزِي، (ترجمة: محمد النعيمي)، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ط1، 1979م.

92- *تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل*، محمد بن الطيب بن محمد، أبو بكر الباقلاني المالكي، تحقيق: عماد الدين حيدر، لبنان، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1987م.

93- *التنبيه والإشراف*، أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي، القاهرة، دار الصاوي، (د. ط).

94- *تهذيب الأسماء واللغات*، محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ط).

95- *تهذيب اللغة*، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.

96- *تهذيب اللغة*، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 2001م.

97- *جامع الأحاديث* ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، مصر، حسن زكي، ط1، 2002م.

98- *جامع بيان العلم وفضله*، يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، السعودية، دار ابن الجوزي، ط1، 1994م.

99- *جمهرة اللغة*، محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط1، 1987م.

100- *الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر*، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، تحقيق: إبراهيم عبد المجيد، بيروت، دار ابن الحزم، ط1،1999م.

101- *الجوهرة النفيسة في علوم الكنيسة*، يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، تحقيق: فيكتور الفرنسيسي، القاهرة، المركز الفرنسيسكاني للدراسات الشرقية المسيحية، (د.ط)، 1966م.

102- *الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي*، علي بن محمد البصري البغدادي الشهير بالماوردي، تحقيق: علي معوض، وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م. (المتوفى: 450هـ)

103- *حدود العالم من المشرق إلى المغرب*، مجهول، تحقيق: يوسف الهادي، القاهرة، الدار الثقافية للنشر، (د. ط)، 2003م.

104- *الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي*،20هـ- 567هـ/641م – 1171م، السيد طه أبو سديرة، ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1999م.

105- *الحرية في الاقتصاد الإسلامي*، راشد البراوي، القاهرة، دار الحرية للطباعة والنشر، ط1، 1986م.

106- *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة*، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد إبراهيم، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ط1، 1967م.

107- *حضارة الإمبراطورية البيزنطية*، محمود سعيد عمران، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعة، (د. ط)، 2011م.

108- *حضارة العرب*، غوستاف لوبون، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، مؤسسة هنداوي، ط1، 2012م.

109- *الحياة الاقتصادية في مصر البيزنطية*، زبيدة محمد عطا، القاهرة، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، 1994م.

110- *حياة الحيوان الكبرى*، محمد بن موسى الدميري، بيروت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2004م.

111- *الخراج*، أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، تحقيق: طبه سعد، وآخرون ، القاهرة، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1.

112- *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، تحقيق: أنور زناتي، القاهرة، مكتبة الثقافة الإسلامية ، ط2، 2008م.

113- *الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة*، إيسوذوروس، المحرق، (د. م)ن (د.ط).

114- *الدر الثمين في أسماء المصنفين*، علي بن أنجب تاج الدين ابن السَّاعي، تحقيق: أحمد شوقي، وآخرون، تونس، دار الغرب الاسلامي، ط1، 2009م.

115- *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،تحقيق: مركز هجر للبحوث، مصر، دار هجر، (د. ط)، 2003م.

116- *درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان الفريدة*، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م .

117- *الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة*، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد ضان، صيدر أباد، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط2، 1972م.

118- *دستور العلماء أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون*، القاضي عبد رب النبي بن عبد رب الرسول الأحمد نكري، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2000م.

119- *الدعوة إلى الإسلام*، سير توماس أرنولد، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، وآخرون، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، (د. ط)، 1971م.

120- *دلائل النبوة*، أبو العباس جعفر بن محمد المستغفري، تحقيق: أحمد بن فارس السلوم، دار النوادر، ط1، 2010م.

121- *الدولة الفاطمية في مصر تفسير جديد*، أيمن فؤاد السيد، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992م.

122- *الديارات*، أبي الحسن بن محمد الشابشتي، تحقيق: كوركيس عواد، دمشق، مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون، ط3، 2008م.

123- *الديداخي أي تعليم الرسل*، راهب من الكنيسة القبطية، القاهرة، مكتبة المنار، ط1، 2000م.

124- *ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، عبد الرحمن بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، تحقيق: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، 1988م.

125- *الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك*، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تحقيق: جمال الشيال، بور سعيد، مكتبة القافة الدينية، ط1، 2000م.

126- *رحلة ابن بطوطة* ،تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، محمد بن عبد الله اللواتي ابن بطوطة، الرباط، أكاديمية المملكة المغربية، (د. ط)، 1997م.

127- *رحلة ابن* جبير، محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ط1.

128- *رسائل الجاحظ* ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني المشهور بالجاحظ ، بيروت، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، 2002م.

129- *رفع الإصر عن قضاة مصر*، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ،تحقيق: علي عمر، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1998 م.

130- *الروض الأنف في شرح السيرة النبوية*، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1992م.

131- *الروض المعطار في خبر الأقطار*، محمد بن عبد الله الحِميرى، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة، ط2، 1980م.

132- *الرياض النضرة في مناقب العشرة*، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري، (د. م)، دار الكتب العلمية، ط2.

133- *الزاهر في معاني كلمات الناس*، محمد بن القاسم بن محمد الأنباري، تحقيق: حاتم الضامن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1992م.

134- *زبدة الحلب في تاريخ حلب*، عمر بن أحمد العقيلي كمال الدين ابن العديم، بيروت، دار الكتب العلمية، 1996م.

135- *زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك*، خليل بن شاهين الظاهري، تحقيق: بولس راويس، باريس، المطبعة الجمهورية، 1894م.

136- *زهرة التفاسير*، محمد بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (د. م)، دار الفكر العربي، (د. ط).

137- *سفر نامه*، ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي، تحقيق: يحيى الخشاب، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط3، 1983م.

138- *السفن الإسلامية على حروف العجم*، درويش النخيلي، الإسكندرية، (. ط). 1974م.

139- *السلوك لمعرفة دول الملوك*، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م.

140- *سنن أبي داود*، أبو داود سليمان بن الأشعث السّجِستاني، تحقيق: محمد عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، (د. ط).

141- *السنن الكبرى*، أحمد بن الحسين الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3، 2003م.

142- *سير أعلام النبلاء*، محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق : شعيب الارنؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط9، 1993م.

143- *سيرة أحمد بن طولون*، عبد الله بن محمد المديني البلوي، تحقيق: محمد كرد علي، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ط1.

144- *سيرة القاهرة*، ستانلي لينبول، ترجمة: حسن إبراهيم، وآخرون، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2011م.

145- *السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي*، عبد الشافى محمد عبد اللطيف، القاهرة، دار السلام، ط1، 2007.

146- *السيرة النبوية*، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، تحقيق: طه سعد، بيروت، دار الجيل، ط1، 1991م.

147- *سيناء ملتقى الأديان والحضارات*، عبد الرحيم ريحان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 2013.

148- *شذرات الذهب في أخبار من ذهب*، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري أبو الفلاح، تحقيق: محمود الأرناؤوط، بيروت، دار ابن كثير، ط1، 1986 م.

149- *الشكوى والعتاب وما وقع للخلان والأصحاب*، عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: إلهام المفتي، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ط1، 2000م.

150- *شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم*، نشوان بن سعيد الحميرى اليمني، تحقيق: حسين العمري، وآخرون، بيروت، دار الفكر المعاصر،ط1، 1999م.

151- *صبح الأعشى في صناعة الإنشا*، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: يوسف الطويل، دمشق، دار الفكر، ط1،1987م.

152- *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1987م.

153- *صحيح مسلم*، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د. ط).

154- *صورة الأرض*، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، بيروت، دار صادر، (د. ط)، 1938م.

155- *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ط1، 1992م.

156- *طبقات الأمم*، صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي القرطبي، تحقيق: لويس شيخو اليسوعي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، ط1، 1912م.

157- *طبقات الحفاظ*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م.

158- *طبقات الشافعية*، أبو بكر بن أحمد الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة ، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1987م.

159- *الطبقات الكبرى*، محمد بن سعد الهاشمي البغدادي، تحقيق: محمد عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1990م.

160- *طبقات المفسرين*، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي، بيروت، دار الكتب العلمية ، ط1، 1983.

161- *الطرفة الغريبة في أخبار حضر موت العجيبة*، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، باريس، المكتبة العربية الشاملة نقلاً عن المكتبة الوطنية، 2017م.

162- *الطريق إلى مصر الفتح الإسلامي لمصر رؤية جديدة*، منير الدوماني، المنصورة، دار الكلمة للنشر، ط1، 2013م.

163- *طلبة الطلبة*، عمر بن محمد نجم الدين النسفي، بغداد، المطبعة العامرة، (د. ط)، 1894م.

164- *الطيوريات*، أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيوري، تحقيق: دسمان يحيى معالي، وآخرون، الرياض، مكتبة أضواء السلف، ط1، 2004م.

165- *العبر في خبر من غبر*، محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق: محمد بن بسيوني زغلول، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ط).

166- *عجَالة الإملاءِ المتَيسرةِ من التذنيب على ما وقَع للحَافِظ المنذِري مِنَ الوَهْم وغيره في كتِابه الترغيب والترهيب*، إبراهيم بن محمد بن محمود بن بدر، برهان الدين، القبيباتي الناجي، تحقِيق: إبراهيم الريس، وآخرون، الرياض، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1999م.

167- *العظمة*، عبد الله بن محمد الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد المباركفوري، الرياض، دار العاصمة، ط1، 1998م.

168- *عقائد أهل الكتاب كما يصورها القرآن الكريم دراسة مقارنة*، محمد الديسي، الاسكندرية، دار الجامعة الجديدة للنشر، (د. ط)، 2010م.

169- *العقائد والأديان*، عبد القادر صالح، بيروت، دار المعرفة، ط2، 2006م.

170- *العلل الصغير*، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ط.

171- *عيون الأنباء في طبقات الأطباء*، أحمد بن القاسم ابن أبي أصيبعة، تحقيق: نزار رضا، بيروت، دار مكتبة الحياة، (د. ط).

172- *غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب*، محمد بن أحمد السفاريني الحنبلي ، مصر، مؤسسة قرطبة، ط2، 1993م.

173- *الفتاوى الكبرى*، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: محمد عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1987م.

174- *فتح العرب لمصر*، ألفرد بتلر، (ترجمة: محمد أبو حديد بك)، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط2، 1996م.

175- *فتح القدير*، كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي المعروف بابن الهمام ، بيروت، دار الفكر، (د. ط).

176- *فتوح البلدان*، أحمد بن يحيى بن داود البَلَاذُري، بيروت، دار ومكتبة الهلال، (د. ط)، 1988 م.

177- *فتوح الشام*، محمد بن عمر بن واقد السهمي الواقدي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997م

178- *فتوح مصر وأخبارها*، عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم القرشي المصري، تحقيق: محمد الحجيري، بيروت، دار الفكر، ط1، 1996م.

179- *فتوح مصر والمغرب*، عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، (د. م)، مكتبة الثقافة الدينية، 1995م.

180- *الفروق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم*، سعد رستم، دمشق، الأوائل، ط1، 2003م.

181- *الفصل في الملل والأهواء والنحل*، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي ، القاهرة، الخانجي ، (د. ط).

182- *الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة*، محمد بن الحسين ابن ظهيرة، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، القاهرة، مركز تحقيق التراث القومي، ط1، 1969م.

183- *فضائل الصحابة*، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: وصي الله عباس، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983م.

184- *فضائل مصر المحروسة*، عمر بن محمد بن يوسف الكندي، تحقيق: علي عمر، مصر، مكتبة الخانجي، ط1، 1997م.

185- *فضائل مصر وأخبارها وخواصها*، ابن زولاق، تحقيق: علي عمر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1999م.

186- *الفهرست*، محمد بن إسحاق البغدادي المعروف بابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1997م.

187- *فوات الوفيات*، محمد بن شاكر بن أحمد بن شاكر، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1973م.

188- *القاموس الفقهي لغة واصطلاحا*، سعدي أبو حبيب، دمشق، دار الفكر، ط2، 1988م.

189- *القاموس المحيط*، محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ط8، 2005م.

190- *قصة الحضارة*، ويليام جيمس ديورَانت، ترجمة: زكي نجيب محمود، وآخرين، بيروت، دار الجيل، بيروت، (د. ط).

191- *قوانين الدواوين*، الأسعد بن مماتي، تحقيق: عزيز سوريال عطية، القاهرة، مكتبة مدبولي، ط1، 1991م.

192- *القول الإبريزي للعلامة المقريزي*، أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: عبد المجيد دياب، (د.م)، دار الفضيلة، (د. ط).

193- *الكامل في التاريخ*، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني الجزري عز الدين ابن الأثير، تحقيق: عمر تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي،ط1، 1997م.

194- *كتاب الأموال*، القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: خليل هراس، بيروت، دار الفكر،(د. ط).

195- *كتاب العين*، الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وآخرون، (د. م)، دار ومكتبة الهلال، (د. ط).

196- *كتاب الوزراء والكتاب*، محمد بن عبدوش الجهشياري، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، القاهرة، مطبعة مصطفى الحلبي، ط1، 1938م.

197- *كتاب الولاة وكتاب القضاة للكندي*، محمد بن يوسف بن يعقوب الكند، تحقيق: محمد إسماعيل، وآخرين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م.

198- *كرامات الأولياء للالكائي* ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي،تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط8، 2003م.

199- *كنز الدرر وجامع الغرر*، بن عبد الله بن أيبك الدواداري، تحقيق: صلاح الدين المنجد، 1961 م، (د. م)، (د. ط)، عيسى البابي الحلبي.

200- *كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال*، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي البرهانفوري تحقيق: بكري حياني، وآخرون، (د. م)، مؤسسة الرسالة، ط5، 1981م.

201- *اللباب في علوم الكتاب*، عمر بن علي بن عادل ا النعماني ، تحقيق: عادل عبد الموجود، وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.

202- *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري، بيروت، دار الصادر، ط3، 1994م.

203- *لسان العرب*، محمد بن مكرم بن على جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى، بيروت، دار صادر، ط3، 1994م.

204- *المبسوط*، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي، تحقيق: خليل الميس، بيروت، دار الفكر للطباعة، ط1، 2000م.

205- *المتحف القبطي وأهم الكنائس والأديرة الأثرية*، مرقس سميكه باشا، القاهرة، المطبعة الأميرية، (د. ط)، 1930م.

206- *مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي*، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: مصطفى الذهبي، القاهرة، دار الحديث، ط1، 1995م.

207- مجمع *الآداب في معجم الألقاب*، عبد الرزاق بن أحمد ابن الفوطي الشيباني، تحقيق: محمد الكاظم، طهران، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ط1، 1996م.

208- مجمع *بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار*، محمد طاهر بن علي الهندي الفَتَّنِي الكجراتي، (د. م)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط3، 1967م.

209- مجمل *اللغة*، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني ،تحقيق: زهير سلطان، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1986م.

210- *المجموع الصفوي كتاب القوانين الكنائسية لكنيسة الأقباط الأرثوذكسيين*، الشيخ الصفي أبي الفضائل بن العسال، تحقيق: جرجس عوض، مصر، مطبعة التوفيق، ط1.

211- مختار *الصحاح*، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 1999م.

212- *المختصر في أخبار البشر*، أبو الفداء إسماعيل بن علي بن أيوب، مصر، المطبعة الحسينية المصرية، ط1.

213- *المخصص*، علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: خليل جفال، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1996م.

214- مذكرات *في القوانين الكنسية*، الكتاب الأول في قوانين الآباء والرسل، صليب سوريال، برموس، مكتبة دير السيدة العذراء، (د. ط)، 1983م.

215- *مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان*، عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1997 م.

216- *مرآة الزمان في تواريخ الأعيان*، يوسف بن عبد الله سبط ابن الجوزي، تحقيق: عمار ريحاوي، دمشق، دار الرسالة العلمية،ط1، 2013م.

217- *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*، عبد المؤمن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي، بيروت، دار الجيل، ط1، 1992م.

218- *مرقس الرسول القديس والشهيد*، شنودة الثالث، الإسكندرية، مطبعة الأنبا رويس،(د. ط)، 1986م.

219- *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، على بن الحسين بن على المسعودي، تحقيق: أسعد داغر، قم، دار الهجرة، (د. ط).

220- *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*، أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، أبو ظبي، المجمع الثقافي، ط1، 2003م.

221- *المسالك والممالك*، عبد الله بن عبد العزيز البكري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، (د. ط)، 1992م.

222- *المسالك والممالك*، الحسن بن أحمد المهلبي، دمشق، التلوين للطباعة والنشر، ط1، 2006.

223- *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، أحمد بن محمد بن حنبل ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، وآخرون، (د. م)، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م.

224- *المسيحية عبر تاريخها بالشرق*، (بلورة الفكر المسيحية)، جوزيف بو حجر، ص167، بيروت، مجلس كنائس الشرق الأوسط، ط2، 2002م.

225- *مشارق الأنوار على صحاح الآثار*، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي، (د. م)، المكتبة العتيقة ودار التراث، (د. ط).

226- مصر *الإسلامية وأهل الذمة*، سيدة كاشف، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.

227- *مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية* ، محمد عبد الله عنان ، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ط1931،1م.

228- *مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي وحتى قيام الدولة الطولونية*، سيدة كاشف، القاهرة، الهيئة المصرية للكتاب، (د. ط)، 1994م.

229- *مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البريدية*، عبد اللطيف علي، القاهرة، دار النهضة العربية، (د. ط). 1988م.

230- *المطلع على ألفاظ المقنع*، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، وآخرون، جدة، مكتبة السوادي للتوزيع، ط1، 2003م.

231- *المعارف*، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992 م.

232- *المعارف*، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: ثروت عكاشة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1992م.

233- *المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس إلى آخر عصر الموحدين*، عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، تحقيق: صلاح الدين الهواري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2006م.

234- معجم *الأدباء*، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1993م.

235- معجم *الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي*، محمد أحمد دهمان، بيروت، دار الفكر المعاصر، ط1، 1990م. محمد أحمد دهمان.

236- معجم *البلدان*، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، بيروت، دار الصادر، ط2، 1995م.

237- *المعجم الكبير*، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: حمدي السلفي، (د.م)، دار إحياء التراث العربي، ط2، 1983م.

238- معجم *اللغة العربية المعاصرة*، أحمد مختار عمر، (د. م)، عالم الكتب، ط1، 2008م.

239- *المعجم الوسيط*، إبراهيم مصطفى، وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، القاهرة، د.ط.

240- *معرفة ما يجب لآل البيت من الحق على من عداهم*، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تحقيق: محمد عاشور، بيروت، دار الاعتصام ، ط1972،1م.

241- *المعرفة والتاريخ*، يعقوب بن سفيان الفارسي الفسوي، تحقيق: أكرم العمري، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط2، 1981م.

242- *المغرب في ترتيب المعرب*، أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيدبن علي بن المطرزي، حلب، مكتبة أسامة بن زيد، ط1، 1979م.

243- *مفاتيح العلوم*، محمد بن أحمد الخوارزمي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط2، (د. ت).

244- *مفاتيح الغيب*، محمد بن عمر بن الحسن الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3، 2000م.

245- *مقدمة في تاريخ الاقتصاد الإسلامي وتطوره*، فؤاد عبد الله عمر، جدة، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، ط1، 2003م.

246- *المقريزي مؤرخاً*، محمد كمال الدين عز الدين، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1990م.

247- *المقريزي ومنهجه في كتابه المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار*، خلدون خليل الحباشنة، ، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، م46،ع2،2019م، 285.

248- *ملامح التيارات السياسية في القرن الأول* هجري، إبراهيم بيضون، بيروت، دار النهضة العربية، (د.ط)، 1979م.

249- *الملل والنحل*، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني، بيروت، دار المعرفة، 1404د.ط، .

250- *مناهج التأليف عند العلماء العرب*، مصطفى الشكعه، بيروت، دار العلم للملايين، ط15، 2004م.

251- *المنتظم في تاريخ الأمم والملوك*، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1992.

252- *المنتقى شرح الموطإ*، سليمان بن خلف القرطبي الباجي ، مصر، مطبعة السعادة ، ط1، 1914م.

253- *المنتقى من أخبار مصر*، محمد بن علي بن جلب بن راغب ابن الميسر، تحقيق: أيمن السيد، القاهرة، المعهد العلمي الفرنسي، (د. ط)، 1981م.

254- *المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي*، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، تحقيق: محمد أمين، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1، 1984.

255- *المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار*، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي، تحقيق: أيمن السيد، لندن، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1،1995م.

256- *المؤتَلِف والمختَلِف*، علي بن عمر البغدادي الدارقطني، تحقيق: موفق عبد القادر، بيروت، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 1986.

257- *المؤرخون في مصر في القرن الخامس عشر الميلادي*، محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، د.ط، 1949م.

258- *مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة*، يوسف بن تغرري بردي الأتابكي، تحقيق : نبيل محمد أحمد، القاهرة، دار الكتب المصرية، (د. ط)، 1997م.

259- موسوعة *أحسن الكلام في الفتاوي والأحكام*، عطية صقر، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط1، 2011م.

260- *الموسوعة العربية الميسرة*، إبراهيم مذكور، وآخرون، بيروت، المكتبة العصرية، ط1 2010 م .

261- موسوعة *المستشرقين*، عبد الرحمن بدوي، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1993.

262- موسوعة *كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم*، محمد بن علي ابن القاضي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، بيروت، مكتبة لبنان، ط1، 1996م.

263- *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري، مصر، دار الكتب، د.ط.

264- *نحل عبر النحل*، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، تحقيق: أحمد السايح، وآخرون، القاهرة، مركز الكتاب للنشر، د.ط.

265- *نزهة الأنام في تاريخ الإسلام*، صارم الدين إبراهيم بن محمد العلائي القاهري الملقب بابن دُقْماق، تحقيق: سمير طبارة، بيروت، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط1، 1999م.

266- *نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك*، الحسَن بن عبد الله بن عمر بن الصفدي، تحقيق: عمر تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1، 2003م.

267- *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس لشريف الادريسي، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989م. (المتوفى: 560هـ)

268- *نظم العقيان في أعيان الأعيان*، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فيليب حتي، بيروت، المكتبة العلمية، د.ط.

269- *النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب*، محمد بن أحمد بن بطال الركبي، تحقيق: مصطفى عبد الحفيظ سالم، مكة، المكتبة التجارية، (د. ط)، 1991م.

270- *النقود الإسلامية*، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، قسطنطينية، مطبعة العجائب، ط1، 1881م.

271- *نهاية الأرب في فنون الأدب*، أحمد بن عبد الوهاب النويري، القاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، ط1، 2003م

272- *نهاية الرتبة الظريفة في طلب الحسبة الشريفة*، عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله الشيزري، (د. م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (د. ط).

273- *نوادر الخلفاء المشهور*، محمد دياب الإتليدي، تحقيق: محمد سالم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 2004م.

274- *النَوادر والزِّيادات على مَا في المدونة من غيرها من الأُمهات*، عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القيرواني، تحقيق: محمد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م.

275- *نيل الأمل في ذيل الدول*، زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء بن شاهين الظاهريّ الملطيّ، تحقيق: عمر تدمري، بيروت، المكتبة العصرية، ط1،2002م.

276- *وادي النطرون ورهبانه وأديرته ومختصر تاريخ البطاركة*، عمر طوسون، القاهرة، مؤسسة هنداوي، (د. ط)، 2012م.

277- *الوافي بالوفيات*، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وآخرون، وتركي مصطفى، بيروت، دار إحياء التراث، (د. ط)، 2000م.

278- *وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*، علي بن عبد الله أبو الحسن السمهودي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1999م.

279- *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1994.

280- *يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر*، عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: مفيد قمحية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1983م.

رابعاً: المراجع الأجنبية

1. *Arabic papyri in the Egyptian library*. Grohmann, A.,Cairo, Egyptian Library Press. 1934
2. *Christian Egypt: Church and people*, Hardy: E.R. NEW York. Oxford University Press. 1952
3. *Coptic and its value. [Electronic Version]*. *Bulletin of the John Rylands Library,* WALTER: c.p.40K(1),230-233. 1957
4. *Coptic Christians in Egypt -religious worldview and communal beliefs*, Armanios, F.Y., (Published Doctoral Thesis), The Ohio State University, United States of America. (2003).
5. *Encyclopedia of the Medieval Chronicle*, “al-Maqrīzī, Bauden, f., Leiden, 2010.
6. *History Of Egypt Islamic Egypt*, 640-I 5 I 7. Petry. C. F. (1st ed.). Cambridge: Cambridge University Press. 1998
7. *Roman Egypt to the Reign of Diocletian*. (An Economic Survey of Ancient Rome. Johnson, A. (1st edition.). Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1936
8. *Short account of the copts.* Worrell.H.A. (1st ed.). United States of America. 1945
9. *The impact of the arab conquest on late roman settlement in egypt*, Gascoigne,a., (Unpublished master’s thesis). University of cambridge, 2002.

الملاحق

جدول (3.1): كنائس الوجه البحري[1]

اسم الكنيسة	المنطقة التي تتواجد بها
كنيسة حارة زويلة	القاهرة
كنيسة المغيثة	حارة الروم في القاهرة
كنيسة بربارة	حارة الروم في القاهرة
كنيسة بومنا	على طريق مدينة مصر
كنيسة المعلقة	مدينة مصر
كنيسة شنودة	مدينة مصر
كنيسة مريم	مدينة مصر
كنيسة بوجرج	مدينة مصر
كنيسة بربارة	مدينة مصر
كنيسة بوسرجة	مدينة مصر
كنيسة بابليون	مدينة الفسطاط
كنيسة تاودروس الشهيد	في مدينة الفسطاط
كنيسة بومنا	مدينة الفسطاط
كنيسة بومنا	الحمراء بين مصر والقاهرة
كنيسة الزهري	البركة الناصرية بين مصر والقاهرة
كنيسة ميكائيل	مدينة مصر
كنيسة مريم	جنوب بركة الحبش
كنيسة مريم	في العدوية قرب مدينة مصر شرق النيل
كنيسة أنطونيوس	بني سويف
كنيسة السيدة	الجيزة
كنيسة مريم	الخصوص مقابل أسيوط
كنيسة مريم	أسيوط

(1) انظر: المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1061/4–1084.

اسم الكنيسة	المنطقة التي تتواجد بها
كنيسة يخنس القصير	أسيوط
كنيسة غبريال	أسيوط
كنيسة إسبوطير	إخميم
كنيسة ميكائيل	إخميم
كنيسة بخوم	إخميم
كنيسة مرقص الإنجيلي	الجيزة
كنيسة بوجرج	إخميم
كنيسة بوفار	الجزية
اسم الكنيسة	المنطقة التي تتواجد بها
كنيسة شنودة	بني سويف
كنيسة بو جرج	بني سويف
كنيسة ماروطا القديس	بنى سويف
كنيسة مريم	بهنسا
كنيسة صموئيل	شبرا
كنيسة مريم	طنبدي
كنيسة ميخائيل	طنبدي
كنيسة الابصطولي	أشنين
كنيسة ميخائل	أشنين
كنيسة غبريال	أشنين
كنيسة مجهولة الاسم	طحا
كنيسة مريم	طحا
كنيسة الحكيمين	منهري
كنيسة السيدة	قرقاس
كنيسة السيدة	دلجة

اسم الكنيسة	المنطقة التي تتواجد بها
كنيسة شنودة	دلجة
كنيسة مرقورة	دلجة
كنيسة أنبا بولا	صنبو
كنيسة بوجرج	صنبو
كنيسة جرجس	بيسلا
كنيسة مريم	القوصية
كنيسة غبريال	القوصية
كنيسة الشهيد مرقوريوس	دمشير
كنيسة بويحنس القصير	دمشير
كنيسة ميخائيل	منفلوط
كنيسة ميخائيل	شقلقيل
كنيسة بومنا	شقلقيل
كنيسة بوسدرة	سيوط
كنيسة الرسل	سيوط
كنيسة حنانيا وغزاريا وميصائييل	درنكة
كنيسة بوقتلة	ريفة
كنيسة ميخائيل	ريفة
كنيسة بوقطر	موشة
كنيسة أكلوديوس	بقور
كنيسة السيدة	قطيعة
كنيسة ميخائيل	بومقروفة
كنيسة بويخنس القصير	دوينة
كنيسة ميخائيل	فرشوط
كنيسة السيدة مارت مريم	فرشوط

اسم الكنيسة	المنطقة التي تتواجد بها
كنيسة الرسل	بهجورة
كنيسة مريم	إسنا
كنيسة ميخائل	إسنا
كنيسة يوحنا المعمداني	إسنا
كنيسة السيدة	نقادة
كنيسة السيدة	قفط
كنيسة يوحنا المرحوم	نقادة
كنيسة غبريال	نقادة
كنيسة يوحنا المعمداني	نقادة

الجدول من إعداد الباحثة

جدول (2:3): كنائس الوجه البحري[1]

اسم الكنيسة	المنطقة المتواجدة بها
كنيسة السيدة مريم	مسطرد في القاهرة
كنيسة بوجرج	سندوة القليوبية
كنيسة بوجرج	بنها في القليوبية
كنيسة الرسل	سمنود في محافظة الغربية
كنيسة الرسل	سنباط في محافظة الغربية
كنيسة بوجرج	صندفة محافظة الغربية
كنيسة السيدة	الريدانية في الدقهلية
كنيسة السيدة	دمياط
كنيسة ميخائيل	دمياط
كنيسة يوحنا المعمداني	دمياط
كنيسة ماري جرجس	دمياط
كنيسة السيدة	سبك العبيد المنوفية
كنيسة بويحنس القصير	لقانة
كنيسة ميخائيل	دمنهور
كنيسة المعلقة	الإسكندرية
كنيسة بوجرج	الإسكندرية
كنيسة يوحنا المعمداني	الإسكندرية
كنيسة الرسل	الإسكندرية

الجدول من إعداد الباحثة

(1) انظر: المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1085/4–1086.

جدول (3:3): أديرة الوجه القبلي[1]

اسم الدير	المنطقة التي يوجد بها
دير القلاية	مدينة مصر
دير طرا	على شاطئ النيل
دير شعران	شرق النيل قرب مدينة الفسطاط
ير الرسل	إطفيح
دير بطرس وبولس	جنوب إطفيح
دير الجميزة	قبالة الميمون
دير العربة	جنوب غرب الزعفرانة في البحر الأحمر
دير أنبا بولا	البر الغربي من الطور
دير القصير	جبل المقطم
دير مرحنا	على شاطئ بركة الحبش
دير أبي النعناع	خارج أنصنا
دير مغارة شقلقيل	أسيوط
دير بقطر	أبنوب في أسيوط
دير بقطر شو	أبنوب في أسيوط
دير بوجرج	شرق بني مر
دير حماس	أسيوط
دير الطير	إخميم
دير بوهرمينة	اخميم
دير السبعة جبال	إخميم

(1) انظر: المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1025/4–1047.

المنطقة التي يوجد بها	اسم الدير
إخميم	دير القرقس
شرق إخميم	دير صبرة
سوهاج	دير بوأبسادة
المنيا	دير بوهور الراهب
الجيزة	دير دموه
الجيزة	دير نهيا
حلوان	ير طمويه
–	دير أقفاص
المنيا	دير خارج
بهنسا	دير الخادم
أشنين	ير أشنين
على الضفة الغربية للنيل	دير إيسوس
بين الفيوم والريف	دير سدمنت
الفيوم	دير النقلون
الفيوم	دير القلمون
المنيا	دير السيدة مريم
المنيا	دير بوفانا
المنيا	دير بالوجه
شرق دلجة	دير مرقورة
صنبو في الصعيد	دير صنبو
جنوب صنبو	دير تادرس

اسم الدير	المنطقة التي يوجد بها
دير الريرمون	الريرمون في المنيا
دير المحدق	أسيوط
دير بني كلب	منفلوط في أسيوط
دير الجاولية	أسيوط
دير السبعة جبال	أسيوط
دير المطل	أسيوط
دير بوجرج	أسيوط
دير أرض الحاجر	أسيوط
دير ميكائيل	أسيوط
دير تحرفونة	أسيوط
دير أبي بفام	أسيوط
دير بوساويرس	أسيوط
دير تاذرس	أسيوط
دير منسي آك	أسيوط
دير الرسل	أسيوط
دير موثة	أسيوط
دير بومقروفة	أسيوط
دير بوبفام	سوهاج
دير بوشنودة	غرب سوهاج
الدير الأحمر	–
دير بوميساس	سوهاج

الجدول من إعداد الباحثة

جدول (3:4): أديرة الوجه القبلي[1]

اسم الدير	المنطقة التي يتواجد فيها
دير الخندق	العباسية
دير سرياقوس	–
دير أتريب	على ساحل النيل في بنها
دير المغطس	الملاحات قرب بحيرة البرلس
دير العسكر	الدقهلية
دير جميانةجمظ/	الدقهلية
دير الميمة	الدقهلية
دير بومقار الكبير	وادي النطرون
دير بويخنس القصير	وادي النطرون
دير إلياس	وادي النطرون
دير أنبانوب	سمنود
دير الأرمن	–
دير بوإيشاي	سوهاج
دير سيدة برموس	واي النطرون
دير موسى	وادي النطرون
دير الزجاج	خارج مدينة الإسكندرية
دير الراهبات	القاهرة
دير البنات	القاهرة
دير المعلقة	مدينة مصر
دير بربارة	مدينة مصر
دير الطور	جبل الطور
دير البنات	مصر

الجدول من إعداد الباحثة

(1) انظر: المواعظ والاعتبار، المقريزي، م1047/4– 1060.